

الغلاف الأمامي

مؤلفة الروايات
الأكثر مبيعًا في العالم

هولي بلوك كتاب الليل

رواية

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a bookstore ... ليست مجرد مكتبة ...

الغلاف الأمامي

مؤلفة الروايات
الأكثر مبيعًا في العالم

هولي بلوك

كتاب

الليل

رواية

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a bookstore...
... ليست مجرد مكتبة ...

حقوق الطبع والنشر

كتاب الليل

هولي بك



للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarir.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublishations@jarirbookstore.com

تحديد مسؤولية / إخلاء مسؤولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والنتيجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسؤولية ونخلي مسؤوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمل أي مسؤولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى 2024

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.
Copyright © 2024. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى .

إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاء شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاء عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

Copyright © 2022 by Holly Black
All Rights Reserved

BOOK OF NIGHT

HOLLY
BLACK

إهداء

إلى كل مَنْ حضر الاحتفال بليلة رأس السنة في منزلي..

قول مأثور

لديّ ظل صغير يلاحقني أينما أذهب،

ولا يسعني أن أعرف له أيّ فائدة سوى أنني أراه في كل حين.

إنه يشبهني جدًّا من قمة رأسي حتى أخمص قدمي، وأنا أراه يقفز أمامي ويسبقني عندما أدخل إلى سريري.

من قصيدة «ظلي / My Shadow» لروبرت لويس ستيفنسون.

مفتح

يمكن لأي طفل أن يُطارِد من قِبَل ظله، كل ما عليه هو الركض مباشرةً نحو الشمس في فترة ما بعد الظهر. وما دام مستمرًا في الحركة، فسيكون الظل وراءه مباشرةً. يمكن حتى للطفل الالتفاف ومحاولة مطاردة ظله، ولكن بغض النظر عن مدى سرعة ركض ساقيه البضتين، فإن ظله سيكون دائمًا بعيد المنال.

لكن الحال ليست كذلك مع هذا الطفل.

إنه يركض عبر ساحة مليئة بنباتات الهندباء البرية، يضحك ويصرخ وأصابعه تقترب من شيء ليس صلبًا، شيء يجب ألا يسقط قبل أن يسقط الطفل نفسه على أعواد البرسيم والحشائش، وهو شيء ينبغي ألا يكون قادرًا على مصارعته وطرحه على التراب.

بعد ذلك، يجلس الصبي في مكان بارد مليء بالطحالب تحت شجرة القيقب، ويضع حد سكينه في طرف إصبعه البنصر ثم يدير وجهه بعيدًا؛ حتى لا يضطر إلى مشاهدة ما سيحدث؛ الوخزة الأولى بالسكين لا تمر عبر الجلد. والثانية كذلك. فقط في المرة الثالثة، عندما يضغط بقوة أكبر، ويتغلب الإحباط على شعوره بالغثيان والخوف مما يفعل، ينجح في جرح نفسه. إنه شعور مؤلم للغاية؛ لذلك فهو يخجل من مدى ضآلة قطرة الدم التي انبثقت من جرحه. ثم يضغط على جلده ليرى ما إذا كان بإمكانه الحصول على المزيد فتتضخم القطرة. إن بمقدوره أن يشعر بلهفة الظل. إنه يشعر بالوخز في إصبعه بينما يتشكل ضباب حوله ويهوي بداخله.

هبَّ نسيم، فهزَّ أوراق القيقب المتناثرة وبذورها المجنَّحة التي دارت حوله في دوامات، ثم حلَّقت في الهواء بشكل عمودي.

مجرد مشروب صغير كل يوم وسيكون أفضل صديق لك في العالم، هكذا سمع شخصًا ما في التلفزيون يتحدث عن ظله.

على الرغم من أنه لا يملك فمًا ولا لسانًا ولا يوجد أي بلل أو رطوبة عند ملامسته، فإنه يعرف أن هذا الظل يلحق جلده. هو لا يحب مثل هذا الشعور، لكنه لا يؤلمه على أية حال.

لم يحظ بصديق مقرب من قبل، ومع ذلك فإنه يعلم أن الأصدقاء المقربين يفعلون أشياء كهذه. لقد أصبحا أخوين بالدم يمزجان جروحهما معًا حتى يغدو من المستحيل معرفة أين ينتهي أحدهما ويبدأ الآخر. إنه يحتاج إلى شخص كهذا.

«أنا ريمي». هكذا همس إلى ظله، ثم أكمل: «وسأسميك ريد».

علق حذاء «تشارلي» الكروكس القبيح في ممسحة الأقدام على الأرض خلف الحانة، فأصدر صوتًا مزعجًا كمن يخوض بقدميه في الوحل. انحدرت حبات العرق على الجلد تحت ذراعيها، وعند تجويف حلقها، وبين فخذيها. كانت هذه الوردية الثانية لها اليوم. استقال الشاب الذي يعمل في وردية بعد الظهيرة فجأة ليلحق بمحبوبته إلى لوس أنجلوس، فصار عليها تحمّل عبء ساعات عمله حتى توظّف أوديت بديلاً.

لكن بقدر ما كانت الوظيفة متعبة، فإن تشارلي كانت بحاجة ماسة إلى المال ودائمًا ما اعتقدت أن من الأفضل لها أن تظل مشغولة؛ فالبقاء مشغولة يعني الابتعاد عن المشكلات.

لطالما كان هناك شيء خطأ في حياة تشارلي هول. إن حياتها مضطربة منذ يوم ولادتها. لم تتخذ قط قرارًا سيئًا لم تكن على استعداد لمقاومة آثاره. كانت أصابعها مصممة لنشل الجيوب، ولسانها للكذب، وقلبها عبارة عن نواة حبة كرز ذابلة.

لو كان ظلها واحدًا من تلك الظلال السحرية، فإنها كانت متأكدة تمامًا من أنه سيهرب منها.

لكن هذا لا يعني أنها لا تستطيع أن تحاول أن تكون مختلفة. وكانت تحاول بالفعل. بالتأكيد، كان من الصعب عليها السيطرة على أسوأ دوافعها خلال الأشهر العشرة الماضية، لكن ذلك أفضل من أن تكون أشبه بعود ثقاب مشتعل في بلدة غمرتها بالفعل بالبنزين.

كان لديها وظيفة - ذات جدول زمني، وعدد ساعات عمل مضاعفة - وحبيب مخلص لها ويدفع حصته من الإيجار. كما كان جرحها الناجم عن طلق ناري يندمل بشكل جيد. إنها نجاحات صغيرة، لكن هذا لا يعني أنها لم تكن تفتخر بها.

كانت تشارلي تفكر في كل هذه الأمور عندما رأت دورين كوالسكي - ورؤيتها تمثل دومًا اختبارًا لمدى تماسك تشارلي وثباتها الانفعالي - تعبر الباب المزدوج لحانة رابنتشر بار آند لاونج.

بدا وجه دورين كوالسكي متوهجًا وملطخًا بالدموع، من الواضح أيضًا أنها حاولت إصلاح زينتها، لكنها مسحت الماسكارا بشدة لدرجة أنها مالت إلى جانب واحد. بالعودة إلى المدرسة الثانوية، لم تكن دورين لتمنح تشارلي أي قدر من الاحترام أو الاهتمام، ولعلها لن تفعل ذلك في هذه الليلة أيضًا.

هناك اختلافات لا حصر لها بين حياة الأشخاص الذين يملكون المال والأشخاص الذين لا يملكونه. أحدها: من دون توافر إمكانية الدفع إلى المحترفين والمتخصصين لإنجاز ما يريدونه، من الضروري لهم تصميم شبكة علاقات معقدة من الهواة المفيدون. فمثلًا عندما أخبر الطبيب والد تشارلي بأنه مصاب بسرطان جلدي، جرع خمسة أكواب من مشروبه المفضل ميكروز مارك، وطلب من صديق يعمل جزاريًا قطع جزء من كتفه؛ لأنه لم تكن هناك طريقة يمكنه من خلالها تحمل تكاليف إجراء جراحة. كذلك عندما تزوجت ابنة عم صديقة تشارلي، طلبوا من السيدة سيلفا التي تسكن على بُعد ثلاثة مبانٍ منهم إعداد كعكة زفافها؛ لأن السيدة كانت تحب أن تخبز ولديها أدوات رائعة لصب وتشكيل المعجنات. وحتى إذا كان قوام كريمة الزبدة التي نتجت عن عمل السيدة سيلفا متصلبًا قليلًا، أو كانت إحدى

طبقات الكعكة قد نضجت بقدر أكبر من المطلوب، حسناً، كانت الكعكة لا تزال حلوة وطولها مثل الكعك المعروض في المجلة، كما أنها لم تكلفهم سوى سعر الخامات.

في عالم سحر الظلال كانت تشارلي لصة ناجحة، ولكن في الواقع بالنسبة للسكان المحليين كانت دائماً هاوية مفيدة، على استعداد لسرقة خاتم زواج أو استرداد كلب من نوع بيت بول مقابل الحصول على المكافأة المرصودة لذلك.

تشارلي هول دائماً ما تنجذب إلى الأفكار السيئة مثل انجذاب العثة إلى سترة من الصوف. وكل هرج ومرج يحدث يمثل فرصة للسماح لأسوأ دوافعها بأن تتجسد.

قالت دورين بصوت عالٍ موجّهة حديثها إلى تشارلي: «أريد أن أتحدث إليك».

لقد كانت ليلة ذات إيقاع بطيء في الصالة؛ لكن أوديت، العجوز المتسلطة شبه المتقاعدة والمالكة للحانة، كانت تجلس على طاولة في صدر المكان، وتتكلم مع أصدقائها المقربين. ستلاحظ العجوز إذا تحدثت تشارلي مع شخص واحد لفترة طويلة جداً، ولا يمكن لتشارلي تحمّل خسارة هذا العمل. كان تقديم المشروبات للزبائن في حانة مثل رابنشر خطوة موفقة ومحظوظة بالنظر إلى سجلها الحافل بخيبات الأمل.

لقد حصلت على هذا العمل بترتيب من بالتازار، الذي كان يدير صالوناً للظل في القبو بلا ترخيص، وكانت لديه أسباب وجيهة لمراقبتها، وليس أقلها أنه يريد أن يعود إلى العمل لحسابه.

عندما نظرت تشارلي إلى دورين ولمحت تلك الحماسة المألوفة لديها، شعرت بالتململ لاضطرارها لاتباع سلوك ملتزم على العكس من طبيعتها. كما لو أنها تتبع إستراتيجية محددة للنجاح، لا يوجد في القلب منها سوى كلمة «ربح» مع الكثير من علامات التعجب إلى جوارها.

سألت تشارلي دورين: «هل يمكنني أن أحضر لك مشروباً؟».

فهزت دورين رأسها نفيًا وتابعت في تعجل: «عليك أن تساعدني في العثور على آدم. لقد اختفى مرة أخرى وأنا...»

قاطعتها تشارلي: «لا أستطيع التحدث الآن. اطلبي شيئًا كي لا تلفتي انتباه مديرتي. أيًا يكن ما تطلبينه فهو على حسابي.»

كانت عينا دورين الرطبتان بجفونهما الحمراء تشيان بأنها ستواجه صعوبة في الانتظار، أو أنها قد تناولت بعض المشروبات القوية قبل وصولها. وربما كان كلا الافتراضين صحيحًا. صاح واحد من زبائن الحانة المعروفين «مرحبًا»، فاستدارت تشارلي لتلبي طلبه.

ثم ذهبت إلى طاولة أخرى، حيث كان ثمة رجل يحتسي الجعة وأصابه ترتجف وهو يضع لاصقة نيكوتين ثالثة على ذراعه من الداخل. لقد أراد إبقاء حسابه مفتوحًا حتى ينتهي من احتساء الشراب ويغادر.

سكبت تشارلي قديمًا صغيرًا من مشروب فور روزيز لرجل يرتدي نظارات قذرة بدا كأنه كان نائمًا بملابسه، والذي أخبرها بأنه لا يحب أن يكون المشروب البوربون الخاص به مسكرًا أكثر من اللازم. ثم عبرت إلى الطرف الآخر من الحانة، وتوقفت لتحضير مشروب بالتازار المفضل عندما لَوَّح لها لتذهب إليه.

ثم قال لها بصوت خافت: «لدي عمل لك». بعينه اللامعتين، وبشرته ذات اللون البني الفاتح، وشعره الطويل بما يكفي ليجدله في شكل ذيل حصان، يسيطر بالتازار على صالون الظل الخاص به، ويجعل الأحلام المشينة لأهل البلدة واقعًا.

قالت تشارلي بحسم: «كلا»، ثم تحركت مبتعدة.

«لا تكوني حمقاء، لقد قُتل نايت سينج في سريره، ودُمرت غرفته حيث قُتل. لقد سرق شخص ما كتابه الشخصي عن الاكتشافات السحرية»، ثم أكمل بالتازار بنبرة متشككة:

إنها لا تزال تتذكر السطور الافتتاحية للقصة: ذات يوم، وُلد صبي بظل جائع. لقد كان محظوظًا بمعنى الكلمة، في حين أن كل الحظ السيئ مُنح لتوأمه الذي وُلد بلا ظل على الإطلاق.

لكن، بالطبع، ظل هذه الفتاة لم يكن محظوظًا. لقد بدا رائعًا وأعطاه القليل من السحر. ربما يمكنه أن يرفعها عن الأرض بمقدار سبعة سنتيمترات أو نحوها، لبضع ثوانٍ في المرة الواحدة. لكن من الممكن لزوج من الكعوب العالية أن يرفعها أيضًا بالمقدار نفسه. لكن ما حدث معها لم يجعل من الفتاة ساحرة للظلال.

إن الظلال التي يُتلاعب بها هي من اختصاص المُغيّرين، وهي أكثر التخصصات التي يتم التعامل معها بشكل معلن من بين التخصصات الأربعة. يمكن أن يشكل المغيّرون الظلال بشكل تجميلي ويستخدموها لإثارة مشاعر قوية، لدرجة أن هذه المشاعر يمكن أن تغدو ذات طبيعة إدمانية، بل قد يصل الأمر إلى قطع أجزاء من العقل الباطن للشخص. هناك مخاطر لفعل ذلك بالطبع. في بعض الأحيان، يفقد الناس من أنفسهم أكثر بكثير مما يساومون عليه.

كانت التخصصات السحرية الأخرى أكثر سرية؛ حيث يركز المدرّعون على ظلالهم الخاصة، واستخدامها للتخليق في الهواء فوق أجنحة الظلال أو على الدروع نفسها، بينما يرسل محرّكو الدمى ظلالهم للقيام بالأشياء في الخفاء. في تجربة تشارلي، إلى حد كبير، هذه الأشياء من القذارة والحماقة لدرجة أن أحدًا لن يرغب في الحديث عنها. كما أن المقتنعين ليسوا بأفضل حالًا من الفئات السابقة الذكر، فهم مجموعة من غربيي الأطوار وذوي التوجهات الباطنية العازمين على كشف أسرار الكون، بغض النظر عن سيؤذيه ذلك.

هناك سبب لتسميتهم بالظلاميين، بدلًا من ألقابهم المعتادة؛ إذ لا يمكنك الوثوق بهم قدر أنملة. على سبيل المثال: بغض النظر عما يقوله سحرة الظلال هؤلاء، فإنهم جميعًا يتاجرون في الظلال المسروقة.

لقد سُرق ظل حبيب تشارلي، فينس، منه؛ ولذلك ربما يحصل بعض الأثرياء الملاحين عليه في عملية تغيير. الآن لم يعد لحبيبها ظل على الإطلاق، ولا حتى تحت أكثر الأضواء الساطعة بريقًا. كان يُعتقد أن الناس الذين لا ظل لهم يفتقرون إلى شيء ما؛ نقص في بعض الأشياء غير الملموسة. في بعض الأحيان، يلاحظ الأشخاص الذين يمرون بجوار فينس في الشارع هذا الأمر؛ لذا فإنهم يبتعدون عنه.

تتمنى تشارلي لو يبتعد الناس عن طريقها هي أيضًا. لكن هذا التجاهل يزعج فينس جدًّا؛ لذلك فإنها كانت ترمق بنظرة نارية أي شخص يُبدي هذا السلوك تجاه حبيبها.

عندما عادت تشارلي إلى مكان عملها وراء طاولة المشرب، قالت دورين: «سأتناول مشروب الزنجبيل لتهدئة معدتي».

في تلك اللحظة بدت أوديت مشتتة الانتباه وسط أصدقائها.

«حسنًا، ما المشكلة؟».

قالت دورين: «آدم تورط مجددًا في واحدة من حماقاته»، بينما كانت تشارلي تضع المشروب أمامها مع منديل كوكتيل، ثم أضافت: «اتصل بي أحدهم من الملهى حيث يعمل. إذا لم يأت يوم الاثنين، فسيطردهونه. أحاول أن أتصل به لكنه لا يجيب».

لم تكن تشارلي ودورين صديقتين مقربتين، لكنهما كانتا تعرفان أصدقاء مشتركين بينهما. وأحيانًا تبدو معرفة شخص ما لفترة طويلة أكثر أهمية من الإعجاب به.

تهدت تشارلي وهي تتساءل: «إذن ما الذي تريدني أن أفعله؟».

قالت دورين: «ابحثي عنه واجعليه يعود إلى المنزل. وربما تذكّرينه بأن لديه طفلًا».

فأكدت تشارلي: «لا أعرف ما إذا كنت أستطيع أن أجعله يفعل أي شيء».

فقلت دورين بحدة: «أنتِ سبب هذه الحال التي وصل إليها آدم. إنه يواصل تولي وظائف إضافية خطيرة للغاية».

«كيف يمكن أن يكون هذا خطئي؟!». ثم مسحت تشارلي الطاولة أمامها متظاهرةً بأنها تعمل.

«لأن بالتازار يقارنه بكِ دائماً. ويحاول آدم أن يرتقي إلى سمعتك المشينة. لكن ليس كل شخص مجرمًا موهوبًا بالفطرة».

كان حبيب دورين، آدم، مسئولاً عن تنظيم مباريات إحدى ألعاب الورق (البلاك جاك) في ملهى سبرينجفيلد وبدأ العمل بدوام جزئي لدى بالتازار بعد ابتعاد تشارلي عن عملها السابق. ربما كان آدم يعتقد أن التعامل مع أي شيء مشبوه يحدث على طاولات اللعب قد أعدّه جيدًا للسرقة من سحرة الظلال، كما اشتبهت في أنه إذا كان آدم يعتقد أن بإمكان تشارلي فعل ذلك، فيجب ألا يكون الأمر بهذه الصعوبة.

قالت تشارلي بتنهيدة حارة: «يمكننا التحدث أكثر بعد مناوبتي». وهي تفكر في جميع الأسباب التي لأجلها يجب أن تبتعد عن المتاعب وعن هذا المأزق بالتحديد.

أولاً، هي آخر شخص يريد آدم رؤيته في أي سياق.

ومن ناحية أخرى، فإن تدخّلها في هذا الأمر لن يسفر عن حصولها على أي أموال.

لقد سرت شائعة بأن آدم كان ينفق أمواله الإضافية التي يتقاضاها من بالتازار على تغيير أو تعديل ظله، وهذا التوصيف يعني إدخال تعديلات طفيفة على ظلك، حتى تتمكن من التحديق إلى الفضاء لساعات بينما الكثير من المشاعر الرائعة تغمرك. ربما كان آدم الآن مستلقياً على ظهره في غرفة فندق ويشعر بأنه بحالة جيدة حقًا، وبالتأكيد لا تريد تشارلي أن تسحبه إلى منزله قبل أن تتلاشى هذه المشاعر.

استرقت تشارلي النظر إلى دورين وهي تفكر أن آخر شيء كانت تحتاج إليه في ذلك الوقت، أن تجلس على الطرف الآخر من المشرب لتواسي هذه البائسة.

كانت تشارلي تمد يدها إلى مضخة المياه الغازية عندما جعلها صوت اصطدام ترفع ناظريها إلى الأعلى.

كان الرجل الذي طلب منها ألا يكون شرابه من البوربون «غير مسكّر»، يجثو الآن على يديه وركبتيه بجوار المسرح الفارغ، وجسده عالق وملفوف في قطعة قماش من المخمل، بينما وقف أحد البلطجية التابعين لصالون الظل، وهو رجل يُدعى جوي أسبرينز، فوقه كما لو كان يحاول أن يقرر ما إذا كان سيركله في وجهه أم لا.

صعد بالتازار الدرج، وهو لا يزال يصرخ: «هل أنت مجنون؟ هل تحاول أن توقعني في ورطة؟ هل تحاول أن تخدعني لأبدو كأنني الشخص الذي سرق كتاب الخراب؟ اخرج من هنا!».

قال الرجل: «الأمر ليس كذلك. كل ما في الأمر أن سولت متلهف إلى أن يحصل ولو على جزء منه. سيدفع أموالاً طائلة مقابل...»

جفلت تشارلي عند سماع اسم سولت.

لم يعد يزعجها الكثير من الأشياء، بعد كل ما رآته وفعلته، لكن التفكير في سولت دائماً ما كان يفزعها.

«اخرس واغرب عن وجهي». أشار بالتازار نحو المخرج.

سألت دورين: «ماذا يحدث هنا؟». فهزت تشارلي رأسها وهي تراقب جوي أسبرينز يدفع الرجل المخمور نحو الخارج. نهضت أوديت للتحدث مع بالتازار، وكان صوت حديثهما منخفضاً جداً بحيث لا يمكن سماعه.

ثم استدار بالتأزر، وتعلقت به عينا تشارلي بينما كان يسير عائداً إلى صالون الظل ثم غمز لها بعينه. كان يجب أن ترفع حاجبها أو تقلب عينيها كأبسط استجابة له، لكن ذكر ليونيل سولت جعلها متصلبة في مكانها. مر بها بالتأزر قبل أن تتمكن من الاستجابة لحركته.

حان موعد تقديم آخر طلب بعد فترة وجيزة. بعدها مسحت تشارلي الطاولة أمامها، ثم ملأت غسالة الصحون بالأقداح والأكواب المتسخة، وحسبت المال الذي جمعته خلال الوردية، وأنقصت من البقشيش الخاص بها ثمن مشروب دورين ثم دمجته مع حساب باقي الفواتير. قد تبدو حانة مثل رابشر مكاناً غريباً، وقد تكون جدرانها وسقفها مغطين باللون الأسود، بينما طلاؤها داكن لدرجة أن المكان يكون أقرب إلى الإظلام رغم وجود أضواء به، وقد يكون الهواء كثيفاً بداخله ومعبقاً بالبخور. قد يكون نوع المكان الذي أتى إليه السكان المحليون لإلقاء نظرة عجل على ما به من مظاهر السحر، أو الممارسات الغريبة، أو إذا سئموا من الحانات التي تذاق بها المباريات الرياضية والتي تقدّم شاي الكومبوتشا ضمن مشروباتها، لكن في نهاية المطاف فإن طقوس الإغلاق ومراجعة الحسابات تشبه غيرها من الحانات الأخرى العادية.

كان معظم العاملين قد غادروا بالفعل بحلول الوقت الذي جلبت فيه تشارلي معطفها وحقبية يدها من مكتب أوديت. كانت الرياح تهب بالخارج، ما أدى إلى تبريد حبات العرق على جسدها في أثناء خروجها إلى سيارتها، وعندما تذكرت تشارلي أن الوقت كان بالفعل في أواخر الخريف وعلى مقربة من الشتاء، وأنها بحاجة إلى البدء في جلب شيء أكثر دفئاً للحضور به إلى العمل من مجرد معطف جلدي رقيق.

سألت دورين: «حسناً؟». وأضافت: «أنا أتجمد هنا. سوف تجدينه، أليس كذلك؟ تقول سوزي لامبتون إنك ساعدتها، وأنت بالكاد تعرفينها».

ربما لن تكون هذه المهمة صعبة، وبعد ذلك سوف تتخلص من إزعاج دورين لها. إذا كان آدم مخدراً في مكان ما، يمكنها سرقة محفظته وهذا من شأنه أن يعيده إلى منزله بسرعة. كما يمكنها أن تسلبه مفاتيح سيارته أيضاً، فقط لتُظهر أنها تستطيع ذلك. ثم بادرت تشارلي

بطرح سؤال على دورين: «إن أخاك يعمل في الجامعة، أليس كذلك؟ في قسم الشؤون المالية».

ضيق دورين عينيه، وأجابت: «إنه موظف في خدمة العملاء، ويجب على الهواتف».

«لكن لديه إمكانية الوصول إلى أجهزة الكمبيوتر. فهل يمكنه تدبر الأمر حتى يكون أمام أختي شهر آخر لتسديد فاتورتها؟ لا نطلب منه إلغاء الدَّين الذي عليها بصفتها طالبة، فقط أن يؤجله». كانت رسوم التوجيه للطلاب الجدد، ورسوم التكنولوجيا، والرسوم على مدفوعات البطاقات الائتمانية كلها مستحقة على أختها قبل أن تضاف إليها أموال القرض الطلابي. كل هذا من دون احتساب ما ستحتاج إليه أختها بوزي من مصاريف لمواصلات الجامعة، أو شراء الكتب.

قالت دورين بنبرة حاسمة: «لا أريد أن أوقعه في المشكلات»، وكأنها لا تحاول إقناع مجرمة بالعثور على صديقها المجرم أيضًا.

فعدت تشارلي ذراعيها أمام صدرها وانتظرت أن تغيّر دورين رأيها.

أخيرًا، أومأت دورين ببطء وبنبرة مستسلمة: «أعتقد أنني يمكن أن أطلب منه ذلك».

إن قولها هذا قد يعني إمكانية حدوث الكثير من الأشياء. فتحت تشارلي صندوق سيارتها المتداعية من طراز تويوتا كورولا. بالداخل استقرت مجموعتها الخاصة من الهواتف المحمولة المؤقتة ومسبقة الدفع - التي يمكن استخدامها لفترة مؤقتة ثم التخلص منها من دون الالتزام بعقود مع مزودي الخدمة الهاتفية بشكل رسمي - بجانب مجموعة من أسلاك التوصيل المتشابكة، وحقبة قديمة بها لوازم السطو، وزجاجة من مشروب جراي جوس اشتريتها بسعر الجملة من الحانة.

أخرجت تشارلي أحد الهواتف وأدخلت الرمز السري لتفعيله قائلة: «حسنًا، دعيني أجرب شيئًا وأرى ما إذا كان آدم سيستجيب. أخبريني برقمه».

إذا رد عليها، هكذا قالت لنفسها، ستنفذ المطلوب. وإذا لم يفعل، فستتخلى عن الأمر برمته.

كانت تعلم أنها كانت تبحث فقط عن عذر للوقوع في المشكلات. الخوض في الرمال المتحركة لمعرفة ما إذا كانت ستغوص فيها أم لا. لقد راسلته على أية حال: لديّ مهمة لك وسمعت أنك الأفضل.

إذا كان قلقًا بشأن عدم كونه جيدًا بما فيه الكفاية، فإن مثل هذا الإطار سيكون محفزًا له على الاستجابة. كانت هذه هي طبيعة فن الاحتيال، اللعب على نقاط الضعف. كانت أيضًا طريقة سيئة لتدريب عقلك على التفكير في الناس.

«لنر ما إذا كان سيستجيب و...». بدأت تشارلي تحدّث دورين مجددًا عندما أصدر هاتفها رنينًا.

مَن أنت؟

أمبر، ردت تشارلي برسالة نصية. كان لديها العديد من الهويات التي اختلقتها للخداع ولم تستخدمها قط. من بينها، كانت أمبر هي ساحرة الظلال الوحيدة. آسفة على إزعاجك في وقت متأخر جدًا، لكنني حقًا بحاجة إلى مساعدتك.

أمبر، ذات الشعر البني الطويل؟

حدقت تشارلي إلى هاتفها لفترة طويلة، محاولةً تحديد ما إذا كانت هذه خدعة.

أنت حقًا بارع كما يقولون عنك. ثم أضفت رمزًا تعبيريًا يغمز له، وأملت أن يسمح لها الكلام المراوغ بتجنب أيّ من أسئلته.

«لا أستطيع أن أصدق أنه يرأسلك. ماذا يقول؟».

قالت تشارلي لدورين وهي تسلمها الهاتف: «ألقي نظرة؟ رأييت؟ إنه على قيد الحياة. إنه على ما يرام».

قضمت دورين أظافرها في غيرة وهي تقرأ الرسائل ثم عَقَبت: «لم تقولي لي إنك ستغازلينه».

فقلَّبت تشارلي عينيها في استنكار لما يقال.

على الجانب الآخر من ساحة الانتظار شَقَّت أوديت، مرتدية معطفًا ضخماً، طريقها إلى سيارتها ميني كوبر أرجوانية اللون.

«هل تعتقدين حقًا أن بمقدورك دفعه إلى أن يخبرك بمكان إقامته؟».

أومأت تشارلي برأسها إيجابًا: «بالتأكيد. يمكنني حتى الذهاب إلى هناك وربطه إذا كان هذا ما تريدينه. ومع ذلك يجب أن تعلمي أنك، حينئذ، ستقدمين لي خدمة أخرى من أجل ذلك».

«تقول سوزي إن طلب المساعدة منك يشبه استدعاء عفریت شرير من عالم الجن. قد يمنحك هذا العفریت أمنيته، لكن روحك ستظل رهينة له بعدها».

عضت تشارلي شفتها، ورفعت ناظرها إلى أضواء الشارع ثم ردت في استياء: «كما قلت من قبل، إنني بالكاد أعرف سوزي هذه. لا بد أنها تتحدث عن شخص آخر غيري».

قالت دورين: «ربما، ولكن كل تلك الأشياء التي فعلتها - حتى الأشياء التي قالها الناس عنك - لا بد أن يكون دافعها أنك غاضبة من شخص ما أو هكذا يجب أن تكوني».

قالت تشارلي: «أو ربما فعلت ذلك من أجل المتعة وحدها. وهو الأمر الذي سيبدو عصيًا على التفسير، أليس كذلك؟ ولأنني أقدم لك حاليًا خدمة مهمة، فسيكون من قبيل التهذيب عدم الحديث عن أمر كهذا».

أطلقت دورين واحدة من تلك التهنيدات المتعبّة التي يبدو أن أمهات الأطفال الصغار يحتفظن بمخزون هائل منها في جميع الأوقات. «حسنًا. لك ما تريدين بالتأكيد. فقط أحضريه إلى المنزل قبل أن ينتهي به الأمر بأن يغدو مثلك».

شاهدت تشارلي دورين وهي تذهب، ثم ركبت سيارتها. ربطت حزام مقعدها وحاولت ألا تفكر في المهمة التي كان بالتازار يعرضها عليها، أو في حياتها السابقة. فكرت بدلًا من ذلك في طبق حساء الرامن الذي ستغليه عندما تعود إلى المنزل. كانت تأمل أن تكون أختها قد أطعمت القطة، وتخيلت المرتبة الوثيرة التي تنتظرها على أرضية غرفة نومها. كما تخيلت صورة فينس، وهو نائم بالفعل، وقدماه متشابكتان في الملاءات. أخيرًا، دفعت مفتاح التشغيل كي تدير السيارة.

لكن محرك السيارة لم يُصدر أي صوت، والسيارة لم تتحرك.

2: بطاقة ملك الكئوس، بالمقلوب

هبّت الرياح عبر نفق شارع كوتيدج، فلسعت خديّ تشارلي وأسدت خصلات من شعرها على وجهها.

لا تزال سيارتها كورولا قابعة في موقف سيارات حانة رابنتشر. بغض النظر عن عدد المرات التي أدارت فيها مفتاح التشغيل أو صدمت لوحة القيادة يديها، لم تفعل أسلاك التوصيل التي حاولت استخدامها أي شيء لإنعاش السيارة، فيما كانت تكلفة الاستعانة بشاحنات القطر باهظة.

لقد فكرت في الاتصال بفينس، أو حتى استدعاء سيارة أجرة، لكنها بدلاً من ذلك أخرجت مشروبها المفضل من صندوق السيارة وتجرعت بعضاً منه مباشرةً من الزجاج، وهي تقف هناك وتشعر بالأسى على حالها وتتطلع إلى السماء.

تحولت آخر الأوراق المعلقة بأفرع الأشجار إلى اللون البني؛ وعدد قليل منها لا يزال معلقاً على الأغصان، متدلياً مثل الخفافيش النائمة.

تباطأت سيارة ما عند إشارة المرور الحمراء، وقدم لها سائقها اقتراحاً مبتدلاً قبل أن يضغط دواسة البنزين ليعاود الانطلاق. لقد أرسلت له إشارة تليق بعرضه الوقح، على الرغم من أنه لم يلاحظها على الأرجح.

لم يكن ما قاله هذا العابر شيئاً جديداً على مسامع تشارلي على أية حال. لقد رأت صورتها منعكسة في نوافذ سيارتها فتأملتها: شعر داكن، عينان داكنتان، ثم فيض من كل شيء آخر: الثديين والمؤخرة والبطن والفخذ. في كثير من الأحيان، كان الناس من حولها يتصرفون كما لو أن مفاتها الباذخة كانت دعوة مفتوحة لهم لقول ما يشاءون. يبدو أنهم نسوا أن كل

شخص يُؤلّد في جسد لا يمكن أن يتخلص من هيئته بسهولة كما يخلع المرء نعليه، فهئية المرء لا يمكن تحويلها بسهولة كما لو كانت ظلاً.

بعثرت هبةً أخرى من الريح بعض أوراق الشجر في الهواء، على الرغم من استقرار معظمها معاً على طول حواف الطريق.

في تلك اللحظة، قررت تشارلي أنها ستكون فكرة رائعة أن تمشي مسافة كيلومترين ونصف كيلو تقريباً إلى المنزل.

كانت مسافة يسيرة في نهاية المطاف، مجرد تمشية.

أو ربما كانت هكذا لشخص لم يقف على قدميه طوال النهار ونصف وقت الليل.

وخطر لها أن فكرة المشي راقت لها لمجرد أنها كانت تحت تأثير الشراب.

مرت في طريقها بمتجر كتب أضواؤه مطفاة، في نافذة العرض كان هناك عرض لثمار من اليقطين المنحوت في صورة أشكال مخيفة حيث حُشرت أنياب بلاستيكية لمصاصي دماء في أفواه الثمار. كانت هذه الثمار متراصة إلى جانب روايات الرعب، والغبار المزخرف لحلوى الذرة التي بدأت حباتها في الترهل بالتعفن.

كانت الأبواب والنوافذ كلها مغلقة بطول الشارع. أحكمت تشارلي معطفها حول جسدها وتمنت لو كانت إيستهامبتون مثل بعض المدن الجامعية المحيطة - نورثهامبتون أو أمهيرست - مليئة بالطلاب المفعمين بالحيوية الذين يتسكعون في الشوارع ليلاً، ما يمنح مبرراً لبقاء ولو محل بيتزا واحداً على الأقل مفتوحاً بعد إغلاق الحانات، أو مقهى لمن يعملون بجد طوال الليل.

كل هذا الهدوء المحيط بها أعطاهما الكثير من الوقت للتفكير.

وحدها في الشارع المظلم، لم تستطع تشارلي الفكك من كلمات دورين. ولكن كل تلك الأشياء التي فعلتها - حتى الأشياء التي قالها الناس عنك - لا بد أن يكون دافعها أنك غاضبة من شخص ما أو هكذا يجب أن تكوني.

ركلت كتلة صغيرة من الإسمنت.

عندما كانت طفلة، كانت تشارلي عبارة عن كتلة من الشعر الأسود الكثيف ذات عيين بنيتين وتوجه عدائي. لطالما وقعت في مشكلة تلو الأخرى ولكنها، على طول الطريق، علمت أنها جيدة في تفكيك الأشياء؛ الألغاز والناس. لقد أحببت كشف أسرارهم، وأحببت كذلك معرفة كيفية الوصول إلى ما يخبئونه والحصول عليه. أحببت أن تصبح ما اعتقدوا أنها ينبغي أن تكونه.

الأمر الذي جعلها تعاود التفكير في موضوع آدم مرة أخرى. لن يضرها أن تتورط في هذا الشأن وتنفذ ما طلب منها، على الأقل ستجد شيئاً يلهيها.

أخرجت تشارلي هاتفيها وكتبت: هناك مجلد في مجموعة كتب مورتيمر النادرة في كلية سميث، وأنا متأكدة من أنه يحتوي على شيء مهم. يمكنني أن أدفع لك أو نعقد صفقة تبادلية من نوع ما.

كان سحرة الظلال في حالة بحث دائم عن الكتب القديمة التي توضح بالتفصيل تقنيات التلاعب بالظلال. كان من المعروف أنهم يقتلون بعضهم بعضاً في سبيل الحصول على هذه الكتب. كانت تشارلي تعرض على آدم وظيفة سهلة.

والتي كانت يجب أن تكون مغرية له إلى حد ما.

لمدة عشر سنوات، كانت تشارلي تسرق أشياء لحساب واحد أو آخر من سحرة الظلال؛ كتب ومخطوطات وأحياناً أشياء أخرى أسوأ. لمدة عشر سنوات، حافظت على هويتها سرّاً وعملت في المطاعم والحانات كغطاء، واستخدمت بالتنازل وسيطاً لها. منذ أكثر من عام

بقليل، دفعت مبلغًا من المال عربونًا لشراء منزل، وأقنعت أختها بوزي بالتقدم للالتحاق بإحدى الكليات.

ثم أفسدت كل شيء.

يبدو الأمر كما لو أن هناك حريقًا داخل تشارلي، ونيرانه تتأجج دائمًا. قبل عام، شهدت بنفسها كيف يمكنها بسهولة تحويل كل شيء إلى رماد.

آدم لم يكن يرد. ربما كان نائمًا، أو منتشياً من تعاطي شيء ما، أو فقط غير مهتم. ومن ثم فقد أعادت هاتفها المحمول مجددًا إلى حقيبتها.

من زاوية عينها، خُيل إلى تشارلي أنها رأت الانزلاق الزيتي لشيء ما في الفراغ بين مبنى وآخر.

لقد نزعته هذه الصورة التي خايلت عينيها من تفكيرها عن ماضيها، لكنها فعلت ذلك بشكل غير مريح.

لطالما تحدث الناس عن الظلال الخبيثة غير المتجسدة التي تنتشر في الأرجاء بالطريقة نفسها التي تحدثوا بها عن الرجل النحيل في فيلم سليندر مان أو الفتاة ذات الخد المليء بالعنكب، لكن تشارلي كانت تعرف يقينًا أن الكلام عن الظلال الخبيثة ذات الكيانات المستقلة عن أصحابها يتجاوز مجرد الحكى والقصص. الظل الخبيث هو ما يتبقى حينما يموت ساحر الظلال البشري ويبقى الظل حيًا. إنها حقيقية جدًا، وخطرة جدًا. يمكن لحجر كريم مثل الأونكس، أو الجزع الأسود، أو العقيق اليماني، أو النار أن تؤثر على هذه الظلال، لكن لا توجد وسائل أخرى للسيطرة عليها إلا إذا كنت أنت شخصيًا واحدًا من سحرة الظلال.

رن هاتفها معيّدًا إياها إلى الحاضر. كانت رسالة نصية من فينس: هل كل شيء على ما يرام؟

فأرسلت له: سأصل المنزل بعد قليل.

كان يجب أن تتصل به حينما تعطلت السيارة عند حانة رابنتشر، كان سيأتي ليقلها. ربما كان سيفعل ذلك بطريقة لطيفة تسرُّها، لكن فكرة الاتكال عليه لم تكن تروقها. سيجعل اعتمادها عليه الأمور أكثر سوءًا عندما يرحل.

جاءها صوت على مبعدة منها في الشارع، حيث يتقاطع شارعنا ناشوانك بوند مع رابر ثريد بوند، على الجانب الآخر من مباني المصنع المهجورة. كان هناك شخص ما.

أسرعت تشارلي في مشيها، دافعةً يدها في جيبها لتلتف حول مقبض سكين قابل للطي مربوط بمفاتيحها. ما زالت شفرة السكين حادة على الرغم من استخدامها لفتح علب الحبوب وإزالة شرائح المعجون عن النوافذ القديمة. لم يكن لديها الكثير من الأفكار حول كيفية استخدامها للدفاع عن نفسها، لكنها على الأقل كانت حادة ولديها مقبض من العقيق اليماني لإضعاف الضلال.

لقت وميض متحرك نظرها إلى أحد الأزقة. أضواء مصباح خارج أحد أبواب المتجر كومة من الملابس الملطخة، وعظامًا بيضاء، وجدارًا تناثرت عليه بقع سوداء من الدم.

توقفت تشارلي، وتوترت عضلاتها، وأخذ بطنها يعلو ويهبط بينما يحاول عقلها تفسير ما يحدث حولها. وأخذ دماغها يمدّها بدائل لما رأت أنها دعامة مهملة وسائبة من منزل مسكون، أم مجسمًا بلاستيكيًا لعارضة أزياء، أم حيوانًا ما.

لكن لا، البقايا التي رأتها كانت بشرية. لحم نيء ممزق مع الملابس كما لو أن من فعل ذلك كان متلهفًا للوصول إلى أعماق الشخص الذي فعل به ذلك. اقتربت تشارلي قليلًا وخفت البرودة السائدة من حدة الرائحة المعلقة في الهواء، ولكن كان لا يزال هناك ما يشي بوجود جثة بالقرب. كان وجه الرجل مائلًا على الجانب، وكانت عيناه زجاجيتين مفتوحتين. كان

قفصه الصدري مكسورًا ومُزالًا جزئيًا، وعظامه شاحبة خشنة تبرّز فوق فوضى اللحم الممزق مثل دائرة من أشجار البتولا الفضية.

ثم عادت الحركة مرة أخرى مقابل الحائط. ظل الرجل، الذي كان يجب أن يكون ساكنًا مثل جثته، كان ممزقًا ويتمايل وسط النسائم العابرة لأجواء المكان، كما لو كان قطعة غسيل ممزقة على حبل، كما لو أن هبة ريح قوية قد تنزعه من مكانه.

تغيّر وجه الرجل بسبب الموت لدرجة أنها انتهت أولاً إلى ملابسه التي رأتها قبل وقت قليل في الحانة، والتي كانت من قماش التويد المتجدد والقذر قليلاً، كما لو كان لا يغيّرها قط. كان هذا هو الرجل الذي طرده بالتازار من صالون الظل في رابتشر، الرجل الذي اقترح عليه أن يبيعه شيئًا يخص سولت.

قبل ساعتين، كانت تضع أمامه قدحًا من الشراب، والآن...

سمعت تشارلي صوتًا في الطرف الآخر من الزقاق، فرفعت ناظريها بأنفاس متقطعة. كان هناك رجل يرتدي معطفًا طويلًا داكنًا وقبعة، بعينين سوداوين مثل ثقوب الرصاص، يحدق إليها.

كان هناك خطب ما في يديه.

خلل ما حقًا.

كانتا مصنوعتين بالكامل من الظل، ومعصماه تكسوهما الندوب.

بدأ الرجل يسير نحو تشارلي، وبدت خطاه حادة ووقعها مميّزًا على الأسفلت. كان جانب من حدسها يحثها على أن تركض، والجانب الآخر يريد لها أن تتجمد مكانها لأن الجري سيشعل رغبة هذا الكائن المفترس في مطاردتها. هل كانت حقًا ستقاتل؟ بدت السكين في

يدها صغيرة وتافهة بشكل يبعث على السخرية، وإن كانت أكثر خطورة قليلاً من مقص للأظافر.

ثم دوى صوت صفارات الإنذار المؤذنة باقتراب سيارات الشرطة.

عند سماع الصوت، توقف الرجل. ظلاً يتطلعان أحدهما إلى الآخر، والجملة بينهما. ثم تراجع للخلف، وانزلق وراء الزاوية بعيداً عن مرمى بصرها. شعرت تشارلي بالدوار من الصدمة ثم الانتباه المرعب لوضعها الحالي.

بعدها أجبرت نفسها على التحرك، ومضت تسيير بخطى متعثرة من الزقاق. لو أن رجال الشرطة وجدوها بالقرب من الجملة، فسيكون لديهم الكثير من الأسئلة، ولم يكن من المرجح أن يصدقوا قصة عن وجود شخص ما بيدي ظل لا يدي بشر. وبالتأكيد لن يصدقوا مثل هذه القصة لا سيما من تشارلي، التي قبض عليها مرتين بتهمة الاحتيال قبل سن الثامنة عشرة.

كانت ساقاها تحملانها إلى الأمام، لكن عقلها كان يترنح.

منذ مذبحة بوكسفورد قبل عشرين عاماً، عندما أصبح العالم على دراية بوجود سحرة الظلال، صار غرب ماساتشوستس غاصاً بهم. صار أشبه بوادي السيليكون لسحرة الظلال.

من سبرينجفيلد حيث مصانع الأسلحة المغلقة والقصور والبيوت الفسيحة، إلى الجامعات والكليات، إلى المزارع الغربية في القلاع المقامة على قمم التلال، والأنهار الملوثة والجمال المستنقعي الطابع لخزان كوابين المائي، كان الوادي رخيصة بما فيه الكفاية وقريباً بما يكفي لكل من نيويورك وبوسطن ليكون موضعاً جذاباً للعيش.

بالإضافة إلى ذلك، فقد كان هذا المكان يتمتع بالفعل بقدر كبير من التسامح مع غربيي الأطوار. هناك أمعز تتجول حرة في المكان ومتاحة كي تستخدمها لقص العشب الطويل في باحة منزلك، ونادٍ للأسلحة النارية يدير معرضاً سنوياً لمقتنيات من عصر النهضة. كما

يمكنك شراء هيكل سرير من القرن الثامن عشر ووعاء مصنوع يدويًا على أي شكل تريده، وأن تحصل على الهيروين للتعاطي من رجل ما في محطة للحافلات، كل هذا في غضون خمس عشرة دقيقة فحسب.

في هذه الأيام يمكنك إضافة أنشطة من قبيل الدخول إلى صالون الظل وأن تطلب من أحد المغيّرين إزالة رغبتك في أيّ من الرذائل المذكورة أعلاه، أو إضافة واحدة جديدة. كانت عمليات تعديل الظلال في أوج شعبيتها. كلما زاد عدد سحرة الظلال الموجودين في المدن تغيرت حالها، ولم يكن هناك بالطبع ما يكفي من أحجار العقيق اليماني الكريمة في العالم لإيقافها.

ومع ذلك، فقد بدت حادثة القتل التي رأتها مروعة على نحو فريد. أيًا كان مَنْ أو ما فعل ذلك، فإنه يتمتع بقوة هائلة لشق الجسم مثل ثمرة الجوز.

دفعت يديها المرتعشتين بعمق في جيوبها. أصبح طريقها المألوف غريبًا بالنسبة لها، ومليئًا بالظلال الخشنة التي تتحرك مع كل هبة من الريح. كما بدا أن أنفها يلتقط رائحة اللحم الفاسد دون غيرها من الروائح.

بعد أن تجاوزت مربعين سكنيين آخرين وهي تسير بسرعة وتلهث، وصلت أخيرًا إلى ممر ركن سيارتها أمام منزلها، ويداها لا تزالان ترتجفان.

رن الجرس المعلق فوق الباب وهي تدخل إلى المطبخ الأصفر القبيح لمنزلهم المستأجر. كانت هناك مقلاة وطبقان متسخان في الحوض، بالإضافة إلى صحن مغطى بآخر مثله بالقرب من الميكروويف. كانت قطتها، لوسبير، تتشمم الصحن المغطى بأمل مَنْ سيجد ما يُرضي جوعه.

بعدما دخلت تشارلي غرفة المعيشة، وجدت فينس نائمًا أمام التلفزيون الذي أخفض صوته، وجسده الضخم ممدد فوق الأريكة المهترئة، وكتاب ورقي مستريح على بطنه.

عندما نظرت إليه شعرتُ بدفقة من الحنين، كأنه إحساس غير مريح بفقدان شخص لم يرحل عنها بعد.

ذهبت نظرتها إلى حيث كان يجب أن يسقط ظله. لكن لم يكن هناك أي ظل على الإطلاق!

عندما قابلته تشارلي لأول مرة، لاحظت عيناها أن شيئًا ما ليس على ما يرام، كما لو أن صورة فينس كانت غائمة دائمًا، مضببةً وغير واضحة قليلاً عند الحواف. ربما تكون قد غالطت نفسها لأنها كانت في حالة سُكر، أو بسبب فكه المستقيم ونظافته وأناقته على نحو لم يتمتع به من قبل الرجال الذين كانوا ينجذبون إليها. إنها لم تكتشف إلا في صباح اليوم التالي، عندما كان واقفًا في المدخل وكأن الضوء يتدفق من خلاله، أنه ليس لديه ظل.

أما أختها بوزي فقد أدركت هذا الأمر على الفور.

كانت أخت تشارلي تجلس في تلك اللحظة على البساط الرمادي البالي، وتحقق إلى صورة متحركة على جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بها، ومجموعة من البطاقات أمامها. كانت ترتدي البيجاما نفسها التي كانت ترتديها عندما غادرت تشارلي، حيث الكُمان مجعدان ومتسخان. لفت بوزي شعرها البني الفاتح في كعكة فوق رأسها. والزينة الوحيدة التي كانت ترتديها كانت خاتمًا من العقيق والذهب يصل بين فتحتي أنفها، والذي لم تكن تخلعه قط.

كانت بوزي تتلقى جميع مكالمات تطبيق زووم من دون تشغيل الكاميرا، أو تشغيلها على الأقل جزئيًا؛ حتى لا تضطر إلى ارتداء الملابس المناسبة لذلك.

بدت محترفة تمامًا، وصوتها كان هادئًا بينما واصلت قراءة بطاقات التاروت، وبالكَاد لاحظت تشارلي: «تسع من العصي، معكوسة أو بالمقلوب. أنت منهك. أنت تريد أن تعطي الكثير من نفسك، لكنك تشعر مؤخرًا بأنه لم يعد هناك شيء لتقدمه...»

لا بد أن الشخص الموجود على الطرف الآخر قد بدأ في كشف أسرارهِ؛ لأن بوزي قطعت استرسالها وأخذت تنصت لما يُقال.

عندما كانتا طفلتين، جرّتهما والدتهما إلى الكثير من الوسطاء الروحانيين. تذكرت تشارلي التحديق إلى الوسائد المخملية المتربة والستائر المكسوة بالخرز في الغرفة الأمامية لمنزل خارج الطريق السريع، ورأس بوزي في حجرها، والاستماع إلى مَنْ يكذب على والدتهما بشأن مستقبلها المنتظر.

ولكن حتى لو كان ما حدث معهن في الماضي عمليات احتيال، فقد احتاجت والدتهما إلى شخص ما للتحدث معه، ولم يكن من الوارد أن تتحدث مع أي شخص آخر بخلاف هؤلاء. كان الوسطاء الروحانيون معالجين للأشخاص الذين لا يستطيعون الاعتراف باحتياجهم إلى العلاج. كانوا بمثابة السحر العجيب للأشخاص الذين كانوا في أمس الحاجة إلى القليل من السحر، قبل أن يصبح السحر واقعًا نعيشه.

وبينما لم تكن تشارلي تعتقد أن بوزي لديها أي قوى من أي نوع، فقد اعتقدت كذلك أن عملاءها قد حصلوا على شخص يتعامل مع مشكلاتهن على أنها مهمة، ويريد المساعدة، كما يبدو أن ذلك استحق منهن تبرعًا بخمسين دولارًا واشترًا في حسابها على منصة باتريون.

عادت تشارلي إلى المطبخ وكشفت الصحن المغطى. أعد فينس شطائر التاكو بالببيض، مع شرائح الأفوكادو على الجانب ورشات مزدوجة من صلصتي تاباسكو وسريراتشا. من الأطباق الموجودة في الحوض، بدا واضحًا أنها أُعد بعض منها لبوزي أيضًا. تناولت تشارلي طعامها على الطاولة الصدئة القابلة للطي في المطبخ بينما كانت تستمع إلى حديث أختها.

«ملك الكئوس، بالمقلوب أيضًا. أنتِ امرأة ذكية، لكن في بعض الأحيان تتخذين قرارات تعلمين أنها ليست الأفضل.»

دفعتها دفقة من الأدرينالين إلى ترك شوكتها للحظة والتقاط بعض أنفاس منهكة. حاولت التركيز على صوت أختها، ومعرفة القصة التي ترويها بوزي.

غالبية الأشخاص الذين يتصلون بها لتقرأ لهم حظوظهم في كروت التاروت يعانون مشكلات عاطفية. ربما أرادوا معرفة ما إذا كانت لديهم فرصة في إقامة علاقة ناجحة مع شخص ما على وجه الخصوص. أو ربما كانوا يشعرون بالوحدة ويريدون من شخص ما أن يخبرهم بأنه لم يكن خطأهم أنهم لم يعثروا على الشخص المناسب. ولكن في أغلب الأحيان كان السبب في ذلك أنهم كانوا في علاقة ساءت وتدهورت، وأراد جزء منهم - في أعماقهم - أن يقال لهم إن الأمر يستحق كل المعاناة، بينما أراد جزء آخر منهم الإذن بالابتعاد أو إنهاء العلاقة.

كانت معظم زيارات أمهاتهم للوسطاء الروحانيين تتعلق بالعلاقات. كانت نساء آل هول يقعن في الحب كما لو كنَّ يسقطن من فوق جرف. كنَّ بشعات في اختيار الرجال، كما لو كانت لعنة الأجداد التي بدأت مع زواج جدتها من رجل كرية لدرجة أنها دخلت السجن لإطلاق النار عليه في مؤخرة رأسه، بينما كان يشاهد التلفزيون وهو يجلس على مقعده الوثير. ثم استمر الأمر من خلال الأم التي كانت تجبر تشارلي وبوزي على الجلوس بهدوء في المقعد الخلفي لسيارتها من طراز كيا بينما كانت تتجول في محاولة للقبض على والدهما وهو يخونها، ومن خلال زوج أمهما الذي كسر معصم بوزي، وصديق سابق لتشارلي كان متلهفًا للحصول على المال لدفع ديون المقامرة إلى حد أنه أقنعها بتقديم إقرارات ضريبية لأشخاص متوفين ومنحها النقود من المبالغ المستردة. قالت بوزي إن أي رجل لا بد أن يكون لديه ثقب في رأسه أو قلبه أو جيبه؛ كي تقع إحدى نساء هول في حبه.

ربما كان هذا صحيحًا. ربما كانت هناك حتمية لوجود شيء مفقود في كل رجل عرفته، حتى شعرت تشارلي بأنها تستطيع التكيف مع هذا النقص وأن تعالجه بطريقتها. أو ربما تشارلي كأنها فقدت شيئًا أيضًا من نفسها أو روحها، وبالتالي فإن أصحاب الخسارات يتقاربون معًا ويليق بهم أن يكونوا أحياء.

كان فينس رجلاً يمكن الاعتماد عليه. كان شديد المراس ومُجدِّاً في عمله. والطريقة المتردة التي كان يروي بها قصصاً عن عائلته أوضحت أنه كان غير مرتاح لمشاركة الكثير عن ماضيه، لكن تشارلي قيّم الكثير من الإشارات الصادرة عنه في سلوكياته وأحاديثه لفترة طويلة بما يكفي لتوصلها إلى بعض التخمينات الجيدة. كانت البثرات التي على يديه حديثة النشأة، وكان لديه نوع من الأسنان المستقيمة التي كانت نتيجة لاستخدام تقويم للأسنان. كان يبدو كشاب درس في الجامعة، لكنه لم يدفع أي قرض طلابي لتحقيق ذلك. لقد جاء فينس من خلفية اجتماعية ميسورة.

تساءلت تشارلي عما كان سيحدث إذا نبذته بعد أن فقد ظله. لقد حاولت أن تسأله، لكن إجاباته كانت مراوغة. وهي لم تحاول جاهدة؛ لأنها لم تكن متأكدة من أنها تريد أن تسمع عن حياته السابقة التي كانت أفضل من حياتها بالتأكيد، وإلى أي مدى انحدرت به الحال منذ فارقتها.

بعد كل شيء، كان فينس على استعداد للنظر في الاتجاه الآخر والبدء من جديد عندما ظهرت تشارلي في حياته، تلك الفتاة التي تنجذب دومًا إلى المتاعب بمجرد أن تنهض من فراشها. الفتاة التي قضت سنوات في محاولة طمس أفكارها والتهرب منها بتناول الكثير من الكحول، والتعرف على العديد من الرجال، والقيام بسلسلة من السرقات. يقول الناس إن الشخص الذي ليس له ظل لا تتنابه المشاعر بشكل كامل أو عميق مثل الآخرين. ربما لهذا السبب لم ينزعج فينس مما كانت عليه تشارلي وماذا فعلت في ماضيها.

في المنزل مع فينس، حاولت أن توازن بين شخصيتها الماضية وذاتها الحالية كمن يسير على حبل دقيق، امرأة انتهى ماضيها بوصفها محتالة منذ فترة طويلة، لكنها في الوقت نفسه لم تكن تقاوم الرغبة في الخروج عن المسار الصحيح أو المألوف مرة أخرى.

وحتى إذا لم يكن مستمعًا جيدًا إلى حد ما، وإذا كانت تشتهه أحيانًا في أنه لا ينصت إلى آلامها، أو يتقبل الجزء الوحشي من شوقها لمناكفته أو حتى الصراخ في وجهه والاحتداد عليه، فإنه على الأقل لم يدفعها بعيدًا عنه أو يهجرها.

«تعال»، قالت تشارلي ذلك وهي تلكز ساق فينس بقدمها. أرادت منه أن يأتي بقربها، وأن تتخلل أنفاسه شعرها ويحيطها بذراعه لحمايتها من التفكير في الأمور البشعة مثل العظام البيضاء أو الدماء الجافة أو منظر الرجل ذي اليدين غير البشريتين.

فتح فينس عينيه ثم مدد جسده وأغلق التلفزيون. كانت لديه هذه العادة التي لدى الرجال طوال القامة، حيث كان ينحني قليلاً عندما يقف، كما لو كان يحاول أن يكون أقل تخويماً لمن حوله.

«هل وجدتِ الطعام؟». سأها، وهو يمر بها في طريقه إلى غرفة النوم، وأطراف أصابعه تنزلق على ظهرها. ارتجفت وهي تستنشق الرائحة التي ما زالت عالقة بأصابعها من صب الأشرطة في ورديّة العمل في الحانة.

ثم قالت له: «أنت رجل طيب».

ابتسم فينس لها وبدا مرتباً ولكنه مسرور.

كان فينس يدفع فواتيره، ويُخرج القمامة، ويعامل قطتها بلطف. وحتى إذا كان يتوق إلى عيش حياة أخرى، فإنه مع تشارلي حتى الآن. ومن ثم، فلا يهم ما يكمن في قلب فينس لها بقدر ما يكمن في قلبها هي له.

3: الماضي

كانت تشارلي في الثالثة عشرة من عمرها عندما أخبرت والدتها بأنها تلقت زيارة من نوع خاص أو ما يشبه التجلي في أحد أحلامها. بعد طلاقها انغمست الأم بعمق في عالم البلورات السحرية والتنجيم وكانت لديها صديقة تتلقى «رسائل من الأرواح الطيبة»؛ لذا فما حدث من جانب تشارلي لم يكن من قبيل فكرة جاءت من العدم. لقد زعمت تشارلي أن روح ساحرة ماتت في عصر محاكم التفتيش بدأت تتحدث معها، ثم من خلالها.

لم تكن خطة جيدة، هكذا اعتقدت تشارلي حينما فكرت في الأمر بعد ذلك بعدة سنوات. لكن أمها لم تكن لتستمع إليها إذا ما اتبعت تشارلي أية طريقة أخرى، كما أنها كانت مراهرة يائسة وفي حاجة لمن يسمعها.

وهكذا ابتدعت تشارلي شخصية إلفيرا دي جراناذا أو إلفيرا من غرناطة، وهي شخصية تستند في جانب منها إلى فيلم كرتون ياباني كانت تشارلي تشاهده في وقت متأخر من الليل، وفي جانب آخر إلى هراء روايات الرعب الموجودة في ركن من متجر البقالة. لكن إلفيرا كان بإمكانها قول كل الأشياء التي لم تستطع تشارلي هول قولها. كان بمقدور إلفيرا أن تُعبّر عن كل الغضب المكبوت الذي ملأ قلبًا مصابًا بالندوب بالفعل.

كانت المشكلة أن أم تشارلي في حاجة فعلية إلى الاقتناع بأن زوجها الجديد كان رجلًا سيئًا. كان ترافيس شخصًا لئيماً وكارهاً لتشارلي وبوزي.

لكنه لم يكن غبيًا. عندما صفع بوزي - دونما سبب سوى أنها كانت تلهو حوله وتزعجه وترفض الذهاب إلى الفراش في الوقت المحدد - فإنه فعل ذلك عندما لم تكن الأم موجودة لتراه، وبدلاً من التصرف وكأن شيئاً لم يحدث، ادعى أن تشارلي ضربت أختها وأن بوزي كانت تتستر عليها.

بالطبع عوقبت تشارلي على سلوك سيئ لم ترتكبه وكذلك بوزي لكذبها.

منذ ذلك الحين، عرف ترافيس أن له اليد العليا. فأخبر والدتهما بأنها بحاجة إلى وضع المزيد من الحدود والقيود للطفلتين، وأن والدهما كان متساهلاً معهما ويتركهما تفلتان من العقاب مهما فعلتا من «سلوكيات معيبة»، وأنهما مخادعتان، وتكذبان باستمرار للفت الانتباه، وأنهما كانتا تسرقان من محفظته، وإذا لم تفعل أمهما شيئاً حيال ذلك في أسرع وقت، فلن يحترماها أبداً، بالإضافة إلى أنهما سينتهي بهما المطاف في السجن على الأرجح.

لاحقاً عندما ضرب ترافيس تشارلي، لم تحاول البنت حتى أن تخبر أمها.

كانت الأم مفتونة بفكرة أن ابنتها قد تكون وسيطة روحانية. واثابتها دهشة عارمة عندما أخبرتها تشارلي بحقائق عن أقاربها، على الرغم من أنها كانت مجرد أشياء تتذكرها أو قصصاً سمعتها. ومن حين لآخر، كان ما تقوله مجرد أكاذيب صريحة عن الموتى بدا لها أن من المستحيل كشفها أو دحضها.

ولكن حتى الروح المسماة إفيرا من غرناطة لم تستطع إقناع والدة تشارلي بأن ترافيس لم يكن رجلاً صالحاً. لقد زعمت والدة تشارلي أن إفيرا كانت تشعر بالمرارة وعدم الثقة بسبب تعرضها للتعذيب حتى الموت. في تلك الآونة اختلقت تشارلي شخصية أخرى تأتيها في منامها وهي ألونسو نيبيتو المشعوذ. على عكس إفيرا، لم يُتهم ألونسو بالسحر فقط، فلقد اعترف بأنه يمارس السحر.

ثم اتضح لها أن الرجال يتمتعون بسلطة أكبر، حتى عندما لا يكونون حقيقيين.

أحبت أم تشارلي التحدث إلى ألونسو. اعتقدت تشارلي أنها كانت مقنعة عندما لعبت دور إفيرا، ولكن مع ألونسو، فقد أرادت الأم من تلقاء نفسها أن تقتنع من دون كثير مقاومة.

كانت تشارلي تعرف أن عليها توخي الحذر في كل الأحوال. إذا عمل أونسو على إقناع أمها بأن تهجر ترافيس، فإن عليه أن يمنحها دليلاً ملموساً لتفعل ذلك.

لم يكف في هذه الحالة أن سوء أخلاق ترافيس بدأ يتكشف من تلقاء نفسه. عندما تزوجا، أخذ ترافيس في البداية يتظاهر بمدى محبته لأم تشارلي و بإخبارها بمقدار تميزها ومدى روعة حياتهما، لكنه لم يُطّق مواصلة فعل ذلك. ومن ثمّ فإنهما حينما بدأ يتجادلان حول أي أمر، شرع ترافيس في إصدار تعليقات مسيئة حول وزنها الزائد وكيف أنها لم تكن ذكية كما كان يظن. تلاشى أثر الأزهار وليالي الحب، وكذلك تلاشى جزء كبير من إسهامه في مواردهم المالية.

لقد أدركت تشارلي أن لديها فرصة لإخراج هذا الأحق من حياتهن، لكنها كانت بحاجة إلى المساعدة؛ لذلك سمحت لأختها الصغيرة بالمشاركة في الخطة.

كانت بوزي متحيرة حيال ظهور شخصيتي إلفيرا وأونسو الخياليتين، على الرغم من أنها كانت سعيدة لأن شخصاً ما كان يُعدّد في حديثه عيوب زوج أمها الذي كانت تكرهه. ومع ذلك، فقد كانت مستغربة ومتوترة لكون أختها الكبرى مصابة بحالة من المسّ. ثم بعد أن عرفت أنها لعبة، صار كل شيء مختلفاً.

يتخصص الوسطاء الروحانيون والنفسانيون المحترفون عادةً في أحد نوعين من القراءات، على الرغم من أن أيّاً من الأختين لم تكن تعرف هذا في ذلك الوقت. النوع الأول يُسمّى القراءة الباردة، وهو النوع الذي ستواصل بوزي القيام به بوصفها وسيطاً نفسانياً عبر الهاتف، حيث تتوصل إلى استنتاجات بعينها في توقيت المكالمة نفسه بناءً على الملاحظات التي لفتت انتباهها، أما النوع الثاني من القراءة فيُسمّى القراءة الساخنة.

في أثناء القراءة الباردة المباشرة، قد يدرس الوسيط النفساني أو الروحاني عدد المرات التي ينظر فيها العميل إلى هاتفه، وما إذا كان إصبعه يحتوي على بقعة شاحبة من الجلد نتيجة نزع خاتم الزواج، أو مدى حداثة حذائه، أو مدى بروز الوشوم التي يضعها على

جسده. أما عبر الهاتف، فعلى الوسطاء النفسانيين الاعتماد على اختياراتهم للكلمات، ولهجتهم، ومستوى الانفعالات في أصواتهم. القراءة الباردة الجيدة هي أداة الإقناع التي تسمح للعميل بالاسترخاء والبدء في تقديم المعلومات أو الأسرار التي تخصه.

أما القراءة الساخنة فهي شيء آخر؛ حيث تتضمن القيام ببحث مسبق يخص تفاصيل حياة شخص ما. حتى إن بعض الوسطاء المشهورين يتنصتون على قاعات الاستراحة الخاصة بهم لمعرفة أسرار الحضور، أو يرسلون مساعدين للتنصت على أفراد الجمهور في أثناء إقامة عروضهم. هذا ما سعت تشارلي إلى فعله؛ قراءة ساخنة.

بمساعدة بوزي، سبرت أغوار ترافيس. لقد اكتشفتا كلمة مرور جهاز الكمبيوتر الخاص به واطلعتا على سجل متصفحه، ورسائل البريد الإلكتروني الخاصة به، ورسائله على فيسبوك. لقد حددتا مكان مخزونه من المواد الإباحية، والذي كان مقزراً، لكنه لم يحتو على شيء غريب بما يكفي لإدانتها. ثم اتضح لهما أنه لم يكن يغازل أي امرأة أخرى أو يختلس الأموال. كان ترافيس شريراً ومملاً أيضاً.

على الرغم من أن أداء تشارلي لم يكن جيداً في المدرسة، وأنها صُنِّفت منذ فترة طويلة ضمن مجموعة الأطفال الذين لن يذهبوا إلى الجامعة مطلقاً، فإنها كانت تقرأ كثيراً وتنتبه إلى التفاصيل المحيطة بها. كانت طفلة ذكية.

لكن الأطفال الأذكياء يمكن أن يظلوا أغبياء في أمور بعينها.

لقد قررت تشارلي، بما أنها لم تتمكن من العثور على أي شيء يدين ترافيس، أن تخلق أدلة تدينه. فأنشأت صفحة جديدة على فيسبوك باسمه وصورته، ثم بدأت في مغازلة النساء. سرعان ما تحولت تلك المغازلة إلى رسائل نصية موثقة على هاتف محمول برقم غير مسجّل لدى شركة بعينها. كان لعبها دور ترافيس جزءاً من الوقت وألونسو بقية الوقت مرهقاً لتشارلي.

ولكن بدلاً من أن تتعب من ذلك، وجدت نفسها محبطة بسبب كل الوقت الذي كان عليها أن تقضيه في أداء دورها الطبيعي، دور تشارلي هول الطفلة التي لا يزال لديها الكثير من الفروض المنزلية - وخصوصًا الرياضيات - لتؤديها في المنزل. كانت تتطلع دومًا إلى الارتجال، حيث بدا لها أنها في أثناء تمثيلها لكل هذه الأدوار فإن الكلمات الصحيحة تخرج منها في السياقات المناسبة، ومن موضع ما في أعماقها لم تكن تعرف من قبل أنه موجود.

على الرغم من أنها كانت قادرة على تزوير الأدلة، فإنها لم تكن متأكدة من أن هذا سيكون كافيًا لإقناع والدتها. لقد جئدت بوزي للتلاعب بتفاصيل بيئتهما المنزلية؛ وذلك بأن تشغل الأضواء في الغرف على الجانب الآخر من الشقة، أو تشغل الموقد وتترك أشياء صغيرة حيث يمكن لأمه العثور عليها، وكل هذا لإظهار قوة الشبح ألونسو. لقد أعادت الفتاتان اختراع بعض مظاهر عمل الحركة الروحانية في العصر الفيكتوري من الصفر.

لقد استخدمت تشارلي - من دون أن تتعمد ذلك - واحدًا من أكثر الأوهام تأثيرًا في والدتها؛ حيث أخبر ألونسو والدتها بأنها مهمة، ومميزة، ومختارة. كان ألونسو غامضًا حيال تفاصيل تلك الصفات، لكن التفاصيل لم تكن مهمة للأم.

لم يمض وقت طويل قبل أن تتعلق أم تشارلي بألونسو. في الواقع، بدا لتشارلي في بعض الأحيان أن والدتها صارت مهتمة بألونسو أكثر من اهتمامها بها، وأكثر حماسًا لقضاء الوقت معه أكثر من طفلتيها. شعرت تشارلي أحيانًا بأن أهم شيء فيها هو كونها مرآة تتجسد على سطحها شخصيات أخرى.

بعد ليلة بغيضة؛ حيث صرخ ترافيس في تشارلي لتنظيف غرفتها، وعندما لم تفعل ذلك على النحو الذي يرضيه، مزق نسختها من رواية Howl's Moving Castle إلى نصفين، قررت أن الوقت قد حان. بعد ثلاثة أيام، طلب ألونسو من الأم أن تنظر في حجيرة القفازات في سيارة ترافيس، حيث كانت بوزي قد زرعت بالفعل الهاتف المؤقت الذي يحمل كل الأسرار المختلفة.

بعد ذلك، بدأت الأمور تتحرك بسرعة كبيرة.

اطلعت الأم على الرسائل التي على الهاتف وشاهدت الوعود التي قدّمها «ترافيس» لهؤلاء النساء والأشياء الفظيعة التي قالها لهن عنها. أنكر ترافيس كل شيء، وأصبح غاضبًا أكثر فأكثر عندما لم تصدقه.

اللعنة عليك! هكذا خطر لتشارلي وهي تشعر بالرضا وتتذكر عدد المرات التي صدّقت والدتها فيها ترافيس بدلًا من تصديقها هي.

شعرت تشارلي بالسعادة عندما غادرن منزل ترافيس، وكانت لا تزال تشعر بالسعادة عندما تقدمت والدتها بطلب الطلاق، وكانت سعيدة أكثر بالانتقال إلى شقتهن الجديدة الصغيرة، حتى لو كان المال المتوافر لهن قد صار أقل من أي وقت مضى. لكن تشارلي صارت خائفة من عواقب ما فعلته. لقد كان عبئًا ثقيلًا عليها أن تعرف أنها ارتكبت خيانة كبيرة جدًّا لدرجة أنه إذا اكتشفت والدتها ما حدث بالفعل، فقد لا تُسامح تشارلي أبدًا.

ولم تكن مستعدة بأية حال من الأحوال لأن تقدم والدتها ألونسو لصديقاتها. ومن ثم فقد رفضت تشارلي الذهاب رفقة والدتها. بكت وأصررت على أنها لا تريد ذلك، وأنها لم تعد تحب أن تترك ألونسو يتحدث من خلالها بعد الآن.

كانت تشارلي قد صارت على أعتاب مرحلة البلوغ. ثلاثة أرباع طفلة وربع يتوق لأن تغدو فتاة بالغة. كانت أحلامها عبارة عن مزيج مشوش من مشاهدة مجموعات البرامج التلفزيونية، وتناول الكوكتيلات لانعة المذاق، ووضع أحمر الشفاه والزينة البراقة، والزواج من شخص نصفه نجم بوب ونصفه الآخر دمية.

كانت تعلم أن عليها التوقف عن التظاهر بأنها ألونسو قبل أن يُكتشف أمرها، لكنها لم تكن تعرف كيف تتوقف من دون أن تُخيّب رجاء أمها.

فقط دعيه يتجلى من خلالك. ستكون هذه المرة الأخيرة. أعدكِ يا عزيزتي.

أقنعتها والدتها بالتحدث مع أصدقائها مرة، ثم مرة ثانية. وباقتراب موعد الزيارة الثالثة، خمنت تشارلي أن بعضًا منهم قد أصبح متشككًا. حاول راند، وهو رجل سمين ذو شارب جميل، أن يطرح عليها أسئلة تاريخية للإيقاع بها، ففزعت تشارلي وتحدثت كثيرًا على نحو مضطرب وفي مختلف الاتجاهات. في طريق العودة بالسيارة، شعرت بنظرة والدتها مركزة عليها، وهي مُحَبَّطَة وعلى وشك كشف حقيقة الأمر. شعرت تشارلي في تلك اللحظات بأن جسدها كله قد صار بثقل الرصاص.

في المرة الثالثة، لم تعترض تشارلي على الذهاب، رغم أن والدتها بدت متحيرة حيال رغبتها الفعلية في إتمام الزيارة. ومع ذلك، فقد أجرت تشارلي بحثًا مكثفًا عن بعض الحقائق التاريخية، وبين معرفة هذه الحقائق من ناحية وجهل ألونسو المحتمل والمنطقي بأشياء مستحدثة أو خارج نطاق علمه، مثل المضادات الحيوية والجاذبية الأرضية، اعتقدت أنها تستطيع المضي قدمًا مرة أخرى.

والأهم من ذلك، فقد تذكرت تشارلي ما نجح مع والدتها من قبل. لم تكن تشارلي بحاجة إلى إقناعهم بأي شيء.

كانت بحاجة فقط إلى جعلهم يرغبون في تصديقها.

وبدلاً من الإجابة عن أسئلتهم، بادرتهم بالهجوم. كانت تشارلي تعرف جميع أصدقاء وصديقات والدتها جيداً بما يكفي لتخمن مَنْ يأمل منهم - خصوصاً النساء - أن تُعْرَضَ منحوتاتها في مجلة، ومَنْ تريد أن تجد حب حياتها، ومَنْ تريد أن تحظى بولد أو لادها، إلخ. أخبرهم ألونسو بما يريدون سماعه ولمس الوتر الحساس لدى كلٍّ منهم.

لقد قابلتِ بالفعل الرجل الذي من المقرر أن تكوني معه، وأنتِ تعرفين مَنْ هو ولماذا لستما معاً حتى الآن.

سيكون أطفالك في أسعد حالاتهم عند العيش بالقرب من بحيرة أو في بيت فيه بركة سباحة، لكنهم سيقاومون الاعتراف بهذا.

سيُحتفَى بعملك بما يليق به بعد وفاتك.

ثم أخبرهم ألونسو بأنه حقق هدفه المنشود، وصار مسموحًا له في النهاية بالمضي قُدماً والرحيل عنهم. بعد الوداع الجاد والدموع، تحركت تشارلي وجسدها كله يتأرجح، ثم سقطت على الأرض وتظاهرت بفقدانها للوعي لمدة دقيقة كاملة، حتى شعرت بالقلق من أنهم سيستدعون سيارة إسعاف بالفعل.

حتى أكثر أصدقاء والدتها تشككًا فيما كانت تفعله قدّم لها البسكويت وشاي الأعشاب بعد ذلك.

بعدها لم تأتِ تشارلي أي «زيارات روحانية» أخرى.

أحيانًا كانت والدتها تحدد إليها باستغراب، لكن تشارلي حاولت ألا تُبدي انتباهها لذلك. وبدأت بوزي، التي شعرت بالغيرة من الاهتمام الذي حازته تشارلي، في قراءة بطاقات التاروت ولفت الأنظار إليها بأية طريقة مهما بدت مستغرَبة.

بينما شعرت تشارلي كما لو أنها فقدت ما كان يميزها وعادت طفلةً عاديةً من جديد.

4: المزيد من القهوة

غمر ضوء الصباح الساطع المطبخ. كانت لوسيبر في قلب الحوض، ومخالها مستوى على سطح طبق متسخ، بينما تعلق قطرات متسربة من صنوبر الماء.

سكبت تشارلي القهوة، وهي تلحظ بريق عيني بوزي المحققنتين بالدماء والطريقة المضطربة التي تتحرك بها ساقاها تحت الطاولة. كانت لا تزال ترتدي البيجامة التي كانت ترتديها في الليلة السابقة، وأضافت إليها حُفًا على شكل وحيد القرن، والذي كان باللون الرمادي الملطخ.

«هل بقيتِ مستيقظة طوال الليل؟». سألتها تشارلي، على الرغم من أن الإجابة كانت واضحة.

«عثرت على قناة جديدة لمتابعتها». وشت نبرة بوزي بأنها تتوقع من تشارلي أن تتجادل معها. على لوحات الرسائل التي كانت بوزي تتردد عليها وفي مقاطع الفيديو التي كانت تشاهدها، كانت هناك نصائح خطيرة حول إيقاظ أو تنشيط المرء لظله، وهي الخطوة الأولى ليصبح المرء ساحرًا للظلال.

كان معظم المقالات الرائجة المكتوبة عن سحر الظلال تدور حول التعديلات أو التغييرات، محتوي يشجع على النقر عليه من قبيل هل السحر هو السر الجديد الذي ستحظى به نسبة الواحد في المائة فقط؟ ممثلة هوليوود تبدأ التوجه الرائج للظل الجديد. تخلص نهائيًا من الرغبة الشديدة في تناول الأطعمة غير المرغوب فيها. أكثر تعديلات الظل فائدة للأمهات الجدد. هل تصبح إزالة الرغبة عملية جراحية جديدة مثل عمليات المخ الدقيقة؟ في تلك القصص، كان سحر الظلال هم المزودين للأخبار ومن يتاجرون بها.

صار المشاهير يغيرون ظلالهم بشكل متكرر الآن، بعد أن راج هذا التوجه، مثلما يغير الأشخاص الآخرون قصّات شعورهم، وارتداء ملابس لأجل حضور إحدى حفلات ميت جالا أو ميت بول بظلال تتخذ أشكال التنانين أو البجع أو ققط الصيد الكبيرة. لقد استُثيرت عواطفهم للاستعداد بشكل أفضل لأداء أدوارهم الفنية، أو ليكون بعض منهم قادرين على كتابة المزيد من الأغاني المفعمة بالذكريات.

أما إذا مات عدد قليل من الناس جوعاً، أو ألقوا بأنفسهم من فوق الجسور، أو أزال الكثير منهم أجزاء من أجسادهم، فهذا ثمن ضئيل يجب دفعه. عندما تذبل الظلال أو تحترق أو تفشل في الإفساد أو الكسب غير المشروع، يمكن للأثرياء دائماً شراء ظلال جديدة.

لكنك إذا ما تعمقت قليلاً في مستنقع الروابط والمقالات، متجاوزاً بريقها السطحي، ستصل إلى نظريات محددة حول كيف أصبح الناس سحرة للظلال، كما ستجد بعض الإسهامات من مصادر مُعتبرة والتي قُدّمت بطريقة محسوبة. نُقل عن عالمٍ من مراكز أبحاث هيلمهولتز في مقابلة، راجت بشدة، مع صحيفة ذا نيويورك ركر قوله: «الظلال السحرية تشبه ظلال الموتى عند هوميروس، وتحتاج إلى الدماء لإجراء تعديلات عليها أو لإيقاظها وفصلها وجعلها مستقلة». ولكن بعد ذلك بدا أن كل شخص مؤثر على الإنترنت في مجال السلامة الجسدية والنفسية وكل ساحر محتمل لديه ميل للترويج لفكرة ما أو رأي لديه في هذا الصدد. أصبح يوتيوب وتيك توك مكتظين بالبرامج التعليمية الزائفة التي تحمل عناوين مثل: كيف أيقظت ظلي بإيلامه، أو إيقاظ الظل بعد شجار بالأيدي، أو اكتشاف القدرة السحرية بعد الغرق، إلخ. وفي أعماق موقع مثل 8kun، كانت الأفكار أغرب وأسوأ بكثير.

كان بإمكان تشارلي أن تتذكر مرحلة زمنية بدا فيها السحر الفعلي مستحيلاً. ثم الارتباك الذي ساد عندما بدا أن أحداً لم يعد متأكداً مما هو حقيقي وما هو غير ذلك. لكن بوزي انتقلت من إيمانها بالسحر في طفولتها إلى مرحلة البلوغ حيث صار السحر حقيقياً، ومن ثم فقد سعت إلى تجربته.

تذكر تشارلي بوضوح عودتها إلى المنزل حيث وجدت حوض الاستحمام نصف مليء بالثلج الذائب وأختها تجلس على الأرض، ملفوفة في منشفة، وشفتاها زرقاوان من البرد. قالت لها بوزي: «كان يجب أن أبقى في الداخل لفترة أطول». حينذاك توصلت إليها تشارلي ألا تحاول فعل شيء كهذا مرة أخرى.

بدلاً من ذلك، فقد حصلت بوزي على قطعة من خيط الصيد لربطها بثقب في اللسان والبدء في عملية بطيئة ومؤلمة لشق لسانها. على ما يبدو، بمجرد أن تعتاد استخدام العضلات على كلا الجانبين في وقت واحد، فإنك تدرب عقلك على «تقسيم وعيك إلى نصفين»، واللسان المشقوق هو الشيء الثاني الذي يحتاج إليه كل ساحر للظلال بعد إيقاظ الظل وفصله.

بقدر ما يمكن لتشارلي أن تقول، كل ما خرجت منه بوزي من جرّاء هذه التجربة هو لثغة طفيفة.

تتأبّت تشارلي وفحصت الرسائل على هاتفها الأساسي والمؤقت. على هاتفها الأساسي، كانت هناك دعوة لحفل شواء من لورا؛ صديقتها المقربة من المدرسة الثانوية، والتي صار لديها ثلاثة أطفال ولم يعد لديها الكثير من وقت الفراغ، وطلب للإشراف على تقديم المشروبات في الفناء الخلفي في حفل زفاف صديق آخر، وبريد عشوائي من متجر يعرض تخفيضات على تماثيل العقيق اليماني.

ثم أخرجت هاتفها المؤقت وغير المسجّل، وراست آدم في محاولة جديدة لدفعه للظهور:

هل يمكننا أن نلتقي؟ في مكان ما خاص. لا أريد أن نُرصد معاً.

كان هذا هو الجزء الصعب، دفعه للخروج من مكمنه والتقاط الطعام. بمجرد أن يخبرها بمكانه، ستنال منه.

بعدها يمكن أن تذهب دورين لتصرخ في وجهه وتجره إلى المنزل.

لو كان من السهل على تشارلي أن تصلح الحال وتمهد السبيل لبوزي بمثل هذه الطريقة. ولكن لم تكن هناك أي خدعة أو سرقة أو احتيال يمكن أن تفكر فيه ومن شأنه أن يساعدها في هذا الصدد.

غداً؟

مع تعطل سيارتها، ستزداد صعوبة الأمر. بالتأكيد، كتبت تشارلي. أستطيع أن آتي في الصباح.

لا لقاءات في الصباح.

كزّت على أسنانها في إحباط. إذا لم تكن تعرف متى سيوجد هناك، فعليها أن تراقب المكان بنفسها أو تعيّن شخصاً ليفعل ذلك. وبما أنها كانت تتظاهر بأنها أمبر ساحرة الظلال، فليس من المنطقي أن تكون لديها وظيفة أخرى. قررت تشارلي أن تغدو أكثر غموضاً، وأرسلت له: لديّ شيء سيشغلني حتى منتصف الليل. يمكنني مقابلتك بعدها.

أرسل لها علامة الإبهام لأعلى ورمزاً تعبيرياً يغمز. عندما أرسل لها بعدها رقم غرفته بفندق إم جي إم في سبرينجفيلد، شعرت بالذنب بعض الشيء، كما لو أنها كانت تتفق على موعد عاطفي.

قالت لنفسها إنك لا تفعلين أي شيء خطأ.

حسناً، لقد كانت تفعل شيئاً خطأ، لكنه لم يكن يبدو كذلك.

«هل كنتِ منتبهة لأيّ مما قلته؟». سألتها بوزي بتشكك.

كذبت تشارلي: «بالأكيد».

قلّبت بوزي عينيها وركلت ساق كرسي تشارلي بقدمها ذات الخف: «هناك هذا الفيديو حيث يتناول الناس مشروب آياهواسكا ويُرشّدون عبر عملية إيقاظ ظلالهم. الجميع على لوحات الرسائل منشغلون بهذا الفيديو. أعرف شخصًا لديه منزل بالقرب من بحيرة كوينسيجاموند، ويريد مجموعة منا لإعادة إنشاء ظله أو إيقاظه، إذا كان بإمكان شخص ما الحصول على مادة ثنائي ميثيل التريبتامين، والتي تُعرّف اختصارًا بـ(دي إم تي)».

رفعت تشارلي حاجبيها في دهشة وقالت: «هذه هي المادة المهلوسة التي تجعلك تتقيئين طوال الليل. ومواد أخرى أكثر جرأة وسوءًا وخطورة».

هزت بوزي كتفيها بلا اكتراث: «هل يمكنك الحصول عليها؟».

رددت تشارلي، وهي تحاول أن تقرّر مدى سوء الفكرة حقًا: «أقراص الـ دي إم تي. لا أعرف. أسألي في المنطقة حول كلية هامبشاير. إذا كان شخص يبيعها محليًا، فإنهم سيبيعونها في هذا المكان. أو ربما عندما تبدئين دراستك في جامعة يوماس - جامعة ماساتشوستس في أمهيرست - يمكنك معرفة ما إذا كان بإمكان شخص ما توليف بعض منها في المختبر الحيوي».

كانت أخت تشارلي قد أمضت السنوات القليلة الماضية وهي تنغمس في سلاسل رسائل موقع ريديت، وتشاهد مقاطع الفيديو، وتتحدث حتى الفجر مع الآملين الآخرين في أن يصبحوا سحرة للظلال؛ لكن الأمور ساءت في الآونة الأخيرة. صارت بوزي لا تنام لعدة أيام متتالية ولا تخرج من المنزل لأسابيع. بدا اليأس وكأنه يلازمها لأن ظلها رفض أن ينشط. لقد غاصت في جحر الأرناب هذا الذي انزلت إلى أعماقه لدرجة أن تشارلي صارت قلقة من أن تصبح أختها أسيرة لما تفعل.

لهذا كان من المهم للغاية أن تذهب بوزي إلى الكلية. في جامعة يوماس، كان بإمكانها دراسة علم الظلال مع أساتذة حقيقيين بدلًا من بعض الكسالى خاملي العقول من الإنترنت، وربما تكتشف حتى بعض الاهتمامات الأخرى.

كانت المشكلة الوحيدة هي عدد الاستثمارات التي عليها أن تملأها والرسوم والتكاليف المفاجئة. في حين أن تشارلي جمعت معظم الأموال استعدادًا لتحقيق هذا الهدف، فإنها لم تكن تملك كل ما يلزم. لكنها ستتمكن من الحصول على المطلوب بمجرد أن يتدخل شقيق دورين ويمنحهما المزيد من الوقت.

لذلك اتبعت تشارلي تقاليد الأسرة المتمثلة في تجاهل الموقف القائم في غالب الأحوال، واقتربت - من دون أن تكون مقتنعة بطلبها - أن تحاول أختها الذهاب إلى الفراش في وقت مبكر وكان مشكلتها الحقيقية هي الأرق.

كما لو أن كليهما لا تعرفان أن بوزي كانت تشرب دلاء من القهوة والصودا وربما تجرع معها أقراصًا من عقار أديرال لدرء الإرهاق. على الأقل هذه العادة من شأنها أن تساعدنا لاحقًا على السهر والمذاكرة في المرحلة الجامعية.

كان لدى تشارلي شعور مقلق بأن أختها لديها بالفعل فكرة عن المكان الذي ستحصل منه على أقراص الـ إم تي، وأن ذلك سيتضمن دفع شيء ما. على الأرجح، دفع تشارلي لشيء ما في المقابل.

رن هاتف بوزي، وفي أثناء تفحصها له شغلت تشارلي نفسها باحتساء قهوتها. كانت في حاجة حقيقية إليها.

تمت بوزي وهي تحمل هاتفها حتى تتمكن تشارلي من رؤية صورة والدتهما وهي تحمل بطاقة التاروت: «أمي سحبت بطاقة الكؤوس السبع اليوم».

إنها بطاقة الحالم بأحلام اليقظة، الباحث عن شيء ما. كانت والدتهما تقضي إقامة طويلة في فندق مع زوج جديد، دائمًا ما كان هناك رجل جديد إلى جوارها. كانت تحب أن تستعين بآراء بوزي فيما يتعلق بحظها اليوم؛ لأن بوزي كانت تقدم خدماتها مجانًا للعائلة.

تجاهلت تشارلي إحساسها المألوف بالذنب كطعنة في خاصرتها، لقد تلاشى هذا الإحساس بمرور الوقت، لكنه لم يختفِ تمامًا. «ماذا ستقولين لها؟».

عبست بوزي: «ما الذي يهملك في هذا؟ وكأنك تصدقين أنني أعرف بالفعل حقيقة ما أتحدث عنه». عند سماع نبرة صوتها المستنكرة، رفعت القطة لوسبير ناظريها إلى الأعلى من الحوض وهي تموء.

فقال تشارلي: «هذا ليس عدلاً، وقد أزعجتِ القطة. إنها تكره عندما يتشاجر الناس».

تجاهلتها بوزي وتابعت: «هناك سبب في أنهم يفصلون الظلال عن أجساد الناس ويبيعونها. الكل يريد السحر. أنا لست استثناءً في هذا الشأن».

نظرت تشارلي تلقائياً نحو الحمام حيث كان فينس يستحم. ثم خفضت صوتها: «لم أكن أنتقدك. خفّفي من حدة جنون الارتياب الذي يعتريك طوال الوقت».

عندما كانت تشارلي طفلة، أعطاهما أحدهم صندوقاً للحيل في يوم ميلادها والذي كان يحتوي على منديل يُسحب من الداخل للخارج فتتغير ألوانه، وقبعة بقاع مزدوج، وكومة من البطاقات الموسومة بعلامات محددة. لقد كانت تلعب بها ليلة بعد ليلة. لكن في النهاية، أدركت أن ذلك كان مجرد نوع آخر من التزييف. طريقة مختلفة للكذب.

بالطبع، كانت تشارلي تعرف كيف تكون الحال عندما ترغب في السحر.

سحبت بوزي جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بها، وقالت: «دعيني أريك شيئاً».

تناولت تشارلي رشفة أخرى من القهوة وبدأت في صنع كومة باستخدام رسائل البريد المتناثرة على الطاولة: الكتالوجات، وفواتير الكهرباء، وفاتورة الغاز، وفاتورة الهاتف المحمول، ورسالة أخرى من المستشفى باللون الأحمر، وثلاث رسائل من شركة تحصيل.

كان مجموع المبالغ المطلوبة يتصاعد كل شهر مع الفوائد. بالإضافة إلى ذلك، كان عليها إنعاش سيارتها تويوتا كورولا طراز 1998 قبل أن تقطرها. لكن بوزي تأتي أولاً.

قالت أخت تشارلي الصغيرة: «فكّري في كل الأشياء التي تم التستر عليها طوال الوقت؛ اختبارات الإشعاع التي جرت على الأطفال المتوفين، وإجبار الشركات على تسميم المواد المستخدمة في صنع كحول غير شرعي في أثناء فترة حظر الكحول الشهيرة في أمريكا في القرن الماضي. الأمر لا يتعلق فقط بحكومتنا أو أي حكومة بعينها، بل كذلك بالشركات والمؤسسات. إذا كانت هناك طريقة لتحفيز وإيقاظ وفصل الضلال عن أجساد أصحابها، فسيخفونها عنا».

أدارت بوزي شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها لتعرض شريط فيديو لمراهقين يتسللون إلى مستشفى. في الأسفل، رُعم أن الفيديو عبارة عن لقطات لم يُتلاَعَب بها من شريط مراقبة. في الفيديو لمعت عيون الأطفال في ضوء الأشعة تحت الحمراء. كان الأمر مخيفًا، لا سيما رؤيتهم يضحكون بجانب المرضى النائمين، ويتظاهرون بأنهم يقصون أشياء بأصابعهم كما لو كانوا يلعبون لعبة (حجر، ورق، مقص)، ثم يختارون المقص مرارًا وتكرارًا.

تساءلت بوزي: «لماذا يستخدمون كل تلك الضلال؟». ثم أردفت: «يجب أن يكون لديهم طريقة لإيقاظها».

عبست تشارلي وهي تحدق إلى الشاشة، غير متأثرة بما يحدث. لم تكن تفكر كثيرًا في لصوص الضلال. لقد كانوا فنانيين قذرين في عالم الجريمة السحرية. وكانت تعتقد أن تجار الضلال كانوا يبيعونها لأشخاص فقدوا ضلالهم خلال إجراء عمليات التعديلات المفرطة، أو استخدموها في إجراء بعض التجارب. إذا كان شخص ما يعرف حقًا كيفية تحفيز أو إيقاظ الضلال، فمن غير المرجح بالنسبة لتشارلي أن تحتفظ بتلك المعلومات عندما يكون العالم مليئًا بالأموال الجاهزة للتساقط عليها إذا ما باحت بما لديها.

تساءلت تشارلي: «هل سمعتِ عن تمزيق الظلال؟»، من ناحية لأنها أرادت أن تعرف، ومن ناحية أخرى لتغيّر الموضوع جزئيًا.

وجمت بوزي، وقالت في اندهاش: «ماذا؟».

«لقد رأيت ظلًا ممزقًا الليلة الماضية. كان هذا الشيء - لا أعرف - بدا كأنه مر عبر آلة تقطيع أو شيء من هذا القبيل. وكان هناك رجل...»

حدقت بوزي إليها بشكل غريب لدرجة أن تشارلي تركت الجملة الأخيرة معلقة. بدا لها أن بوزي، التي كانت تصدق كل شيء، لا تصدقها. تمت تشارلي لحظتها أن تكون هناك طريقة لإثبات أن الظل الذي تتحدث عنه خرج من كيس بلاستيكي ممزق، وأن الرجل الذي رأيته كان يرتدي قفازات رمادية؛ لكن تشارلي كانت على يقين مما رأت.

قالت بوزي أخيرًا: «لا بد أن شخصًا ما كان يحاول تمزيقه. إنهم يقولون إن فقدان الظل أشبه بفصل روحك عن جسدك». ثم خفضت صوتها وهمست: «وأنتِ تعرفين أن فينس...»

فسارعت تشارلي لتقاطعها: «أوه، توقفي. إن فينس لديه روح في نهاية المطاف».

فردت بوزي: «هناك خطب ما به. وإلا ما كان ليتحمل القيام بهذه الوظيفة البغيضة».

كان فينس يعمل في تنظيف غرف الفنادق بالتحديد بعد وقوع حادث ينطوي على الكثير من الدم أو القتل، طعن، أو إطلاق نار، أو أخذ جرعة زائدة من مخدر. لقد وزع رئيس فينس في الفندق العمل على ثلاثة أشخاص تولوا أداء الوظيفة بشكل غير رسمي: ويني، وهي امرأة أكبر سنًا لديها أطفال بالغون، والتي كانت تعمل مهرجة محترفة قبل أن تبدأ هذا العمل، وكريج، الذي قال إنه كان يؤدي هذه المهمة بالفعل لمدة عام قبل تعيينه للاطلاع على آثار العنف والدماء المتخلفة عن عمليات القتل، قبل أن يتقدم إلى مدرسة توم سافيني لتعلم مهارات العمل بالمؤثرات الخاصة، وفينس.

قالت تشارلي: «أنتِ بالذات آخر شخص يتحدث عن الوظائف البغيضة أو الوضيعة».
تجاهلتها بوزي واستطردت: «إنه هادئ للغاية. وأعتقد أنه كان يكذب بشأن إخفاء قدرته
على التحدث بالفرنسية».

ضحكت تشارلي ضحكة غريبة ممزوجة بنخرة؛ لأنها تفاجأت من سخافة الاتهام والجدية
التي تحدثت بها بوزي: «وهو متهم في نظرك بماذا أيضًا؟».

عبست بوزي وقالت: «كنا نشاهد التلفزيون، وكانت هناك حلقة تلفزيونية، حيث قالت
إحدى الشخصيات شيئًا ما بالفرنسية، فابتسم فينس ابتسامة عريضة قبل أن يتضح
المعنى في سياق الحلقة. لم يكن الأمر مجرد تحية (صباح الخير) أو أي شيء بسيط؛ لقد
فهم نكتة فرنسية كاملة».

«إذن فقد درسها في المدرسة الثانوية. وماذا في ذلك؟».

هزت بوزي رأسها: «لا أحد يتذكر اللغة التي درسها في المدرسة الثانوية».

قالت تشارلي وهي ترفع يديها في تعجب: «ليست لديّ أية فكرة عما يزعجك بشأنه.
وأعتقد أنك لا تملكين أي سبب بدورك».

«أعتقد أنه حسن المظهر، لكنك تعلمين أن هناك شيئًا مفقودًا به. أنت تراسلين رجالًا آخرين
من وراء ظهره». ثم رفعت بوزي هاتف تشارلي المؤقت عن الطاولة: «أوه، أترين؟ أووه،
آدم، لنتقابل في مكان ما على انفراد».

«أعطني هذا!». نزعت تشارلي الهاتف من يدها.

فألحت بوزي: «اعترفي بذلك، أكثر ما يعجبك في فينس هو مدى استعداداه لتحملك».

قبل أن تتمكن تشارلي من التوضيح، أعلنت خطوات فينس الثقيلة عن خروجه من الحمام. كان شعره مبللاً، وقميصه مشدوداً على الجزء السميك المشدود من ذراعيه، وعيناه الرماديتان كانتا مظلتين باللون الأخضر بتأثير ألوان جدران الشقة.

نهضت بوزي، ثم تجاوزته والكمبيوتر المحمول مدسوس تحت ذراعها. لم تكن لطيفة أيضاً وهي تدفع كتفها في صدره.

رفع فينس حاجبيه دهشاً وهو يسأل: «هل ستدخل أخيراً إلى فراشها؟». وذهب لصب القهوة من القدر.

فردت تشارلي: «أمل ذلك». وهي تشيح بنظرها بعيداً. لقد تساءلت في نفسها عن مقدار ما سمعه من حديثهما، وما إذا كان سيواجهها. ما الذي قد يعترف به إذا حرر الغضب لسانه. هل يخبرها بأنه يتمنى أن يكون في مكان آخر مع شخص آخر غيرها؟ وأنه كان يتربص الوقت المناسب؟ هل سيتوقف عن اعتناؤه بها وحرصه عليها؟

تشارلي هول، عدوة نفسها التي تُقدّر قيمة علاقة عاطفية لكونها سلسلة، ولا تزال تحت إغراء تجربة ما إذا كانت قادرة على أن تحيل هذه العلاقة إلى فوضى مركبة.

بتهور، التقطت تشارلي هاتفها وبحثت عن أسئلة باللغة الفرنسية.

ثم سألت فينس بالفرنسية، وهي تتعثر في النطق: «هل ترغب في المزيد من القهوة؟».

كان يحدق إليها وهو في حيرة من أمره، وكان هذا سلوكاً مفهوماً؛ لأنها حدثته للتو بلغة غير الإنجليزية، ثم سألتها: «ماذا؟».

هزت تشارلي رأسها، وشعرت بسخافة تصرفها: «لا شيء».

فقال وهو يتناول جرعة كبيرة من كوبه: «من الأفضل أن نذهب ونلقي نظرة على سيارتك»، فعضت شفتها وقالت: «بالتأكيد».

قاد فينس شاحنة بيضاء بها أجزاء صدئة مغطاة بطلاء منزلي. كانت عتيقة مثل سيارة تشارلي ومن المرجح بالقدر نفسه أن تتوقف عن العمل في أي لحظة غير مناسبة، على الرغم من أنها لم تفعل ذلك حتى الآن. دفعت تشارلي نفسها إلى مقعد الراكب. واستقر فنجان قهوة رغوي قديم من دانكن في الوسط بينهما بجوار شاحن الهاتف الموصول به الهاتف المدفوع مسبقًا الذي كان فينس يستخدمه دائمًا، وكتاب ورقي أصفر اللون بعنوان (صرخة الشر) وعلى غلافه سيدة تحمل مسدسًا بشكل مثير وفي وضع غريب. من المرأة تدلى معطر جو على شكل شجرة، والذي أضاف طبقة من زيت الليمون إلى رائحة مواد التبييض القوية والخل ورائحة منظف اللايسول التي تعبق بها مؤخرة الشاحنة.

كانت نظرة فينس مركزة على الطريق، فأخذت تشارلي تتفحص ملامحه، خاصة فكه ويديه اللتين على عجلة القيادة.

ثم قالت: «في الليلة الماضية، أعتقد أنني رأيت جثة».

فحدق إليها متسائلًا: «هل هذا ما كنتِ تتجادلين حوله أنتِ وأختك؟».

«لم نكن...». همت بالكلام ثم بترت عبارتها مترددة وهي تضيف: «بوزي تحتاج فقط إلى شخص ما يمكنها الصراخ فيه. إنها متوترة من كل الكافيين الذي تتجرعه، ومضطربة السلوك بسبب قلة النوم، كما كان هناك مقطع فيديو لأطفال يقتحمون مستشفى أزعجها».

لم يبدُ فينس كما لو أنه صدّقها بالمرّة: «أين رأيتِ الجثة؟».

«في طريقي للمنزل».

نظر إليها عابسًا: «هل عدتِ إلى المنزل مشيًا؟».

قالت وهو يقترب من موقف السيارات الفارغ بجوار الحانة: «لم أتعرض لضرر. لقد كان مشهدًا غريبًا فحسب. لم أرَ أحدًا ميتًا من قبل».

إنه يرى الجثث طوال الوقت في عمله، لكنه لم يحاول أن يبدي تميزه عنها في هذا الشأن بالإشارة إلى ذلك.

إنه لم يخبرها بأنها ما كان ينبغي عليها الخروج بمفردها، أو يحاول أن يجعلها تعده بأنها لن تفعل ذلك مرة أخرى. لم يخبرها قط كيف تتصرف، أو ماذا عليها أن ترتدي، والذي كان في معظم الأحوال، قميصًا خفيفًا أسود مملًا للغاية برقبة على شكل الرقم سبعة، وبنطلون جينز أسود، وحذاء قماشه على شكل رقعة شطرنج، وكان ذلك جيدًا بالطبع، لكن كان هناك جزء منها يظل راغبًا في الشجار. مثل بوزي، ربما كانت تشارلي هي الأخرى بحاجة إلى مَنْ تصرخ في وجهه، بل ربما أرادت أن تصرخ في وجهها أحد.

حاولت تشارلي كبح جماح رغبتها في أيّ من هذين الأمرين.

ثم استدارت لتجلس والباب مفتوح، وتركت ساقها تتدليان من الشاحنة بينما فتح فينس غطاء محرك الكورولا. بدأ يتفحص السيارة من الداخل، ثم حاول تشغيل السيارة التي كان محركها يقرقع ثم يصمت.

«هل يمكنك معرفة ما المشكلة؟».

قال عابسًا: «مفتاح التشغيل، على ما أعتقد».

زاد من توترها اكتفاؤها بالجلوس والمشاهدة، رغم أنها لم تكن تعرف أي شيء عن صيانة السيارات. «هل تريد مني أن أفعل أي شيء؟».

هز رأسه نفيًا: «ليس الآن».

شاهدته وهو يعمل: انحناءة جسده، وثقة يديه، والطريقة التي بدا أنه يتحدى بها ضوء الشمس ويحتمي منه، من دون أن يكون له ظل على الأرض.

كانت تشارلي تعرف فتاة محلية باعت ظلها. كانت الفتاة راقصة في ملهى ليلي، وكانت تنهي نوبة عملها في الوقت نفسه تقريبًا مع تشارلي؛ لذا كانتا تلتقيان مصادفةً أحيانًا في أيّ من المطاعم القليلة التي تبقى مفتوحة طوال الليل.

قالت تلك الفتاة المسماة ليندا لتشارلي بصوت هامس: «لقد دفع لي خمسة آلاف دولار». وكان من الصعب قراءة تعبير وجهها. «رغم أنني لم أكن أستخدم ظلي أصلًا».

«مَن الذي دفع؟». سألتها تشارلي وهي تتناول قزصة من البيض المقلي بالزيت.

«لم أرَ هذا الرجل من قبل. لقد طلب مني أن أرقص له على انفراد ثم قدّم ذلك العرض. ضحك في البداية من عرضه؛ لكنه كان جادًا. قال إن هناك شخصًا يريد ظلًا مثل ظلي».

كان المطعم مضاءً بشكل خافت وكانت ليندا جالسة. من هذه الزاوية، لم يكن واضحًا أن هناك شيئًا مفقودًا لديها.

«هل لاحظت أن ظلك قد زال؟». سألتها تشارلي، وهي مستاءة من رؤية الحواف غير الواضحة لظلها.

أخذت ليندا رشفة من قهوتها: «هل تعرفين عندما تكون هناك كلمة وتشعرين بأنها على طرف لسانك لكنك لا تنطقين بها؟ الحال كذلك. كان هناك شيء بداخلي ثم لم يعد موجودًا، لكنني لا أعرف ماهيته. لست متأكدة من أنني فقدته، لكنني أشعر بأنه ينبغي عليّ الشعور بفقدانه».

في كل مرة تفكر فيها تشارلي في تلك المحادثة، تتساءل عما إذا كان هذا هو شعور فينس أيضًا. ولكنها عندما سألته عن هذا الأمر، أخبرها بأنه لا يتذكر ما كانت عليه الحال قبل أن يفقد ظله. وعندما سألته عما إذا كان يريد ظلًا جديدًا، قال إنه لا يحتاج إلى ظل.

التقطت تشارلي هاتفها المؤقت وتصفححت الأخبار المحلية، بحثًا عن بعض الإشارات إلى جثة عُثِر عليها في إيستهامبتون. لا شيء. كانت الجرائم المحلية المنشورة في الصحيفة مملّة إلى حد أنها شملت الحديث عن نشل متجر ما، وحادثة تضمنت بعض الطلاب السكارى. مَنْ كان الرجل الميت؟ وهل سرق كتابًا من ليونيل سولت بالفعل؟

كان اسم هذا الوغد الثري يتصدر قوائم المتبرعين للمتاحف والجمعيات الخيرية وسباقات الركض المخصصة لدعم الأطفال المصابين بالسرطان وغيره من الأمراض المُهدّدة للحياة. تبادل الأطفال قصصًا عن رؤية سيارة سولت وهي تسير على طرق مختلفة - سيارة من طراز رولز رويس فانتوم مانسيري كونكويستادور سوداء وفضية غير لامعة - وهي سيارة يسعد الشباب في المدرسة الثانوية بنطق اسم طرازها الطويل بالكامل في كثير من الأحيان، لدرجة أنه استقر في الرؤوس مثل أغنية شعبية رائجة.

لكن معظم الناس لم يدخلوا عرض الرعب الذي يقدمه سولت أو يشاهدوه يسمم شخصًا على أمل سرقة ظل نشط منه. إذا كانت هناك مجموعة مختلفة من القواعد لكل واحد من الأثرياء، فإن ليونيل سولت يعمل من دون قواعد على الإطلاق. مجرد التفكير فيه جعل تشارلي متوترة.

ومن ثم فقد حولت تفكيرها إلى الرجل الميت الذي رآته أمس. لقد طلب شراب بوربون ودفع ثمنه ببطاقة إلكترونية، ما يعني أنه سيكون هناك إيصال في مكتب أوديت عليه اسمه. إذا عرفت مَنْ هو، فستكون قادرة على السؤال عنه واكتشاف المزيد حول ما كان يعتقد أنه يفعله.

رن هاتفها، واستغرق الأمر لحظات حتى أدركت أنه هاتفها الاحتياطي. أرسل لها آدم قائلاً: «لم نتحدث عن المقابل الذي سيُدفع».

هذا هو سبب احتياج آدم إلى بالتازار بصفته وسيطًا، ليس فقط من أجل إخفاء هويته، بل لأن بالتازار سيحصل على المال على الفور.

نظرًا لأنها لم تكن تخطط لدفع أي مبلغ له على أية حال، كان بإمكانها أن تعده بأي مبلغ. لكنها اعتقدت أنها ستنتهز الفرصة لمعرفة مقدار التعديلات على الضلال التي سيحظى بفرصة القيام بها بعد امتلاكه مقدارًا معينًا من المال.

كتبت له: هل يمكننا أن نرتب لعمل شيء ما معًا؟

جاءها الرد بسرعة: ما نوع الصلات التي لديك؟

قطبت تشارلي. كانت تتوقع منه أن يثير مسألة التعديلات، وليس ما سيفعلانه. ثم كتبت له: لديّ معارف.

استغرق لحظة للرد، وعندما فعل بعث برسالة طويلة نوعًا ما: لديّ شيء أحتاج إلى نقله. شيء كبير ولكني لا أريد أن يعرف أي شخص أنني من أبرمت الصفقة. تصرفي كما لو أن الأمر يخصك أنتِ وسأنفذ ما تريدينه مني مجانًا.

كان يمكن لوظيفة مثل تلك التي كانت تعرضها أن تكسبه ألف دولار بسهولة. وضعف ذلك، إذا كان العميل متلهفًا على إنجاز العمل. ما الذي يمكن أن يود آدم إخفاءه؟ إنه لم يكن، بكل المقاييس، لصًا ماهرًا. وكان يعتمد على بالتازار لتسيير الأمور له.

راسلته: بالتأكيد. مع من تعقد الصفقة؟

كتب رده بسرعة. كل ما عليك فعله هو التحدث عبر هاتف الفندق. سأخبرك بما ستقولين.

لاحظت تشارلي أن فينس كان يراقبها فدفعت بهاتفها إلى جيبها وهي تشعر بشيء من القلق، ثم سألته اتقاءً لسؤاله عما تفعل: «كيف تعلمت صيانة السيارات؟».

«قلت لك إن جدي كان شخصًا صارمًا، أليس كذلك؟»، أجابها فينس بذلك ثم عاد يوجه انتباهه إلى أحشاء الكورولا. «لقد علمني الكثير من الأشياء وكان يؤمن بقدرة العمل على

تحسين قدرات وحياة المرء مهما كان عمره. لم يكن يصدق أو يقبل أي أعذار. وكان لديه سيارة ليموزين تتعطل عن العمل في بعض الأحيان».

سألت تشارلي: «إذن، كان سائق أجرة لكن ببزة رسمية؟ هل سمح لك بالركوب في الخلف في بعض الأحيان؟».

هز كتفيه وقال: «لقد أوصلني في اليوم الأول من المدرسة الثانوية. حينها حدق الجميع إلى وجهي وكأنني شخص مهم».

حاولت تشارلي تخيله في ذلك الوقت. هل كان صبيًا نحيلًا يأكل وجبتي غداء من دون أن يشبع؟ أم الصبي الذي يجلس في مؤخرة الفصل ويقرأ القصص المصورة؟ أم بطلًا رياضيًا؟ لا شيء من ذلك يبدو متناسبًا معه.

قالت له تشارلي وهي تضرب باب الشاحنة بإصبع حذائها الرياضي: «لم تكن لتحبني آنذاك، كنت طفلة غريبة الأطوار».

بدأت أمارات البلوغ تظهر عليها وهي في العاشرة، وقد تجنبت تمامًا التورط في أي مشكلات أو صراعات حتى المدرسة الثانوية، إذ اكتشفت حينذاك طرقًا لجعل نفسها تبدو مخيفة، عبر ارتداء ملابس كبيرة الحجم، ووضع الكثير من الكحل، وترك شعرها يتدلى على وجهها، وانتعال الأحذية عالية الكعب حتى تتقشر نعالتها وتنخلع.

رمقها فينس بنظرة عابثة وتساءلت عما إذا كان سيلقي عليها مزحة.

لكنه قال: «أحب غريبات الأطوار». وعاد لفعل شيء ما في السيارة.

يبدو أنه لم تكن لديه فكرة كاملة عن مدى غرابة أطوار من يحبها بالفعل.

بعد لحظات قليلة، اندفعت سيارة أوديت ميني كوبر الأرجوانية اللامعة إلى الساحة. ثم نزلت منها وأطراف قفطان أسود ضخمة تتمايل حولها. لقد أوضحت وشوم وجهها الباهتة

على جلدها الشاحب والثقوب الفضية الثقيلة على طول شفيتها ووجنتيها وعلى طول أذنيها أنها كانت امرأة شرسة بينما هما طفلان مقارنةً بها.

تقدمت إليهما، وهي تلوح بيد ترتدي قفازًا به مخالب معدنية متصلة بأطراف القماش. قالت أوديت، وهي تحدج فينس بنظرة من أعلى لأسفل: «أنت طويل ونحيل جدًا». ولم تنتقل نظرتها إلى الأسفل، حيث ظلَّ المفقود.

مسح فينس يده على سرواله ثم مدها إليها قائلاً: «فينس. لا بد أنك أوديت. سمعت الكثير عنك».

تساءلت تشارلي عن انطباع رئيستها عنه عندما نظرت إليه. كانت أظافره متسخة بسبب العمل في إصلاح السيارة، ويغطي وجهه الكثير من الشعر الأشقر الداكن وقد بدت عيناه الرماديتان مجوفتين. إنه سيم على طريقة الرجل عريض المنكبين ذي الفك المستقيم. وسيم بما يكفي لإزعاجها عندما ينظر إليه الناس، ثم يحولون نظراتهم إليها ويستخلصون استنتاجات غير مرضية تتعلق بمدى التكافؤ بين الطرفين.

بعد لحظة، أعطته أوديت يدها وكأنها ملكة تصافح فارسًا: «لعلك سمعت الكثير من الأشياء السيئة، هل أحوالك بمثل هذا سوء، كما أمل؟».

وافقها قائلاً: «إنها بشعة»، وابتسم لها ابتسامة خبيثة.

غمزت أوديت لتشارلي وقالت: «الأشخاص الهادئون عادةً ما يفاجئونك»، ثم توجهت إلى الداخل.

كان فينس قد أوشك على الانتهاء من إصلاح الكورولا عندما توقفت سيارة لكزس خلف حانة رابنشر، بعيدًا عنهم قدر الإمكان. ثم نزل منها رجل أبيض الشعر يرتدي نظارة شمسية عاكسة. كان يرتدي معطفًا رياضيًا وزوجًا من الأحذية المسماة أحذية القارب والذي بدا بلا ذرة تراب واحدة عالقة به.

سأل فينس: «هل هذا الرجل تائه؟».

ردت تشارلي: «ربما يكون عميلاً». لا يزال لدى أوديت القليل من هؤلاء العملاء المهمين.

قال فينس: «ربما».

كان على الرجل أن يمر بجانبها وهو في طريقه إلى المدخل الرئيسي، وقد ظل يلقي بنظرات خاطفة تجاهها وهو متوتر.

همست تشارلي: «لقد شغلت بها الرجال وتعلق بعضهم بها لمدة قد تزيد على أربعة عقود». كانت هذه مدة أكثر مما عاشتها تشارلي حتى الآن.

قال فينس: «إنه ثري».

وافقته تشارلي: «لا شك في ذلك. الغريب أن أحدًا منهم لا يبدو كما أتوقعه. إنه يبدو رجل أعمال عاديًا، من ذلك النوع من الرجال الذين لديهم منزل شتوي في فلوريدا، ويتفاخر بأحفاده، ويصوت للحزب الجمهوري في الانتخابات، ويستخدم أشخاصًا للتجسس على موظفيه، ولكنه في الوقت نفسه من النوع المتوتر جدًا إلى حد أنه يعجز عن مواجهتهم بنفسه».

حدق فينس إلى الرجل وأبدى ملاحظة: «إنه يرتدي ساعة فاشرون كونستانتين فاخرة جدًا. وبالنسبة للمنزل الذي تحدثت عنه يمكنه أن يمتلك واحدًا في جنوب فرنسا. يمكنه تحمل مثل هذه التكلفة».

عبست تشارلي وقالت: «أمل أن تقسو أوديت عليه».

عاد فينس إلى المحرك، وشاهدت تشارلي الذباب يطير ويطن حول المرأب. بينما تنقضي فترة ما بعد الظهر ويقترّب الليل، أدركت تشارلي أنه من الغريب أن يعرف فينس طراز ساعة رائعة وفاخرة بينما هي لم تسمع بها من قبل! ربما كان جده صاحب سيارة الليموزين

يعرف الكثير عن الأغنياء. أو ربما كان فينس يستولي على الأغراض التي يتركها الناس في غرف الفنادق. أزججت تشارلي فكرة أنه قد يكون لديه أسرار يخفيها عنها، على الرغم من أن لديها هي نفسها الكثير فإنه لم يكن من المفترض أن يكون مثلها.

قال لها فينس: «أخبريني عن بعض عملاء أوديت الآخرين في أثناء عملي».

كان فينس يحب النميمة، حتى عن الأشخاص الذين لا يعرفهم. إذا قابلته لأول مرة فلن تفكر في أن شخصاً مثله يحب أمراً كهذا؛ لكنه سيستمع، بل يعلّق، بقدر ما تكون القصة التي يسمعهها شائقة، كما أنه يتذكر التفاصيل.

في بعض الأحيان كانت تتمنى ألا يفعل ذلك. جعلها هذا تشعر بالقلق من أنه قد يخترق ستار السرية الذي تحيط به نفسها ويكتشف السبب الحقيقي لتركها اللعبة أو عالم الجريمة.

قضت تشارلي سنوات عديدة في هذا العالم. سرقت المكتبات والمتاحف ومعارض الكتب القديمة والأثرية. كذبت واحتالت، ونشلت الجيوب وفتحت الأقفال، بل في إحدى المرات حبست ظلماً منفصلاً في صندوق من العقيق اليماني. ربما لم تكن ساحرة، لكنها تنقلت عبر أرجاء مثل هذا العالم السحري مثل النحلة.

لم يكن لدى سحرة الظلال أي تعويذات بعينها، ولكن كانت لديهم ملاحظات حول التقنيات والتجارب التي أجراها أمثالهم عبر العصور. في البداية، كانت هناك حركة لرقمنة ومشاركة هذه الأشياء في مكتبة كبيرة مجانية على الإنترنت، حتى بدأ الناس في تحميل بعض النسخ المقرصنة.

فُكِّت المكتبة رسمياً بعد رفع نسخة من نصوص *Cosmometria Gnomonica*، والتي توضح بالتفصيل طريقة تمكّن سحرة الظلال من اكتساب القوة من خلال تجاوز الحدود السابقة عن طريق إمداد أو تغذية تيار مفتوح من طاقة الحياة إلى ظلالهم. تُوفّي ثلاثون من هؤلاء السحرة قبل أن يتضح أن الجزء الأخير الحاسم، والذي أوضح كيفية حساب

المقدار المضبوط من الطاقة وتمييزه عن المقدار الزائد وكيفية قطع الإمداد، قد حُذِف من نسخة الـ بي دي إف المرفوعة على الإنترنت.

منذ ذلك الحين، حرص سحرة الظلال على حماية ما لديهم وأخذوا يتشككون في أي شيء لا يمكنهم التحقق من قيمته وخطورته، ما أدى إلى توظيف أشخاص مثل تشارلي للحصول على النسخ الأصلية من الكتب والنصوص الشبيهة.

كان عملاً مخيفاً؛ أي التعامل مع أشخاص يمكنهم اقتلاع جزء من جسدها حرفياً. ذات مرة، قُبِضَ عليها، وأدخلت امرأة ساحرة بعض التغييرات والتعديلات على ظل تشارلي بحيث صارت ممتلئة بالرعب لدرجة أنها أخذت ترتجف في خزانة ملابسها خلال معظم الأسبوع. ليس هذا فقط، بل إن من التبعات السلبية لعملها السابق أن الأمر تطلب منها أن تنتحل هويات أشخاص آخرين. عندما كانت تشارلي تحصل على راحة بين مهامها المتعددة، لم تكن تعرف بصدق مَنْ تكون. في تلك الآونة كانت تنقش وشمًا إضافيًا على جسدها، أو تشرب حتى الثمالة، أو ربما تدخل في علاقة مع شخص آخر يكسر قلبها. كانت تنفق جزءًا كبيرًا من نقودها وتحفظ بالقليل الباقي، ثم تكرر ذلك مرة أخرى.

انتهى ذلك عندما سرقت مجلدًا لحساب فيسرين، رئيس عصابة محلية من المغيّرين الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الفنانين. سيرة ذاتية من القرن التاسع عشر، ولم يكن من السهل التخلص من الشخص الذي ينتمي إلى جماعة من محركي الدمى في ألباني والذي أخذها من شخص ما في أتلانتا. أمضت تشارلي شهرًا تُعِدُّ نفسها كي تكون في الوضع الصحيح لتضع يديها على كتاب السيرة هذا.

ثم حاول صديق تشارلي آنذاك، وهو متصيد إنترنت جبان يُدعى مارك، أن يبيع الكتاب من دون علمها. لقد أبرم صفقة جانبية مع عصابة أخرى بمقابل أقل بكثير مما يستحق الكتاب. مثل بوزي، كان مارك يريد ظلًا نشطًا وكان على استعداد للاعتقاد بأن سحرة الظلال يمكن أن يساعده في هذا الشأن. كان من الممكن أن تخبره تشارلي بأنها اكتشفت ما كان يحاول القيام به وتتخلص منه. لكن لا، كان على تشارلي أن توضح وجهة نظرها بطريقتها الخاصة.

عندما حاول مارك إجراء التبادل، اكتشف أن الكتاب كان عبارة عن صفحات بيضاء. كانت تشارلي قد أزال الغطاء بعناية واستبدلت بالمحتوى الداخلي مفكرة عادية من متاجر شركة تارجت للتجزئة. ردًا على الإهانة، مزَّق المشترون ظل مارك وجميع أصابع يده اليمنى.

ولتدركوا حجم الفاجعة؛ يكفي أن تعرفوا أنه لم يكن شخصًا عاديًا بل كان موسيقيًا.

حاولت تشارلي أن تُقنع نفسها بأنه استحق ذلك، وأن ما حدث له لم يكن ذنبها. لكن هذا لم يمنعها من الدخول في حالة من الاكتئاب وكرهية الذات في تلك الفترة.

في ذلك الوقت كانت تعمل في حانة تُسمَّى تن، وبعد وريديتها كل ما كانت تفعله هو أن تستلقي على السرير حتى تنهض إلى العمل مرة أخرى، وكانت مرهقة جدًا إلى حد أنها كانت تتحرك بصعوبة. في النهاية، وبسبب وضعها هذا فقدت وظيفتها، ومن ثم بدأت في استنزاف مدخراتها. بعد شهرين، أطلق مارك وشقيقه النار على سيارتها بينما كانت متوقفة عند إحدى إشارات المرور. أصابتها رصاصة واحدة، لكنها أَلَمتها وألحقت ضررًا بالغًا بها. بينما أصابت رصاصتان الرجل الذي كان في مقعد الراكب، وكان رفيقها في تلك الليلة، فمات على الفور.

لقد أفزعها تخيل أن أختها بوزي كان يمكن أن تكون هي الجالسة في مكان هذا الرجل.

بعدها عوقب مارك وشقيقه مباشرةً بالسجن، حيث قبعوا هناك حتى يومنا هذا.

كل ذلك قد حدث لأن تشارلي كانت بحاجة إلى التباهي، للانتقام. إنها تشارلي هول، التي تكون في أفضل حالاتها عندما تُقدِّم أسوأ ما لديها. كلما حاولت أن تبتكر شيئًا ما، حطمتها يداها. لكن ماذا إذا تعلق الأمر بتفجير أو إفساد شيء ما؟ في هذا الأمر كانت لدى تشارلي مقدرة فذة.

لا مزيد من سرقة كتب السحر، هكذا قالت لنفسها وهي تتعافى. لا مزيد من سحرة الظلال. لا مزيد من السلبيات. لا مزيد من الصخب في حياتها. لا مزيد من تعريض الأشخاص الذين تحبهم للخطر. لقد فقدت رباطة جأشها.

بعد فترة وجيزة من خلع الضمادات بعد محاولة قتلها، دخلت في علاقة مع فينس. عندما لاحظته جالسًا بجانبها وهي في الحانة، كان دافعها الأول الذي خطر لها هو المضي بعيدًا عنه قدر الإمكان. كان فكه مستقيمًا، ويداه كبيرتين، وحاجباه معقودين طوال الوقت وكأنه غاضب. كان منحنيًا على كأس شرابه كما لو كان يريد لكمها لا تناولها. لقد مرت بيوم سيئ في شهر سيئ في عام أسوأ، وكانت منهكة.

لكنه هو مَنْ نَبَّه الساقى عندما تجاهل وجود تشارلي ولم يسألها عن طلبها، ثم بادرها بالحديث. عندما تحدث، سألها نوع الأسئلة التي لم تتطلب منها الكثير من الجهد والتفاصيل للإجابة عنها.

لقد أحببت صوته العميق وغرابة لون عينيه، كانتا رماديتين شاحبتين لدرجة أنهما بدتا بالكاد ملونتين. قدّرت له أنه لم يغازلها بفجاجة، ولم يكن سيئ المظهر. من الناحية الموضوعية، كان أكثر وسامة بكثير من الرجال الذين كانت تنجذب إليهم عادةً، والذين كانوا وسماء، وحزاني ونحفاء، وسريعي الكلام. بشكل موضوعي، بدا متفوقًا عليهم بكثير.

ربما كانت بحاجة إلى شيء مختلف، رجل يؤدي دور لاصقة النيكوتين معها، شيء يُخرج أسوأ دوافعها، على الأقل لليلة واحدة.

خارج الحانة، كان يتتبع بأنامله وشم الورود والخنافس المجنحة على طول حلقها، وكانت أصابعه رقيقة.

سهرًا معًا حتى وقت متأخر في منزلها، وفي الصباح كان لا يزال موجودًا. لقد أعد القهوة وأحضرها إليها، جنبًا إلى جنب مع الخبز المحمص الذي لم يحترق إلا قليلاً عند الحواف.

ربما لم تكن تحبه كثيرًا في ذلك الوقت، رغم أنها لم تكن لتعترف بذلك لنفسها أبدًا. قال إنه كان يبحث عن مكان للسكنى وسألها هل تعرف أي شخص لديه غرفة للإيجار؟

لكن تشارلي لم تدع نفسها تنسى قَط أن حياة فينس معها كانت نوعًا من المنفى. كان يحتفظ بصورة له مع امرأة أخرى، لم يتحدث عنها قط، في محفظته. في تلك الليلة الأولى نظرت تشارلي في المحفظة وعثرت على عشرة دولارات، ورخصة قيادة من مينيسوتا، والصورة التي كانت بالية من كثرة لمسه لها.

بين الحين والآخر كانت تلقي نظرة على محفظته للتحقق من وجود الصورة. كانت دائمًا في مكانها.

5: بالمقلوب، ظهرًا لبطن

على الرغم من أنهما تمكنا من قيادة سيارة كورولا إلى المنزل - ببطء - فقد أحدثت ضجيجًا مزعجًا، واعتقد فينس أنه بحاجة إلى قطعة غيار معينة كان الوقت قد تأخر للحصول عليها من المتجر المختص. لقد عرض عليها أن يعيدها مجددًا إلى حانة رابتشر، لكن كان من المستبعد أن يعود من عمله، في وظيفة التنظيف، في الوقت المناسب لاصطحابها.

اتفقت تشارلي مع صديقتها بارب كي تَقْلها إلى المنزل، إذ لم تكن تريد أن تكون بمفردها في الشارع مرة أخرى في توقيت متأخر. كانت بارب تعمل طاهية في مطعم نباتي في نورثامبتون يغلق أبوابه في الحادية عشرة أيام الجمعة؛ بحلول الوقت الذي تُقَلب فيه الطاولة الأخيرة، ويتم تنظيف المطبخ، وإعداد طعام اليوم التالي، يكون الوقت قد قارب الواحدة صباحًا.

وقفت تشارلي في الخارج وهي تتكور في معطفها، وشاهدت بالتازار وهو يغادر مع جوي أسبرين. لم تستطع التوقف عن التفكير في الرجل المقتول المجهول وظله الممزق. ولم يسعها إلا أن تتساءل عما إذا كان بالتازار قد وشى بالرجل لسولت. كانت تأمل ألا يكون ذلك قد حدث؛ إذ أرادت أن تستمر في الإعجاب بشخصية بالتازار.

عندما كانت طفلة، كانت تتخيل أن يدفع سولت ثمن ما فعله بها. لكن فكرة الانتقام كانت طفولية، وماتت مع طفولتها. صارت تشارلي شخصية عملية؛ إذ إن الناس مثلها لا ينتقمون من أشخاص مثل سولت.

ومع ذلك، لم تستطع التوقف عن التساؤل بشأن كتاب الخراب، هذا الكتاب الذي كان سولت على ما يبدو متلهفًا لاستعادته. وتساءلت عما ستكون عليه الحال إذا كان لديها شيء يريده، وأن يكون لديها القدرة على أخذ شيء منه.

ثم ذكّرت تشارلي نفسها بأنها لا تريد أن ينتهي بها الأمر جثةً في زقاق، وبالتأكيد ليس الزقاق القريب من منزلها المؤجّر. إذا كانت ستقتل، فإنها تود أن يحدث ذلك في باريس أو طوكيو أو أي مكان آخر مميز.

ما أرادته حقًا هو أن تلتحق أختها بالكلية وتسدد ديونها.

حسنًا، هذا ما أرادت فعله.

لا يمكنك الانسحاب، أخبرها بالتأزم عندما أبلغته بأنها لن تتلقى منه أي تكاليف جديدة. أنتِ بارعة. هذا هو الشيء الوحيد الذي تجيده. أحيانًا كانت تشارلي تشعر بالقلق من أنه محق بشأن العبارة الثانية.

وهي تشعر بشيء من الخمول، أخرجت هاتفها وكتبت *Liber Noctem* / كتاب الخراب في نافذة البحث. فظهر تعريف يخص دار مزادات سوثبي:

Liber Noctem يُطلق عليه بالعامية كتاب الخراب، كل حرف به مختوم بشكل فردي في صفحات قوامها سبيكة نيكل. يُعد الكتاب، الذي صدر عام 1831 في إسكتلندا من قِبَل مؤلفه المجهول، إحدى أهم الوثائق المتعلقة بظاهرة تجليات الظلال غير المتجسدة. هناك شائعات حول تورط واحدة من جنيات الخراب في كتابة الكتاب، لكنها غير مؤكدة وإن كانت تضيف إلى أهميته التاريخية.

ملاحظة الكتالوج: لا تصادق دار مزادات سوثبي على تنفيذ أيٍّ من الطقوس الواردة في هذا الكتاب، وستطلب من المشتري التوقيع على أوراق لتأمين سوثبي ضد أي وجميع الأضرار ذات الصلة.

تبدأ العطاءات من 520,000 جنيه إسترليني.

كانت الصورة المصاحبة لكتاب فصي بمشابك متعددة ومتقنة، مثل كتاب مقدس قديم. إنه ليس شيئًا من السهل إخفاؤه.

هل يمكن أن يكون هذا هو الشيء الذي لدى آدم وهو يحاول نقله؟ ما الشيء الذي أراد أن تتحمل أمبر المخاطرة بفعله أو اللوم عليه لاحقًا؟

أوقفت بارب شاحتها الصغيرة منبعجة الأطراف قليلاً وذات اللون الأزرق بالقرب منها، ما أفرع تشارلي وأخرجها من لجة أفكارها، ثم... أنزلت بارب الزجاج ورسمت ابتسامة كبيرة على وجهها وهي تقول: «ادخلي، يا عزيزتي».

ألقت تشارلي حقيبتها بجوار مقعد الراكب وصعدت إلى مقعدها. كانت باربرا بانجانيبان هي المفضلة لديها من بين الأشخاص الذين قابلتهم في أثناء عملها، ثم خسارتها لعملها نادلة في جميع حانات ومطاعم الوادي.

قالت لها بارب وهي تعدل من وضع السيارة استعدادًا للانطلاق: «ستسهر مجموعة من الناس في منزلي الليلة». كان شعرها الأسود الكثيف مسحوبًا في داخل وشاح بلون زيتوني وسترة الطاهي الخاصة بها مفتوحة العنق فوق القميص الداخلي الذي ترتديه. «فكرت في أن أخبرك بهذا مسبقًا، لكنني خمنت أنه سيكون من الأسهل عليّ أن أخطفك».

لعدة مرات في الشهر، عادةً في عطلات نهاية الأسبوع، تستضيف بارب وشريكها في السكن، إيمي، عددًا من زملائها في المطعم وغيرهم من الأشخاص الذين انتهت نوباتهم بعد منتصف الليل. تصنع بارب قدرًا ضخماً من مكرونة البانسييت بالوصفة التي علمتها جدتها لوالدتها في الفلبين أو شوربة أرز كالدو، بينما يحضر أي شخص آخر شيئاً (معظمها مشروبات روحية) أو يصنع شيئاً (غالبًا ما يكون تجريبيًا ومستحدثًا).

اعتادت تشارلي الذهاب إلى هناك بانتظام عندما كانت تعمل مع بارب. ولكن بعد ذلك تورطت في عملية احتيال في ورسستر، ثم عملية أكثر غرابة في ألباني، ثم أطلق الرصاص

عليها. بحلول الوقت الذي قابلت فيه فينس، صار حضورها لمثل هذه اللقاءات متقطعًا. ومع ذلك، كان ينبغي أن تفكر تشارلي في التحقق من منصة سلاك حيث تُنشر المواعيد والتواريخ الخاصة بمثل هذه التجمعات. لو كانت قد فعلت ذلك، ما فوجئت الآن.

قالت بارب: «أوه، عليك أن تأتي. إيمي تفتقدك».

بدا لها هذا الافتقاد أمرًا غير مرجح. كانت إيمي أكبر بعشر سنوات من بارب، وهي نحيفة وهادئة للغاية لدرجة أنها حتى عندما تتحدث، فإنها تهمس. لم تستطع تشارلي معرفة ما إذا كانت تستمتع فعلاً بالطاقة المستمدة من هذه التجمعات حيث التعارف وتبادل الأحاديث مع أشخاص جدد ومختلفين، أو ما إذا كانت إيمي تحب بارب كثيرًا لدرجة أنها كانت على استعداد لتحمل الأفكار الغريبة لصديقتها المقربة عن المرح واللهو. في كلتا الحالتين، لم يكن لدى تشارلي انطباع بأن إيمي تتذكرها أو تعبأ بها.

«حسنًا، إذا كنت لا تمانعين أن أذهب معك بيدين فارغتين». ربما سيكون من الجيد لها قضاء ليلة في الخارج. إذا عادت إلى المنزل، فستفكر فقط فيما إذا كان آدم يملك كتاب سولت وما إذا كان بإمكانها الحصول عليه، أو تجادل بوزي حول الحصول على أقراص الـ دي إم تي. «يمكن أن يأتي فينس لاصطحابي عندما ينتهي من عمله».

فردت بارب: «قولي له أن يأتي. أريد أن أقابل هذا الرجل الغامض. هل تعرفين مدى صعوبة العثور على شخص ما في الوادي لم يعرفه أصدقاؤك من قبل؟».

بالتأكيد تشارلي تعرف.

بعد مرور خمس عشرة دقيقة، ترجلتا من السيارة في ممر السيارات بمزرعة قديمة في ظل جبل توم وبالقرب من بحيرة أوكسباو. تخص المزرعة عائلة إيمي وآلت إليها بعد وفاة إحدى عمات والدها أو والدتها. كان المكان مترامي الأطراف، ولم تُجرَ عليه الكثير من

التحديثات المهمة منذ الخمسينيات من القرن الماضي. احتل موقد كهربائي بلون الخردل ركن المطبخ، بينما ظهرت أبسطة برتقالية مهترئة في كل مكان آخر، بما في ذلك الحمامات.

دخلت المرأتان بينما تصدح في المكان أصوات موسيقى صادرة عن أحد أجهزة شركة سونوز للصوتيات، والذي كان ثلاثة أشخاص على الأقل يحاولون ضبطه في الوقت نفسه. كانت رائحة الهواء تشبه مزيجًا من الزنجبيل والبصل المقلي والبيتزا.

سارعت إيمي، التي كانت ترتدي سروالًا ضيقًا وقميصًا خفيفًا بلا أكمام أبرز وشومًا متنوعة على ذراعيها، بينما يتوارى نصف شعرها البني الطويل وراء مؤخرة عنقها، للترحيب بهما. ثم همست لتشارلي أن المشروبات والطعام موجودان في غرفة الطعام، وأن الثلج قد نفذ.

شكرتها تشارلي ثم قررت أنها يجب عليها ألا تتبع بارب كظلمها، وتوجهت إلى ركن المشروبات. مرت في طريقها بأنجل وإيان الجالسين على السجادة، وهما يلعبان ما يبدو أنه شطرنج باستخدام بعض المقبّلات كقطع للعب. كان إيان يضع سيجارة إلكترونية في زاوية فمه كما لو كانت سيجارًا فاخرًا وعتيقًا. كان كلاهما يعمل في كوزميكا وهو مطعم يقدم أنواعًا مختلفة من البرجر من لحم الجاموس والكثير من الكوكتييلات. عندما لاحظها إيان، فتح فمه في دهشة بما كان كافيًا لسقوط السيجارة على لوح الشطرنج المرتجل وبعثرته.

كانت تشارلي قد قبّلت إيان في وقت متأخر من إحدى الليالي، وقتما لم يكن أيٌّ منهما يتخذ قرارات صائبة. ومن ثم فقد كانت تأمل ألا يُفسد ما حدث بينهما هذه الأمسية، أو يضيف عليها شيئًا من التوتر والغرابة.

كان هناك رجل جالس على الأريكة ورأسه مدفون في كراسة الرسم الخاصة به. إنها تعرفه بوصفه فنانًا يؤلف ويرسم قصصًا مصورة وينشرها على الإنترنت. لقد نشر على امتداد سنوات قصة مصورة مطولة عن محارب فأر، لكنها بدأت مؤخرًا في اكتساب عدد كبير من القراء. كانت هناك شائعة بأنه بدأ في جني أموال حقيقية من وراء ذلك.

لا بد أن الرجل طويل الشعر الجالس بجانبه يعتقد أن هذا الآخر أحواله ميسورة، لأنه كان يحاول إقناعه بالاستثمار في تمويل شاحنة من الأعشاب الطبية المتعددة الأغراض والتي قد تشمل نباتات قابلة للأكل وأعشابًا للتدخين، مثل الماريجوانا وكريمات لعلاج العظام. وأصر الرجل طويل الشعر على أن مثل هذه البضاعة ستروج في الأثناء القريبة وستكون جيدة حقًا لكبار السن الذين يعانون مشكلات في الحركة. كانت هناك بعض التساؤلات من الجالسين في الجوار حول ما إذا كان هذا قانونيًا أم لا، ولكن النقاش المحتدم كان حول أي أغنية - تحتفي بمثل هذا النوع من الأعشاب - يجب أن تُشغَّل في الشاحنة.

تطرق ذلك الحديث إلى تناول موضوع ما يُعرَف باسم البهجة المتنقلة، أي إجراء تعديلات على الظلال، وهو ما فعله العديد منهم. قال الرجل ذو الشعر الطويل: «ذهبت إلى هذه المرأة المغيِّرة التي تُدعى ريفين، في مدينة بيتسفيلد. لقد جعلتني مبتهَجًا للغاية والأمر يستحق كل هذا العناء. ما شعرت به يماثل هذا الشعور الذي ينتابك عندما تكون طفلًا وتبتهج بقدم فصل الصيف مع ما يغمرك من عاطفة تجاه مَنْ تظنها حبك الأول».

في المطبخ، كان دون يتجادل مع صديقه إيرين. كانت علاقتهما مليئة بالتقلبات الدرامية حيث الكثير من الدموع والصراخ حول أيهما أساء للآخر أولاً وعامله بلؤم وخبت. كان دون نادلاً في حانة توب هات وهي مكان لطيف، ومن أوائل الأماكن التي طُردت تشارلي منها.

سكبت تشارلي القليل من شراب أولد كرو بوربون في كوب بلاستيكي وتجاوزت دون وإيرين للحصول على بعض الثلج من الثلاجة قبل أن تتذكر أنه لم يكن هناك أي ثلج. ثم استقرت على وضع القليل من الماء البارد لتخفيف حرارة المشروب. في هذه الأثناء حنى دون رأسه ليخفي أنه كان يمسح دموع عينيه.

على الأقل لم تكن هي مَنْ تبكي هذه المرة.

ناداها خوسيه: «تشارلي هول! مضى وقت طويل منذ رأيناك، هل لم نعد نروق لك؟».

كان يقف في حلقة صغيرة مع كاتلين وسوزي لامبتون، اللتين كانتا قد قالتا لدورين إن تشارلي تشبه الشيطان.

سألها خوسيه عندما اقتربت منهم: «هل سمعتِ من صديقنا المشترك مؤخرًا؟». كان يعمل في حانة صغيرة تُسمّى مالبوكس، وكان يسألها عن زميلها السابق الذي انتقل إلى لوس أنجلوس وورّط تشارلي في العمل لورديتين متصلتين.

هزت تشارلي رأسها نفيًا، وقالت: «ولكن قد يكون لدى أوديت عنوان لإرسال ما تبقى من حسابه إليه، إذا كنت تريد أن ترسل إليه شيئًا ما مفخّخًا. كما أن هناك خدمة شحن تشحن طرودًا مليئة بالرقائق البراقة لأعدائك. حقًا إنهم لا يسمونها أسخف الهدايا من فراغ».

منحها ابتسامة باهتة، لكن من الواضح أنه كان بحالة بائسة جدًّا: «من المرجح أنه الآن يستمتع بالشمس، سعيدًا يأكل الأفوكادو من الأشجار في فناء منزله الخلفي. في غضون ذلك، لن أجد أنا صديقًا مقربًا أو حبا حقيقيًا أبدًا».

قالت كاتلين: «قلتُ لك من قبل، سأعرّفك بابنة عمي».

فردّ خوسيه وقد رفع حاجبيه متعجبًا: «أليس هي التي التهمت فراشة ميتة وجدتها على أرضية الحمام؟».

احتجّت كاتلين: «لقد فعلت ذلك عندما كانت طفلة ولا يمكن أن يؤخذ عليها ذلك بوصفه عيبًا».

فردّ خوسيه بشكل درامي: «يجب أن أحضر واحدًا من سحرة الظلال ليقطع عني مشاعري كما يقطع الظل. ربما حينها أغدو أكثر سعادة».

قالت كاتلين وهي تواصل حذلقته حتى النهاية: «لا يسعك أن تكون سعيدًا من دون أي مشاعر».

يبدو أن تشارلي قد وصلت في اللحظة التي شرب فيها كل الحضور بما يكفي لأن يكون كل واحد منهم إما مندفعًا وإما بائسًا. فسارعت إلى تناول كأسها إذ رأت أن من الأفضل لها اللحاق بالركب.

قالت سوزي: «لقد سمعت أن دورين كانت تبحث عنك». بينما واصل كاتلين وجوزيه الجدل حول ما إذا كان الفم الذي تلوث يومًا بأكل فراشة ميتة يمكن تقبيله باستمتاع ومن دون تأفف. كانت سوزي ترتدي فستانًا بأكمام منتفخة بنمط لوني أصفر وقلادة كبيرة مكتنزة. كما عقصت شعرها الداكن في مشبك على شكل صدفة سلحفاة. كانت ترتدي زيًا مستعملًا من أحد متاجر التوفير، والذي قد يكلف سعره أكثر من الملابس الجديدة.

ربما سمع بعض الأشخاص في الحفلة أن تشارلي قد «أصلحت الأمور» لشخص ما في مأزق، أو كان لديها جانب إجرامي غامض، لكن التفاصيل كانت غير متوافرة أو لا يُتحدَّث عنها علانيةً. لقد رأوا ما كانوا يتوقعون رؤيته: تشارلي هول، الفاشلة دائمًا وأبدًا، التي لطالما واجهت صعوبة في الاحتفاظ بأي وظيفة وكانت على استعداد للقيام بأي شيء أخرق عندما تكون في حالة سُكر حقًا.

كانت سوزي لامبتون تعرف أكثر من ذلك بقليل. عندما كانت في كلية هامبشاير، حاول أستاذ جامعي طردها بسبب زعمه أنها سرقت بحثًا، لكن تشارلي وجدت طريقة ما جعلته يُغير رأيه.

هزت كتفها بلا اكتراث، وقالت: «آدم مفقود. تريدني أن أجده من أجلها وأقنعه بالعودة إلى المنزل».

قالت لها سوزي: «لو كنت مكانك، ما كنت لأتورط في هذه الفوضى. عندما يصل الناس إلى سن معينة، إما أن يتغيروا وإما يبقوا على حالهم. إنه بسن الثلاثين ويريد أن يعيش كما لو كان في العشرين. يريد أن يأتي إلى العمل في حالة سُكر من الليلة السابقة، ويقامر، وهذا

النوع من الهراءات. سأذهب إلى معتكف يوجا نهاية الأسبوع المقبل. يجب أن تأتي معي بدلاً من ذلك».

قالت تشارلي وهي ترفع كأسها البلاستيكية تحيةً: «فات الأوان. نخب النصيحة الحكيمة والقرارات السيئة».

رفعت سوزي، التي ربما سرقت بالفعل البحث المشار إليه سابقًا، كأسها ردًا للتحية.

جاء فينس بعد نصف ساعة، مع زجاجات عصير البرتقال وقطع الثلج، بعد أن تلقى رسالة من تشارلي مفادها أن مطبخ الحفلة كان يفتقر إلى هذين العنصرين.

تقدمت وعانقته ثم دفنت وجهها في صوف معطفه الذي كان يحمل رائحة أوراق الشجر وهواء الليل البارد. رفعت ابتسامة صغيرة إحدى زوايا فمه، وشعرت تشارلي بنفحة من الشوق الغريب والمر إلى شخص كان بالفعل ملكًا لها.

كانت تينا، التي كانت تعمل في جريدة هامبشاير جازيت وتشرب كأنها تؤدي دور صحفية في فيلم، تعلن بصوت عالٍ عن تفكيرها في تغيير ظلها كي يغدو على شكل ذيل قطة. صرّحت تينا أمام احتجاجات من قِبَل الجميع تقريبًا: «الرجال يحبون منظر الذيل». قالت إيمي إن تينا يجب ألا تفكر في الهوس بتفضيلات معينة لدى بعض الرجال والنساء. بينما أعلن إيان أنه يعتقد أن هذا أمر مثير للاشمئزاز، وأن الرجال لا يريدون التحرش بمنّ يتمثلون بالحيوانات. وافق الفنان على أن هذا التغيير سيكون جذابًا نوعًا ما، لكن رسالته عبر قصصه المصورة كانت تدور حول الفئران البذيئة لا القطط.

فيما أخبرت تشارلي تينا بأنها ربما أساءت فهم المعنى المقصود من عبارة: «الحصول على ذيل ما».

«إنك تقصدين مثل حوريات البحر، أليس كذلك؟». سأل فينس، بنبرة غامضة من الصعب معرفة ما إذا كان صاحبها - الذي انضم عرضًا إلى المحادثة - يمزح أو إذا كان قد أخطأ في

فهم العبارة السابقة.

لا يهم، فقد ضحك الجميع. كان التعليق مضحكًا في كلتا الحالتين.

بينما كانت تشارلي تصب المزيد من البوربون - مع الثلج هذه المرة - قررت أنها سعيدة بقدمها إلى السهرة. كانت منتشية بما يكفي لتشعر بالدفء الباذخ للأشخاص الموجودين من حولها. كانت تحب إحساس كونها شخصًا عاديًا وتفعل أشياء طبيعية. لقد أكلت بعض الجبن الذي صنعه تينا من حليب عنزاتها، ولم يكن لدى أحد الجرأة ليخبرها بأن طعمه غريب، كما واصلت الابتسام بلا سبب على الإطلاق.

ثم سمعت إيان يتحدث بصوت عالٍ بما يكفي للتغطية على صوت الموسيقى: «مرحبًا، فينس. ما أسوأ شيء رأيته في وظيفتك؟». لقد جعلت نبرته السؤال أشبه بالتحدي.

رفع فينس ناظريه عن الكرسي ذي الأجنحة، حيث جلس وانخرط في محادثة مع سوزي وخوسيه. لاحظت تشارلي أن الكرسي بدا كما لو أن قطعة مزقته، وظهرت أجزاء من الحشو على طول الذراعين.

قال فينس، محاولاً بوضوح إنهاء المحادثة في عجالة: «لا شيء مميز».

ابتسم إيان بطريقة غير ودية على الإطلاق: «نعم، ولكن يجب أن يكون هناك شيء ما - مقلة عين في حوض غسيل الوجه، أو شعر على سقف. لا تتردد وأمتعنا قليلاً بحديثك».

كان شعور تشارلي جيدًا حتى تلك اللحظة. لم يكن حبيبها فينس يعبس في الزاوية، أو يقول شيئًا بغيضًا، أو يفتعل شجارًا، كما كانت الحال في الماضي. كان فينس على استعداد للاستماع وإصدار نوع من التعليقات المشجعة التي تحافظ على استمرارية التواصل مع الناس. ولكن بغض النظر عن مدى انسجام أيٍّ من أصدقائها مع فينس، كانت الليلة تمر بلحظة قد تتدهور فيها الأحوال بأية طريقة.

قالت تشارلي: «إيان». وهي تحاول أن تجعل صوتها صارمًا، مثل أوديت وهي تعنف أحدًا أو تعاقبه في مكتبها الخلفي.

ابتسم لها بخبث، فتأكدت فجأة أن الأمر لا يتعلق بكونه فضوليًا مزعجًا. كان الأمر يتعلق بشعور غريب لدى إيان تجاه تشارلي. لقد أراد أن يثبت لها شيئًا أو يفسد شيئًا عليها. «أنا فقط أطرح سؤالًا لأتعرّف على الرجل أكثر. أعني، إذا كنت...»

قاطعه فينس ودفع نفسه عن الكرسي ليقف قائلاً: «ذات مرة رأيت شخصًا ما مقلوبًا تمامًا ظهرًا لبطن».

كانت تشارلي معتادة وقفة فينس وهو ينحني قليلًا إلى الأمام، ويحاول ألا يشغل مساحة كبيرة أو يكون مزعجًا لمن حوله. لكنها لم تعتد أن يُرجع كتفيه إلى الخلف، وأن تبدو عضلات ذراعيه متوترة ومشدودة. بدا صوته هادئًا كما كان دائمًا، لكن قشعريرة سرت في ذراعيها. «العظام والأعضاء وأصابع اليدين والقدمين. كل شيء برز من أعماق الرجل، مثل جورب مقلوب من الداخل إلى الخارج».

«حقًا؟!». سأل إيان، مندهشًا.

فردّ فينس: «لا» بوجه محايد الملامح.

ضحك الناس في الجوار. حتى تشارلي ضحكت، متفاجئة بإجابته.

«حسنًا، أيها الأحمق، لن أسألك عن وظيفتك الغبية». قال إيان ذلك وهو يقترب من فينس ويقرب وجهه منه مخاطبًا بأن يتعرض للكلمة منه. وعندما لم يتفاعل معه فينس، دفعه إيان.

سمح فينس لإيان بأن يدفعه إلى الوراء، ولكن كان هناك بريق في عينيه لم تره تشارلي من قبل. ثم أردف فينس: «عملي يقتصر على مجرد التقاط أجزاء من الأدمغة المتناثرة على

الجدران. لا يوجد الكثير لأقوله».

للحظة، حدق الرجلان كل منهما إلى الآخر بتحدٍّ.

بعد لحظة، شحب وجه إيان وأحنى رأسه ثم تمتم: «لم أكن أعرف أنك ستكون مملاً جداً».

جلس فينس وهو يهز كتفيه وكأن شيئاً لم يحدث، وكأن شيئاً آخر لم يكن على وشك الحدوث.

كانت تشارلي متجهة للاعتذار عن عدم إكمالهما السهرة وانصرافهما مبكراً هي وفينس عندما جلست سوزي لامبتون على ذراع كرسي فينس. لقد لمست كتفه وهي تقول شيئاً ما ثم نثرت خصلات شعرها وضحكت. ابتسم لها فينس في المقابل، إحدى ابتساماته الجذابة.

انتابت تشارلي رغبة مفاجئة وشبه ساحقة في إسقاط سوزي على الأرض.

لكنها بدلاً من ذلك تناولت جرعة من البوربون.

قالت بارب: «كما تعلمين، لا يمكنك أن تثيري غيظها أو تؤلميها بمجرد تحديقك إليها بهذا الشكل».

أشاحت تشارلي بعينيها بعيداً بعد أن لاحظت بارب نظراتها وقالت: «لم أكن...»

ضحكت بارب: «اذهبي وأخبري فينس بأنه فعل الصواب. ليس من السهل أن تدع رجلاً بلا شأن يهينك من دون إبداء رد فعل».

ردت تشارلي بابتسامة صغيرة: «أنا متأكدة من أن فينس بخير. إنه لا يُستفَز أبداً».

ما حصل عليه فينس بالفعل ليس دفعة بل تمهيداً لعلاقة جديدة قد تجمععه بسوزي. كان فينس، بشعره الذهبي العتيق، الطراز المفضل لكثيرات. كان لدى تشارلي نوع مبهرج من

الجمال حيث تبرز سماتها الجسدية والشكلية على نحو لا تخطئه عين، لكن ربما اعتقدت سوزي أن لديها فرصة لاستمالاته إليها.

كانت سوزي تسعى للحصول على درجة الماجستير في كلية سميث. تقول الشائعات إن والديها الثريين لا يزالان يدفعان إيجارها، كما أنها كانت قادرة على القيام بحركة اليوجا تلك حيث يقف المرء على رأسه. قياسًا بما سبق من مؤهلات ربما تكون لديها فرصة معه بالفعل.

قالت بارب: «يا لك من قاسية! أتركينه للذئاب؟ حسناً، مجرد ذئبة واحدة، لكنك تعرفين ما أعنيه».

هزت تشارلي كتفيها بلا اكتراث.

«لا تلوميني إذا انتهى بك الأمر في علاقة عاطفية ثلاثية الأطراف».

قلبت تشارلي عينيها متوجهة إلى الشرفة الملتفة بالخارج. كانت بحاجة إلى الحصول على بعض الهواء. أزعجها غضبها الشديد من سوزي رغم أنها لم تشعر بالغيرة منها بالمعنى التقليدي.

لم يكن من المنطقي أن تتوق لشخص ملكها بالفعل.

قالت لنفسها، بينما كانت تجلس على أرجوحة الشرفة التي كانت تأمل ألا تكون مليئة بالعنكب، إنه تأثير الكحول.

معظم المنازل المجاورة لم تكن مضاءة، لكن قلة متناثرة من المشاهد لفتت انتباهها؛ التوهج الناعم لضوء الليل الوردى في غرفة طفل؛ تلفاز مضاء، وصور تتحرك على الشاشة؛ شعلة تنقد فوق باب مرأب، في انتظار عودة أحدهم. كانت هذه المنطقة كلها مزارع ذات

يوم. مزارع تبغ، على الأرجح. لا يزال المرء يرى هنا بعض الحظائر القديمة الكائنة على الطرق الخلفية.

خارج الطريق السريع كان نهر كونيتيكت، مثل ثعبان أسود يلتف حول جبل توم حتى يلقي بجلده ويتحول إلى نهر شيكوبي، ثم نهر سويفت، وأخيرًا خزان كوابين. تذكرت تشارلي أنها كانت تتجول هناك عندما كانت طفلة في رحلة ميدانية في المدرسة. لقد ذهبوا وقتها لرؤية مزرعة للأسماء ثم تسلقوا برج المراقبة. وقفت تشارلي في الأعلى ونظرت إلى أسفل في الماء، متسائلة عما إذا كانت تستطيع رؤية المباني الغارقة تحت الأمواج.

كان كوابين خزانًا من صنع الإنسان، أنشئ عن طريق إغراق أربع مدن. وفي حين أن سكان هذه المنطقة قد أُعيد توطينهم في أماكن أخرى، بقيت منازلهم ومتاجرهم وقاعاتهم على حالها. كان هؤلاء الناس لا يزالون هناك بمعنى ما، مع ما تبقى من آثارهم في الداخل. كما ظلت أسرهم مدفونة هناك، إلا إذا كنت تعرف أين تبحث عما تريد بالضبط وكيف.

فكرت تشارلي في أن الظلال تتحرك في الظلام، ومن المستحيل رؤية تفاصيلها بوضوح كالمدن الغارقة.

«هل أنت مستعدة؟»، سألتها فينس والباب يغلق بشدة خلفه، فقفزت فزعًا.

بدت عيناه مخيفتين في ضوء الشرفة. بدتا بلون الفضة.

سألته بعد لحظة: «لا علاقة ثلاثية محتملة؟».

عبس في وجهها بالطريقة المربكة نفسها التي بدا بها عندما قرأت العبارة الفرنسية العشوائية من هاتفها. كانت تتمنى أن تدفعه إلى أن يخبرها بما يفكر فيه. بالطبع، من الممكن أنه كان يفكر فقط في أنه كان متعبًا، ومنزعجًا من أصدقائها، ويريد العودة إلى المنزل.

أو كان من الممكن أنه كان يفكر في أن هناك خطبًا ما بها.

«لا تهتم». هكذا قالت ثم قامت من فوق الأرجوحة ونفضت الغبار عن سروالها.

على تشارلي التوقف عن البحث عن المشكلات حيثما لا توجد مشكلة. عليها التوقف عن البحث عن المتاعب، لقد قُضي الأمر.

في المنزل، استعدت للنوم، وغسلت وجهها وارتدت قميصًا خفيًا. تحركت لتعبر فوق جسد فينس إلى جانبها من المرتبة ثم توقفت عندما لمسها.

خارج النافذة، كان القمر أشبه بعملة فضية لامعة في السماء السوداء تضيء الغرفة جيدًا بما يكفي لرؤية شدة نظراته، ثم مد يده ليتمرر أصابعه في شعرها.

«أصدقاؤك لطفاء». ثم التوى فمه قليلاً في انزعاج وهو يستدرك: «معظمهم على الأقل».

تساءلت في نفسها عما إذا كان سيسألها عن إيان، لكنها قالت: «لقد أعجبوا بك».

قال، ومن الواضح أنه لم يصدقها: «هذا لأنني أحضرت الثلج معي. الجميع يحب الرجل الذي يجلب الثلج».

كان بإمكانها توضيح مدى سوء الأحباء السابقين الذين جلبتهم معها إلى سهرة كهذه، ومدى روعة فينس بالمقارنة بهم، لكن تأثير هذا لن يكون جيدًا على أيٍّ منهما. ثم قالت: «بالنسبة لي فأنا بالتأكيد أحب مثل هذا الرجل»، قبل أن تدرك ما يعنيه ذلك. كانت تنوي أن تمزح وأن تلمح إلى أنها تحب الثلج وليس من جلبه.

لكنه لم يبدُ منزعجًا، وبعد لحظة تلاشت موجة الذعر الحادة التي انتابتها. كانت في حالة سُكر. السكارى يقولون أشياء غبية. قال لها: «اقتربي قليلاً».

بينما كانت تنحني تجاهه، ذهب إبهامه إلى عظام وجنتيها، وهو يمسح بشرتها برفق.
وتناثرت خصلات شعرها من حولهما كأنها مظلة.

رفع جسده لتقبيلها بحرص كما لو كانت شيئاً هزياً ثميناً، مثل قطعة من غزل البنات أو جناح فراشة، وليست شخصاً يمثّل في حقيقته وصمة بشرية أو صخرة جاهزة كي تسقط فوق رأس أحدهم في أي وقت. هم بتقبيلها برقة ونعومة كما لو كانت شخصاً آخر غير تشارلي هول التي تعرفها.

ربما كانت هذه هي الطريقة التي يعتقد أنه من المفترض أن يقبل بها الفتيات، أو الطريقة التي كان يقبل بها الفتاة التي كانت صورتها في محفظته. ربما أراد أن يكون لطيفاً. ولكن في كل مرة فعل فيها ذلك، لم تستطع تشارلي إلا التفكير في الأمر على أنه تحدّ لها.

وقتما كانا يتقاربان وينصهران معاً في لحظة وصال دافئة، كانت تشارلي تتجاوز كل بواعث قلقها، وتنسى كل مرارات ماضيها.

6: اختبار المارشميلو

تأوهت تشارلي وتقلبت فوق المرتبة. كانت القهوة تغلي في الغرفة الأخرى، ورائحتها جعلتها تشعر بأنه لا مجال للمزيد من النوم. في الخارج، كان ثمة شخص ما يستخدم منفاً لتنظيف أوراق الشجر من الأتربة، وكان الصوت ثابتاً ومزعجاً. فوقها شكلت الحلقات البنية الجافة المألوفة لبقع الماء من سقفها المتسرب أنماطاً تتخذ شكل مسدس أو عنزة أو ساعة رملية. عند قراءة أوراق الشاي الجافة، والتي تشبه بمعنى ما بطاقات التاروت، فإن مثل هذه الأشكال تُعد كلها بمثابة تحذيرات مما هو قادم. ثم فركت وجهها بكعب يدها وقامت.

كان سروالها في مكان ما تحت اللحاف، فعثرت عليه وألقته في كومة الغسيل مع القميص الذي كانت تنام فيه.

أخرجت تشارلي هاتفها المؤقت وفكرت في أنها بحاجة إلى خطة أفضل من تلك التي كانت تقتضي منها فقط (1) الذهاب إلى فندق إم جي إم وأن تحبط آدم باكتشافه أنها ليست أمبر، ثم (2) دفعه إلى العودة إلى المنزل حيث سيُخَيَّب أمل دورين بعودته للعب دوره القديم في حياتها من دون أي تغيير.

لكن... إذا كان لدى آدم حقاً كتاب الخراب، فإن تشارلي تريده بشدة.

أعتقد أن بمقدوري الوصول إلى مكانك بحلول الساعة 1:15 صباحاً، هكذا كتبت في رسالة نصية. اترك مفتاحاً للمصعد عند الاستقبال وسأصعد إليك على الفور.

تحتاج جميع مصاعد الفنادق تقريباً إلى مفاتيح أو شفرات إلكترونية كي تعمل، ما يعني أنها إذا لم يكن لديها واحد فإنه سيُضطر إلى النزول إليها كي يصعد معها مجدداً إلى غرفته

كي يناقشا عرض العمل المزمع بينهما. ربما يكون على استعداد لجعل الأمور أكثر ملاءمة
ويُسراً لكليهما.

حسنًا، رد عليها بدوره برسالة نصية.

فكتبت له: أراك الليلة.

بمجرد وصولها إلى الفندق، ستحصل على هذا المفتاح. ثم سترسل له رسالة نصية لتقول
إنها غيّرت رأيها وشعرت بالحرَج حيال الذهاب مباشرةً إلى غرفة رجل لم تعرفه من قبل.
يقدم الكازينو في الطابق الأول المشروبات حتى الساعة الرابعة صباحًا وستقترح أن
يجتمعا هناك. قد يكون متعبًا، وقد يصاب بالإحباط بسبب تغييرها لقرارها، لكنها فكرت في
أنه لن يتخلى عن الصفقة المقررة بينهما؛ لأنها ستطلب منه النزول إليها.

ونظرًا لأنها كانت تملك مفتاح غرفته، فإن بإمكانها الدخول بينما ينتظرها في مشرب
الكازينو. ما دام لا يحتفظ بالكتاب في خزانة بالحائط، فيمكنها أن تبحث عنه وتستولي
عليه ثم تغادر. وحتى لو احتفظ به في خزانة، فقد كانت لديها معلومات كافية استمدتها
من دورين - ذكرى ميلاد الطفل، ذكرى ميلاده، ذكرى زواجه - لتخمين رموز أو كلمات
المرور المحتملة.

كذلك لن يكون التنكر مشكلة كبيرة لها. أرادت تشارلي فقط أن تبدو مختلفة بما فيه
الكفاية بحيث لا تلاحظ على الكاميرات الأمنية، في حال طلب آدم من شخص ما في
الفندق عرض لقطات الزوار له. كانت لديها مجموعة من الشعور المستعارة في أسفل درج
خزانة، معبأة في أكياس من طراز زيبلو، لهذا الغرض فقط.

ألقت بشعر مستعار كستنائي اللون في حقيبة ظهرها، مع أنبوب أحمر شفاه فاقع مشنت
للانتباه، وستان لامع ولكنه قابل للمط، وزوج من الأحذية المسطحة التي يمكن أن تركز

فيها. ثم ارتدت للعمل قميصًا أسود، وتنورة فوق سروال قصير، وحذاءها الكروكس القبيح المعتاد.

ما دامت سيارة الكورولا الخاصة بها تمكنت من نقلها إلى سبرينجفيلد وإعادتها، فقد تكون قادرة على الحصول على شيء لم تكن تعتقد أنها ستحصل عليه أبدًا؛ الرضا النابع من انتزاع شيء من حيازة ليونيل سولت. ربما ستدمر الكتاب وترسل له بقايا معدنه المنصهر الملتوي.

بعد أن تحصل على الكتاب، ستسلم آدم لدورين وتترك لها تحديد كيف ستعيده إلى المنزل.

كان جسد تشارلي يعمل بشكل تلقائي وهي تصنع مزيجًا من كوكتيلات الشراب المعتادة. على خشبة المسرح، كانت هناك ثلاث نساء يرتدين أزياء تشبه ما كانت ترتديه كاساندرنا بيترسن في شخصية إلفيرا في الفيلم الشهير، وهن يغنين بعض أغاني التسعينيات. بينما كانت تمزج المشروبات، وجدت نفسها سعيدة بفعل شيء ما بيديها، ووجود شيء من الإلهاء لها عوضًا عن الغوص في أفكارها المضطربة.

في الساعات التي سبقت العمل، بدأ الأدرينالين في التدفق. كانت يقظة، ومُرَكَّزة. كما لو أنها استيقظت حقًا حينما صار هناك لغز يجب حله، وانتصار محتمل خارج إطار الأيام النمطية. شيء آخر لتفعله غير الاستيقاظ، وتناول الطعام، والذهاب إلى العمل، وتناول الطعام مرة أخرى، ثم قضاء ساعات قليلة قبل النوم يمكنها خلالها ممارسة التمارين أو غسل الملابس أو تنظيف المطبخ أو مشاهدة فيلم أو أن تسكر.

كان نمط الحياة الروتيني هذا هو نمط الحياة الطبيعية في نهاية المطاف. لم يكن من المفترض أن تتوق إلى شيء آخر.

لقد أنمت تشارلي سابقًا بعض الدورات الدراسية في كلية المجتمع المحلي قبل أن تُفسد ذلك أيضًا، فالمجرمون، كما وصفها أستاذها القديم والمراوغ إلى حد ما، لا يتحكمون في

أنفسهم. هناك اختبار، حيث تُوضَع قطعة واحدة من حلوى المارشميلو أمام طفل ثم يتم إخبار الطفل بأنه إذا كان بإمكانه انتظار عودة الباحث، فسيُعطى قطعتين من الحلوى بدلاً من واحدة. الأطفال الذين تناولوا القطعة الواحدة من الحلوى كانوا الفئة التي يُتوقَّع أن يتحولوا، أكثر من غيرهم، إلى مجرمين متهورين يسعون وراء المتعة والإثارة قبل كل شيء، ويسرقون عندما يظنون أنهم يستطيعون الإفلات من العقاب، ويكذبون كلما أفادهم ذلك. إنهم من اختاروا الإثارة العابرة والمكسب المؤقت عوضاً عن المكسب الدائم.

فكرت تشارلي في كل الأمور التي يمكن أن تسوء، وفكرت في الإيصالات الموجودة في مكتب أوديت وأن أحدها يكشف عن اسم الرجل الميت الذي أراد اقتطاع تلك الصفحات من كتاب الخراب. إذا كان هو الشخص نفسه الذي كان يحتفظ ببقية الكتاب الذي عُهد إلى آدم بمسئولية نقله، فقد قُضي عليها. في هذه الحالة لن يكون الكتاب في الفندق. لكنها إذا عرفت اسم الرجل الميت، فيمكنها أن تفتش منزله بعد ذلك.

ربما لم تتغير شخصية تشارلي كثيراً بعد كل ما مرّت به.

لو كان شخص ما قد وضع قطعة حلوى المارشميلو أمامها عندما كانت طفلة، كانت ستأكلها على الفور لأنه لا يمكن الوثوق بوفاء الكبار بوعودهم.

في العاشرة، حصلت تشارلي على استراحة عشاء لمدة نصف ساعة. كانت فرصتها للتبول وتناول شيء ما قبل أن تعود للعمل حتى الواحدة، إذ ليس لديها سوى استراحة واحدة أخرى مدتها خمس عشرة دقيقة. في العادة، كانت تذهب إلى مطعم داكيجو على بُعد بضعة مبانٍ سكنية للحصول على حساء الرامين، لكنها سارت الليلة إلى المتجر الصغير في الزاوية واشترت طبق مكرونة بالجبن قابلاً للتسخين في الميكروويف، ووعاءً من العنب ذي المظهر البائس، وعبوة من ماء جوز الهند.

شربت ماء جوز الهند في طريق العودة، ثم حسمت أمرها وألقت وعاء العنب في القمامة قبل أن تمر عبر الأبواب المزدوجة السوداء الكبيرة لحانة رابنتشر ثم توجهت مباشرةً إلى

غرفة الاستراحة. على الرغم من أن الغرفة عمليًا جزء من الكواليس، فإنها تحتوي على ميكروويف ومكان للجلوس.

نظرًا لأن مؤديات العروض الموسيقية كنَّ على خشبة المسرح، لم يكن هناك مَنْ يعترض على وجودها هناك. شقت طريقها إلى أريكة وردية لامعة تبدو كأن العثة قد أبلتها قليلاً. كانت هناك فوضى من مساحيق التجميل على طول رف المرأة الطويلة؛ وبعض ملابس المسرح المتلألئة والرثة معلقة على رف الملابس الذي ينحني إلى الأمام في المنتصف كما لو كان على وشك الانهيار تحت ثقلها. كان هناك خُطاف على الحائط يحتوي على بعض الملابس التي لا تُستعمل، بما في ذلك بدلة نسائية من الساتان الأحمر الغامق الذي تحبه تشارلي، في انتظار أن تأتي صاحبته لاستعادتها؛ وطاولة جانبية صغيرة بجوار الأريكة تحمل هاتفًا أرضيًا بلون كريمي متسخ.

لم تكن المنطقة الرئيسية في الحانة، بما في ذلك المشرب والمسرح، كبيرة جدًا. ربما يمكن أن تسع وجود مائة شخص بها، متقاربين معًا حد التلاصق، على الرغم من أنك إذا حسبت مساحة قبو صالون الظل الخاص بالتازار، فمن المحتمل أن يستوعب المكان ثلاثين شخصًا آخر. كانت هناك قاعة واحدة فقط في الخلف تؤدي إلى غرفة تغيير الملابس حيث وضعت تشارلي طبق المكرونة بالجبن في الميكروويف الزجاجي. مباشرةً على الجانب الآخر كان الباب المعدني الكبير الذي يؤدي إلى مكتب أوديت.

قالت لنفسها: «مجرد نظرة خاطفة سريعة على الإيصال». لم يكن اسم الرجل سرًا على أية حال. لقد مررت تشارلي بطاقته الائتمانية عبر الجهاز، وأعطته الورقة ليوقّعها والقلم ليوقّع به. لو كانت تُولي مزيدًا من الاهتمام لهذه التفاصيل، لكانت عرفت اسمه وانتهى الأمر.

بعدما عبرت القاعة طرقت تشارلي الباب. عندما لم يرد أحد، سمحت لنفسها بالدخول.

كانت الغرفة مغطاة بورق حائط يُبرز نمطًا من السكاكين الذهبية اللامعة. استقر في الوسط مكتب فولاذي أرجواني اللون يضيء فوقه مصباح نحاسي. كان هناك رف كتب

على طراز فن الآرت ديكو يمتد على طول الجدار الخلفي، حيث تكدست أكوام من الأوراق، وبجانبه باب حديدي ثانٍ. كان هذا الباب مفتوحًا جزئيًا، ويكشف عن زنزانة أو غرفة أوديت السرية بمعنى ما.

من المكان الذي كانت تقف فيه تشارلي بدت الغرفة صغيرة ومنظمة جيدًا، مع وجود قفص كلب في إحدى الزوايا، وصورة كبيرة للقديس أندرو تشغل بقية المساحة.

كانت تشارلي تترتاح للتعامل مع أوديت. كانت تحب العمل في حانة رابنتشر حيث تسمح لها أوديت بطلب الثلج الجاف، ومزج الفودكا بليمون ماير الأصفر أو الزنجبيل أو الفلفل في أوعية زجاجية كبيرة يحتفظون بها في مكان رطب تحت المسرح. كما تحصل على أجر وإكراميات جيدة، وإذا ما تعامل معها أحد الزبائن بسخافة، يُطرَد من المكان.

كان من الغباء المخاطرة بوظيفة جيدة مقابل شيء لا يمكن أن يكون مهمًا حقًا. حتى لو وجدت الكتاب، فماذا في ذلك؟ ربما تنتزع شيئًا من سولت، لكنه لن يكون مثل ما سلبه منها.

ولكن حتى وهي تفكر في كل ذلك كانت أصابعها تقلب الإيصالات على سطح مكتب أوديت. كالعادة فقد فشلت تشارلي هول في اختبار المارشميلو. لا يوجد لديها تحكم في دوافعها، كما أنها فضولية مثل قطة.

ثم وجدته... كأس من بوربون الأربع وردات بقيمة 4.25 دولار. لقد أضاف بقشيشًا بقيمة خمسين سنتًا، وهو بقشيش تافه، ولكن أيا كان ما حدث فلا ينبغي التحدث عن الموتى بالسوء. بول إيكو، هذا اسمه. وضعت تشارلي الإيصالات مرة أخرى في الظرف الأرجواني وأغلقتة، وهي تكرر اسمه في رأسها. ثم أمسكت بقلم وكانت على وشك العودة إلى غرفة الاستراحة لتكتبه على يدها عندما دخلت أوديت فجأة. لقد جفلت أوديت لرؤية تشارلي.

اللعنة، هكذا خطر لتشارلي. اللعنة، اللعنة، اللعنة.

«شارلوت؟». سألت أوديت بصرامة تليق بمديرة مدرسة. لا بد أن هذه هي نبرة الصوت التي تستخدمها قبل أن تصفع شخصًا ما ثم تؤنبه على كونه السبب فيما حدث له، أو تتهمه بما اقترفت يداه.

قالت تشارلي بسرعة: «أسفة». ثم أبرزت ما كان في يدها. «كنت أبحث عن قلم».

«هذه أقلامي الخاصة يا عزيزتي». بدت أوديت أقل انزعاجًا، وأنها صدقت أن ما قالته تشارلي كان بالضبط هو الحقيقة.

تمت تشارلي مرة أخرى: «أسفة».

ثم عقبت أوديت: «وأنا أفضل ألا تكوني موجودة هنا من دون إذن صريح مني. نحن نعمل هنا من دون تقيّد بكثير من القواعد ونتعامل بشكل ودي، لكن هذا لا يعني أنه لا توجد أي قواعد على الإطلاق».

«بالطبع». أومأت تشارلي برأسها موافقةً.

قالت أوديت: «جيد». بطريقة أوضحت أن تشارلي يمكن أن تنصرف.

فانسلت من الغرفة، مدركة تمامًا كم كانت محظوظة.

وبينما كانت تأكل طعامها البائس، في غرفة استراحة فنانات العروض الغنائية، مغموسًا في صلصة حارة، بحثت في جوجل عن «بول إيكو» على هاتفها. لا نعي، لا شيء في الأخبار المحلية. فأضافت كلمة «كتاب» إلى البحث وتفاجأت عندما وجدت أن هناك رابطًا إلكترونيًا صنّفه على أنه «تاجر كتب نادرة وأثرية» في مكتبة تُسمّى مكتبة الكتب المحرّمة، وهو اسم له وقع مؤثر ودلالة تسويقية واضحة. تفاخر موقع الويب بوجود مخزون كبير من الكتب المميزة والمثيرة للفضول عبر الإنترنت ونوع من المتاجر الفعلية في أحد مباني مطاحن إيستهامبتون التي تشهد لقاء العملاء «عن طريق حجز المواعيد مسبقًا فقط»، كما

أبرز الموقع وجود بعض الطبقات الأولى، معظمها من قصص الخيال العلمي والقصص المصورة، مع وجود قسم كامل مخصص للمجلات السحرية العتيقة.

احتل تجار الكتب النادرة موقعًا مثيرًا للاهتمام في منظمة سحرة الضلال؛ إذ كانوا هم الأشخاص المستعدين لتمشيط المكتبات المستعملة البعيدة عن الأنظار، والذهاب عبر أكوام من الصناديق القديمة المتعفنة، بحثًا عن الجواهر المخبأة. قد يكتشف هؤلاء مجلدات لم يكن أحد يعلم بوجودها، أو يمكن أن يكونوا مقصدًا للصوص الذين يبحثون عن الحصول على أعلى سعر لما سرقوه.

بالطبع، من الممكن أن يكون «بول إيكو» تاجر كتب نادرة ولصًا، ولكن من المرجح أنه الشخص الذي أبرم آدم صفقة معه لنقل كتاب الخراب. بعد وفاة إيكو، سيحتاج آدم إلى شخص آخر، وهذا هو السبب الذي جعله يلبي نداء تشارلي.

إذا كان هذا صحيحًا، فمن المرجح كذلك أن آدم سيحرص على الحفاظ على الكتاب، وهذه بشرى سارة، ولكن لماذا أحضر إيكو بضع صفحات فقط من الكتاب إذا كان الكتاب كله في حوزته؟ هل كان يراوغ بالتأزار؟

ربما تخطط تشارلي بشكل أفضل للوصول إلى مكانه في نهاية المطاف، ما يعني معرفة ما إذا كان هناك أي شخص في متجره الذي توصلت إلى عنوانه.

أصدر الهاتف السلكي القديم نغمة اتصال عندما وضعت تشارلي بجوار أذنها، ثم طلبت رقم المكتبة. بعد رنيتين أجاب أحدهم:

«مكتبة الكتب المحرّمة». كان الصوت خشنًا وخاملاً.

«هل بول موجود؟». سألت تشارلي مترقبة الإجابة التي سيقدمها لها محدثها.

«أنا بول. هل تبحثين عن كتاب معين؟».

«نسخة مصورة من كتاب الساحرة والأخ غير المحظوظ». ارتجلت تشارلي، وقلبها يدق بعنف. لو لم يكن هذا «بول إيكو» آخر، فإن الشخص الموجود على الطرف الآخر من الخط كان يتظاهر بلعب دور رجل ميت. ثم أضافت: «لقد تحدثنا عنه يوم أمس؟».

أمس، بعد يوم من مقتله.

قال الرجل: «آه. لقد جاءت بعض صناديق الكتب للتو؛ لذا سأضطر إلى مراجعة المخزون ثم أرد عليك. لماذا لا تعطيني اسمك ورقمك...؟»

ثم صمت في انتظار أن تمنحه تشارلي المعلومات.

كانت مشكلة الهواتف السلكية التقليدية وتقنية معرفة رقم المتصل أنه من المرجح جدًا أن يكون قد ظهر لدى هذا الرجل رقم الحانة بالفعل، لذا فإن الشيء الوحيد المتبقي الذي يمكنها الكذب بشأنه هو اسمها.

«آنسة داميانو». قالت تشارلي ذلك منتحلة لقب عائلة فينس بدلاً من لقبها، ثم أضافت: «ويمكنك أن تطلبني على هذا الرقم».

فقال بنبرة غير مريحة: «سأعود إليك قريبًا جدًا. ليلة طيبة يا آنسة داميانو».

لم تكن المكالمات عادية أو مريحة على الإطلاق.

تفحصت هاتفها المحمول وأدركت أنها كان يُفترض أن تعود إلى المشرب قبل سبع دقائق. لم تتأخر كثيرًا عن موعد العودة إلى عملها، ولكن هناك شخصًا آخر يعرف أشياء قد تكون مهمة عن بول إيكو.

دفعت تشارلي الستارة المخملية جانبًا، وبعد أن صعدت درجة سلّم مصنوعة من العقيق اليماني المضاد للظلال انكشف درج مفيض إلى صالون الظل الخاص بالتازار، حيث بدأت تنزل.

على الرغم من أن إضعاف قوة الظلال لفترة وجيزة عبر تجاوز درجة السلم المطلية بالحجر الكريم ذات التأثير الخاص عليها لم يكن مفيدًا بقدر كبير، فإن الخاصية الأخرى للعقيق اليماني كانت مفيدة أكثر من ذلك، حيث تجعل الظلال ذات السمات المتغيرة أو المتحوّلة صلبة. وهذا ما جعل العقيق اليماني المرتبط بالأسلحة ذا قيمة خاصة؛ حيث يعني أنه يمكن ضرب وهزيمة ظلال السحرة.

كانت مساحة الصالون منخفضة السقف، مع الجدران السوداء الماصة للضوء نفسها مثل حانة رابنتشر بالأعلى. وهناك جلس قلة من الناس على الطاولات مع مشروباتهم ورؤوسهم منحنية. أغمضت إحدى الفتيات عينيها؛ لأن ساحر الظلال الذي بجانبها كان يفعل شيئًا لظلمها يشبه إلى حد كبير الخياطة. كما كان هناك صبي معه لوح تزلج يجلس على كرسي مريحًا رأسه على الحائط، وهو يقلّب عينيه.

في الخلف كانت هناك ستارة مخملية أخرى. في الداخل، رُتّب عدد من الكراسي الوثيرة - للعملاء - مقابل مكتب خشبي صغير الحجم حيث جلس بالتازار. بينما استند جوي أسبرين على الحائط البعيد وذراعه مطويتان فوق صدره.

«هل حصلتِ على موعد مسبق؟». سأها جوي أسبرين، بصوت أعلى مما كان ضروريًا.

فلوّح بالتازار بيده باستهانة قائلاً: «أوه، لا تكن سخيًا. هذه الفتاة من الحانة. ما اسمك مرة أخرى شار/ شير؟».

قالت تشارلي في تملل من دعابته: «أسلوبك مضحك جدًّا».

«تشارلي». ثم فرقع بأصابعه كما لو كان الاسم على طرف لسانه وقد تذكره للتو، ثم أضاف بالتازار: «لقد أعدتِ النظر في العرض الذي قدّمته لك. كنت أعلم أنك ستفعلين. مرحبًا بعودتك إلى رفقتي الطيبة».

كان لباتازار شعر أسود مموج ورموش طويلة، ويرتدى بدلة سوداء واسعة مع ربطة عنق سوداء كبيرة فوق قميص مجعد. كما وضع دبوس عنق كبيرًا من العقيق اليماني في طية صدر سترته. لقد اعتاد أن يكون من فئة المغيّرين وقد أحرق ظله عبر إفراطه في استخدامه. كان لا يزال لديه لسان مشقوق وزر فضي مغروس عند رأس الشَّق الذي في اللسان. بالتازار يأتي في وقت متأخر ويغادر في وقت مبكر وغالبًا ما ينسى دفع الإيجار لأوديت. لقد كان بالضبط من نوع الرجال النحفاء الذين يتحدثون بسرعة والذين دخلت تشارلي في علاقات عابرة مع بعضهم، ثم ندمت على ذلك.

على الجانب الآخر كان جوي أسبرين قصير القامة، ونحيفًا بقدر ما، وخداه غائران بطريقة دلت على اعتلال صحته، وربما وقوعه في هوة الإدمان، في ماضيه. كان شعره الرمادي قصيرًا على نحو يشبه العسكريين، كما كان لديه الكثير من الوشوم، بما في ذلك القليل منها على حلقة، وحذاء أسود عالٍ كأحذية الجنود، وخزانة ملابس يبدو - قياسًا إلى هيئته - أنها تتكون بالكامل من قمصان بيضاء بأزرار وأكمام قصيرة. عندما نظر جوي إلى تشارلي، أدركت أنه لا يتوقع منها أن تكون امرأة ذكية. حسنًا، من ناحيتها فإنها لم تكن تعتقد أنه كان ذا ذكاء لافت بأي شكل.

وضعت تشارلي يدها على وركها: «أنا عائدة إلى العمل بعد الاستراحة. مررت لسؤالك عما ما إذا كان بإمكانني أن أجلب لك أي شيء من الحانة؟».

قال بالتازار، المتشكك بطبعه، ولكن ليس إلى حد أن يرفض عرضها لجلب مشروب له: «يا لك من فتاة تُعنى برغبات الآخرين! لعلي سأتناول ذلك المزيج العتيق الذي تصنعيه باستخدام مشروب الأمارو؟».

«وشرائح البرتقال والكرز؟».

قال: «بضع حبات من الكرز. أنا أحب الكثير من الأشياء الحلوة التي تصاحب كل شيء له مذاق مر».

عبارة موحية. حشدت تشارلي قوة إرادتها كي لا تبدي أي رد فعل ممتعض تجاهها، وقالت: «أردت أن أسألك عن شيء».

فردَّ بالتازار متصنِّعًا البراءة: «حقًا!».

فتنهدت واستطردت: «هناك رجل رأيته تلك الليلة في الشارع، كان ليديه ظلان. هل تعرفه؟».

قال: «لعلكِ قابلت هيروفانت الجديد».

الهيروفانت: الساحر في مجموعة بطاقات التاروت وذو حيثية ومكانة عالية بين سحرة الظلال. محليًا، يجتمع سحرة الظلال لاختيار ممثلين من كل تخصص لما يسمونه مجلس الكابال.

كان ممثلو الظلال في المجلس معروفين. فسيرين، المشهورة بتسببها في فوز ممثل فاشل بجائزة الأوسكار بسبب تميُّز أداء ظله الذي تعرَّض لتعديلات، وبأنها غيَّرت كذلك ظل حبيبها السابق بحيث بدا رأس ظله وكأنه خنزير. لقد نمت عصابتها من الفنانين على مر السنين لتصبح ذات نفوذ كبير، ويرجع ذلك جزئيًّا إلى أن التعديلات التي أُجريت على الظلال كانت مربحة ومغرية للغاية.

بينما ترددت شائعات عن أن مالك - وهو ممثل آخر للظلال في المجلس - استخدم ظله لسرقة ياقوتة كبيرة للغاية من المتحف البريطاني قبل أن يركبوا دفاعات من العقيق اليماني، في حين أن بيلامي من طائفة المقنَّعين لم يكن ذا سمعة رائجة إذا جاز التعبير، لكنه كان ذا صيت بين أفراد طائفته وهذا كافٍ بقدر ما.

ثم كان هناك نايت سينغ، والذي بعد مقتله، كان عليهم البحث عن شخص آخر ليحل محله.

يشرف مجلس الكابال على تنفيذ أي أحكام قضائية مطلوبة خارج إطار القانون بين سحرة الظلال، كما أنهم أسهموا جميعًا بقدر من المال للبحث عن الشيء الوحيد الذي لا يريد أي ساحر ظلال للأفراد العاديين أن يعرفوا عنه أي شيء: جن وجنيات الخراب.

أي شخص لعين وغير محظوظ يتخطى أو يتجاهل أعضاء مجلس الكابال وقواعده، يحصل على توصيف هيروفانت.

قالت تشارلي: «لم يكن يبدو ودودًا للغاية عندما رأيته؛ لكنني أعتقد أنهم كلهم كذلك».

إذا كان الهيروفانت في الزقاق مع الجثة، فمن المحتمل جدًا أن يكون بول إيكو قد قُتل على يد جني من جن الخراب.

قالت تشارلي: «ذلك الرجل الذي جاء في الليلة الماضية يحاول إقناعك ببيع شيء ما لحسابه، كيف طردته بهذه السهولة؟».

قاطعها بالتأزر: «أتعلمين لماذا يسمون هذا الرجل جوي أسبرين؟». وأوما برأسه باتجاه رفيقه.

هزت تشارلي كتفيها بلا مبالاة.

تلاشت ابتسامة بالتأزر المصطنعة واستشعرت تشارلي إحساسًا بالخطر متواريًا تحتها، وهو يكمل: لأنه يجعل الصداع ومَن يسببونه يختفون، وأنتِ واحدة من هؤلاء. لقد كنت بارعة في عملك القديم يا تشارلي. واحدة من بين الأفضل. عودي إلى عملك الأصلي وستحدث. وإلا، فابتعدي عني».

عندما عادت تشارلي إلى المشرب وصنعت لبالتأزر كوكتيله الخاص به، تذكرت أن قتل بول إيكو لا ينبغي أن يكون أمرًا ذا بال بالنسبة لها. لم يكن اختياره لنوع الشراب الذي تناوله

مثيرًا للاهتمام، كما أن إكراميته كانت تافهة. لقد مات هذا الرجل بالتأكيد، لكن الكثير من الناس يموتون طوال الوقت. ربما كان آدم هو صاحب الكتاب على أية حال.

عندما عادت تشارلي من تسليم الكوكتيل لالتازار، وجدت رجلًا بلحية صغيرة مشدبة بعناية يُلَوِّح لها كَمَن ينتظرها منذ فترة. كان الرجل يريد لنفسه - ولخمسة من أصدقائه - تناول مشروب الأفسنتين، مع كل ما يتطلبه ذلك من خلطه بقليل من الماء الناتج عن وضع مكعبات السكر على النار. ثم كان هناك زبون يشرب الإسكوتش على الجانب الآخر من المشرب والذي أراد أن يناقش مسألة الفوران والملوحة النسبية لشراب سبيسايد.

بحلول الوقت الذي صارت فيه الحانة على وشك الإغلاق، كانت تشارلي قد عقصت شعرها إلى الوراء ووضعت منشفة مبللة على رقبتها من فرط الجهد. كان بالتازار وجوي أسبرين قد غادرا بينما كانت فنانات الاستعراض وعروض الأداء في الزاوية يجلسن في الزاوية مع أوديت يشربن بعض الكوكتيلات الأرجوانية الشاحبة، بينما كانت تشارلي تضع إكرامياتها في جيبها وتحصي حصيلة وردية الليل.

كانت أوديت تسأل: «هل هذا ما كنتِ تعتقدين أنكِ ستفعلينه لبقية حياتك؟».

فردت إحداهن: «أوه لا، يا عزيزتي. والدتي كانت تريدني أن أصبح طبيبة». ضحكت ثلاثتهن بينما وضعت تشارلي الأطباق في غسالة الصحون. ثم أزال أحد العمال، وهو سام، قطع الزجاج المكسور هنا وهناك.

ثم فُتِح أحد الأبواب ودخل رجل ملتجٍ يرتدي سترة صياد خضراء داكنة، وكان ظله على شكل جناحين على ظهره.

قالت أوديت وهي تدير كرسيها وتومئ إيماءة متغطسة بيد واحدة: «لقد أغلقنا اليوم، تعال في ليلة أخرى يا عزيزي».

انتقلت نظرة الرجل الملتحي إلى أوديت وطاولتها، ثم إلى تشارلي. «آنسة. داميانو؟». هكذا سأل، ولم تفهم تشارلي للحظة من تكون هذه. ثم فهمت، وشعرت بنوبة من الرعب. كان هذا هو الرجل الذي حدّثها على الطرف الآخر من الهاتف قبل ساعات، الرجل الذي تظاهر بأنه الراحل بول إيكو.

قالت وهي تشير إلى نفسها: «تشارلي هول».

كانت هذه حانة على أية حال؛ حيث يمر بها الناس لأسباب مختلفة ويمكن لأحدهم أن يستخدم هاتفها. أخبرت نفسها بأنه من المستحيل أن يكون صوتها مميزًا إلى درجة تأكده من أنها هي التي اتصلت به. ولكنه عندما عبر القاعة متجهًا نحو المشرب، صار بإمكانها أن تجزم أنه اتخذ قراره. وبينما كان يمشي، بدأ ظله ينمو، والريش فوقه يطول ثم يتدحرج نحو تشارلي مثل الضباب.

على الجانب الآخر من الغرفة، شهقت فنانات الأداء في فزع، بينما وقفت أوديت بسرعة حتى إن كرسيها قد سقط وراءها، في حين توقفت تشارلي عن الحركة.

وصل الظل نحوها فجأة بأصابع تشبه السكاكين. فتراجعت تشارلي حتى اصطدمت بالرفوف خلفها، ما جعل زجاجات الشراب تهتز بشكل خطير.

ثم انزلق بعيدًا، كما لو كنَّ جميعًا قد تخيلن وجوده. كما لو أن شيئًا لم يحدث. بدا ظل الرجل طبيعيًا تمامًا، من دون تغيير. لم يعد يبدو حتى على شكل جناحين.

«أبراكادابرا، أيتها المخادعة». قالها الرجل بابتسامة، وهو يميل بذراعه على الخشب المخدوش في أعلى المشرب.

7: الماضي

لم تكن تشارلي تعتقد أن هناك أي شخص يمكنها أن تكرهه أكثر من ترافيس، حتى ظهر راند في حياتها.

كان أحد أصدقاء والدتها، وينتمي إلى مجموعة قراءة الكريستالات السحرية واللعب ببطاقات التاروت، وقد أبدى الكثير من التشكك بما تدعيه تشارلي، خصوصًا عندما كانت تلعب دور ألونسو. لم يكن راند يبدي اهتمامًا كبيرًا بها؛ لذلك فوجئت عندما أخبرتها أمها ذات يوم أنه ينتظرها في الغرفة الرئيسية في شقتهم.

سألت تشارلي: «ماذا يريد؟».

«قال إنه كان يقرأ شيئًا ما وظهر له شيء يتعلق بك. إنه يريد أن يخبرك بنفسه». كانت الأم تغلي الشاي الأخضر في وعاء عادي به عدة قطع من الكوارتز في الأسفل، من أجل تصفية الأفكار، ثم استحثت تشارلي: «هيا، سألق بك بعد دقيقة».

كان راند جالسًا على الأريكة. بدا شاربه أطول مما كان عليه من قبل، ملتويًا لأعلى على كلا الجانبين باستخدام الشمع للتثبيت في نمط يُطلق عليه «الشارب الإمبريالي» ويسميه آخرون «شارب الهيبستر». كان يرتدي سترة من قماش التويد وسروالًا واسعًا ممزقًا قليلًا عند المرفقين والركبتين. اجتمع كل ذلك لمنحه مظهرًا لطيفًا يقع في موضع ما بين مظهر الأستاذ الجامعي، ومالك صالون قديم، وتميمة لعبة مونوبولي العم الثري بنيباجس.

تمثلت إحدى مناورات راند الرئيسية في إقناع النساء الأكبر سنًا بأنه مميز وأنهن مميزات من خلال علاقتهن به. لم يكن لدى تشارلي أي فكرة واضحة عن أنه يمكن لشخصية ألونسو التي تؤديها أي دور يمكن أن يساعد في عمل راند.

كما أنها لم تكن تعلم أن راند محتال.

قال راند وهو يربت على الأريكة بجانبه: «اجلسي».

اختارت تشارلي الكرسي الذي كانت تعتقد أنها تستطيع الذهاب إليه، والجلوس من دون أن تبدو وقحة ونافرة منه.

أعطاه راند الابتسامة العريضة المزيفة التي يعطيها الكبار للأطفال، وقال: «ربما أخبرتك والدتك بأن لدي رسالة لك».

استمرت تشارلي في النظر إليه من دون تعليق. الشيء الجيد الوحيد الذي تعلمته من العيش مع زوج أمها البغيض ترافيس هو تحريرها من الرغبة في إرضاء الكبار. تنحنح الرجل وانحنى إلى الأمام، ثم استطرد: «لكنها ليست رسالة مني حقًا، إنها رسالة من ألونسو».

فتحت تشارلي فمها للاعتراض، قبل أن تدرك أنها لا تستطيع. إذا فعلت ذلك، فستقر بأن ألونسو لم يكن شخصًا حقيقيًا.

قال راند، وهو ينظر في عينيها تمامًا، كما لو كان يعرف بالضبط ما كانت تفكر فيه: «لقد جاء إليّ في حلم وقال إنه من المهم أن تساعدني. أنت تثقين بألونسو، أليس كذلك؟».

في وقت لاحق، كانت تتمنى لو قالت أشياء كثيرة في تلك اللحظة. كانت تتمنى لو كانت ذكية بما يكفي لتخبره بأنه على الرغم من أن ألونسو تحدّث من خلالها للآخرين، فإنها لم تقابله قط. كانت تتمنى لو أخبرت راند وهي تبكي أنها كرهت حديث ألونسو من خلالها وأنه قد أخذ ما يكفي منها بالفعل. بصورة أساسية، كانت تتمنى لو أنها تعاملت بالفعل في هذا الموقف بأسلوب الشخصية المحتالة والمخادعة التي ستتحول إليها لاحقًا بالفعل.

لكن في تلك اللحظة، كانت خائفة للغاية. لقد شعرت بأنها مُحاصَرة، وأن أمرها قد كُشف. وهكذا فقد أومأت له بالإيجاب. فقال لها: «عظيم. ستأتين معي إلى حفلة في نهاية هذا الأسبوع. أخبري والدتك بأنك تريدان الذهاب».

قالت له تشارلي: «أنا لا أفعل أي أشياء جنسية».

بدا راند متفاجئًا، ثم قال كَمَن شعر بالإهانة: «هذا ليس ما تعتقدان...»

قالت تشارلي موضحةً في حال لم يفهم ما قصدته: «لن أخلع ملابسني». أخبرتها والدتها بأنه عندما يطلب منها الرجال أن تحفظ سرًا ما، فإن الأمر عادةً ما يتعلق بأمور جنسية.

فأكد لها بفضاظة: «كل ما عليك فعله في هذه الحفلة هو قول الأكاذيب. وأنتِ بارعة في ذلك، أليس كذلك؟».

كان كلامه مقارِبًا بدرجة كافية لما يمكن عَدُه تهديدًا. وعندما سألتها أمها عما إذا كانت تريد الذهاب مع راند، أصرت تشارلي على الموافقة.

بعد ذلك بوقت طويل، أدركت تشارلي أن والدتها ما كان ينبغي أن توافق على شيء كهذا بسهولة، فالفتيات في الثانية عشرة من العمر ليس لديهن ما يبرر تجولهن مع رجال كبار لا يعرفنهم جيدًا. لكن والدتها كانت تعمل كثيرًا في ذلك الوقت، وكانت مشغولة جدًا لدرجة أن خروج تشارلي من المنزل لبضع ساعات في عطلة نهاية الأسبوع كان أمرًا مريحًا لها.

أقيمت الحفلة المعنية في بيركشايرز. جلست تشارلي بصمت في مقعد الراكب في سيارة راند، رغم أنه حاول التحدث معها. كما سمح لها باختيار الاستماع إلى محطاتها المفضلة على الراديو. ثم أخذها إلى مطعم ماكدونالدز وسمح لها بطلب ما تشاء، أي البطاطس المقلية والحليب المخفوق وبعدها أخبرها قصة عن والدتها كانت مضحكة بعض الشيء.

لم يقلل هذا من بغضها له، لكن هذا يعني أنها استمتعت بالرحلة أكثر.

أخيرًا، وبينما كانت السيارة تسير على طول طريق تصطف على جانبيه الأشجار، وتمر بالعديد من القصور التي تمتد على مساحة فدادين، سألته السؤال الذي كان يجب أن تسأله قبل أن تركب سيارته.

«لماذا جئت بي إلى هذا المكان؟».

«ستتسليين إلى الطابق العلوي في مكان الحفلة».

رمقته تشارلي بنظرة مستنكرة: «هل تريد مني أن أسرق شيئًا؟! ماذا لو أمسكوا بي؟».

ضحك كما لو أن استنتاجها كان خطأ تمامًا وبشكل واضح. «لا شيء من هذا القبيل. لا شيء غير قانوني. سترتدين منامة نسائية تحت معطفك ثم تصعدين إلى الطابق العلوي، الغرفة الثالثة على اليسار. لا تدعي أي شخص يراك. أريدك أن تنتظري حتى أعطيك الإشارة، ثم قفي أمام النافذة وأنت ترتدين قميص النوم. وقبل أن تسألي، الأمر ليس مخجلًا أو أي شيء من هذا القبيل. لا شيء يسيء إلى مشاعرك الرقيقة».

كان يجعل الأمر يبدو سهلاً، لكنه لم يكن كذلك. «لماذا؟».

لم يرد وأبقى عينيه على الطريق.

امتصت آخر دفقة مخفوق من حليب الفراولة عبر الماصة، واختلطت حلاوته بشيء من الملح على شفثتها. ثم امتصت مرة أخرى، لإصدار هذا الصوت الذي يكرهه الكبار. «إذا كنت تريد مني أن أفعل ذلك، فمن الأفضل أن تكون صريحًا».

رمقها راند بنظرة سريعة، كما لو أنه أدرك للتو حجم الدور الذي منحها إياه. «فكري في الأمر على أنها لعبة تظاهر. قفي هناك لبضع دقائق وكأنك أميرة جميلة، ثم تسلي للخارج وانتظريني في السيارة. لن تضطري إلى قول أي شيء لأي شخص».

لا بد أنه كان يعتقد أنها في السابعة من عمرها بدلاً من مُراهقة في الثانية عشرة من عمرها.
«فليكن».

أوقف السيارة بالقرب من سياج، ونزل منها ثم أخذ يقلب في صندوق السيارة. عندما عاد، كانت لديه حقيبة من وول مارت تحتوي على ثوب نوم أبيض من القطن وشعر مستعار أشقر.

قال: «هيا».

ف قالت: «لا تسترق النظر إليّ». وتحركت إلى الجزء الخلفي من السيارة حيث سيكون لديها مساحة أكبر.

قال لها: «لا أنوي ذلك».

«قف كحارس حتى لا يراني أحد».

أصدر صوتًا يُعبّر عن ضيقه، لكنه وقف وظهره إلى النافذة وذراعا مطويتان على صدره.

أدخلت قميص النوم تحت ملابسها ثم دسته في بنطالها الجينز. صارت محشورة في ملابسها بشكل غريب، لكن هذه كانت الطريقة الوحيدة التي كانت ستتمكن بها من إخفاء القميص بالكامل تحت معطفها. ثم وضعت الشعر المستعار على رأسها وحاولت دس أي خصلة طائشة من شعرها الأصلي الداكن في داخله.

عندما قفزت خارج السيارة، كان قد بدأ في برم طرفي شاربه صعودًا وهبوطًا بسبابته وإبهامه مثل الشرير الذي يتحين الفرصة لوضع شخص ما في مأزق. عبس راند حينما رأى سروالها الجينز، وقال: «لا يمكنك ارتداء هذا والوقوف به أمام النافذة».

قالت: «حسنًا». من الواضح أنه كان يزداد توترًا كلما اقتربا من تنفيذ خطته.

«وأنتِ لا ترتدين الشعر المستعار بشكل صحيح».

اعترضت قائلة: «لا أعرف كيف أرتديه. ليس لديّ حتى مرآة».

«فقط...». ثم تمهّل وأردف: «أنا لا أعرف أيضًا كيف يُلبَس. أعطني إياه».

حاول وضعه بشكل مناسب لإخفاء المزيد من شعرها، حتى شعر بالإحباط لدرجة أنه استسلم. كان لدى تشارلي ذكرى غائمة عن جارة مسنة لديها خزانة ملابس بها الكثير من الشعر المستعار والكثير من دبابيس الشعر، لكنها كانت تراهن على أن راند لم يسمع بمثل هذه الجارة من قبل، ناهيك من التفكير في إحضار بعض منها.

«لا يهم». تتمم كأنه يحدث نفسه وليس هي.

ارتدت معطفها الخاص. كان معطفًا ورديًا منقوشًا من الفرو الرديء ومتشابكًا إلى حد ما حول غطاء الرأس. كان معطفًا مستعملًا وصلها عن طريق إحدى صديقات والدتها التي لديها ابنة أكبر منها بقليل. كنّ دائمًا يأتين بالملابس، وكلها كانت أكثر بهرجة مما ستختاره تشارلي لنفسها.

لم يكن لديها أي شيء مناسب لمكان كهذا، ومن ثمّ كان كشف حقيقتها أمرًا ميسورًا جدًا لو انتبه إليها أحد. سيطرت عليها فجأة قناعة بأن راند ليس لديه أدنى فكرة عما كان يفعله.

ازداد الأمر سوءًا عندما اقتربا من البوابات. وسط الجدران الحجرية كانت هناك بوابة من قضبان من الحديد المطاوع مع أشكال خيول على كلا الجانبين.

مال راند إلى الأمام على أحد الأعمدة الحجرية، وضغط على زر، وأعطى اسمه. انتظرا بينما تفتح البوابة الحديدية.

«ألن يلاحظوا أننا نسير على الأقدام؟». همست له، وهي تنظر إلى ممر طويل جدًا لصف السيارات قبالة قصر ضخم. كان القصر يتكون من ثلاثة طوابق، الطابق العلوي منها مغطى

بألواح خشبية مطلية، والقسم السفلي مُغطى بالحجر، بينما يزحف اللبلاّب حول النوافذ والأعمدة البيضاء الكبيرة التي تحيط بالأبواب الأمامية.

قال راند وهو يخرج بها عن الطريق الرئيسي: «لا تقلقي كثيرًا. أنا أُعدُّ غريب الأطوار، ما يساعدي على أن أكون قادرًا على شرح أي شيء أفعله بالنظر إلى غرابة أطواري هذه. هل تعرفين ما تعنيه هذه الكلمة؟».

قالت منزعة: «نعم». كانت تعلم أشياء عدة، ألم تخدع على الأقل بعض البالغين للاعتقاد بأنها كانت ساحرة؟ وتفكرت في أنه ربما يجب أن يعطيها بعض التقدير.

ثم أشار عبر مرج من أشجار متناثرة، والذي كان يؤدي إلى جانب القصر العملاق. «أذهبي من هذا الطريق».

فسألته: «أذهب إلى أين؟».

تنهد ووضع هاتفًا في يديها منبهًا: «ادخلي من الجانب. ثم، كما قلت لك، الطابق الثاني، والباب الثالث على اليسار. اذهبي بسرعة، لكن لا تركضي. لا تلفتي الانتباه إلى نفسك ولا تشتتي انتباهك. بغض النظر عما يحدث، فهذا الهاتف ليس للاتصال بي. بل إن هذا لإرسال إشارة لك. عندما يُصدر صوتًا، قفي في الموضع الذي حددته لكِ واخلمي سروالكِ الجينز».

كان نبض قلب تشارلي يتسارع وكانت أصابعها باردة بسبب القلق. «لا أريد الذهاب إلى هناك وحدي».

«سألتقي بكِ عند الباب الجانبي، فلا تخافي». ألقى نظرة عجلَى نحو البوابة. قد يكونان مختبئين عن أنظار مَنْ يقف عند مدخل المنزل، ولكن إذا جاءت سيارة أخرى ومرت بهما فسيبدو موقفهما مريبًا للغاية.

«لا أعتقد أن بمقدوري القيام بذلك».

وضع يده على ذقنها، وأمال وجهها ناحيته وقال بنفاد صبر: «هذا أمر سيئ للغاية بالنسبة لك. أفسدي هذا الأمر، وسوف أتحدث مطولاً مع والدتك بخصوص ما تدعيه. عليك أن تقرري أيهما أسوأ لك».

تخلصت من قبضته. ما أرادها أن تفعله - التسلل إلى القصر، وممارسة بعض الحيل على مَنْ بداخله - بدا لها مستحيلاً، لكن فقدان والدتها سيكون أسوأ. لن تسامحها والدتها أبداً، ليس فقط من أجل خداعها، أو تضحيتها بزوجها السابق من أجلها هي وأختها، أو جعلها تتصرف مثل الحمقاء أمام أصدقائها، وإنما لإفساد وتشويه قيمة ومعنى السحر بالنسبة لها. سئسرتها أمها إلى والدها ومنزله العجيب حيث الدجاج والمرحاض القذر الذي لم يُثبَّت بشكل صحيح. ولن تسمح لها زوجته الجديدة بالبقاء هناك أصلاً. ردت عليه دفاعاً عن نفسها: «سأقول إنك تكذب».

«لقد ورطتِ أختك معك في هذا الأمر، أليس كذلك؟». ابتسم راند بتكلف وأضاف: «إنها لا تزال طفلة صغيرة. هل تعتقدين حقاً أنها لن تعترف بكل شيء إذا ضغطت عليها والدتك؟». قالت تشارلي: «بوزي تكره ترافيس، حتى أكثر مني».

طراً تغيير ما على وجه راند، وخطرت بباله بعض الحسابات التي لم تكن موجودة من قبل. ربما لم يكن قد خَمَّن لماذا لعبت تشارلي دور ألونسو. ربما كان يعتقد أنها فعلت ذلك من أجل المتعة، أو العبث بالناس، أو حتى الحصول على شيء من والدتها من قبيل: يقول ألونسو إنه من الأفضل أن تشتري لي جهاز إكس بوكس جديداً. الأرواح تطلب ذلك!

لم تكن تشارلي متأكدة مما إذا كان ما هي فيه وضع أفضل أو أسوأ مما يمكن أن يحدث لها لاحقاً.

ثم قال راند أخيراً: «كان ترافيس شخصاً حقيراً».

أعطته نصف ابتسامة، ليست ابتسامة حقيقية، ولكنها ليست زائفة أيضًا.

وهكذا سارت تشارلي عبر المرج، ويداها في جيبي معطفها، ورأسها لأسفل وفوقها كانت السماء ملبدة بالغيوم. في أثناء سيرها، أدركت أنها لكي تكون مقنعة حقًا، كان عليها أن ترتدي الشعر المستعار في الطابق العلوي. لكنها لم تكن تثق في قدرتها على إدخال كل شعرها مرة أخرى تحته. وإلى جانب ذلك، كان من الأفضل لها أن تتنكر طوال الوقت. بهذه الطريقة إذا وقع راند في مشكلة لاحقًا، فلن تقع في مشكلة معه.

ثم أحكمت غطاء رأس معطفها فوق رأسها على أية حال.

كان هذا الجانب من المنزل حيث أرشدها راند غاصًا بمتعهدي تقديم الطعام. كانت لديهم خيمة وشواية، وكانت صوانٍ كاملة من الفطائر والجمبري وأشياء أخرى لم ترها تشارلي من قبل تُجهَّز قبل إرسالها إلى الداخل، ويُفترض أنها تُوضَع على أطباق فاخرة.

بالقرب من الباب كان هناك فناء حجري صغير حيث كان بعض العمال، في ملابسهم السوداء والبيضاء، يجلسون ويدخنون، حيث أخذ أحدهم يحتسي القهوة من كوب ورقي، فكانت أنفاسه وبخار السائل الساخن تضرب الهواء.

تحدّث آخر باللغة الإسبانية بصوت منخفض لزميل له في العمل. لم تفهم تشارلي كل الكلمات لأنها لم تكن تُولي هذه اللغة والدراسة عمومًا اهتمامًا كافيًا في الفصل، لكنها اعتقدت أنه كان يشتكى من رجل ما.

على الرغم من أن انتباههم كان مشتتًا، فإنها لم تجرؤ على السير خلفهم مباشرةً. إن ألقوا عليها نظرة واحدة سيعرفون أنها في المكان الخطأ. كان حذاؤها الرياضي موحلاً من المشي وأربطته لامعة.

ولكن بقدر ما لم تستطع السير بجانبهم، لم تستطع البقاء حيث كانت أيضًا. إذا ما لاحظوا أنها تدور حول أكمة الأشجار فلن تكون لها أية فرصة في أداء مهمتها. عاد شعور طاغٍ

ينتابها بأن راند ليس لديه أدنى فكرة عما كان يفعله، وربما يجب أن تخرج الهاتف الخليوي وتتصل بأمها. إذا أوقعت راند في مشكلة، فربما لن تصدق أمها أي شيء يقوله.

«أيتها الطفلة؟». روعها صوته وهو يستحثها: «هيا، أسرعى».

وجدته ممسكًا بالباب مفتوحًا. كانت ترى حركة بعيدة في الغرف الأخرى، لكن لم يكن هناك أحد بالقرب منها. غطت تشارلي رأسها وخفضته ولم تنظر إلى أي شخص آخر، فأسرعت إلى داخل القصر.

للحظة، أذهلها الثراء المحيط بها لدرجة أن كل ما كان يمكنها فعله هو النظر حولها: خشب مصقول، ورق حائط مخطط باللون الكريمي والذهبي. اللوحات موضوعة في إطارات عتيقة ثقيلة من دون زجاج يحميها.

ثم قادها نحو السلم.

«تذكّري تفاصيل المهمة». كان صوته منخفضًا وحادًا. «الباب الثالث على اليسار. غرفة طفل صغير. اخلي كل شيء ما عدا قميص النوم. عندما أعطيك الإشارة - ليس قبل ذلك - تقفين في النافذة. خلف الستارة شبه الشفافة بحيث تكون ملامح وجهك غير واضحة، حسنًا؟ فهمت؟ ليس قبل الإشارة. قفي هناك لمدة دقيقة، ثم ارتدي المعطف مرة أخرى وغادري هذا القصر على جناح السرعة. مهمتك تقتضي ألا يراك أحد وألا تتركي أي أثر».

أومأت تشارلي برأسها إيجابًا، وشعرت بأنه شخص أخرج وخائف. كانت متأكدة من أنه سيُلقي القبض عليها ثم تخبر والدتها بكل شيء على أية حال.

«حسنًا، لا تقفي مكانك. اذهبي!». ثم أدار ظهره لها متجهًا نحو الحفلة.

أسرعت تشارلي بصعود الدرج.

كانت الأجواء ساكنة في قاعة الطابق العلوي. تتدلى البلورات من الشمعدانات، متلائة، وتنسكب ألوان أقواس قزح على الأرضية الخشبية.

أدارت بيدها مقبض الباب الثالث ووجدت نفسها في غرفة فسيحة، حيث طُلي كل شيء باللون الوردي مع وجود سرير على شكل عربة سندريلا في المنتصف. كانت الجدران مغطاة بصور أغصان وفروع الكروم والنباتات المعترشة.

وعلى عكس القاعة، كان هناك غبار يغطي الأثاث.

كما لو أن كل من نام في هذه الغرفة قد غادرها منذ وقت طويل. كأن أحدًا لا يريد أن يكدر صفو هدوء المكان.

خلعت تشارلي المعطف، ووضعت برفق على جانب الخزانة، بجانب صندوق الموسيقى. عند اهتزازها، أطلق الصندوق بعض النغمات المخيفة، كما أنها تخلصت أيضًا من حذائها الرياضي؛ لأنه كان موحلاً وكانت هناك قطعة من السجاد الوردي الباهت بينها وبين النافذة. ثم خلعت سروالها الجينز.

في عقلها، تحدث صورة راند المتخيلة وكأنها تقول له: «أرأيت؟ لم يكن عليك أن تخبرني بأن أفعل ذلك».

عندما انتهت، عبرت الغرفة. ولكن بدلاً من الاقتراب من النافذة، فتحت الأبواب الداخلية. أدى الباب الأول إلى حمام مطلي باللون الوردي أيضًا، مع وجود ستارة على شكل تاج من القماش فوق حوض الاستحمام. استقرت قطعة من الصابون الوردي في طبق صغير بجوار المغسلة، لكنها جفت وتشققت.

أدى الباب الثاني إلى خزانة ملابس ضخمة، كبيرة جدًا بحيث كانت بها منطقة للجلوس بها منضدة تزيين. لقد ألصقت صورًا لفتاة شقراء في الإطار حول المرأة بشريرط بألوان قوس قزح. هيلي. كان اسمها مطبوعًا على ظهر قميص كرة قدم وردي اللون. ثم صورتها وهي

تلف ذراعيها حول صديقاتها. في صورة أخرى، كانت تركب حصانًا كستنائيًا ضخماً. بدت سعيدة. بدت مفعمة بالحياة.

لكن من الواضح أنها لم تكن كذلك في الحقيقة.

جلست تشارلي إلى منضدة التزين. لقد فهمت ما جاء بها راند إلى هنا لتفعله. تخيلت ما سيقوله لوالد هيلي الحزين على فقدها: «انظر إلى ابنتك في النافذة. هل تريد الاستمرار في التحدث معها؟ حسنًا، أرغب في تقديم المساعدة؛ لكنني سأطلب منك مساعدة مالية».

وجدت داخل الأدرج مشطًا ورباطًا للشعر ومشابك لأمعة.

خلعت تشارلي الباروكة واستخدمت الرباط لسحب شعرها للخلف حتى لا تتساقط الخصلات باستمرار عندما تضع الباروكة مرة أخرى بشكل صحيح. ثم أخذت المشط في محاولة لضبط الباروكة مثل شعر الفتاة التي في الصور.

كانت تشارلي تحدد إلى فتاة تشبهها ولا تشبهها في آن واحد. شعرت بالارتباك قليلًا من فكرة انتحال شخصية أخرى. انتحال ذات مختلفة، كانت الفتاة محبوبه تمامًا لدرجة أن غرفة نومها أصبحت قبرًا مزخرفًا، يفتقد وجود موميائها فقط.

لا يزال راند لم يُطلق الإشارة؛ لذا فتشت بأشياء الفتاة حتى عثرت على قميص واسع وليس به علامة مميزة وحقيبة كبيرة بما يكفي لوضع الباروكة والثوب الليلي. وضعت هذه الأغراض بالقرب من الباب بينما كان الهاتف يرن. عندما نظرت إليها، كانت الشاشة تحتوي على كلمة واحدة.

الآن! تحركت تشارلي بقرب النافذة، مع حرصها على إبقاء الستارة شبه الشفافة حائلًا بينها وبين الزجاج.

توقعت أن ترى راند في الخارج يوجّه الحدث، لكنها لم تستطع تحديد موضعه. لوهلة اعتقدت أن شيئًا لن يحدث، وأن أحدًا لن يتطلع إليها من أسفل. ولكن امرأة فعلت ذلك، وصرخت.

لم تكن صرخة رعب أو خوف، بل كانت صرخة حزن وتفجّع خالص. لم تسمع تشارلي صوتًا كهذا من قبل قط.

كانت سعيدة لأن الستارة كانت حائلًا بينهما. لم تكن تريد أن ترى وجه المرأة بوضوح شديد.

ولكنها عندما انهارت ووجهها لا يزال مرفوعًا لأعلى، رفعت تشارلي إحدى يديها وضغطت راحة يدها على الزجاج.

من الأفضل أن تعتقد والدة هيلي أن ابنتها تستطيع رؤيتها، أليس كذلك؟ من الأفضل إعطاؤها بعض العزاء.

بعد ذلك، وبعدها أدركت أنها ظلت على هذا الوضع لأكثر من دقيقة غالبًا، ابتعدت عن النافذة وهُرِعت عبر الغرفة باتجاه أغراضها. لقد قال لها: «غادري القصر على جناح السرعة». بالطبع، لأنك إذا رأيت شبحًا، فإن الشيء الفوري الذي يجب عليك فعله هو دخول الغرفة التي رأيت فيه.

أزالت تشارلي الشعر المستعار ومزقت المنامة. للحظة، صارت تشارلي ترتدي صدرتها فقط، وانتابها شعور مخيف مفاده أنها سيُقبَض عليها وهي على هذا النحو. سرعان ما ارتدت قميصها ومعطفها مرة أخرى، وتحركت باتجاه الدرج.

ولكن قبل أن تتمكن من النزول، سمعت أصواتًا تأتي من هذا الاتجاه. فاستدارت، وتحركت في الاتجاه الآخر إلى عمق القاعة. كان القصر كبيرًا ولا بد من وجود حمام يمكنها الاختباء فيه.

لقد وجدت مجموعة أخرى من السلالم، أكبر من السابقة، وأسرعت بالنزول إلى بهو ذي أرضية رخامية. لقد كان البهو مكشوفًا للغاية، وآخر مكان يُفترض أن يراها أحد فيه.

وجدت تشارلي نفسها، وهي تمرق عبر أقرب مدخل، في غرفة الموسيقى. غطت الأرضية سجادة منقوشة بدرجات اللون الأخضر، وصولاً إلى الأريكة التي بدت صلبة جدًا وصغيرة جدًا بحيث لا تصلح لجلسة مريحة. بجانبها كانت آلة وترية تشبه إلى حد ما الجيتار والبيانو. في ذلك الوقت لم تكن أكبر سنًا من أن تكون لديها رغبة طفل في الضغط على المفاتيح، حتى لو لم تكن لديها فكرة عن كيفية العزف. بدلًا من ذلك، اكتفت بتمرير إصبعها على الطلاء الأسود اللامع الذي غطاه.

«هانتزي». هسهس راند، وأمسكها من ذراعها. «ما مشكلتك؟ لم تأخرت؟ من فضلك قولي لي إنك لم تسرق أي شيء. لا تهتمي، لا تخبريني بأي شيء. فقط اخرجي من هنا».

اشتكت تشارلي، وهو يشد قبضته على يدها: «أنت تؤذييني».

لكنه ظل على حاله، وضغط على ذراعها بقوة أكبر بينما كان يضغط مفاتيحه في يدها. «انتظريني في السيارة».

قالت له وهي غاضبة: «كان من الممكن أن يُقبض عليّ إذا فعلت ما قلته لي بالضبط». لم يكن راند يدرك أنها ذكية؛ وغاضبة من نفسها لأنها توقعته منه أن يعاملها بإنصاف.

دفعها نحو الباب الأمامي مشددًا: «أذهبي».

أخذت تشارلي نفسًا عميقًا وخرجت. مرت بالأعمدة البيضاء العملاقة ثم الدرج الحجري. أبقت نظرتها على الأرض أمامها كي لا تتعرف عليها المرأة - التي مثلت دور ابنتها المتوفاة قبل قليل - وتصاب بالذعر.

اجتازت الخدم وهي تشعر بأن أمرها قد كُشِف. كان هناك عدد قليل من الأزواج يتجهون إلى الخارج. سمعت رجلًا يقول لزوجته: «إنه محتمل. لماذا لا تدرك هي ذلك؟».

صار وجه تشارلي ساخنًا من التوتر، لكنها استمرت في التقدم حتى وصلت إلى البوابة. هناك، انتظرت مرور سيارة عابرة وتصرفت بهدوء رغم تسارع الأحداث. وهذا شيء آخر تعلمته بمفردها ومن دون توجيه من أحد.

عندما وصلت إلى السيارة، صعدت وأغلقت الباب. تمت وقتها لو أنها كانت تعرف كيف تقود السيارة. كانت لتترك راند هناك. ربما كانت ستصاحبه معها في النهاية، وربما لا. ماذا يمكنه أن يفعل، يتصل بالشرطة؟

في تلك اللحظة، شعرت بأنها صغيرة جدًا.

عندما خرج راند إلى السيارة، توقعت منه أن يعاملها بفضاظة مثلما كان في الداخل، لكنه كان مبتهجًا بدلًا من ذلك.

«كنتِ رائعة!» صرخ راند في حبور وهو يمضي بالسيارة على الطريق. «يا له من أداء وأجواء مثيرة! أليس كذلك؟ بجد، كنتِ طبيعية. كنت أعلم أنكِ تملكينها».

«أملك ماذا؟». سألته تشارلي.

«أنتِ مثلي. وهذا ما يوجد أمثالنا في الحياة لفعله. نحن نملك موهبة الخداع الفطرية. مثل الضباع الضاحكة، نضع الابتسامات على وجوهنا، بينما نجوب أرجاء المجتمع باحثين عن الضعفاء ومحدودي الذكاء لاستغلالهم».

وعندما لم تقل تشارلي أي شيء في المقابل، هز كتفها. «ما لكِ يا فتاة، لا تتصرفي هكذا لأنني وبختك هناك. كان مستوى التوتر عاليًا! لا يملك المرء وقتًا للتصرف بلطف في أثناء أداء عملنا. لكننا لا نزال على وفاق، أليس كذلك؟».

أومأت تشارلي برأسها مُوافقةً، وكانت مسرورة لأنه امتدحها. لقد جعلها تشعر كما لو أن كل شيء سيكون على ما يرام. سيأخذها إلى المنزل وسيكون ما حدث بالنسبة لها شيئًا غريبًا يحدث لأول مرة وربما غير قابل للتكرار. يمكنها بعد ذلك العودة إلى التفكير فيه على أنه مجرد صديق والدتها ثم تتجنبه بعدها.

استطاعت تشارلي أن تقنع نفسها بأنه كان مخطئًا وأنها ليسا متشابهين.

بعد ساعة والكثير من التقلب لمحطات بالراديو، توقفوا بالسيارة أمام مبنى شقتها.

ثم قال لها: «إليك». وأعطاهما عشرين دولارًا. «لقد ربحتها بعملك الليلة».

«شكرًا». أخذت تشارلي المال ونزلت من السيارة. ثم صعدا معًا إلى الطابق الثاني. كانت والدة تشارلي تركب أجزاء أحجية مع بوزي على طاولة غرفة الطعام وبجانبهما علبة بيتزا.

قالت والدتها: «سعيدة بعودتك. كان الوقت قد بدأ يتأخر. هل أمضيت وقتًا ممتعًا؟».

نسيت تشارلي المكان الذي كان من المفترض أن يأخذها راند إليه في الأصل، لكنها أومأت برأسها إيجابًا.

«حسنًا، اشكركه». حثتها والدتها ومنحت راند ابتسامة، فردها لها. بدا الأمر وكأن اثنين من الكبار يُعلّمان طفلة صغيرة معنى المسؤولية وكيفية التعامل بلطف.

فكرت تشارلي في أن عليها فعل أي شيء كي ينتهي هذا الموقف. فقالت لراندا: «شكرًا لك».

فقال: «يجب أن نفعل ذلك مرة أخرى في وقت ما. عليك أن تمنحي والدتك وقتًا للراحة».

ذهبت تشارلي إلى علبة البيتزا وأخذت شريحة، متجاهلةً إياه.

دعت الأم راند للبقاء وتناول شيء معهم ولكنه، وهذا ما أراح تشارلي، رفض.

بعد أسبوع، كانت تشارلي في الشارع، تحاول تعليم نفسها التزلج. لقد كانت تسقط كثيرًا. كانت ركبتها تنزف عندما نزل راند من سيارته. وقال مباشرةً: «لدي مهمة أخرى لنا معًا، يا محتالتي الصغيرة».

هزت تشارلي رأسها بالرفض، وشعرت بالخدر يسري في كل جسدها.

«لا؟». بدا واثقًا ومستمتعًا بجدها وهو يردد: «سأدفع لك مبلغًا أفضل هذه المرة. كما أنك لا تملكين حقًا أي خيار».

حدقت إليه بفم مفتوح كالمصدومة ثم عقبت: «لا يمكنك قول أي شيء. أنا أيضًا أعرف ماذا فعلت. أستطيع إفشاء السر».

«أوه؟». رفع هاتفه لترى صورة شبح في النافذة يظهر على الشاشة. «في السابق كان من الممكن أن تكون كلمتي مقابل كلمتك، لكن ليس الآن. صار لدي دليل على أنك محتالة صغيرة».

نظرت تشارلي إلى الصورة وهوى قلبها بين قدميها. لم يكن واضحًا تمامًا أنها هي، لكن الشكل على الشاشة كان يمثل طولها. وكانت والدتها تعلم أنها خرجت مع راند في ذلك اليوم.

احتجت تشارلي: «لكنك أخذتني إلى هناك. أنت من كذبت على هؤلاء الناس».

قال راند وهو لا يزال يبتسم: «أوه، ستكرهني أيضًا. لكن لماذا أهتم بذلك؟ لا تنكري أنك استمتعت. لن تكوني بنصف براعتك في أداء هذا الأمر لو لم تكوني استمتعتِ بفعله».

ستمر سنوات قبل أن تفهم الأسلوب الذي استخدمه راند لجذبها إليه - الرمال المتحركة للمحتالين؛ الابتزاز؛ أن يملك من يمارس الابتزاز شيئًا صغيرًا، ربما، ضد من يمارس عليه الابتزاز ثم يضعه في موقف لا يملك فيه أي خيار - أو خيار محدود - لتنفيذ رغبة ممارس

الابتزاز. ربما يكون الشيء المطلوب بسيطًا في البدء ولن يتطلب منك سوى بذل القليل من الجهد لفعله مثل التلاعب ببعض الأرقام، أو تغيير درجة اختبار مدرسي، أو أخذ القليل من النقود من الحافظة، أيًا يكن. ولكن حينما يحدث هذا فإن من تعرّض للابتزاز يكون قد سقط في الفخ؛ لأنه إذا استسلم، فإنه لم يعد يختبئ فقط من خطئه الأول، بل أيضًا مما فعله للتستر عليه. وكلما حاول إخراج نفسه من هذه الهوة غرق فيها بشكل أعمق.

لا يوجد شيء يعلمك كيفية وضع شخص ما في مأزق عسير بنجاح مثل أن تضعه في المأزق بنفسك.

8: كتاب الخراب

بينما كان ساحر الظلال يتحدث، تجمدت تشارلي في مكانها وتراجعت بظهرها حتى التصقت بالحافة الخلفية للمشرب.

ثم أدار رأسه نحو أوديت وفنانات الاستعراض وقال بنبرة أمرة: «اخرجن».

بالقيل من القوة، يمكن للظلاميين أن يجعلوا الظل المسيطر عليه يرفع عملة معدنية عن الأرض. ومع المزيد من القوة، يمكنه أن يسحق قلبك من خلال الوصول إليه عبر حلقك. كانت تشارلي طوال حياتها المهنية بأكملها بوصفها محتالة ولصة تحاول تجنب مواجهة أحدهم بشكل مباشر.

نهضت فنانات الاستعراض وسرن باتجاه المخرج الخلفي الذي يؤدي إلى مكب النفايات، وراء المسرح. وبينما كانت أوديت تتبعهن، نظرت إلى الوراء وهمست بشيء لتشارلي. لسوء الحظ، لم يكن لديها أية فكرة عما كانت أوديت تحاول إخبارها بها وأملت أنها كانت تخطط للاتصال بالشرطة. لا يعني ذلك أن تشارلي كانت لديها ثقة كبيرة بشجاعة رجال الشرطة في مواجهة السحر، ولكن ربما يثير وجودهم اضطراب هذا الرجل الدخيل.

«ناديني باسم هيرميس. والآن ماذا لديك لأجلي؟»، إنه شاب يتحدث بنبرة سكان جنوب بوسطن. خمنت تشارلي أنه في الثلاثينيات من عمره، بشعر داكن وبشرة شاحبة حمراء. كان يبدو كأنه رجل عملي، وليس شخصًا مهتمًا بالسحر أو لديه قدرات سحرية ما.

قالت تشارلي له بحزم: «أعتقد أنك لم تسمع المالكة وهي تقول إننا أغلقنا». في هذه اللحظة، كان ظل الرجل زاويًا مثل ضي القمر. لقد أدركت تشارلي أن التلاعب بالظلال يكلف من يفعل ذلك شيئًا، لكنها لم تكن متأكدة تمامًا من نوع التكلفة. قال لها: «لقد خرجت المالكة ولم يعد هنا سوانا».

تحرك الظل الذي بدا كشكل أثيري تجاهها مرة أخرى، وصار كبيرًا جدًا لدرجة أن المكان بأكمله بدأ يُظلم. وعقدت تشارلي ذراعيها فوق صدرها في تحدّ.

ضرب هيرميس المشرب بيده، ما جعلها تجفل: «هل تعرفين ماذا يمكنني أن أفعل بك؟».

ارتفعت نسبة الأدرينالين في جسدها، ما زاد من صعوبة أن تفكر بشكل منطقي. لكنها ذكّرت نفسها بأنه لا يملك أدنى فكرة عن هويتها. أيًا كان ما دفعه إلى مواجهتها، فهو لا يعتقد أنه كان يتحدث إلى تشارلي هول؛ لصة كتب وأدوات السحر. لقد رأى فقط تشارلي هول، ساقية الحانة. وكانت هذه هي الطريقة التي ستتعامل معه من خلالها، باستغلال ادعائها الجهل.

فسألته: «بي أنا؟ لا أعرف، ماذا يمكنك أن تفعل بظلك المخيف؟ تحوم قليلاً في الهواء؟ أو تبدو أطول بقدر ما؟ أو تملك حاسة شم أفضل؟».

للحظة، شعرت بالرضا عن ظهور حيرة هيرميس من أمرها. ثم نخر: «أنتِ لا تعرفين حقًا، أليس كذلك؟ أنتِ لا تعرفين شيئًا عن أي شيء.».

قالت له تشارلي، وهي فخور بثباتها حتى الآن في موقف كهذا: «هذا أنا، جاهلة بمعظم الأشياء طوال الوقت. على سبيل المثال: ليس لديّ أية فكرة عن سبب مضايقتك لي هنا.».

امتد ظل الرجل باتجاه تشارلي ثم فوق الحوض والأكواب الاحتياطية والعلب البلاستيكية والأشربة المختلفة.

طوال جميع الأوقات التي كانت تسرق فيها، كانت تخشى فكرة أن يُقبَضَ عليها من قبل أحد الظلال وأن تعرف حدود القوى السحرية لأحد سحرة الظلال بأسوأ طريقة ممكنة. من قبيل المفارقة الساخرة أنها تجنبت ذلك حينما كنت لا تزال لصة، ليحدث لها ذلك الآن بعدما لم تعد تسرق أحدًا.

خطت خطوة مبتعدة عنه، لكن ضيق مساحة المشرب منعها من الابتعاد أكثر. كانت مُحاصِرة مع أرفف زجاجية عاكسة من زجاجات الشراب خلفها، جنبًا إلى جنب مع صندوق حفظ النقود وآلة لصنع الكابتشينو.

قال هيرميس قاطعًا ذلك الصمت: «بول إيكو. قد تكونين آخر شخص تحدّثت معه على وجه الأرض. فتاة جميلة مثلك، أراهن أنه تفاخر بمدى الثراء الذي سيحققه أمامك، وربما أظهر لك شيئًا نادرًا كان ينوي بيعه. لكن، كما ترين، هذا الشيء يخص السيد سولت. أخبرينا كيف حصل عليه إيكو. أخبرينا ثم يمكنك العودة إلى حياتك الصغيرة الحزينة والتظاهر بأنك لم تتعرضي لإمكانية قتلك جرّاء ذنب ليس لك».

ليونيل سولت اللعين.

كانت هذه عملية صيد. لم يكن لدى هيرميس أية فكرة عن أن تشارلي تعرف أي شيء. لكنها كذبت على الهاتف لاختباره، وهذا جعلها تبدو مريبة. بعد عام من العمل بعيدًا عن الجريمة، فقدت بعضًا من مهاراتها السابقة وصارت صيدًا سهلاً. «كل ما فعلته هو إعطاء الرجل كأسًا من الشراب».

قالت لنفسها إنه ليس لديه سبب يؤذيني، رغم أنها تشك في أن أي شخص يعمل لدى سولت سيحتاج إلى سبب لإيذاء الآخرين. صارت الحانة هادئة جدًا فبدأ كأن صوت أنفاسهما مسموع.

«هل تعرفين ماذا أطمع هذا الشيء؟». سألتها الرجل مبتعدًا عنها وعن ظله، ثم أجاب: «دم، ربما دمك».

تجمد ظل هيرميس بطريقة ما. للحظة، بدا الرجل بعيدًا عن ظله كما لو أنه يوجد في مكانين في وقت واحد. بدا الظل صلبًا، على الرغم من أن خيط الاتصال أو حلقة الوصل

بينهما - التي تشبه الحبل السري والمقترنة بقدم الرجل الملتحي - ظلت مرئية ولكنها غائمة الملامح.

امتد إصبع الظل نحوها فتأهبت تشارلي. عندما مَسَّ بشرتها، شعرت بشيء بارد يدغدغ حواسها كما لو أن رياحًا عاصفة قد ضربتها. تصلبت في مكانها، وتراجعت للوراء مرة أخرى حيث شملتها موجة هائلة من الخوف.

انزلق قلب تشارلي في صدرها، وجعلها مدى غرائبية هذه اللحظة تشعر بالدوار.

«حسنًا، أبعد هذا الشيء عني. لقد فزت». اهتز صوت تشارلي وهي ترفع يديها في استسلام، ثم عضت خدها من الداخل لتثبّت نفسها. «لقد أقنعتني. سأسكب لك بعضًا من الشراب، على الرغم من إغلاقنا».

لم يتحرك الظل فيما قال هيرميس: «أنتِ مخادعة، أليس كذلك؟».

بعد أن مدت تشارلي يدها إلى الرف ذي المرأة، أنزلت كوبًا كبيرًا كان ملمسه زلقًا في أصابعها، وكانت كفها تتعرقان. صار الظل معلقًا في الهواء، ويتأرجح بجانبها بينما تسحب زجاجة من أجود ما لديهم من مشروبات.

ربما يمكنها أن تجرب قول الحقيقة. حسنًا، بعض الحقيقة. «كنت أسير إلى المنزل ورأيتته. بول إيكو، ميثًا. لقد تعرفت عليه. بدا الأمر سيئًا، أقصد ما حدث له. وبعد ذلك عندما لم يأتِ ذكر حادثته في الأخبار، أعتقد أنني شعرت بالفضول حيال ما حدث».

قال لها: «أنتِ تكذابين. أنتِ تعرفينه. لقد اتصلتِ لتسألني عنه».

قالت: «لم أكن أتوقع أن يجيب أحد. ثم ظننت أنني إذا سألت عن بول، فإن الشخص الموجود على الطرف الآخر من الخط سيخبرني بما حدث. لم أكن أتوقع أنك ستنتظره بأنك هو».

«أنا لا أصدق ذلك». كان غضبه على حافة الانفجار، كما لو أن العودة إلى رئيسه خالي الوفاض أمر يدعو للقلق.

أصرت تشارلي قائلة: «لم أقابل بول قبل تلك الليلة»، مدركة أن ذلك كان بلا جدوى لأنها رأت تعبير وجه هيرميس. لم يكن يريد أن يقتنع بأنها لا صلة لها بما حدث.

اعتقدت تشارلي أنها لا تستطيع الوصول إلى أبواب الحانة التي في الخلف، لكنها قد تضطر إلى المحاولة على أية حال. كانت تتمنى الحصول على سكين العقيق اليماني التي في حقيبتها في تلك اللحظة. كانت تتمنى الحصول على أي شيء.

«توقفي عن محاولة اللعب معي». زار في وجهها. بدا ظله كأنه يتأرجح عند الحواف، كما لو كان مصنوعاً من شعلة نار قاتمة. «أنت متورطة في هذا الأمر بطريقة ما. في المرة المقبلة التي تفتحين فيها فمك، من الأفضل أن تكوني حريصة جداً على ما يخرج منه».

لقد قرر بالفعل ما يريد سماعه منها، ولم يكن على استعداد للاستماع إلى أي شيء آخر. إما أنها ستضطر إلى القيام بمراوغة أخرى محكوم عليها بالفشل، وإما أنها ستضطر إلى جعله يصدق قصة مختلقة ومُحكمة من تأليفها بشأن ما حدث.

أراد هيرميس الحصول على كتاب الخراب لصالح رئيسه في العمل، وكان يعتقد أن بول إيكو لديه أكثر من مجرد الصفحة أو الصفحات التي أراد بيعها، الصفحات التي افترضت أن قاتل بول إيكو قد حصل عليها. كان بإمكان تشارلي أن تتحدث عن الكيفية التي كان بول يطلب بها من بالتازار أخذ الجزء الذي كان لديه، لكنها اشتبهت في أن هيرميس نفسه قد تحدّث بالفعل مع بالتازار في وقت سابق، وأن هذا الأخير قد وشى بها بمعنى ما. في نهاية المطاف، بدا هيرميس متأكدًا جدًا من أن تشارلي هي التي اتصلت به.

دفعت تشارلي الكوب الكبير من الشراب إليه وهي تتنهد. ثم كذبت: «عندما جاء بول إلى الحانة، لم يكن بمفرده. كان هناك رجل آخر، وسمعتة يقول شيئًا عن (كتاب كامل). هل

يفيدك ذلك؟».

لم يذكر هيرميس الكتاب بشكل مباشر؛ لذلك ربما يقنعه كلامها. من الممكن أن يحدث ذلك، إذا كان ينقل الكتاب لصالح آدم حقًا.

سأل هيرميس: «هل أنت متأكدة من أن الشيء الذي كان معه كان رجلًا؟».

«أعتقد ذلك». ردت بحذر وهي تتساءل عما إذا كان يتوقع أن يكون هناك شخص آخر متورط. هل تحدّث أحد بالفعل إلى إيكو في تلك الليلة؟

قال هيرميس: «إدموند كارفر. هل هذا هو الاسم الذي دعاه به بول؟».

ترددت تشارلي. إذا قالت نعم، بوسعها أن تستنتج أنه سيكون سعيدًا، لكنها لم تكن لديها أية فكرة عن هوية هذا الشخص الذي ذكر اسمه، وكان عليها تقديم تفاصيل لم تكن لديها. فهزت رأسها مرة أخرى قائلة: «لم أسمع اسمًا، ولم يبدُ ظله...»

ضرب ظل هيرميس تشارلي في وجهها، بقوة كافية لإفقادها توازنها. ارتطمت بحوض الغسيل وسقطت على يديها وركبتيها على البلاط.

قال هيرميس مهددًا: «لا تكذبي عليّ».

صارت تشارلي مدركّة للعديد من الأشياء في آن واحد، لزوجّة الأرضية؛ والرائحة الكريهة للخمور الفاسدة؛ والوخز المؤلم الذي اعترى خدها من جرّاء الصفعة؛ ورعبها مما كان يحدث. مضرب البيسبول الذي أصرت أوديت على الاحتفاظ به خلف المشرب، تحت ماكينة الثلج، كان بعيدًا عن متناول يدها.

بدا أن الوقت يتباطأ ويتسارع في آن واحد بينما كانت تشارلي تزحف باتجاه المضرب.

ومضّ ظل الرجل الملتحي فوقها، ويدٌ أثيرية تضرب رف الزجاجات وترسلها إلى أسفل في عاصفة من الزجاج المتطاير.

غطت تشارلي رأسها تلقائيًا. اصطدمت زجاجة نصف ممتلئة بكتفها بينما تحطمت زجاجات أخرى حولها. كانت قطع صغيرة من الزجاج المتشقق تتطاير مع كل اصطدام، وتستقر على ملابسها وتؤذي جلدها. كما تدفقت الخمر المسكوبة على ركبتيها كالسيل.

أحكمت تشارلي أصابعها حول المضرب ودفعت نفسها للوقوف على قدميها، وهي ترتجف من فرط تدفق الأدرينالين والخوف والغضب.

مع عدم وجود أفكار جيدة للهرب، كانت تتبنى دائمًا بعضًا من أفكار المواجهة التي ستكون سيئة العواقب في الغالب.

ستكون فكرة جيدة أن ينحتوا العبارة السابقة على شاهد قبرها. إنها تلخص نهج حياة تشارلي هول.

وجّهت تشارلي ضربة قوية من المضرب باتجاه الظل. مر المضرب بشكل مستقيم من قلب الظل وكأنه شبح. جعلها طيش الضربة وعدم إصابتها لجسد صلب تترنج إلى الأمام وكادت تسقط على مؤخرتها.

قهقه هيرميس. لقد تراجع بعيدًا عن المشرب كما لو كان مشاهدًا لما يحدث وليس صانعًا له. «أنتِ امرأة جريئة بالفعل، أليس كذلك؟ آخر فرصة. قولي لي الحقيقة هذه المرة. من أعطى بول إيكو صفحات ذلك الكتاب؟»

بدا أن الهواء حولها يتكاثف.

«لن تعرف الحقيقة أبدًا لأنك وغد أحرق». قالت له ذلك بأحسن طريقة مستهزئة أمكنها أن تستحضرها.

هذه المرة غاص الظل أسفل حلقها فشعرت كأنها تغرق، كما لو أن رئتيها كانتا ممتلئتين بشيء أثقل من الهواء، شيء لم تكن تستطيع إخراجه عبر السعال.

وهي في غاية من الفزع، أخذت تشد وتخدش حلقها بأظافرها والظل يخنقها، وصرخاتها تغدو مكتومة.

تدفقت قطع من الظل عبر فمها وأنفها وخلف عينيها. صار الظلام يسيطر على رؤيتها ولم تكن متأكدة مما إذا كان ذلك بسبب قلة الهواء أو بتأثير الظل.

للحظة، شعرت كأنها تقف خارج جسدها، حيث لاحظت الطريقة التي تحولت بها حواف شفيتها إلى اللون الأزرق. وشاهدت نفسها وهي تلهث، وذقنها يميل للأسفل كأنها تغرق وتجاهد للصعود إلى السطح.

عندما فتحت تشارلي عينيها، وجدت نفسها على البلاط. كان بمقدورها التنفس مرة أخرى، على الرغم من أن استنشاقها للهواء كان يؤلمها.

وجهت تشارلي ناظريها إلى الكرة البلورية العاكسة على السقف ورأت شخصًا يقف خلف هيرميس وذراعه مضغوطة على حلقه. ولكن من شكل ملامحه غير الواضحة، لم تستطع التعرف على الشخص الجديد. يجب أن يكون وصوله هو ما جعل هيرميس يدعو ظله إلى العودة إليه.

بدأت تشارلي في الزحف ببطء فوق الأرضية المغطاة بالزجاج، وأخبرت نفسها بأنها عندما تصل إلى المنطقة المفتوحة من الصالة، ستركض نحو الأبواب الخلفية وتفتحها بكتفها، ولن تنظر إلى الوراء.

«لقد تركت ظلك يتغذى لفترة طويلة جدًا الليلة». لم تصدق أذنيها، كان صوت فينس هو الذي سمعته. لكنه لم يكن مألوفًا على الإطلاق. كانت نبرته ناعمة ومنذرة بالخطر. كما لو

كان غافلاً عن محاولات هيرميس التخلص من قبضته وكأنها لا تعنيه، استطرد فينس: «لم يبقَ الكثير منك. هل يمكنك أن تشعر بالإجهاد، وكأن طاقتك بل ذاتك نفسها تُستنفَد؟».

أصدر هيرميس صوتًا يُعبّر عن اختناقه، وتلوى جسده محاولاً بكل طريقة التحرر من قبضة فينس.

ثم أضاف: «لم يعد هذا مهماً الآن».

كانت تشارلي عاجزة تقريباً عن تصديق أن هذا هو فينس الذي تعرفه، وهو يقف في وسط الحانة الفارغة ويشد قبضته بإحكام وصلابة على عنق الدخيل الذي هاجمها الليلة.

ثم جاءها صوت يشبه كسر فرع شجرة مبتل.

فحبست أنفاسها.

وأخيراً تدلى جسد الرجل الملتحي، الذي انعكست صورته في عشرات المرايا الصغيرة المتناثرة في زوايا المكان، بهدوء بين ذراعي فينس.

9: الماضي

أتقنت تشارلي حيل النشل كما لو أنها وُلدت لتفعل ذلك. في الثانية عشرة من عمرها، أَعدها راند كي تتعلم من ساحرة متقاعدة لها خبرة كبيرة في نشل المحافظ والساعات بوصفه جزءًا من عملها، وكل يوم ثلاثاء ويوم خميس بعد المدرسة، كان يوصلها إلى منزل السيدة بريستو. بينما كان يخبر والدة تشارلي بأن ذلك الوقت مخصص لدروس العزف على البيانو.

كانت السيدة بريستو تدخن، ومنزلها كله تفوح منه رائحة كريهة. كان منزلًا صغيرًا، في حي ليدز، بالكاد توجد به أي مساحة يمكن أن تُعد فناءً خلفيًا. في الداخل، كان المكان مليئًا بتذكارات عتيقة، بما في ذلك إنسان آلي كان يزين مدخل متجر متعدد الأقسام في السابق ولكنه يقف الآن في زاوية وفوق رأسه قبعة، ونصف وجهه مفقود. قالت السيدة بريستو وهي تلوّح بسجائرها: «السحرة الوحيدون الذين سمع الناس عنهم هم الرجال، لكن بعض العظماء كانوا من النساء. ودعيني أخبركِ بشيء، أفضل المحتلات كنَّ دائمًا الإناث. نحن نعرف كيف يفكر الناس. لدينا الجرأة، ولا ينجح أحد في الإيقاع بنا».

أُحبت تشارلي الطريقة التي أدرجتها بها السيدة بريستو في هذا التصريح بقولها نحن التي تشمل جميع النساء. وقد أُحبت بشكل خاص فكرة أنها قد تتفادى أي عواقب محتملة لما ستفعله مستقبلاً من جرائم.

«لذا فإن أول شيء يجب أن تستوعبيه هو النقر. أن تنقري أو تلمسي مكانًا ما في جسم الهدف في أثناء النشل. ربما تصطدمين بأحدهم إذا كنتِ تمشين أو تلمسين كتفه إذا كنتما جالسين في مطعم مزدحم. يعتقد الناس أن اتباع نهج النقر أو التحسس توجيه خطأ، لكن هذا ليس كل شيء. لا يستطيع الدماغ معالجة الشعور باللمس في مكانين في وقت واحد، لذلك فهو يُنبّه العقل فقط إلى اللمسة الأكثر خشونة أو قوة».

«اضغطي على كتف أحدهم وسينتبه لهذه اللمسة، لكنه لن يشعر بأن يدك في جيبه أو حقيبة يده إذا كانت سيّدة. ليست هناك خطوات معقدة في هذه المرحلة، فقط التقطي ما تقع يدك عليه».

فكرت تشارلي فيما قيل. بينما أعطتها السيّدة بريستو حلوى من جمجمة فضية كانت موضوعة على طاولة القهوة. «ماذا لو وضعت يدك في حقيبة نسائية وكان هناك الكثير من الأشياء؟ أو ماذا لو كانت مغلقة بسحاب؟».

ثم تابعت الشرح: «آه، هذا هو المكان الذي قد يقع فيه التصرف الخطأ. فاجئي الناس، اخدعيهم وشتتي انتباههم. أو فقط اختاري هدفاً سهلاً ويبدو عليه، أو عليها، سمات الترف مثل نساء يرتدين سلاسل من الذهب الخالص».

عندما بدأت السيّدة بريستو الحديث لأول مرة، بدا الأمر بسيطاً. لكن كلما فكرت تشارلي فيه، بدا أكثر صعوبة. استغرق منها الأمر ثلاث محاولات لها لوضع قلادة على عنق السيّدة بريستو بإحكام، ثم محاولات أكثر لنزعها عنها بخفة وكأنها لم تنتبه بينما تُشاغلها بشكل أو بآخر.

قالت السيّدة: «ضعي يداً على مؤخرة العنق مع القليل من الضغط، وحركي أصابعك بخفة وأنت تستلين ما حول العنق. كل المواقف متشابهة، فلنبدأ التدريب».

في البداية علّقنا السترات على الإنسان الآلي وربطنا الساعات على أذرع الكراسي وشرعنا في تطبيق النصائح. بعد ذلك، عندما أتقنت تشارلي هذا الأمر، أخذت السيّدة بريستو تنجول في منزلها حتى تتمكن تشارلي من التظاهر بالاصطدام بها، أو الذهاب باتجاهها وسط حشد من الناس.

أخيراً، صارت مستعد للعمل بالخارج.

بعد ظهر أحد الأيام، قادها راند إلى مركز هوليبوك التجاري بدلاً من منزل السيّدة بريستو.

سألت تشارلي: «هل نحن ذاهبان للتسوق؟».

لم يبدو أن راند اهتم حتى بنبرتها المتسائلة، بل ابتسم وكأنها قالت نكتة عنها، ثم قال: «إن درسك هنا اليوم».

التقت السيدة بريستو بها في متجر ماسيز، حيث كانت تشتري زوجًا من الأحذية الرياضية. قالت لتشارلي: «لا خوف على مظهرك من حمل حقيبة». ثم ابتسمت وأضافت: «أو من وجود امرأة عجوز برفقتك».

ثم خرجتا إلى المركز التجاري الرئيسي.

«هل سأشاهدك تعملين أولًا؟». سألتها تشارلي بأمل.

فهزت السيدة بريستو رأسها نفيًا: «لا جدوى من تأخير ما لا مفر منه. دعينا نذهب إلى ستاربكس، حيث يوجد دائمًا حشد من الناس هناك».

وهكذا بدأت تشارلي اليوم الأول من التدريب في أثناء العمل. مرت بجوار الناس في ممرات ضيقة وهي تكرر عبارة «عفوا» وتلمس ذراع مَنْ يجاورها. طبقت تعاليم النشل في متجر سيفورا ومتجر أبل. كان الأمر أسهل مما كانت تعتقده أيضًا، لكن عملها لم يتسم بالدقة. لقد تمكنت بالفعل من نشل محفظة من رجل، لكن حصيلة مسروقات حقائب اليد كانت أشياء عشوائية؛ حلقة مفاتيح، أحمر شفاه، منديل مكور.

بعد خمس عمليات نشل، اشترت لها السيدة بريستو شراب فرابتشينو.

ثم نبهتها: «بمجرد حصولك على الشيء المسروق، فإنك وضعته في جيبك. ما الذي فعلته بعد ذلك؟».

هزت تشارلي كتفيها بلا اكتراث، وقالت: «ابتعدت عن المكان؟».

قالت السيدة بريستو وهي تتطلع إليها بجديّة: «في المستقبل، عليك أن تضعي في جيبك بعض الحلوى أو شيئًا من المال. مهما كان السبب الذي تريدين أن يظن الناس أنك تضعين يدك في جيبك من أجله، احتفظي دائمًا بشيء ما في جيبك لتخرجيه لهم. دائمًا. بخلاف ذلك، فإنك ستمنحهم الفرصة طواعيةً لملاحظة شيئين: أولهما الشيء المسروق، وثانيهما اليد التي تخرج من الجيب فارغة، ما سيثير الشكوك».

على الرغم من أن أحدًا لم يقل أي شيء لتشارلي، فإن راحتها بدأت تتعرقان عند تفكيرها بأنها ارتكبت مثل هذا الخطأ الواضح.

ثم قالت السيدة بريستو: «أوه، كذلك لا تعانقيني بعد ذلك بقوة مفرطة كما فعلت».

هزت تشارلي كتفها مرة أخرى. لم يكن أحد في عائلتها يعانقها، باستثناء جدتها، التي لم تكن تراها كثيرًا على أية حال. كما أنها وبوزي أختها لا تتعانقان كثيرًا.

«تعودي على لمس الناس في أثناء التحدث. ضعي يدًا على الذراع أو على الكتف. احتضني الشخص المعني عندما ترينه، ومرة أخرى عندما تودعيه. بهذه الطريقة عندما يتعين عليك فعل ذلك، ستعرفين كيف تفعليه بصورة طبيعية».

وافقتها تشارلي: «حسنًا»، وأخذت رشفة طويلة من الفرابتشينو. هذه النصيحة الأخيرة، مهما بدت حكيمة، كانت تعلم يقينًا أنها لن تتبعها.

وقفت السيدة بريستو وقالت: «حسنًا، سأنتظرك في متجر ماسيز؛ لأن عليّ إعادة هذا الحذاء الرياضي».

«في هذه الأثناء ماذا سأفعل؟». سألتها تشارلي، وهي تعلم بالفعل أنها ستكره الإجابة.

«ستعثرين على الأشخاص الذين سرقت منهم أغراضهم وتعيدينها إليهم».

أعطتها السيدة بريستو تلك الابتسامة، التي تشي بتوريطها في أداء مهمة صعبة، وحقيبة في يدها ثم ابتعدت، كانت الحقيبة أثقل بكثير مما كانت عليه في بداية رحلتها.

بعد ساعة، كانت تشارلي قد أعادت المفاتيح والمحفظة إلى أصحابها. كان راند ينتظرها خارج متجر ماسيز، ثم قال لها عندما دخلت: «سمعت أنك كنت بارعة، بالفعل».

سألته: «حقاً؟».

ضحك: «لا تتفاخري بهذا كثيراً يا فتاة». ثم صحبها إلى مطعم لشطائر الهامبرجر - حيث يمكنها أن تأكل قدر ما تريد من الفول السوداني - وتركها تطلب أي شيء، فخممت أن السيدة بريستو أعطتها درجات عالية في تقييمها.

شعرت تشارلي بالرضا عن فكرة أن لديها موهبة طبيعية في النشل، ولكن أكثر ما كانت تحبه بالفعل هو السطو.

لقد أحببت أن توجد في أماكن تخص أشخاصاً آخرين؛ أن تتجول في منازلهم وتجرب عيش حياتهم كما لو أنها تخصها، ومن مزايا ذلك أيضاً أنها يمكن أن تجرب ارتداء ملابسهم.

كان الأمر سهلاً في الغالب. كان هناك الكثير من الأبواب في المنازل الكبيرة باهظة الثمن، وفي معظم الأوقات كانت تجد باباً مفتوحاً. في بعض الأحيان كان هناك دوماً مفتاح تحت السجادة بالخارج. وإذا تعذر ذلك، كان بمقدورها البحث عن نافذة غير مقفلة. كانت تنسل إلى الداخل عندما لا توجد سيارات في الجوار. عدد قليل جداً من الناس لديهم أنظمة إنذار، وعدد أقل يكلفون أنفسهم عناء تشغيلها.

عندما كان راند يرسلها إلى داخل أحد المنازل، فإنه كان يبحث في الغالب عن شيء خاص؛ خاتم ضخم من الياقوت، أو حاملات مناديل قيّمة وعتيقة الطراز على شكل خيوط صغيرة، أو الطبعة الأولى الموقّعة من رواية (الصقر المألطي)، التي يشاع أن سعرها وصل إلى مائة ألف دولار. كان راند يتخيل نفسه واحداً من هؤلاء المجرمين الأبطال في الأفلام،

أولئك الذين لم يحطوا من قدر أنفسهم قَطّ بمحاولة سرقة أغراض عادية وتافهة مثل أجهزة التلفزيون.

لكن في بعض الأحيان كانت تشارلي تسيّر بالدراجة عبر المدينة وتقتحم المنازل بمفردها ومن دون توجيه من أحد.

عندما كانت صغيرة، كان والدها يعمل في شركة تركيب حمامات سباحة وأحواض استحمام. في بعض الأحيان كان يصطحبها معه إلى عمله، وكانت تحدق إلى المنازل العملاقة بمروجها المشذبة وبرك مياهها المتلألئة، واللون الأزرق الساطع للبحار الاستوائية المرسومة في التقويمات المعلقة أمامها.

في الوقت الحاضر، عندما يلتقي والدها بها وببوزي، فإنه يصحبهما إلى الخارج لتناول الثلجات ويتصرفون كما لو أن كل شيء على ما يرام، على الرغم من أنه تزوج مرة أخرى، وزوجته الجديدة كانت حاملاً، ومن الواضح أنها لا تزيد أن يكون لها أي علاقة مع الابنتين من زواجه الأول.

لقد أراد والدها فقط أن تكون ابنتاه مبتسمتين وسعيدتين. أراد أن يراها مبهجتين وأن ترددا معه كلمات بعض من أغانيهما المفضلة بالطريقة التي كانتا عليها عند الصغر. كانتا متأكدتين من أنهما ستظلان محبوبتين دائماً. كان على الفتاتين مجاراة أبيهما في مثل هذه المواقف، وإلا فسيصبح قاسياً ولئيماً. وإذا بدا أنهما منزعتان أو غريبتا الأطوار، فإنه يتجاهلهما تماماً.

لذلك عندما حاولت تشارلي الشكوى من زوج أمها ترافيس أو إخبار والدها بأيّ من مخاوفها، انزعج وحوّل انتباهه إلى أختها. وإذا أبدت بوزي انزعاجاً مماثلاً، فإنه يأخذهما إلى منزل أمهما مباشرةً.

كانت عاطفة والدهما تجاههما مشروطة تماماً، ولم يخف ذلك قط.

تلك المنازل التي كان يأخذها إليها فيما مضى هي نفسها تلك المنازل التي صارت تقتحمها بمفردها.

كانت تشارلي تفتش ثلاجات أصحاب تلك المنازل، وتصنع الشطائر من الطعام الذي كان موجودًا هناك؛ تونة ومخلل، الكيمتشي وبقايا لحم، حلوى التوفو وجبن البري. كانت تحاول ارتداء الملابس من خزانة ملابسهم، والاستلقاء على أسرّتهم. وفي بعض الأحيان، عندما كانت تتأكد من أن الناس الذين يعيشون هناك في إجازة أو غير موجودين لأي سبب، كانت تسبح في مياه تلك البرك البلورية التي أسسها والدها، وتحقق إلى السحاب.

كانت تتظاهر بأن تلك العائلات هي عائلاتها، وأن شخصًا ما في الداخل سرعان ما سيدعوها لأداء فروضها المدرسية، ويوبخها لعدم ارتدائها لواقى الشمس ولقطرات الماء التي تقطر من جسدها المبلل على السجادة.

في أحد تلك الأماكن شاهدت برنامجًا تلفزيونيًا كانت الضيفة فيه واحدة من سحرة الظلال. كانت تشرح عن سحر الظلال، مع وجود ثلاثة نماذج حاضرة لتتباهى بما تجريه من تعديلات عليها. كان أحدها لظل طائر. وللظل الثاني قلب مقطوع وبارز من صدره. والظل الثالث يرتدي تاجًا ترتفع حوافه عاليًا عن الرأس المظلل.

عندما سألتها المضيف عن الاستخدامات الأخرى للسحر، ضحكت ساحرة الظلال وتساءلت بدورها: «أليس ما رأيته كافيًا؟».

«لماذا كنتِ مختبئة ومنعزلة عن العالم لفترة طويلة؟». سألتها المحاور في التلفزيون، فاتخذ الحوار منحى آخر.

استمعت تشارلي، بينما المثلجات المسروقة على حِجرها وملعقة الحساء في يدها، إلى شرح المرأة بخصوص كيف أن سحرة الظلال الأوائل لم يكونوا على دراية أو اتصال ببعضهم، كما اكتشف بعض منهم تخصصات جديدة وفُقدت تلك الاكتشافات بوفاتهم. كانت

هناك بعض الرسائل دليلاً على أن بعضاً منهم وجد بعضاً آخر بطريقة ما، وتبدلت بعض البرقيات العشوائية بينهم في حقبة الأربعينيات. لكن الأمور لم تتغير حقاً حتى حقبة الثمانينيات. بعدها تطورت الكثير من ممارسات سحر الظلال المعاصرة داخل بعض المنتديات المقفلة على أصحابها، وذلك عندما أدرك الناس ذوو الظلال - التي أُوقِظت وأخذت تسعى إلى التحرر والانفصال عن أصحابها - في جميع أنحاء العالم أنهم ليسوا وحدهم.

كانت تشارلي تحدد إلى النموذج الذي كان لظله ثقب على شكل قلب، ثم تساءلت كيف سيكون شعورها لو حلت مكانه.

وحين كانت تشارلي تغادر تلك المنازل التي اقتحمتها بمفردها، لم تكن تأخذ معها أي شيء على الإطلاق.

10: أكثر الأعمال حماقة وخطورة

عند النظر إلى الرجل الميت على أرضية حانة رابنتشر، أدركت تشارلي أن عليها أن تفعل شيئًا ما، لكن صدمة الأحداث العنيفة التي جرت قبل قليل جعلتها تتجمد في مكانها.

فينس - حبيبها فينس، المتزن لدرجة أنه لم يتفاعل حتى عندما دفعه أحدهم بقوة - قتل شخصًا ما.

ولم يدرك أنها رأته.

إذا عادت إلى التمدد على الأرض والاستلقاء على الزجاج المبلل، يمكنها التظاهر بأنها كانت فاقدة للوعي طوال الوقت. فقط عندما يلمسها سترمش بعينيها في وجهه مثل بياض الثلج في القصة المشهورة، وكأن قطعة التفاح المسمومة خرجت من حلقها. ثم يمكنه ساعته اختلاق أي كذبة يختارها بشأن حقيقة ما حدث ويمكنها أن تهز رأسها مُوافقةً على أيِّ مما سيقول. مثلًا: أوه، ذلك الرجل الميت؟ يجب أن يكون قد داس على قشرة موز.

بدلاً من ذلك، سحبت تشارلي نفسها ووقفت على قدميها، متمسكةً بأعلى حافة خشب المشرب. ثم جعلت نفسها تبدو مندهشةً من وجوده هناك وهي تتساءل: «فينس؟ كيف دخلت؟».

حوّل الضوء ملامحه بشدة فصارت حادة، وتذكرت كيف وجدته مخيفًا في تلك الليلة الأولى للقائها به في الحانة، قبل أن يتكلم معها.

لقد شاهد نظرتها تنتقل من عنده إلى الرجل الميت، وتستوعب منظر عنق هيرميس المكسور. بدا وجه فينس خاليًا من أي تعبيرات بشكل مرعب. ثم قالت لنفسها: استمري في التعبير عن دهشتك، وكان كل شيء هنا مفاجئًا للغاية.

قال فينس وهو يقترب منها: «لقد رحل. أنتِ تنزفين».

من المضحك أن بمقدوره أن يقتل هيرميس من دون أن يقول إنه ميت. بل اختار التعبير اللطيف المهذب. رحل.

رحل بعيدًا جدًا.

أكدت تشارلي: «أنا بخير»، رغم أنها لم تكن متأكدة من حالتها على الإطلاق. جسدها كان يتألم من الاصطدام بالزجاجات ونثارها المنتشر. لقد شعرت بلسعات حادة من الجروح السطحية وربما كانت هناك شظايا زجاج صغيرة داخل صدريتها. كانت أفكارها مشتتة.

أيضًا، كانت هناك جثة في منتصف الحانة.

جثة كان ظلها لا يزال يتحرك ويتلوى ويسحب الرجل الملتحي وكأنه يريد أن يتحرر. ارتجفت تشارلي، وكان شعور عميق بالرعب يسري في جسدها: «ما... هذا؟».

«سيستقر بعد دقيقتين». قال فينس ذلك بعد وهلة حيث كان كلاهما يحدق في الظل وحركته المضطربة.

«هل هو ظل مستقل، شرير؟».

لم تفهم تشارلي تفاصيل كيفية إجراء عملية تبادل الطاقة بالطريقة التي تفيد سحرة الظلال، لكنها أدركت ما يكفي لتعرف أنهم كلما ربطوا أنفسهم بظلمهم أكثر، صار بإمكانهم فعل المزيد. يمكن لساحر الظلال أن يترك ظله يسحب طاقته مباشرة، لكن يمكنهم أيضًا وضع أجزاء من نفسه - ذكريات لم يعد يريدوها، ورغبات تخجله، وعواطف وقفت في طريقه - في ظله. عند وفاة أحد سحرة الظلال، يمكن أن يتحول ذلك الظل إلى ظل مستقل أو منفصل أو متحرر على اختلاف التسميات وثبات المعنى. الظلال المنفصلة، تنفصل ليس فقط عن الإنسان، بل أيضًا عن حالتها الإنسانية؛ بحيث لا يغدو هناك فارق

كبير بينها وبين الحيوانات، وقد جعل سحرة الظلال من بين أعمالهم مطاردة هذا النوع من الظلال. بينما يمكن لأنواع أخرى من الظلال أن تفكر وتعقل. كانت تشارلي قد رأت القليل جدًّا من الظلال المنفصلة، ولم تتوقع قط أن تشهد ميلاد أحدها أمامها.

تجنب فينس نظراتها وهو يقول: «من المحتمل أن يكون».

فكرت تشارلي في ظل بول إيكو، والطريقة التي مُزّق بها كما لو أن ظله قد قُتِل بطريقة مختلفة عنه. ثم فكرت في فينس، الذي بدا وكأنه يعرف الكثير عن سحر الظلال أكثر مما كانت تعتقد.

«هل الظل يحتضر؟». سألته تشارلي بصوت خافت.

أوماً برأسه وأضاف: «ما لم يُقطع أو يتحرر، فسوف يموت».

تذكرت تنفّس الظل في رثتها. تذكرت الضربة التي تلقتها من يده. قد يكون من المثير للشفقة أن تشاهد هذا الشيء وهو يعاني، لكنها كانت سعيدة لأنه لم يستطع الوصول إليها. وسيسعدّها أنه سيختفي قريبًا.

هز فينس رأسه: «هل يوجد أحد هنا غيرك؟».

نظرت تشارلي نحو الغرفة الخلفية. لقد سارت أوديت والأخريات باتجاه المخرج خلف المسرح قبل دقائق، لكن من الممكن أن تكون واحدة منهن أو أكثر قد حبست نفسها في المكتب بدلًا من المغادرة، «ربما».

أوماً برأسه موضحًا: «يجب أن أنقل الجسد إلى شاحنتي. هل ستكونين بخير وحدك؟».

«قلت لك إنني بخير». ثم وضعت تشارلي كلتا يديها على حافة المشرب. لقد شعرت بدوار خفيف، لكن هذا كان كل شيء.

أوماً برأسه كما لو أنه لم يصدقها، ولكن لم يكن لديه الوقت للجدل أيضًا.

خرجت تشارلي من خلف المشرب، وسارت ببطء وحذر حول الزجاج. كانت أجزاء منه بالفعل قد تسلت إلى قاع حذاءها الكروكس؛ ما جعله يُصدر أصواتًا مزعجة مثل أحذية الرقص المزودة بنعال من المعدن.

صار حذاؤها زجاجيًا بمعنى ما.

بحذر شديد، انتقلت باتجاه طاولة. كانت هناك شمعة لا تزال مشتعلة عليها، لكن معظم الشمعة قد سال والزجاج قد اسود.

حدث ذلك عندما انفصل الظل عن صاحبه هيرميس وذهب باتجاه تشارلي مباشرةً.

كان العقيق اليماني مفيدًا بطريقتين لإيقاف الظلال المنفصلة حيث كان يضعفهم ويجبرهم على أن يتصلبوا، بحيث يمكن للسكين المصنوعة من العقيق ذاته أن تقطعهم مهما بدوا شفافين. لكن تشارلي لم يكن لديها أي عققي يماني، وما يؤدي الظلال أكثر هو ألمع ضوء؛ النار.

أمسكت تشارلي بالشمعة وهي غير مهتمة بكيفية تناثر قطرات الشمع الساخن على معصمها أو لسع الزجاج لأصابعها. ثم وجهت الشعلة نحوه ورمته بها مباشرةً. اشتعل الظل، وتوهج مثل الفرشاة الجافة.

للحظة، حدقت إلى الضوء المتراقص والشمع المنسكب وأصابعها المحترقة.

كان فينس يحدق إليها مندهشًا، وقال: «تفكير سريع».

ألقت تشارلي جسدها على كرسي قريب وهي تهز رأسها.

حمل فينس جسد الرجل فوق كتفه، وكأنه غزال ميت أو شيء ما ثم توجه نحو الأبواب
المزدوجة للحانة.

هل كان هذا أول شخص تقتله؟ تأرجحت الكلمات على لسان تشارلي ثم ابتلعتها. كانت
وظيفته هي تنظيف مسارح الجريمة. إنها تود أن تصدق أن هذا قد منحه شيئاً من الدراية
عندما يتعلق الأمر بالتعامل مع الموتى، كما أنه سبب لهدوئه الشديد. لكن قتل شخص حي
يُعد شيئاً مختلفاً تماماً.

كان شقيق حبيبها السابق - الذي أطلق عليها الرصاص في النهاية - في السجن بسبب
اقتحامه محلاً لبيع الخمر. لقد أخبرها بأن المرء بعدما يقتل لأول مرة، فإن عقله لا يعمل
بعدها بصورة طبيعية. إن أمثال هؤلاء يرتكبون أكثر الأعمال حماقة وخطورة، وتعمل
عقولهم بأدنى طاقتها. لهذا السبب، وحتى لو كانوا دقيقين في العادة، وحتى لو خططوا
لكل شيء، فإنهم يبدؤون في إفساد خططهم بأنفسهم. إذ يفعلون أشياء لا معنى لها، مثل
السماح بدخول رجال الشرطة إلى مسرح الجريمة وهو مغطى تماماً بالدماء، أو استئجار
سيارة هروب باسم الواحد منهم.

لم يكن فينس يتصرف على هذا النحو، كان واثقاً. لقد فعل هذا الأمر من قبل.

ولم يكن تاريخه مع القتل هو السر الوحيد الذي كان يحتفظ به، نظراً للطريقة التي تحدّث
بها عن ظل ذلك الساحر. كان يعرف الكثير عن هذا العالم أكثر مما يفصح عنه. بقدر الأمور
التي كانت تخفيها عنه، فإنه يحتفظ لنفسه بالكثير من ناحية أخرى.

نظرت إلى سروال الدراجة الغبي الذي كانت ترتديه، وإلى فستانها المطاطي المبلل بالبيذ
المنسكب. كانت حبات الدم تنبثق على طول ربلتي ساقها حيث ضربتها شظايا الزجاج،
وعندما نظرت إلى ظهر يديها، فوجئت عندما وجدت أنها تنزف أيضاً.

كان من الصعب عليها أن تلوم فينس. مهما كانت أسرارها، لا يزال بإمكانها الاعتماد عليه. في تلك اللحظات كان يتخلص من جثة تورطت معها بملء إرادتها. لا يمكن الاعتماد على شخص لفعل ما هو أكثر من ذلك.

ثم أفلتت ضحكة صغيرة من فمها، ضحكة غريبة.

سقط بصرها على ألواح الأرضية وظلها، فرمشت مرتين، في انتظار أن تتضح رؤيتها. بدا لها أنه يتموج. هل فعل هيرميس شيئًا ما لها؟

في حيرة، انحنت ولمست ظلها على الأرض كالعادة. لكنها عندما تراجعت، تركت وراءها بقعة صغيرة من الدم من جراء الجروح التي في أصابعها.

عندها فقط بدأ الخط الأرضي خلف المشرب يرن، ما جعلها تقفز من مكانها فزعةً.

عادت تشارلي إلى مكانها وراء المشرب، وردت: «نعم؟».

قالت أوديت: «عزيزتي». بدت حينئذ وكأنها شخصية من ماضٍ بعيد، «لقد سمعت صوت اصطدام مروّع ثم هدأ كل شيء».

«هل لا تزالين في مكتبك؟». سألتها تشارلي، وهي تخجل من الطريقة التي لم يخرج بها صوتها متزنًا كما كانت تنوي. «لقد رحل، لكنه ترك فوضى حقيقية. ما كان يجب أن تبقي هنا».

قُطِع الخط. بعد لحظة، سمعت صوت خشخشة. عادت أوديت إلى الجزء الأمامي من الحانة في اللحظة نفسها التي دخل فيها فينس عبر الباب الأمامي المزدوج.

«هل أتت الشرطة أخيرًا؟ لقد اتصلت بهم منذ وقت طويل». نظرت أوديت إليهما وما حولهما من تفاصيل الحانة، وأخذت تستوعب تدمير حانتها ووجود فينس بتعبير وجهه المذهول بعض الشيء.

«لا أحد هنا غيرنا». أدركت تشارلي فجأة أنها ليست بخير. كانت يداها ترتعشان. اعتقدت أنها قد تضطر إلى الجلوس، وفكرت أنها قد لا تستطيع الوصول إلى كرسي قبل أن تفعل ذلك.

تحدثت أوديت: «هل تعرفين ذلك الرجل؟ حاولت إخراج البندقية من الخزانة في الخلف، لكنني لم أستطع تذكّر الرقم السري في غمرة هلعي».

جثت تشارلي على الأرض وأجبرت نفسها على التقاط أنفاس عميقة منتظمة. كان هذا ما تفعله عندما تعاني نوبة هلع. وقد اشتبهت في أن هذه ستكون نوبة هلع وحشية. «ماذا؟».

عبست أوديت في وجهها: «ذلك الرجل. لقد بدا أنه يعتقد أنه يعرفك. ربما يجب أن تقومي عن الأرض. من المرجح أن يكون الكرسي أكثر راحة لك. أنا متأكدة».

«كان يعتقد أنني أعرف شخصًا ما، لكنني لا أعرفه». ربما كانت تشارلي هي الشخص الذي اضطرب عقله ولن يعود إلى حاله السابقة أبدًا. «أنا بخير في مكاني هذا».

جلست أوديت على كرسي مرتفع للمشرب. ثم نظرت إلى جدار زجاجات الشراب المحطم وتنهدت: «لم أعد أفهم العالم بعد الآن. أعتقد أنني أتقدم في العمر».

هزت تشارلي رأسها فيما معناه: «لا لست عجوزًا».

«هل رأيت ما فعله ذلك الرجل؟ باستخدام...». ثم نظرت أوديت نحو الأبواب المزدوجة، بالطريقة التي كانت تنظر بها عندما تدحرج الظل نحوها. ثم أضافت: «لقد رأيت الجزء الرائع من سحر الظلال في صالون الظل الخاص بالتازار، ولكنني لم أر الجانب المرؤّع قبل الليلة».

قالت تشارلي بهدوء: «نعم».

«كان الأمر مريعًا». نظرت أوديت نحو فينس، ثم عادت إلى تشارلي. «هل تعتقدين أن هذا الأمر له علاقة بالتأزار؟».

ثم قالت بعد لحظة: «كان الرجل يبحث عن رجل آخر طرده بالتأزار وحارسه الليلة الماضية».

«لكن لماذا سألك أنت؟». قالت أوديت ذلك، وكان هذا تساؤلًا منطقيًا تمامًا.

فتحت تشارلي فمها، في محاولة للعثور على تفسير يمكن أن يكون هو الآخر منطقيًا عندما قاطعها فينس: «هل توجد حقيبة إسعافات أولية في مكان ما؟ إنها تنزف».

قالت أوديت وهي تنهض عن كرسي المشرب: «نعم، بالتأكيد. في مكتبي».

بادرتها تشارلي: «أخبريني فقط أين...»، لكن أوديت قاطعتها:

«ابقي مكانك...»، ثم توجهت إلى الخلف مرة أخرى.

تهتدت تشارلي، وتعمدت عدم النظر إلى ظلها، الذي ربما كان يتحرك أو لا، وهو الأمر الذي قد يعني أو لا يعني شيئًا. «أنا بخير».

«أنا أعرف». جلس فينس القرفصاء بجانبها ومرر يديه برفق فوق ذراعيها، بحثًا عن الجروح. كانت أصابعه حذرة، مراعية، مثلما يكون حينما يُقبَّلها.

قالت تشارلي: «فينس؟».

أمسك بيدها وابتسم مثل أي محب لطيف، مثل شخص لم يكن يصدق أنها سمعته يتحدث عن السحر، شخص كان يأمل أنها لا تعرف، أو لا تهتم كثيرًا بكونه قاتلاً.

عادت أوديت وهاتفها المحمول مطوي على خدها، وكانت تقول: «لو أنني اتصلت بكم من يوم الجمعة، لكنتم أرسلتم شخصًا على الفور». ثم ألقت حقيبة حمراء عليها رمز صولجان هيرميس بجانب فينس بلا تكليف، وتابعت: «هل تعتقد أن الضرائب التي أدفعها أقل قيمة من غيرها لأنني أدير حانة».

بحث فينس في الحقيبة، وأخذ قطعة من الشاش، ثم رطبها بالماء والصابون من حوض المشرب وقال: «هناك بضع قطع من الزجاج أريد إخراجها».

همست له تشارلي: «من الأفضل أن تذهب، الآن». كانت لديه جثة في شاحنته. وبدا من المستحيل أن تتغاضى الشرطة عن وجود مثل هذا الدليل.

«لحظة». قالها ثم مسح بعض الدماء.

اكتشف فينس ما اعتقدت تشارلي أنها ربما كانت ملاقط للحواجب في حقيبة العدة. تساءلت تشارلي عما إذا كان هناك قلم كحل هناك أيضًا. بمعرفتها بشخصية أوديت، فهذا احتمال مرجح.

خرج الزجاج بسهولة. عندما رأت الشظايا وانعكاسها على اللون الأزرق اللامع لزجاجة شراب الجن، شعرت تشارلي بدوار بعض الشيء، وتمنت لو أنها تناولت جرعة من أي شراب حلو أو مسكر قبل أن يبدأ تضמיד جراحها ولكن آخر شيء احتاجت إليه في ذلك الوقت هو أن يكون تفكيرها مشوشًا.

قالت أوديت عبر الهاتف: «إذا لم تكن الشرطة هنا في غضون عشر دقائق، فسوف أوقظ العمدة نفسه». وأضافت: «تذكّر كلامي، ولتأخذ تهديدي على محمل الجد».

لم يكن لدى تشارلي أية فكرة عما إذا كانت أوديت تعرف العمدة أم لا، لكن ذلك لم يكن مستبعدًا.

قال فينس: «سأراك في المنزل». لم يتوقف عن تضميد ساقها وكانت يداه ثابتتين، كما لو أنه فعل ذلك من قبل أيضًا، وليس القتل فقط.

أخذت تشارلي نفسًا، وأخرجته. كانت أحداث الليلة كلها أشبه بسقوط طويل في بئر. وربما لا تزال تسقط. «نعم، اذهب. عليك أن تذهب».

نهض فينس، ووضع يده على كتفها، ثم اتجه نحو الباب الخلفي.

«إلى أين يذهب رفيقك؟». سألتها أوديت. كانت خلف المشرب تفتش في الأدراج، وتسحب مناديل إضافية وأدوات تقليم المشروبات.

«إنه يريد أن يتجنب رجال الشرطة المحلية». دفعت تشارلي نفسها للوقوف: «ما الذي تبحثين عنه؟».

رفعت أوديت حواجبها الموشومة، ولكن عندما بدا واضحًا أن تشارلي لن تقول أي شيء آخر عن فينس، رضخت. «علبة سجائر قديمة بطعم القرنفل. أعلم أنني وضعت بعضًا منها هنا، ربما قبل خمس سنوات؟ عشر؟ أحتاج إلى شيء. يداي ترتعشان. ربما يجب أن أتناول قطعة حلوى».

وافقتها تشارلي: «ربما».

سألت أوديت: «هل ترغبين في واحدة؟».

تمهلت قليلًا أمام هذا الإغراء، لكنها هزت رأسها بالنفي في النهاية. لم تكن قد شربت أي شيء؛ لذلك بدا لها أنه لا جدوى من تناول أي شيء أقل فاعلية.

أخرجت أوديت زجاجة بلاستيكية من حقيبة يدها، وفتحتها، ووضعت بعض العلكة في فمها. في غضون نصف ساعة تقريبًا، فإنها ستفقد الوعي أو تبدأ في الهذيان.

سألته تشارلي: «هل تمنعين عدم ذكر وجود فينس هنا؟».

قالت أوديت: «لا بأس عمومًا بعدم ذكر وجوده، لكنني أرغب في أن تخبريني بنوع المتاعب التي يتجنبها».

قالت تشارلي، مخترعة قصة درامية كاملة وهي تتحدث: «لا أعرف. قال سابقًا لي إن الأمر يتعلق بأشياء حدثت في طفولته. إننا جميعًا نعاني أشياء كهذه. ما حدث في الماضي لا يهم الآن».

وضعت أوديت يدها على ذراع تشارلي، وضغطت عليها بقوة قائلة: «أوه يا صغيرتي، إن الماضي هو الشيء الوحيد الذي يهم».

وصلت الشرطة بعد خمس عشرة دقيقة، وكانت صفارات الإنذار تدوي وكأنهم كانوا يتعجلون الوصول إلى الحانة طوال الوقت، وليس بعد خمس وخمسين دقيقة كاملة من الاتصال بهم. سمحت لهم أوديت بالدخول، ودونَ محقق يُدعى خواريز إفادة تشارلي بأن رجلًا غريبًا قد دخل المكان ودمره. ثم أبدى دهشته عندما أوضحت أوديت أنه لا توجد كاميرات لأنها تؤمن بخصوصية زبائنهما. لم يقل أحد أي شيء عن الظلال أو السحر.

أخبرهما المحقق خواريز أنه سيكتب تقريرًا وأن مصورًا وشخصًا من الطب الشرعي سيأتيان غدًا لتوثيق الأضرار. ثم أعطى أوديت بطاقته وقال إنه سيكون على اتصال بها. فيما تشككت تشارلي في أنه سيتصل بأوديت مجددًا.

11: نجم أكثر إشراقًا

دخلت تشارلي سيارتها الكورولا وشغلتها، وتركت الهواء الدافئ من السخان الذي بالداخل يحتويها. كانت ترتاح على مقعد الراكب حقيبة بها الفستان اللامع والشعر المستعار الذي أحضرته للدخول والخروج من الفندق الذي ستذهب إليه. سيسهل تغيير مظهرها عليها خداع آدم والاستيلاء على المخطوط الذي لديه.

كان الوقت على لوحة السيارة هو الثانية والنصف. تلقى هاتفها المؤقت ثلاث رسائل نصية غاضبة، والتي بلغت ذروتها في رسالة مزعجة من آدم حذرتها أنها إذا كانت تعبت معه، فإنه سيحطم رأسها. أرسلت له رسالة اعتذار متعللة بتعطل السيارة، لكنها لم تتسلم ما يفيد تسلمه للرسالة. ربما كان قد حذر رقمها.

في هذه الأثناء، كان فينس ينتظرها في المنزل.

وضعت تشارلي رأسها على عجلة القيادة والتقطت نفسًا مرتجفًا.

على الأقل فإن سيارتها تعمل هذه المرة. قادت سيارتها إلى المنزل، وقطعت الطريق الطويل الذي لا يمر بالزقاق حيث شاهدت جثة بول إيكو قبل ليلتين.

لم تكن شاحنة فينس هناك عندما صفت تشارلي سيارتها في مكانها بالمرر.

بالطبع لم تكن الشاحنة هناك لأنه كان يتخلص من الجثة، ومَن كان يعلم كم من الوقت سيستغرقه ذلك أو ماذا سيترتب عليه. قدّم دماغ تشارلي، المزعج لها وغير المفيد في حالات كهذه، صورًا من الأفلام للكيفية التي سيخفي بها فينس الجثة؛ كتل خرسانية مربوطة بأقدام الجثة، وحمامات حمضية، وآلات لتقطيع الخشب، وهلم جرا.

عندما نزلت من سيارتها، كانت أطرافها متيبسة وترتجف، وعاودها الشعور الذي كان ينتابها حينما تتم مهمة معينة وتعود إلى المنزل. كانت تعود من بعض عمليات السطو المخططة والمنقّدة بشكل محموم إلى عالم لم يبد لها ساعتها أنها تنتمي إليه. مثلما كان يحدث في تلك الأوقات، بدا لها غرائبًا على نحو ما أن تسير في الفناء الأمامي الصغير نفسه للمنزل، والذي في حاجة إلى قص وتشذيب أعشابه، عبر الشرفة الأمامية نفسها التي بها مصباح غير مضاء ومتسخ وملقى على جانبه.

عندما فتحت الباب، سيطر عليها الإرهاق مع انحسار فورة الأدرينالين الذي غزا جسدها قبل ساعات.

كانت بوزي تقف عند الموقد، وتقلي اللحم المفروم والبصل. رفعت ناظرها أكثر بينما ينغلق الباب خلف تشارلي بصوت عنيف ثم شهقت متسائلة: «ماذا حدث لك؟».

«جاء شخص ما إلى الحانة باحثًا عن رجل آخر. ذاك الذي أخبرتك عنه، ذو الظل الممزق. وقد تعرضت للقليل من المتاعب».

وضعت بوزي يدها على وسطها مرددة في استنكار: «القليل؟».

تظاهرت تشارلي بأن الأمر بسيط، وقالت: «كان يمكن أن تسوء الأمور أكثر. ماذا تطبخين؟».

«إسباجيتي البولونيز. من يهتم؟ هل ستخبريني ما الذي حدث حقًا؟».

كان عليها أن تقول شيئًا. واحتاجت إلى دقيقة أو دقيقتين لمعرفة كيفية تنشيط دماغها من جديد، ثم قالت: «بعد الاستحمام. لقد أغرقتني سوائل الخمر في الحانة. إنه أمر مثير للاشمئزاز، ومع وجود الكثير من الجروح في جسدي يصبح الأمر عذابًا لا يُطاق».

دفعت بوزي الملعقة المعدنية بعنف عبر اللحم، ثم صاحت: «أين فينس؟ اعتقدت أنه سيوصلك».

«لقد أرسلته ليحضر شيئاً، ضمادات». كذبة غير محكمة مع وضع التوقيت المتأخر في الاعتبار، لكنهم أصبحوا عائلة ليلية بمعنى ما. مثل الخفافيش، بسبب عملهم الليلي وحفلاتهم الليلية والذهاب إلى الأسواق التي تفتح ليلاً أو حتى وقت متأخر. بحلول الوقت الذي يعود فيه فينس بعد التخلص من الجثة، سيكون لدى بوزي مسألة ما ملحة تتعلق بالسحر لتقلق بشأنها.

عندما دخلت تشارلي الحمام، كان من الواضح أن بوزي كانت تقاوم رغبتها كي لا تلقي خطاباً آخر حول كيف أن هناك شيئاً ما خطأ بخصوص شخصية فينس.

تعلم بوزي ماضي تشارلي بوصفها لصة. كانت تشارلي قد أحضرت لها في وقت سابق عدداً من الكتب إلى المنزل؛ نسخاً رقمية كان مشكوكاً في قيمتها وموثوقيتها قليلاً ولكنها لا تزال مثيرة للاهتمام، ولمرة واحدة أحضرت لها مجلداً ضئيلاً عن أساسيات سحر الظلال يعود إلى بداية العصر الصناعي. لكن ما تجنبت تشارلي هو إخبار بوزي بالأشياء المخيفة في ماضيها؛ الأوقات التي كاد يُقبض عليها خلالها، وعمليات الاحتيال التي أخذت منحى خطراً، والطرق التي استخدم بها سحرة الظلال السحر ضد بعضهم بعضاً وضد الناس الذين ليس لديهم ظلال منفصلة ومستقلة.

كان من الأسهل تصوير حياتها المهنية بأكملها على أنها سلسلة من المغامرات التي بلا مخاطر حقيقية. وكان بمقدور تشارلي إذا حكّت قصة ملفقة متماسكة عن سيرتها المهنية، أن تؤكد لشقيقتها الصغرى أن كل ما مرت به كان عادياً ولم يكن خطيراً.

كان حمامهم المشترك الصغير يحتوي على حوض واحد لغسيل الوجه، وحوض استحمام مغطى بستارة شمعية رخيصة الثمن يعلّق بها بعض الصابون الجاف، وملعقة بخطافات بلاستيكية حولها. أدارت تشارلي صنوبر المياه لينزل منها الماء ساخناً بأي قدر يكون.

عندما بدأت الغرفة تمتلئ بالبُخار، خلعت تشارلي ملابسها بعناية. حتى بعد أن بذلت قصارى جهدها لإزالة الغبار عن شعرها وتنورتها، وجدت شظايا صغيرة من الزجاج مرئية على جلدها. بعد أن كورت سروالها القصير ورطبتته، حاولت مسح آخر الشظايا به. عندما انتهت، لفت كل ملابسها ودفعتها في سلة المهملات المعدنية الصغيرة، وألقت فوقها مجموعة من المناديل الورقية. لم ترغب قط في ارتداء أيٍّ منها مرة أخرى.

سرت تموجات قشعريرة قوية في جسدها عندما ضرب الماء الساخن بشرتها. انتشرت رائحة الكحول العطنة في أبخرة حولها. ثم هاجمتها صور الليلة التي مرت بها؛ مطر الزجاجات، والشعور ببرق يطقطق على جلدها بينما يهاجمها الظل، ثم انعكاس صورة فينيس في المرايا اللامعة قربها وهو ممسك بالرجل الملتحي والظلام الكثيف يغزو عقلها ويشوش وعيها، والنكهة اللاذعة للظل على لسانها. ثم فكرت في كوكبة الأسماء، بول إيكو، والهيروفانت، وهيرميس، وإدموند كارفر، وليونيل سولت. فكرت في الظل الممزق والعظام البيضاء البارزة.

أجبرت تشارلي نفسها على صب بعض صابون النعناع في يديها وفرك نفسها، ثم شطف شعرها مرتين وفرك جلدها بقطعة قماش قوية لدرجة أنها تحولت إلى اللون الوردى. عدد قليل من الضمادات التي وضعها فينيس كانت تنحل بالفعل، وتحوم في ماء الحوض لتلتصق بفتحة الصرف.

أه، فينيس، فينيس الذي كان يخفي الكثير. سرت بها موجة من الغضب مردداً فكرة أنه، من بين جميع الناس، كان يخدعها.

كان يجب أن تلاحظ. كان شخصاً بلا أي تفاصيل تخص حياته وتربطه بآخرين، وهذا أمر مريب حتى بالنسبة لشخص تخلى عن حياته القديمة تماماً. لا أحد بمثابة لوحة بيضاء، من دون أعداء أو أصدقاء. لا أحد يقابل فتاة ويحبها بشدة على الفور لدرجة أنه يكون على استعداد للانتقال معها ومع أختها غريبة الأطوار، بل على استعداد لدفع نصف الإيجار على الرغم من أنه يشغل ثلث مساحة المكان.

لقد قال إنه يريد ألا يُذكر اسمه في عقد الإيجار بسبب تاريخه الائتماني السيئ. وهذا سبب امتلاكه هاتفًا محمولًا مسبق الدفع، كما أنه يعمل بشكل غير رسمي لحساب صاحب العمل. لكن ألم يكن الأمر أفضل على هذا النحو؛ لأنه يحضر راتبه بالكامل إلى المنزل؟ كانت كل التفاصيل منطقية بشكل منفصل عن بعضها، لكنها الآن مجتمعة تسبب لها ضيقًا وتبعث في نفسها شكوكًا عديدة.

لقد أنقذ حياتك.

مهما كانت الأسرار التي يحتفظ بها، فإنها لا تستطيع إنكار ما فعله. كانت سعيدة بأن هيرميس مات وأنها كانت على قيد الحياة.

هل كان فينس ساحرًا للظلال؟ كانت هناك طريقتان معتادتان للتأكد. إذا سلطت ضوءًا من اتجاهين مختلفين على شخص عادي، فإن ظله ينقسم. لكن الظل المنفصل يظل ظلًا كاملًا. الطريقة الثانية كانت اللسان المنقسم الذي يملكه معظم الظلاميين.

كان لسان فينس كاملًا، ولم تكن هناك طريقة لاختبار ما إذا كان ظله قد انشق لأنه لم يعد موجودًا أصلًا. ولكن إذا لم يكن فينس من سحرة الظلال، فمَن يكون إذن؟ ماذا خُلف وراءه في حياته السابقة؟

لفت منشفة حول نفسها، وخرجت من حوض الاستحمام حافية القدمين، وقطرات الماء تقطر على البلاط.

وبينما كانت ترتدي ثوبها، لمعت في أرجاء الغرفة أنوار المصابيح الأمامية لسيارة ثم تلاشت. كان فينس يركن سيارته في الممر. ولكنها عندما عادت إلى المائدة لم يكن هناك، على الرغم من أن الطعام كان جاهزًا، ومكرونة الإسباجيتي تطلق أبخرتها وهي على الطبق. ملأت تشارلي وعاء وجلست، ثم أدارت شوكتها في المكرونة والصلصة الحمراء.

قالت بوزي: «تشارلي».

«نعم؟». كان هناك شيء ما في صوت أختها جعلها تنظر إلى الأعلى بقلق. كانت نظرة بوزي مركزة على مشمع الأرضية.

قالت بوزي بصوت خافت: «هناك شيء ما غريب في ذلك».

نظرت تشارلي إلى الأسفل. لم يكن هناك تموج، لكن كان هناك تأخير طفيف بين حركتها وحركة ظلها. من جميع النواحي الأخرى كان ظلها يتبع حركاتها تمامًا، ومع ذلك كان لدى تشارلي شعور مزعج بأنه يحاكيها ولا يعكسها بدقة.

«هل تعرفين ما خطبه؟». سألت تشارلي وهي تفكر في مقال قرأته سابقًا بعنوان عشر طرق لتنبية ذلك، وفقًا لموقع بازفيد، ومنها: ضع كيسًا على رأسك. احبس أنفاسك تحت الماء. اضرب بيدك بمطرقة. الشيء الوحيد الذي لم يُذكر هو: التعرض لهجوم من ظل آخر.

عبست بوزي كما لو أن هذه كانت بداية نكتة سخيفة. وسيكون الأمر كذلك إذا ما حصلت تشارلي على أكثر شيء تريده بوزي؛ أي الظل المنفصل. لم يعرف أحد سبب انفصال بعض الظلال عن أجساد أصحابها بينما لا تفعل ظلال أخرى ذلك أبدًا. بدت الصدمة وكأنها عنصر مساعد على حدوث هذا الأمر، لكنها ليست طريقة مؤكدة. لكن إذا صار لدى تشارلي أي نوع من أنواع السحر الحقيقي، حسًا، سيغدو من الصعب التفكير في تجاوز فكرة أن أختها ستكرهها.

سألت بوزي وهي تسعى إلى تغيير الموضوع: «هل ستخبريني بما حدث؟».

تهتت تشارلي وأجابت: «غيّر الرجل الدخيل شكل ظله في الحانة. أصبح صلبًا. وأخذ يضرب الأشياء هناك ثم ضربني أنا».

سألت بوزي: «هل ينتمي إلى إحدى العصابات؟». فكرت تشارلي في سولت ثم هزت رأسها: «أعتقد أنه كان يعمل لحساب شخص مستقل».

بدأت أختها متشككة. «هل أخذت منه شيئاً؟».

«ليس بعد.» وقفت تشارلي، ومشيت بصحنها نصف الفارغ إلى الحوض. وبينما تفعل، رأت أن الشاحنة البيضاء في الممر، كانت متوقفة، والأنوار مطفأة. ولم يبدُ أن أحداً كان جالساً بالداخل. ثم تذكرت انعكاس ضوء المصابيح الأمامية: «هل عاد فينس؟».

هزت بوزي كتفها كما لو أن هذا شيء لا يمكن أن يثير اهتمامها بأية حال: «لا أعرف».

«سأذهب لأرى ما إذا كان بخير.» وضعت تشارلي قدميها العاريتين في زوج من أحذية العمل - التي تخلص منها فينس في وقت سابق - بالقرب من الباب والذي كان نعله مغطى بالأوساخ. كان الحذاء كبيراً جداً وقد انزلت قدمها بداخله، لكنها اعتقدت أنها تستطيع السير به مع ترنُّح بطيء.

«إنه على ما يرام. لماذا لا يكون؟». سألتها بوزي ثم وقفت: «سأتصل ببعض الأصدقاء. لدينا دردشة الليلة».

حذرتها تشارلي: «لا يمكنك إخبار أي شخص بما قلته لك».

قالت بوزي غاضبة، وكأن فكرة عدم إخبار الناس فكرة سخيفة: «لا داعي للقول إن ما حدث، حدث لأختي بالذات». أصرت تشارلي: «لا تخبري أحداً بأي شيء».

قالت بوزي وهي ترفع هاتفها لتصوير ظل تشارلي «مهما يكن». لكنها عندما رأت تعبير وجه تشارلي الصارم، تنهدت بعمق وبررت موقفها: «أنا أحاول فقط اكتشاف ما الشيء الغريب والمستجد في ذلك».

كانت تشارلي تنتظر من بوزي على الأقل أن تتجاهل احتمال امتلاكها ظلًا منفصلاً وأن ذلك في ذاته يُعد مصدر ارتياح لها. وحتى إذا شعرت تشارلي بقدر ضئيل من خيبة الأمل من جرّاء عدم حدوث ذلك، فقد تجاهلت الأمر.

توجهت تشارلي إلى الخارج، ثم قطع أفكارها حول هذا الموضوع صوت صفق الباب الخارجي. كانت قدماها تتدحرجان في حذاء فينس الكبير جدًا، بينما كانت تتجه إلى جانب المنزل، وقد أحكمت رداءها على جسدها بسبب هبّات النسيم الثلجة من حولها. وجدت فينس جالسًا على الدرج الخلفي، يحدق إلى النجوم.

يبدو أنه فقد سترته. كانت يدها مطويتين على ركبتيه، وجبهته تركز على معصميه، وقميصه مشدودًا على كتفيه. أعطى مصباح استشعار الحركة الموجود فوق الباب الخلفي توهجًا ذهبيًا خافتًا، وتحلّق العث في دائرة حوله، مرسلاً ظلالاً صغيرة على جسد فينس الخالي من الظل. لا بد أنه كان جالسًا هناك منذ فترة من الوقت.

عندما استدار، كان وجهه بلا أي تعابير محددة كما لو أنه تعمد أن يُبرزه بهذه الطريقة لها.

أراحت تشارلي يدها على جلد ذراعه البارد، فالتقط نفسًا عميقًا.

تساءلت: «هل أنت بخير؟»، فأوماً بالإيجاب.

خطر لها في تلك اللحظة رغم قلقها كم كانت تحبه. كان يجب عليها أن تدرك ذلك في منزل بارب، عندما كانت غاضبة للغاية من سوزي، أو عندما واصلت التحقق من الصورة التي في محفظته، أو في أي لحظة قبل هذا، عندما اكتشفت مدى ضآلة معرفتها به.

رفع رأسه ليسألها: «هل تعتقدين أن النجوم لها ظلال؟».

تابعت نظرتة. كانا قريبين بما يكفي من سبرينجفيلد كي يجعل التلوث الضوئي سماء الليل باهتة، لكن المجرات لا تزال متألئة فوقها. كان القمر قد أوشك على إنهاء ليلته تقريبًا

والاستلقاء على سريرهِ عند الفجر.

قالت تشارلي، وهي تتذكر الاستلقاء على الأريكة قبل أشهر حيث كان رجل ذو صوت عميق يشرح الظواهر الكونية على تلفزيونها، في أثناء محاولتها إقناع نفسها بالتقدم لوظيفة جديدة: «إذا كان هناك نجم أكثر سطوعًا مثل النوع الذي على وشك أن يصبح ثقبًا أسود، ألا يتوهج ويشتعل أولًا؟».

أومأ فينس برأسه: «النجوم الزائفة. إنها تشتعل وتتوهج وهي تحتضر. أعتقد أن هذا من شأنه أن يعطي أي نجم آخر قريب ظلًا».

فكّرت تشارلي في الشيء المرعب والمحير بخصوص الرجل الملتحي. لقد فكرت في الكيفية التي سارت بها ليلة فينس، من سعيه لإنقاذها إلى التخلص من جثة الشخص الذي اعتدى عليها. ليس معنى أنه كذب عليها أنها لم تكن متعاطفة مع مدى الفظاعة التي تعرّض لها خلال الساعات القليلة الماضية. حتى لو بدا هادئًا، حتى لو كان قد قتل من قبل، فهذا لا يعني أنه بخير. ربما لم تكن الشخص الوحيد الذي تظاهر بأنه بخير في هذه الليلة. ثم أمسكت بيده.

لقد جفل قليلًا، كما لو كانت قد فاجأته.

«كان من الممكن أن يقتلني هذا الرجل». كان من الصعب على تشارلي الحكم على المدة التي بقيت فيها فاقدة للوعي، لكنها كانت مدة طويلة بما يكفي: «لذا، إذا كنت تشعر بالذنب، فلا يجب عليك الشعور بذلك».

قال فينس: «ليس هذا ما أشعر به».

تطلعت إليه في محاولة لقراءة تعبير وجهه. لقد أزعجها أنها لم تستطع تبين ما يفكر فيه أو يشعر به.

قالت: «يجب أن تدخل. الجو بارد وبوزي صنعت الإسباجيتي».

رمقها بنظرة جانبية. كانت تتوق إلى الضغط عليه للحصول على إجابات، ولإخباره بأنها سمعت ما قاله لهيرميس مرة أخرى في الحانة لتطالبه بإخبارها بكل أسراره.

لقد تركت ذلك يتغذى لفترة طويلة جدًا الليلة. لم يبقَ الكثير منك.

وجّه إليها عينيه الرماديتين المجوفتين، ثم قال: «أنا غاضب، وما زلت كذلك».

لاندهاشها، فتحت تشارلي فمها ثم أغلقته مرة أخرى.

«الليلة الماضية، بعد أن غفوت، لم أستطع التوقف عن النظر إلى انتفاخ خديك، تشابك شعرك الداكن، طلاء الأظافر الأسود المتشقق على أصابع قدميك، وتكورك على نفسك كأن حلمًا ما ينتابك. الطريقة التي سحبت بها الملاءة السفلية بعنف في أثناء النوم. نظرت إليك وكان لدي شعور حاد لدرجة جعلتني أشعر بالدوار وبأنني مريض أو خائر القوى». كانت نظرتة مسلطة على العشب الفضي للمرج، ثم أضاف: «ليس من الجيد أن يشعر المرء على هذا النحو».

دق قلب تشارلي. لم يكلمها بهذه الطريقة قط. لم تكن تعتقد أن أي شخص قد تحدّث معها بهذه الطريقة: «فينس؟».

«عندما رأيتك الليلة، ما فعله بك هذا الرجل، وما كان يفعله، أردت قتله. كنت غاضبًا ولم أتوقف عن الشعور بالغضب. لا أشعر بالذنب. أتمنى لو كان حيًا حتى أتمكن من قتله مرة أخرى».

سلبها الدهول أنفاسها. لم يغضب فينس من قبل هكذا. لم يتحدث عن مشاعره بهذه الطريقة. لم يجلس وحده في الظلام يتحدث عن الظلال والنجوم.

ثم التفت إليها قائلاً: «فلتتظاهري بأنني لم أقل أي شيء من ذلك. إذا استطعتِ، فلتتظاهري بأن ما حدث الليلة لم يحدث قط.»

ابتسمت تشارلي وهي تحاول استعادة رباطة جأشها. «إنن ماذا نفعل معًا في هذا البرد؟».

قال لها: «ما تشائين». وقبّلها، قبلة يائسة، كان فمه مليئًا بالكدمات. قبّلها بطريقة لا تشبه الطريقة التي قبّلها بها من قبل. كان رد فعل جسد تشارلي وصدمة رغبتها الحادة غير متوقعة. تحركت شفثاه على طول عظام وجنتيها إلى حلقها، فانغrust أظافرها في عضلات ذراعيه طلبًا للحماية والنأي عن شرور هذا العالم.

أرادت تشارلي أن تكون بقربه، في ذلك الوقت، هنا على هذه الدرجات الأسمنتية. على الرغم من كل ما حدث في تلك الليلة. بل ربما، بشكل مروع، أراد جزء منها ألا تبتعد عن فينس بسبب ما حدث الليلة بالتحديد.

12: الماضي

في المدرسة الإعدادية كانوا يدعونها «الفتاة التي يحبها الجميع»، وهذا بالمعنى السلبي بالطبع، وكان الأولاد يتساءلون فيما بينهم: «هل أقمت علاقة عاطفية مع فلانة؛ أي تشارلي؟». فيما كانت البنات يتضحكن بخصوص ذلك. كان هناك بعض الفخر في هذا الأمر؛ أي أن يُنظر إليها على أنها الفتاة ذات الخبرة العاطفية أو الحسية، خصوصًا أن تشارلي فعليًا لم يكن لديها أي خبرة من هذا النوع على الإطلاق. لكن الأمر في الغالب كان مهينًا، حيث كان جسدها الناضج قبل أوانه يجذب الأولاد إليها ويصدهم عنها في الوقت نفسه، كما تتذكر تشارلي أنها كانت تدفع مكتبها ليلاصق مكتب زميلها مات بانشاك الذي كان يقضي معظم وقته في تحريك قدمه تجاه ساقها، ويُعدُّ عدم شكواها دليلًا على موافقتها على مداعباته السخيفة هذه.

لم يأخذ أحد في الاعتبار - في ذلك الوقت - عند تأمل تلك العلاقة أن تشارلي ذهبت إلى روضة الأطفال مع مات.

ولا أنه في إحدى المرات، في أثناء ممارسة الرياضة، تلقى كرة في بطنه ألمته بشدة لدرجة أنه تقيًا، وكانت تشارلي هي من أوصلته إلى مكتب الممرضة.

لا، الجميع كانوا يهتمون فقط بأنها صارت تملك جسدًا أنثويًا فائرًا في تلك المرحلة العمرية، ومدى جاذبيتها للآخرين.

في صف الألعاب الرياضية، بينما كانت تنضج وجسدها يتغير، طرحت دورين كوالسكي على تشارلي جميع أنواع الأسئلة حول موعد الدورة الشهرية لديها، وما إذا كانت تحلق تحت إبطها، وحجم حمالة الصدر التي كانت ترتديها. في البداية، تساءلت عما إذا كانت دورين تريد أن تكون صديقتها ولكن بمجرد أن أجابته تشارلي، هُرعت دورين إلى رفيقاتها المقربات لتُخبرهن بما لديها من معلومات وهي تضحك.

لم يستوعبن وقتها أن نوع الصدريات المناسب لها يشبه ذلك الذي قد ترتديه ممرضة محتشمة في فيلم حربي قديم. لم تكن هناك طريقة لجعلهن يفهمن أن جسدها كان سابقاً لسنها ولأعمارهن، رغم أنهن في المرحلة الدراسية نفسها.

كانت تشارلي تزجج حواجبها بكحل داكن اللون وترتدي ملابس فضفاضة وأحذية طويلة.

لم يكن يبدو أن راند يعرف ماذا يفعل معها أيضاً. عندما جئدها للعمل معه وهي في سن الثانية عشرة، كانت تبدو بالفعل أكبر من عمرها. في الوقت الذي كانت تبدأ فيه مرحلة الدراسة الثانوية، كان جسدها يشي بأنها امرأة بالغة.

لم يساعده كثيراً في هذا الصدد أن تشارلي كانت بارعة في فعل كل الأشياء الخطأ. كانت لديها حاسة مميزة ترصد وجود نافذة أو باب غير مقفل عندما تقترب من المنازل التي ستقتحمها. كانت تنشل ببراعة إلى درجة أن راند لم يسمح لها بالاقتراب منه كثيراً. وعندما كانت تمثل دوراً ما معه، كانت تتقمصه.

لقد أحب فكرة نقل معرفته إلى طفلة لديها بعض المواهب الطبيعية اللافتة والمنحرفة، لكنه لم يكن يريد أن تكون أفضل منه. وبالتأكيد لم يكن يريد أن منافسه له.

«أنت وأنا، نحن متماثلان». كان يذكرها مراراً وتكراراً، في حال نسيت ذلك: «إننا نتظاهر، حتى يحبنا الآخرون. لكنهم لن يحبونا إذا عرفوا حقيقتنا، أليس كذلك؟ لهذا السبب علينا أن نبقي معاً».

في بعض الأحيان، بعد أن تقدم أداءً متميزاً في العمل، يكون في مزاج حاقد عليها. فيناديها باستخفاف: «أيتها الأنسة المحتمالة»، ويحصى كل خطأ ارتكبته، ويعطيها قدرًا أقل مما تستحقه.

ولكن حتى إذا كانت مهارة تشارلي المتنامية تحبطه أحياناً، فمن الواضح أيضاً أنه كان يستمتع بوجود شخص يمكنه الشكوى إليه أو التباهي أمامه. العاقبة الطبيعية لمن يرتكب

فعلًا إجراميًا أنه يجب أن يكون متحفظًا بشأنه، ولم يكن راند شخصًا متحفظًا بطبيعته.

في بعض الأحيان كان بمقدوره أن يكون مرحًا ومسلّيًا. كان يأخذها معه إلى حانة موس لودج في مدينة شيكوبي، حيث كانت مجموعة من قدامى لاعبي الرابكيت يسكرون، وكان يتركها تجلس لتحتسي أقذاح القهوة المحوّجة مع الكثير من الكريمة، بينما كانوا يمتعونها بسرّد القصص المختلفة. كما أُتيح لها الحديث مع عدد من المزورين والنصابين. لقد تعلمت كيفية عد البطاقات من ويلي ليد، الذي أخبرها عن ليتيسيا زوجته الراحلة والتي كانت كذلك أعظم من تسطو سطوًا مسلحًا على متاجر بيع الخمر على الإطلاق.

لقد قال لها ذات يوم بنبرة حزينة: «سرطان الحلق هو الذي قضى عليها في النهاية وليس رجال الشرطة».

كانت حانة موس لودج هي المكان الذي بدأت فيه تشارلي عملها ساقيةً، في الرابعة عشرة من عمرها، حيث كانت تسكب الأنخاب والأشربة عندما لا يريد أي شخص آخر القيام بذلك، وتصنع الكوكتيولات المختلفة وفقًا لتعليمات شديدة الخصوصية.

كان بيني يقول لها: «فقط اخلطي شراب الفرموت بالجن، هذه هي الطريقة الصحيحة لصنع المارتيني». كان عمل بيني هو ملاحقة الأرامل الثريات، وبدا دائمًا بارعًا ومركزًا في القيام بذلك، حتى لو كان في حالة سُكر.

كان ويلي يختلف معه بشدة في رأيه سالف الذكر، ويصرخ بأن نسبة شراب الفرموت من الخليط يجب أن تكون الربع، وأن بيني مخمور فسد ذوقه، هذا لو كان لديه ذوق أصلاً في أي وقت مضى.

فيصيح بيني مجددًا: «إنّ أنت تقول إنني مخمور، حسنًا لو لم تكن قادرًا على الوثوق بشخص مخمور حينما يتعلق الأمر بشراب مُسكر، فبمَن إذن يمكنك الوثوق؟».

أحبتهم تشارلي. أخبرتهم عن جدتها وعن بندقية الصيد، وتفاصيل أن جدها كان جالسًا في مقعده الجلدي الوثير عندما أُعِدِم، جعلتهم يضحكون. وعد ويلي بأنهم سيأخذون تشارلي إلى مؤسسة الإصلاح المركزي في مدينة جاردنر لزيارة السيدة الكبرى ذات يوم، على الرغم من أنهم لم يفعلوا ذلك قط.

التسكع حولهم جعل تشارلي تشعر بأنه ربما لم يكن هناك أي خطأ فيما تفعله أو في نمط حياتها. لا يهم إذا لم تكن لائقة في المدرسة، أو أن جسدها يتغير وتنضج ثماره. كان الأمر على ما يرام حتى ألقى والدا أعز صديقاتها نظرة فاحصة على تشارلي ومن حينها بدأت تستشعر بأنها ستلاقي بعض المتاعب. حتى عندما بدأت لورا نفسها، التي عرفتتها منذ أن كانت في الثامنة من عمرها، تتصرف تجاهها بشكل غريب. كان من الجيد أنها تخلت عن أمل أن والدتها ستلاحظ أن هناك شيئًا غريبًا في اصطحاب راند لها في جولات ورحلات طوال الوقت. كل هؤلاء الأشخاص الذين انتقدوها أو لم يعبأوا بها كانوا مجرد أهداف أو علامات على طريقها، لكنها من ستضحك أخيرًا.

قال لها بيني بصوته الناعم وشعره المضفر والمصفف إلى الخلف: «يجب أن تكوني مثل سمكة قرش في مثل هذا العمل. تشممي وجود الدم في الماء من حولك. كوني أول من ينقض، وبغض النظر عن أي شيء، لا تتوقفي أبدًا عن السباحة».

أخذت تشارلي تلك النصيحة والمال من مهمتها الأخيرة مع راند وذهبت لمن وضع وشمًا على جسدها. لقد أرادت واحدًا، وأرادت أيضًا معرفة ما إذا كان بإمكانها أن تحتال على أحد المتاجر لإعطائها الحبر اللازم بادعائها أنها ليست قاصرًا، على الرغم من أنها كانت على بُعد ثلاث سنوات من الثامنة عشرة.

تضمنت عملية الاحتيال بعض الكلام السريع وتمريرًا لختم مزيف لكاتب العدل، لكنها أنجزت الأمر وحصلت على أول وشم لها. كان لا يزال يؤلمها بعض الشيء وهي تتحرك حيث كتبت على طول ذراعها من الداخل «شجاعة/Fearless» في حلقات بأحرف متصلة،

رغم أن رسام الوشم قد باعد بين الكلمتين بشكل غريب بحيث بدت وكأنها «خوف أقل/Fear less».

لقد ذكّرنا هذا بمن تريد أن تكون، وأن جسدها ملك لها. يمكنها الكتابة في كل مكان عليه إذا أرادت ذلك.

على مر السنين، وبينما كان سحر الظلال ينشأ ويبرز في الوعي العام للعالم بأسره، أصبح راند مفتونًا به بشكل متزايد. لقد كان ينسج عمليات احتيال تركز حول السحر والتنجيم لسنوات، مثل تلك التي كان على تشارلي فيها أن تتظاهر بأنها شبح طفلة. في حين أنه كان يحب بشكل خاص كيف يمكن لخفة اليد أن تثير إعجاب السيدات المسنات الأثرياء، فإنه استشعر أن فرصه ستغدو أكبر باستخدام سحر حقيقي.

لم يكن ويلي معجبًا بذلك وأعلم الجميع في موس لودج بذلك: «عندما كنت طفلًا كان هناك ذلك الرجل، أوري جيلر، الذي كان بمقدوره ثني الملاعق بعقله. خمنوا ما الذي استفاده من ذلك؟ لا شيء. من يحتاج إلى ملعقة مثنية في نهاية المطاف؟!».

رغم ذلك، كان بيني يعرف رجلًا من هؤلاء. عاد راند من الاجتماع مع هذا الرجل متحمسًا وأخبر تشارلي بأنه وعد بمنحهم مالا كثيرا إذا ما أحضروا له شيئا معينًا، ثم أضاف: «ربما لا يعرف الرجل حتى مدى قيمة الكتاب الذي حصل عليه. إنه مجرد عجوز غني، وليس ساحرًا للظلال. نحن فقط بحاجة إلى التعامل وفق المنظور الصحيح في هذه العملية».

سألت تشارلي: «إذا كان الشخص الذي يوظفنا ساحرًا حقيقيًا والشخص المُستهدف بالسرقة ليس كذلك، فلماذا لا يسرقها الساحر بنفسه؟ لماذا لا يرسل ظله للحصول عليه؟».

قال راند: «بسبب العقيق اليماني. إنه يجعل الظلال تتصلب، بحيث لا يمكن أن تتسلل عبر الشقوق أو أي شيء آخر».

كانت تشارلي متشككة: «إذا كان الثري العجوز يعرف ذلك، فمن المرجح أنه يعرف أن كتابه ذو قيمة».

قال لها راند: «يمكننا القيام بهذه المهمة. وإذا فعلناها، فإنه يقول إن لديه المزيد من العمل لنا. إذا كنا جريئين، فسنصبح أثرياء، وأنا أعلم ذلك».

قلبت تشارلي عينيها. كان راند يحلم بالثراء سريعًا بالطريقة التي كانت والدة تشارلي تحلم بها بالحب. كان هذا هو الشيء الذي سيسمح له بأن يعيش حياة الراحة التي كان يعتقد أنه يستحقها، والتي كان دائمًا يظن أنه على أعتابها. دائمًا كان هذا سرابًا يخائله كمن يتوقع العثور على الماء دائمًا فوق الكثيب الرملي التالي.

قال راند: «اسم عميلنا هو نايت، وهذا هو كل ما سأخبرك به. وما دمنا أحضرنا له كتابه، فإنه يقول إننا أحرار في الاحتيال على العملاء الأثرياء الذين يعرفهم والحصول على أي شيء يمكننا الحصول عليه».

لم يعجب هذا الاتفاق تشارلي. كانا يعملان عادةً لحسابهما الخاص. قد يمثل وجود عميل محدد مشكلة لهما.

«دبرت بطريقتي الخاصة اجتماعًا لنا في منزل هذا الرجل، ليونيل سولت. لقد كونت أسرته ثروتها في مجال تصنيع الأجهزة الطبية. وأخبرته بأني وابنتي الصغيرة من علماء السحر والتنجيم الذين يتواصلون مع العالم غير المرئي، والذي يضم الشياطين بطبيعة الحال. وسوف تساعدك تلك الشياطين في تحفيز وتنبيه ظله». بدا راند هادئًا، لكنه استمر في ثني طرفي شاربه.

سألت تشارلي: «ليونيل سولت؟ الرجل صاحب السيارة الشهيرة؟». حتى في ذلك الحين، كانت على دراية بالسيارة الفانتوم السوداء غير اللامعة، والتي كان نصف الأولاد في فصلها يناقشون أمرها بكل التفاصيل.

قال راند باستخفاف: «نعم».

عبست تشارلي: «هذا الرجل لن يأخذنا على محمل الجد، وخصوصًا فيما يتعلق بمسألة الشياطين هذه؟».

لكن راند لم يكن ليتأثر بأي اعتراض منها: «مَن يرد أن يُصدق سيُصدق. إنه يريد أن يحفز ظله، أليس كذلك؟ كل مَن على شاكلته يُصدقون. يمكننا أن نمنحه الأمل».

وهكذا وجدت تشارلي نفسها في مقعد الراكب في سيارته، وهي تمارس حركة تقليب عينيها بقوة كافية بحيث لا يظهر منها سوى البياض. لم يكن هذا أمرًا سهلًا من دون أن تغلق عينيك أولًا، لكنه كان مخيفًا أكثر.

لو كانت تعرف كيفية القيام بذلك عندما كانت تؤدي شخصية ألونسو المُستحضرة من العالم الآخر، لتأكدت من أن والدتها ستهجر ترافيس بعد العرض الأول لها. لقد بدا لها أنها تتقن الأمر إلى حد كبير.

كانت تشارلي تأمل في أن تسير المهمة بشكل جيد بما فيه الكفاية (أو أنها في أثناء وجودها في ذلك المنزل يمكنها الحصول على شيء له قيمة كبيرة) لشراء معطف جلدي كانت تتطلع إلى اقتنائه. لقد رأته في أحد متاجر التوريد مقابل مائة وخمسة وسبعين دولارًا، وفي حين أنها فكّرت في احتمالية أن تكون قادرة على إقناع المالك بإعطائه لها بمقابل أقل، فإن هذا الأقل كان لا يزال كثيرًا بالنسبة لإمكاناتها المالية.

«هل تتذكرين الخطة؟». سأله راند للمرة المليون بينما يقود السيارة.

إنها تتذكرها. سيظهر راند بأداء دور والدها ويشرح أن تشارلي (التي، بالطبع، ستستخدم اسمًا مختلفًا) بدأت الحديث إلى كائنات غير مرئية منذ بضع سنوات. ثم يبين أن الناس أرادوا علاجها من مرض عقلي، لكنه أدرك أن لديها موهبة للتحدث مع كائنات العالم الآخر بما في ذلك أكثر المخلوقات شرًا وعتوًا؛ لذا فقد صقل مواهبها.

أراد راند أن يشعر الرجل بالاشمئزاز منه قليلاً. إذ يثق الناس في أنه عندما يفعل شخص ما شيئاً فظيئاً، فإن العائد من الاستعانة بخدماته يكون حقيقياً.

كل ما كان على تشارلي فعله هو تقديم شيء من التأثير الخاص والمميز. كان عليها فقط أن تكون فتاة خجولة وهادئة حتى يحين الوقت لتقلّب عينيها وتتقيأ عصير البنجر على كل شيء. وأخيراً، ستمنحهم ما قد يُسمّى هدية الشيطان.

يعتقد الأثرياء أنهم محظوظون، وأن أي ثروة ليست لديهم بالفعل يمكنهم شراؤها. إن لديهم الكثير بالفعل، ومن ثم فإن احتمال أن يشعروا بخيبة الأمل الناتجة عن عدم الحصول على شيء ما تغدو أمراً لا يمكنهم تصوره.

قالت تشارلي وهي تنظر إلى الطريق السريع والأضواء المتلاثلة عبر نهر كونيتيكت: «يجب أن تُعلمني كيف أقود السيارة».

نخر راند قائلاً: «أنتِ لستِ كبيرة بما يكفي».

هزت كتفيها لا مبالية: «هل تقصد أنه من غير القانوني أن أقود في سني هذه؟ أوه، لا تمزح».

فندت عنه زفرة ممتعضة، وقال: «أعتقد أنني أستطيع تعليمك. لديّ وقت فراغ الأسبوع المقبل. أنتِ لا تعرفين متى قد يتاح لمثلي وقت كهذا».

انعطفا بالسيارة عبر المخرج، متجهين من المدينة إلى الضواحي ثم إلى حزام الغابات ورائها، حيث كانت القصور موجودة عندما كانت سبرينجفيلد مركزاً للإنتاج فيما مضى.

قضت تشارلي أظافرها، ناظرةً من النافذة. اجتاحتها شعور بالغيثان في معدتها من مزيج عصير البنجر الذي شربته إضافة إلى توتر أعصابها.

دخل القصر حيز رؤيتها بينما أخذ راند المنعطف إلى حيث سيركن السيارة. لم ترَ مكانًا مثل هذا من قبل. كان مثل متحف، أو مكان من قصة خيالية تنام فيه الأميرات الملعونات.

ثم تمت مشيرة إلى ما هما مُقدمان عليه: «هذه فكرة سيئة». لكن راند تجاهلها.

ثم نزل وفتح لها الباب: «هل تعانين الرهاب كالممثل الذي سيصعد على المسرح؟ هل تريد جرة كبيرة من أي شراب مُسكر؟».

ذكَرته: «أنا قاصر، في الخامسة عشرة».

«أوه؟». قال مقلدًا صوتها في سخرية. «هل هذا الفعل غير قانوني؟».

فُتح الباب الأمامي للقصر، ووقف بعقبته رجل صغير أحمر الشعر يحدق إليهما. أدركت تشارلي لحظتها أنها ليس لديها فكرة عن شكل ليونيل سولت هذا.

«هل هناك أي شيء يمكنني مساعدتكما في حمله إلى الداخل، يا سيدي؟». سأل الرجل الذي بدا واضحًا أنه كبير الخدم أو شيء من هذا القبيل.

قال له راند بنبرة عدوانية: «ليست لدينا أجهزة مساعدة». وكأن الفكرة نفسها كانت مهينة. حينئذ كانت تشارلي قد بدأت تلعب دورها بوصفها فتاة بريئة مؤقتًا، وبالتالي لم تقلب عينيها أو تبد أي تعبيرات خاصة على وجهها.

في الداخل، كان بعض من كبار السن يجلسون على مقاعد جلدية خضراء في مكتبة كبيرة. كان ليونيل سولت الحقيقي رجلًا عجوزًا تعلو رأسه قبة من الشعر الأبيض، وبجانبه عصا فضية الرأس. بدا أحد أصدقائه قريبًا منه في العمر، بينما كان الآخر أصغر بعشرين عامًا. قدّم راند نفسه لهم جميعًا ثم أشار فحسب إلى تشارلي، كما لو كانت أشبه بحيوانات الليمور المدربة وليست إنسانة. فيما حاولت تشارلي أن تقرأ خلسة عناوين الكتب.

إن الكتاب الذي كان من المفترض أن يحصل عليه له كعب أحمر وعنوانه كتاب الحب الصغير. لكن من نظرة سريعة على الرفوف، لم ترّه. لقد اكتشفت قسماً مثيراً للاهتمام يحتوي على بعض الكتب تحوي كلمة «سحر» في العنوان. بدا ذلك واعدًا.

كان من المفترض أن تسير الخطة على النحو التالي: يهين راند المسرح ثم تقدّم تشارلي أداءها. إذا كان الكتاب في الغرفة، سيأخذه راند. إذا لم يكن الأمر كذلك، سيستخدمها لتشتيت انتباههم وتقديم بعض الأعذار لتفتيش الغرف الأخرى في المستوى الأول من المنزل. لقد أكد لهم الشخص الذي وظفهما أنه رأى الكتاب هناك.

أدت تشارلي دورها كفتاة خجول متحفظة. لكنها خططت أنها عندما تصبح ممسوسة، ستطلق لنفسها العنان حقًا.

بعدما دُعيا للجلوس. أخذ الرجل ذو الشعر الأحمر أوامره بإحضار الأشرطة المطلوبة. ثم تحدّث راند عن عدة نظريات سحرية مختلفة، وهو يحمل كوبًا من الويسكي في يده، بينما كانت تشارلي ترتشف الماء.

«هل سمعت مقولة (لا أحد يستطيع القفز فوق ظله)؟». سأله سولت.

لم يكن راند قد سمع بها.

«إنها مقولة ألمانية، وتعني أن لكل شخص حدوده».

فرد راند: «لكنك لا تصدق ذلك».

فقال ليونيل: «لا، لطالما اعتقدت أن هناك سرًا للكون؛ طريقًا يمكن للإنسان من خلاله أن يكتسب القدرات الخارقة. وهذا المسار يمر عبر الظلال. أنت تدعي أن بمقدورك إيقاظ ظلي وتحفيزه».

وقف راند مستشعرًا أن هذه هي اللحظة الملائمة: «هل نبدأ إذن؟».

قال أحد الرجال الآخرين: «آه، نعم، حقًا». ثم ابتسم بطريقة لم تُعجب تشارلي.

حدثهم راند فقال: «كما تعلمون أيها السادة، فإن العالم مليء بأمور غريبة ولا تُصدّق لمن يبحث. نحن لسنا من نوع الأشخاص الذين يأخذون الفرضيات بوصفها أمورًا مُسلّمًا بها. نحن مغامرون ومستكشفون للظلام. وهكذا، ستفهمون وتقدرّون عندما أخبركم بمقدار دهشتي حينما اكتشفت مواهب طفلي. إن بمقدورها أن تجعل من نفسها إناءً فارغًا وتسمح لجميع الكائنات ذات الحكمة والقوة العظيمة بالتحدث من خلالها».

في تلك اللحظة تبادل اثنان من الرجال نظرة سريعة،

فيما عضت تشارلي خدها من الداخل. كانت هناك إشارات خفية في المحادثة نبهت غريزة الخطر لديها. كانت تتمنى أن تجد طريقة ما لجذب انتباه راند، ولكن يبدو أن الشراب المُسكر والمحادثة قد لعبا برأسه.

قال أحدهم بنبرة ملول كدّبت بكلماته: «هذا رائع، ما نوع الأشياء التي تكشفها عادةً؟ موقع الكنوز المدفونة؟ أسرار تداولات الأسهم؟».

ضحكوا بفتور. عبس راند، ولاحظ أخيرًا أنه لم يستحوذ على انتباههم منذ البدء. لكنه لم يبدِ انزعاجًا، ولم يبدُ أنه شعر بالخطر نفسه الذي شعرت به تشارلي. ثم تابع الرجل: «لا يمكنني أبدًا معرفة ما سيحدث، لكنني أؤكد لك أن ما ستكشفه سيُكرّس لغرض أسمي. إذا كان الهدف إيقاظ ظل وجعله منفصلًا، فسنوجهه نحو الكشف عن ذلك. لكن ربما أكون مخطئًا بشأنكما. ربما تكونان هاويين في نهاية المطاف».

قال أحدهم: «أحضرا لنا شيطانًا، ما رأيكما في هذا الطلب؟ أريد أن أتحدث إلى كائن من الجحيم».

سأله راند: «هل أنت متأكد؟».

سكت الآخران وابتسما لبعضهما.

ذهبت نظرة تشارلي إلى ركن من الغرفة حيث امتد ظل عبر السجادة. لم تكن قد لاحظته من قبل، ولكن الآن بعد أن لاحظته، لم يعد بإمكانها أن تنظر بعيدًا. لم يكن هناك شيء يمكن أن يصرف انتباهها عنه.

قال راند: «عزيزتي ليكسي، هل أنتِ جاهزة؟».

حوّلت تشارلي نظرتها إليه وأخذت نفسًا عميقًا: «أنا لا أحب فعل هذا». كانت هذه هي الحقيقة، لكنه كان أيضًا جزءًا من دورها.

قال راند وهو يربت رأسها: «أعرف يا عزيزتي». ثم توقف وعبس، وكأن دوره في الكلام انتهى.

بدأت كفاها تتعرقان، لا بد أنه التوتر، كما ظنت.

ثم بدأ راند يتحدث من جديد: «أنا...». ثم تضرّج وجهه بحمرة غريبة: «أنتِ...»

لا، ليست الأعصاب. كان هناك شيء خطأ. كانت معدتها تؤلمها.

التفت أحد الرجال إلى سولت بابتسامة متكلفة: «لقد عمل بشكل أسرع مما كنت أعتقد. كنت أتمنى أن أرى أداءهما».

قال سولت مبتسمًا وهو يهز إصبعه في اتجاهها: «من قبيل الشقاوة المذمومة محاولتك خداعي أيتها الشابة الصغيرة»، ثم عاد إلى صديقيه.

المشروبات. هناك شيء ما وُضع في مياهاها، وشيء آخر في ويسكي راند.

غطت تشارلي فمها، وخفضت رأسها بالطريقة التي خططت لها في أثناء تظاهرها بأنها ممسوسة، ثم غرست إصبعها في مؤخرة فمها، وضغطت على حنكها الصلب. حاولت أن تنقياً فدفعت نفسها عن الكرسي وجعلت جسدها يرتعش كما لو كانت تتظاهر بأنها ممسوسة، ثم تقيأت عصير البنجر على البساط باهظ الثمن.

لقد سمعت صراخاً بينما يقفز الرجال للخلف، لكنها مالت إلى الأمام وأغلقت عينيها وأبقت جسدها ساكناً. لم تسمح لنفسها بالتحرك، على الرغم من أن خدها كان مغموساً في قيئها. تساءل أحدهم: «هل هي تحتضر؟».

«لقد أعطيتها الكثير». تصاعد صوت رجل آخر بنبرة نفور خافتة.

ثم سمعت صرير المفصلات من اتجاه رفوف الكتب. رائحة ورق محترق. دوران قرص خزانة. خليط من أصوات الرجال.

لا تقلق عليها. أحضر الرجل.

هناك تجربة أريد أن أجربها. لنرى كيف يتفاعل ظله مع فقدان الرجل لدمائه.

إذا ماتت الفتاة، فلا يزال بإمكاننا الحصول على دمها.

ثم غامت أفكارها وتشوشت مفضيةً إلى اللاشيء.

وجدت تشارلي نفسها مستلقية على السجادة. كان القماش الذي تحتها لا يزال مبللاً بعصير الصفراء والبنجر. لا يمكن أن يكون الكثير من الوقت قد انقضى.

«شخص ما قادم. لا تتحركي». هكذا همس صوت من ورائها، صوت فتى. تساءلت عما إذا كان هذا الولد موجوداً بالفعل، أم أنه كان صدى لحلم كانت تحلم به قبل أن تستيقظ.

قاومت إغراء الالتفاف. بعد لحظة، سمعت خطى في القاعة؛ نقر نعال صلبة على الأرضية الحجرية. في محاولة لإبطاء تنفسها، بقيت تشارلي ثابتة حتى مروا بها.

بعد أن تلاشت أصواتهم، سارعت لدفع نفسها للوقوف. كان رأسها يدور. مهما كان الشيء الذي وضعوه في شرابها فإنه لم يخرج من جسدها بعد.

قال الصوت: «لا تنظري خلفك».

فتوقفت.

«إذا لم تنظري إليّ، فسوف أُرشدك للخروج من هذا المنزل».

«وإذا نظرت إليك؟». همست.

«إذن فلن أساعدك. إنهم يعتقدون أنك ترقدين في بركة من دمك؛ لذا فإنهم غير مهتمين بأمرك في الوقت الحالي، يمكنك الهرب».

«ماذا عن الرجل الذي أتيت معه؟ هل يمكنني الوصول إليه؟».

كانت هناك وقفة طويلة قبل أن يقول: «لم يعد هناك مجال لمساعدته».

صدمها معنى كلامه، لكنها لم تكن تفكر بذهن صافٍ بما يكفي لتقبله. استيقظت ببطء، وواظنت نفسها من خلال الاستناد إلى رف الكتب. كان أحد المجلدات، وهو كتاب رفيع ذو كعب أحمر موشى بالأسنة الذهبية، موضوعًا على الرف بشكل غريب. الجحيم، هكذا كان عنوانه.

حينما حدقت إليه أدركت أنه ليس كتابًا على الإطلاق، بل رافعة أو ذراع تحكّم.

عندما وقفت على قدميها، رأيت أن أحد جدران الأرفف يتأرجح إلى الداخل، وأن هناك بابًا يؤدي إلى غرفة مخفية قد تُرك مفتوحًا. حتى في حالتها الحالية، لم تستطع منع نفسها من النظر إلى الداخل. كانت هناك مكتبة أخرى، لكن هذه المكتبة كانت تحتوي على كتب أقدم وأكثر قيمة. عُلقَت لوحة زيتية على الحائط البعيد؛ رسم خشن صغير يظهر فيه ماعز أسود على طاولة خشبية، ومعدة مقطعة إلى شرائح، وأحشاء متدلية، وكأس، وثلة من الرمان المرتب في شكل معين بجانبه. مع وجود الكثير من اللون الأحمر، كان على الفنان الذي رسم هذه اللوحة أن يبذل جهدًا مضاعفًا لتمييز البذور البراقة عن الدم.

أخذت تشارلي تستوعب عناصر المشهد، خصوصًا اللوحة والطريقة الغربية التي عُلقَت بها بعيدًا عن الحائط من جانب واحد، كما لو كانت بابًا مستقلًا. هذا هو المكان الذي ستكون فيه الخزانة، خلف اللوحة.

خطت خطوة إلى الأمام، فوق العتبة ثم تفحصت الرفوف. كان هناك مجلد آخر بكعب أحمر. كتاب الحب الصغير.

مدت يدها إليه ثم ترددت: «هل تمانع؟». شعرت تشارلي كما لو كانت في قصة خرافية، وأنها يجب أن تتبع قواعد الحكاية الخرافية. لا تنظري. لكن هل هذا يعني أيضًا أنها يجب ألا تسرق؟

قال الصوت: «ليس لي أن أمانع».

كانت هذه إجابة كافية لها لأخذه من الرف إلى حقيبتها، والتي كانت تتدلى على كتفيها.

«انعطفي خطوتين إلى يسارك». جاء الصوت من خلفها مباشرةً، قريبًا بما يكفي كي ينثر شعر مؤخرة رقبتها، رغم أنها لم تشعر بحرارة أنفاسه. «ستمشين عبر أبواب قاعة الطعام. لا أحد يدخل هناك عادةً؛ لذلك سيتيسر لك المشي إلى درج الخدم في منطقة المرور خارج المطبخ مباشرةً من دون أن يكتشفك أحد».

«ثم؟».

«لا تنظري للخلف أبدًا».

شعرت كأنها لا تزال في حلم، وتتجول في المنزل فيما الصوت خلفها. في القاعة الخارجية كانت العيون الزجاجية الساطعة لرؤوس الحيوانات المعلقة على ظهرها تحرق إليها؛ غزال، وعل، وحيد القرن. ثم تجاوزت صالونًا حيث رأت تشارلي سيده أو فتاة شقراء تقرب صفحات مجلة. لم تنظر الفتاة لأعلى بينما كانت تشارلي تمر بها في الظلام. عندما وصلت إلى الممر، سمعت أحد موظفي المنزل على الهاتف يطلب الخرشوف والسبانخ العضوية. كان هناك راديو، ونيينا سيمون تغني عن الرقص إلى الشيطان.

همست: «ماذا الآن؟».

للحظة طويلة لم يكن هناك رد. بدأت تشارلي في الاستدارة، واستعادت صورة شخصية أورفيوس الخرافية وهو يقود محبوبته للخروج من العالم السفلي. ثم توقفت.

أتمضي قدمًا أم لا؟ لقد أرسلها الصبي بهذا الاتجاه لسبب ما. لم يرغب في أن تذهب إلى المطبخ؛ لأنه كان مزدحمًا. لقد ذكر الدرج على وجه التحديد. صعدت الدرج ودارت مع زاويته وصولًا إلى قاعة طويلة. لقد تذكرت آخر مرة كانت فيها في منزل كبير مثل هذا، كيف كان هناك درج ثانٍ أكثر طولًا في المدخل الرئيسي. ربما كان الصبي يقصد أن تصل إلى الباب الأمامي بهذه الطريقة، بينما يتحرك باقي الموجودين في القصر في الطابق الأسفل منها.

أو ربما كانت تشارلي مخدرة إلى حد أنها تخيلت وجود هذا الصبي من الأساس.

مشت عبر القاعة، وهي تضم الحقيبة إلى صدرها. في اتجاه الصالون بالأسفل سمعت صوت فتاة تقول: «هذا ليس عدلًا! أريد أن أستعيده».

وصوت صبي، ربما هو الصوت الذي سمعته من قبل. «إنه لا يحبك».

ضحكت الفتاة. «هذا ليس صحيحًا. لدينا ألعاب نلعبها ولن يلعبها معك أبدًا».

ثم نزلت تشارلي على الدرج. دار رأسها مرة أخرى في الطريق، لكنها نجحت ووصلت إلى الطابق الأرضي. أدارت المزلج النحاسي ودفعت الباب، الذي فُتح ثم انغلق خلفها بصوت عالٍ.

كان الصوت عاليًا لدرجة أنه لم يكن من الممكن أن يمر مرور الكرام من دون أن يلاحظه أحد.

بدأت تشارلي في الجري.

لم يكن هناك سوى الغابات المحيطة بالمنزل؛ لذا فقد دخلتها ولم تهتم بفروع الأشجار التي كانت تعلق بملابسها. ولم تكن تهتم بأن رأسها يطن ويكاد ينفجر وأن شعور الغثيان قلب معدتها.

ركضت تحت جناح الليل، واصطدمت بشجيرات النبق التي مزقت جلدها، وتعثرت في نباتات السرخس. من خلفها، سمعت صراخًا لكنه كان بعيدًا. ثم مزق ضوء مشاعل كهربائية حُجِب الليل الكثيفة. واصلت تشارلي المضي قدمًا، ورأسها يدور.

واصلت الركض في الظلام، والقمر يحوم من فوقها وكذلك النجوم حتى وصلت إلى مساحة خالية. هناك بدا رجل، أسود البشرة في منتصف العمر يرتدي قبعة ومعطفًا ثقيلًا، فزعًا لرؤيتها تظهر فجأة من خلف الأشجار.

ثم قال لها بصرامة: «سوف تخيفين البوم». ثم اتسعت عيناه عندما تبين له كامل مظهرها وملامحها.

كان بعض الأغصان عالقًا في شعرها، وثمة خدوش على جلدها، وآثار عصير البنجر المجفف ملتصقة بجميع أنحاء فمها. ثم قالت له وهي تتنفس بصعوبة: «اركض. الناس من القصر يلاحقونني».

فهز رأسه وهو يسحب الهاتف من جيبه. «أوه لا، أيتها الشابة، أنتِ لستِ الأزمة التي أرغب في التورط بها اليوم».

فقالت له مرة أخرى: «الناس من القصر. إنهم قادمون». قبل أن تنهار عند قدميه.

بعد ثلاثة أيام، عُثر على سيارة راند. كانت جثته بالداخل، وبدا أنه انتحر بقطع شرايين معصميه، على الرغم من أن الطب الشرعي لم يستطع تفسير قلة الدماء في جسده وحوله. كما عثرت الشرطة على جسد فتاة مراهقة متحلل في صندوق سيارته. كانت الفتاة مفقودة منذ أكثر من ثلاث سنوات.

بعد أسبوع من ذلك، اتصل بها بيني في المنزل. وسألها: «هل حصلتِ على الكتاب؟ لأن المشتري لا يزال مهتمًا».

«صرتِ مثل سمكة القرش». قال لها ذلك بإعجاب عندما أخبرته أنها فعلت.

التقى بها نايت سينج في ساحة انتظار السيارات خلف أحد مقاهي دانكن دونتس. كان يمتلك سيارة فضية فاخرة، ويرتدي سترة صوفية أنيقة ذات ياقة واقفة، ودفع لها ألفي دولار مقابل الكتاب. ثم قال وهو ينظر إليها من فوق نظارته الشمسية: «لديّ المزيد من العمل لك إذا أردت».

أقسمت تشارلي إنها في يوم من الأيام ستعود إلى قصر سولت وتنتقم من هؤلاء الملاحين؛ لكنها أقسمت على ذلك لنفسها فقط، حتى لا يكون هناك أحد آخر قد تخذله - غير نفسها - إذا لم تفعل ذلك.

13: الأرواح المحلقة

رمشت تشارلي في ارتباك مع تدفق ضوء الصباح القوي إلى الغرفة. كانت جراحها لا تزال تؤلمها، وكانت وركها مصابة بكدمات من مكان سقوطها، بينما شعرها كان متشابكًا ويشبه شعر الشخصية الخرافية ميدوسا. قامت تشارلي من الفراش وعلى الحائط رأت ظلها، تمامًا كما كان مظهره في أي وقت مضى.

تظاهري بأن ما حدث الليلة لم يحدث قط، يا تشارلي.

غطى شعر ذهبي داكن ذراعَي فينس، ولمع بريقه فوق رموش عينيه المغلقتين. راقبت تشارلي صعود وهبوط صدره، وتجاعيد أصابعه الخشنة، كما لو كانت تحت تأثير تعويذة. تقلّب فينس في نومه قائلاً وهو يدفن رأسه في الوسادة: «أديلين.. أديلين، لا تفعلي ذلك».

تراجعت تشارلي إلى الورا، وهي مصعوقة. هل يقصد تلك الفتاة التي كانت صورتها في محفظته؟ وما الذي كان يحاول منعها من فعله؟

تظاهري بأن ما حدث الليلة لم يحدث قط. كانت تشارلي تتظاهر منذ بداية علاقتهما، بأنها تركت ماضيها وراءها وأنها لا تهتم بالمستقبل. وقد سمح لها بذلك؛ لأنه كان يتظاهر أيضًا. جثت على ركبتيها بجانب الفراش وهمست له بالفرنسية: «هل تريد المزيد من القهوة؟». وهي العبارة نفسها التي بحثت عنها على هاتفها وذكرت لها قبل يومين.

دفن فينس وجهه بشكل أعمق في الوسادة، كما لو أن أنفاسها دغدغت جلده، فشعرت تشارلي بأنها تتصرف بحماقة. كانت تشارلي قد صارت بقرب الباب عندما تمتم فينس بهدوء، وهو لا يزال بين الحلم واليقظة، وبالفرنسية أيضًا: «أريد كوبًا من القهوة السوداء، من فضلك».

هكذا ترجمت تشارلي معنى العبارة التي نطق بها بقدر ما تعرف. وهكذا تبين لها أيضًا أنها تعرضت للخداع.

هناك أنواع مختلفة من الأكاذيب؛ أكاذيب لخداع الناس والمجتمع، وُخدع لتجنب العواقب، وحيل مضللة للاختباء وراءها؛ لأنك تخشى أن شخصًا آخر لن يفهمك، أو لن تروق له، أو لأن ما فعلته سيئ وأنت تخجل منه. ثم هناك الأكاذيب التي تقولها لأن كل شيء بخصوص حياتك محض أكذوبة كبيرة.

اتهام بوزي لفينس بأنه يفهم الفرنسية كان مضحكًا؛ لأن عدم إخبار شخص ما بشيء لأي سبب لم يكن مثل تعمُد إخفائه. ربما أمضى فينس عامًا في الخارج، أو كان لديه جانب فرنسي في عائلته، أو يستخدم تطبيق دولنجو وكان يدرس الفرنسية بجدية.

لكنها عندما تحدثت إليه بالفرنسية، كان يتظاهر بأنه لم يفهم كلمة واحدة.

كان إخفاء قدرته على التعامل مع جرائم القتل، بل حتى القدرة على ارتكابها، مزعجًا، ولكنه مفهوم. كما أن إخفاء تاريخه المتعلق بسحر الظلال ودرايته به بقدر أو بآخر يمكن أن يكون له تفسير معقول.

لكن إخفاء شيء ما لا أهمية لكشفه للآخرين جعل تشارلي تتساءل عما إذا كان أي شيء تعرفه عنه حقيقيًا.

ذهبت تشارلي إلى الحمام وأغلقت الباب خلفها، ثم جلست على حافة حوض الاستحمام ووضعت رأسها بين يديها.

لقد أثبت كون فينس كاذبًا وقاتلاً أن حدسها حيال الرجال خطأ بشكل مروع، تمامًا مثل والدتها وجدتها. بالتأكيد، لقد بدأت علاقتها بفينس بقضاء ليلة عابرة معه، لكنه بدا رجلًا قويًا ومسئولًا. ربما كانت مواصفاته بوصفه شريكًا أفضل مما أتيح لها سابقًا وأعلى من مستواها، ولعل علاقتها لها لن تدوم على الأرجح، لكن وجوده إلى جانبها لا يزال دليلاً على

أنها كانت تتخذ قرارات مسؤولة. كان هناك أمل لها في أن تكون جزءًا من العالم المحدود للأشخاص الطبيعيين وغير المجرمين.

لكن ها هي الآن في حال أكثر اضطرابًا من أي وقت مضى.

تشارلي هول، التي تنجذب إلى المتاعب مثل انجذاب نملة إلى الغراء. كان أسوأ جزء أنها صارت مفتونة به أكثر الآن لدرجة أنها يجب أن تبتعد عنه في أقرب فرصة. صارت مفتونة به أكثر بعدما تبين أنه أصبح لغزًا ينتظر الحل. لكن إذا كان من المستحيل عليها التظاهر طوال الوقت، فقد كان الأمر كذلك بالنسبة له. لقد ترك أدلة تشير إلى ما حاول أن يخفيه. وإذا لم يعجبها ما وجدته، فقد كانت تعرف مسبقًا أنه سيكسر قلبها في لحظة ما بطريقة ما. هذا هو إرث عائلة هول. لطالما كانت المسألة مسألة وقت قبل أن يحدث الشرخ الكبير.

قالت لنفسها: «ضعي بعض أحمر الشفاه وتزيني، ارفعي رأسك وامضي قُدّمًا». لم يكن فينس مشكلتها الوحيدة. لو أخبر هيرميس أي شخص عن المكان الذي ذهب إليه في الليلة السابقة، فقد لا يكون آخر شخص يأتي للبحث عنها. لقد أخبره بالتأزر بشيء ما، كانت متأكدة من ذلك. كانت لتراهن بالمال على أن محادثة جرت بينهما بشأنها.

جلبت تشارلي منشفة وبعض الصابون، وأجرت الماء في الحوض. ثم دعت جسدها وغسلته فتسلّخ عدد من الجروح التي أصيبت بها أمس، ما تسبب في نزيها من جديد.

استعادت تشارلي هذه الجملة: «الظلال مثل ظلال الموتى عند هوميروس، تحتاج إلى الدم لإيقاظها».

ثم فكرت في هيرميس. «هل تعرفين ماذا أأطعم هذا الشيء؟ دم. ربما يكون دمك».

ماذا إذا...؟

غمست تشارلي إبهامها في الدم السائل على ساقها. كان ما يتدفق منه كافيًا حتى تتمكن من تحريكه نحو ظلها. بينما كانت تشاهد، بدا الظل وكأنه يتموج كما لو كان يرتجف. لكن شيئًا من الدم لم يسقط على بلاط الأرضية.

رمشت عينها عدة مرات، محاولة تركيز نظرتها على الأرض. ربما لم تستطع رؤية الدم؛ لأنه كان متناثرًا في صورة قطرات دقيقة، أو ربما كانت تغذي ظلها بالفعل.

لكن بالتأكيد إذا أوقظ ظلها، سيحدث شيء آخر. ستكون هناك علامة لا لبس فيها.

أجلت التفكير في السؤال لبعض الوقت، وارتدت قميصًا وسروالًا وجدتهما في الغسيل. عقصت شعرها على شكل كعكة فضفاضة ثم ذهبت لصنع القهوة.

كانت هناك ثلاث رسائل نصية على هاتفها الأساسي. واحدة من دورين تطالب تشارلي فيها بإطلاعها على آخر المستجدات وتفسير لتأخرها في تنفيذ ما اتفقتا عليه، كما احتوت تهديدًا بتغيير حالة سجل بوزي المالي إلى الوضع الأسوأ بدلًا من الأفضل إذا لم تُحضر آدم إلى المنزل. كانت هناك رسالة أخرى من أوديت، وكانت موجهة إلى جميع موظفي حانة رابتشر، لإبلاغهم بأن الحانة مغلقة حتى يتمكن مسئول التأمين من القدوم ومعاينة الأضرار بعد محاولة السرقة الأخيرة. وقد قدّرت أوديت أن ذلك سيستغرق من ثلاثة إلى أربعة أيام.

ثم كانت هناك رسالة خاصة من أوديت لها:

هل أخبرت أي شخص بما رأيناه؟

لم تكن تشارلي متأكدة من سبب إرسال هذا السؤال لها. فردت برسالة نصية:

لا، ماذا عنك؟

لم يأتها أي رد.

لم تحب تشارلي أن تدخل في حالة من الذعر والتشكك، لكنها تساءلت لماذا سألتها أوديت عن ذلك. عندما أضافت تشارلي القهوة المطحونة والقرفة والماء إلى القدر، تساءلت عما إذا كانت أوديت تعرف سولت.

إذا كان بالتازار قد أجرى محادثة مع هيرميس، فقد حان الوقت ليتحدث مع تشارلي أيضًا. لقد ذهبت إلى منزله مرة من قبل، وهو مركز قديم للإطفاء مبني من الطوب ويشرف على القناة في هوليوك. في تلك المرة كان يقيم حفلة ولم يدعها إلى الدخول.

لكنها ستدخل هذه المرة، وتتمنى أن يحالفها التوفيق.

ارتدت تشارلي معطفها، وجلبت مفاتيحها، وانطلقت بالسيارة.

كانت سماء النهار ملبدة بالغيوم، ما أنذرنا باحتمالية هطول الأمطار. وعندما نزلت من سيارتها - حيث علقت بأنفها رائحة المطر - دارت حول جانب البناء المبني من الطوب، إلى المدخل. كان المكان ساكنًا لدرجة أنه بدا مهجورًا، لكنها لاحظت أن هناك ضوءًا واحدًا على الأقل كان مضاءً بالداخل.

لا يزال هذا الجزء من هوليوك يحتوي على بعض المصانع القديمة المهجورة، تلك التي لم تُحوّل إلى مساحات عمل رخيصة للفنانين وغيرهم من الأشخاص الذين لديهم أعمال إما كانت بحاجة إلى مساحة كبيرة وإما على الأقل لا تتعارض طبيعتها مع ذلك. كان هناك بعض مباني سكنية على مبعدة، وعدد قليل من المنازل ذات الباحات الخضراء.

قرعت تشارلي الباب الأسود المطلي، متجاهلة الكلمات المرسومة: «**اذهب بعيدًا**».

عندما لم يأت أي صوت من الداخل، قرعت بقوة أكبر.

جاءها صوت يصرخ من الداخل: «ألا يمكنك قراءة اللافتة أيها اللعين؟».

فركلت تشارلي الباب بقدمها. «هل تعرف ما مسدس فتح الأقفال؟ لدي واحد في صندوق سيارتي وسيفتح هذا القفل في ثوانٍ. قد يلحق الضرر بألية عمل القفل وربما لا، لكنني سأدخل على أية حال».

فتح بالتازار الباب. كان يرتدي بيجامة حمراء، وشعره مشعث، وبدا مستعدًا للدخول في حرب مع الشخص المسئول عن إيقاظه. ثم رمش بعينه عدة مرات، من الواضح أنه كان مذهولًا من أنها هي تحديدًا من كانت تقف بالباب.

قالت تشارلي: «كدت تتسبب في قتلي الليلة الماضية».

«اللعة! مرحبًا يا عزيزتي».

دفعته إلى الداخل وهي تقول: «هل أنت مندهش من أنني لا أزال حية؟».

«بل أنا مسرور. أقبلي، كنت سأصنع بعض القهوة». أخبرتها نبرة صوته بأنه كان منزعجًا من اقتحامها لمنزله، لكن ليس بقدر كبير. لقد أشار إليها باتجاه بعض السلالم ثم ارتقى إلى أرضية مطبخ مشمس بشكل مدهش به بعض النباتات التي تذبل في قدورها. على أحد المواعد، استوت أكبر ماكينة على الطراز الكوبي لصنع الإسبريسو رأتها تشارلي على الإطلاق. «قلت لجوي أسبرينز، إن لهذه الفتاة قدرات أكبر مما تراه العين. وبعد ذلك، قال جوي إنني أتعاطف معك، وإنك خرقاء لا أكثر...»

قاطعته تشارلي قبل أن يسترسل: «كف عن هرائك، أريد معلومات».

قال مشيرًا إلى طاولة مقهى بدت وكأن أحد أركانها قد أضرمت فيه النيران في وقت ما في الماضي: «اجلسي».

«أريد أن أعرف عن الكتاب الذي حاول بول إيكو بيعه لك».

«كنتِ تسترقين السمع، أليس كذلك؟». أخرج جرة بها قهوة ماركة بوستيلو ثم عاير المقدار الذي سيضعه في الإناء المعدني وملاه بالماء ثم وضعه على الموقد، وأوقد الغاز حتى تؤدي ألسنة اللهب الأزرق دورها في التسخين. «لطالما كنت جيدة. معظم الناس الذين يعتقدون أنهم يستطيعون أداء هذا النوع من العمل، لا يمكنهم ذلك. لكنكِ أوضحت تمامًا أنك لم تعودى تمارسين أي أنشطة احتيالية أو إجرامية».

أخبرها راند ذات يوم أن عالم السرقات والأكاذيب هو ما وُلد من أجله بعض الناس، وأن تشارلي كانت واحدة منهم. بمرور الوقت وكثرة الممارسة أصبحت يداها ثابتتين، وأصابعها سريعة، وفمها جاهزًا للتلفظ بكل أنواع الأكاذيب. لقد كانت بارعة فيما تفعل وقد أحببت ذلك. كانت تلك هي المشكلة.

قالت: «رأيت جثة بول في تلك الليلة، وأنا في طريقي إلى المنزل. بدا الأمر كما لو أن أحدهم قد شق جسده. لذا، حسنًا، أردت أن أعرف مَنْ كان بإمكانه فعل شيء كهذا. ثم جاء هذا الشخص الضخم وتصرف وكأنني أعرف من أين حصل بول على صفحات الكتاب التي كانت معه. لذلك كنت أشعر بالفضول حقًا، خصوصًا بشأن مَنْ وشى بي».

قال بالتازار متصنّعًا البراءة: «أنتِ تظلميني. ليس خطئي إذا كنتِ تجذبين المتاعب إليك كالمغناطيس. كل ما فعلته هو الإجابة عن بعض الأسئلة لشخص مهتم».

ابتعد بالتازار ليأتي بعلبة حليب مكثف، لكنها لاحظت الطريقة التي التوى فمه بها. بين المجرمين، والمنتسبين إلى هذا العالم، قد يكون هناك إحساس ضعيف بسطوة الأخلاق وضرورة الالتزام بها، ولكن هناك شيئًا مؤكدًا واحدًا ينبغي ألا يفعله أيٌّ منهم: الوشاية بالآخرين.

«مع حذف الجزء الذي حاول فيه بول بيع الصفحات لك؟». ذكّرت تشارلي. وتساءلت في نفسها كم من الوقت سيمر قبل أن تنتشر الأخبار عن اختفاء هيرميس؟ كان من الجدير تذكيره بأنها إذا سقطت يمكنها أن تأخذه معها. «ما المهم في هذا الكتاب بالذات؟».

فرد عليها بصوت يشوبه الملل: «إنه يُسمَّى كتاب الخراب أو جان الخراب أو كتاب الظلال المتحررة أو المستقلة أو أيًا من هذا الهراء بالعامية؛ لأنه من المفترض أن يحتوي على طقوس خاصة بهم. يعتقد بعض المتحمسين أن هذا هو مفتاح الخلود، لتتمكن من العيش مثل الجن. ولكن مهما كان هذا الشيء، فهو شيء رائع حقًا. الصفحات المعدنية، مختومة بدلًا من أن تكون مطبوعة. لقد اشتراه في مزاد هذا الرجل العجوز الشرير الثري جدًّا، ليونيل سولت. إن لديه الاهتمامات نفسها بهذه الأمور».

لوت تشارلي شفتها امتعاضًا.

سألها بالتازار: «هل تعرفينه؟».

قالت تشارلي: «بالطبع لا. لكنه هو الذي أرسل هيرميس إليّ».

وضع بالتازار كوبين كبيرين، وملاً كلاً منهما بسخاء بالحليب المكثف اللزج. ثم سكب القهوة على كليهما وأحضر واحدًا إليها، ثم جلس وهو يفرد رداءه طلبًا للاسترخاء. «من المفترض أن حفيد سولت قد سرق كتاب الخراب وهرب. إد كارتر، أعتقد أن هذا اسمه أو كارفر؟ على أية حال، لقد تورط الحفيد في عملية قتل - انتحار، ولكن لا بد أنه باع الكتاب مسبقًا، لأنه لا يظهر مع بقية أغراضه. إن سولت حريص جدًّا على استعادة الكتاب لدرجة أن لديه عرضًا دائمًا بقيمة خمسين ألفًا لأي شخص يعيده، من دون طرح أي أسئلة».

إدموند كارفر. هذا هو الاسم الذي سألها هيرميس عنه. لكن لم يبدُ عليه كما لو أنه يعرف أن هذا الشاب قد مات.

سألت تشارلي: «باعه لبول إيكو؟».

هز بالتازار رأسه وهو يجيب: «على الأرجح لشخص آخر، ثم باع هذا الشخص صفحة واحدة - وليس صفحات - لبول إيكو».

فسألت تشارلي: «لماذا ليس الكتاب كله؟ خمسون ألفًا ليس مبلغًا من السهل التخلي عنه».

فتح بالتأزر يدبه دلالة على حبرته، ثم أردف: «ربما شخص ما أراد جذب انباه سولت».

ارتشفت تشارلي القهوه. كانت مسكرة بما يكفي لجعلها تجفل، وقوية التأثير بما يكفي لدرجة أعجبته بقدر ما وعقت: «لجعله يدفع أكثر؟».

قال بالتأزر: «عندما اختفى كتاب الخراب لأول مرة، استأجر سولت واحدًا من رجالي؛ الشاب المبتدىء».

رفعت تشارلي حاجبيها: «آدم؟».

«نعم، هو. لكنه لم ينجح. لم يعثر على شيء. لم يكن الرجل العجوز متفاجئًا أيضًا من النتيجة». هز بالتأزر كتفيه وأخذ رشفة طويلة من كوبه.

لقد أزعجها أن يعرف أي شخص أن بول إيكو كان يحاول بيع الصفحة بعد وقت قصير من طرده من حانة رابتنشر؛ حدث هذا بسرعة تستدعي التساؤل. ليس فقط وجود الهيروفانت، ولكن وحشية طريقة القتل جعلتها تعتقد أن من فعل ذلك لم يكن إنسانًا. جني الخراب أو الظل المتحرر كان لديه سبب لتمزيق الظل الآخر عندما قتل صاحبه. وكانت لديه بالطبع القوة اللازمة لشق القفص الصدري للرجل.

لماذا يبحث ظل أو جني عن كتاب الخراب؟

ومن الذي يملك الكتاب بحق الجحيم؟

إذا كان سولت قد استأجر آدم للبحث عن الكتاب، فهل من الممكن أن يكون قد وجد المكان الذي أخفاه فيه إدموند كارفر ويتكتم عليه؟

بالطبع، إن طرح أسئلة مثل هذه هو الذي تسبب في تحطيم حانة أوديت وكاد يؤدي بها. لطالما اعتقدت تشارلي أنها تخلت عن حلم الانتقام من سولت بمرور السنوات، وعليها أن تتخلى عنه الآن مجددًا. كان أمرًا مستحيلًا وطفوليًا.

قال لها بالتازار: «يمكنك تولي المهمة. هل تريد الخروج من اللعبة نهائيًا؟ فلتخرجي بما يليق بك. هيا أيتها المحتالة البارعة، بمقدورك أن تسرق الأنفاس من الجسد، والكراهية من القلب، والقمر من السماء.»

«الإطراء ليس من عاداتك». خمسون ألف دولار مبلغ طائل، لكنه لا يمثل سوى جزء يسير مما على سولت أن يدفعه. «سأفكر في هذا العرض.»

ابتسم بالتازار وكأنها وافقت بالفعل. «ها نحن أولاء. كنت أعلم أن هذه اللحظة ستأتي.»

عبرت تشارلي الأسفلت إلى سيارتها، ولاحظت وجود رجل على الجانب الآخر من الشارع. ربما لم تكن لتلقي نظرة ثانية عليه إذا كان يتحرك، أو حتى إذا كان لديه هاتف، مثل أي شخص آخر. لكن هذا الرجل كان ساكنًا، يحدق إلى مبنى منزل بالتازار ويدها - بل أيضًا ذراعاها - مدسوستان بعمق في جيبي معطفه.

في وضح النهار، كانت تشارلي ترى أن الهيروفانت كان شابًا، ومع ذلك كانت عيناه تلمعان ببريق غامض كما لو كان ينتمي للماضي.

إذا كان يصطاد الظلال المتحررة، فماذا كان يفعل في منزل بالتازار؟ لم تستطع أن تنسى الطريقة التي سار بها نحوها في الزقاق في تلك الليلة، وكأنه كان يضم لها شرًا مستطيرًا.

ارتجفت تشارلي وركبت سيارتها الكورولا، وضغطت دواسة البنزين بقوة. وهي تنطلق رأت رأسه يستدير ببطء ونظرته تتبع سيارتها. ثم أصبح ظله جناحين عريضين خلفه، والذين رفعاه في الهواء. حلّق الهيروفانت في السماء الزرقاء مثل روح مُحلّقة، وأطراف معطفه ترفرف حوله.

كادت تنحرف لتسقط في حفرة، وقلبها يدق بعنف. عند أول إشارة مرور، نظرت إلى الوراء مرة أخرى؛ بدا أنه لم يعد يتبعها.

في المنزل، كانت تشارلي مفعمة بمشاعر القلق والتوتر، والكثير من الكافيين. غسلت الصحون في المغسلة وأزالت منها بقايا مكرونة البولونيز. ومسحت طاولات المطبخ، ولما لم يفلح أي من ذلك في تهدئتها بدأت في تنظيف الثلاجة بالكامل. ليس فقط التنظيف المعتاد، والتخلص من الأشياء غير المفيدة؛ خياراً منسية متآكلة من جانب واحد وقد غزاها العفن، قطعة صغيرة من الجبن تحولت إلى اللون الأبيض الداكن ولن يأكلها أحد، وعاء محكم الغلق مليء بالمكرونة الرمادية التي انتفخت بشكل مخيف. هذه المرة أخرجت كل شيء، بما في ذلك التوابل، ومسحت الأرفف بمناشف مبللة بمبيض مخفف.

«هل أنت بحاجة إلى المساعدة؟». سألتها فينس، قادماً من غرفة النوم وهو يمد يده إلى القهوة.

أفزعها صوته.

بدا لها أنه الرجل نفسه الذي عاشت معه لأشهر. شعر أشقر منكوش من أثر النوم. لحيحة خفيفة على طول فكه. بينما كان يتنقل في المطبخ من دون ذكر الليلة السابقة، بدا من المستحيل تصديق أنه قطع رقبة رجل أمس.

وكذب عليها.

بل كذب عليها كثيراً...

سألته تشارلي: «هل يمكنني استعارة بعض مواد التنظيف من شاحنتك؟».

فرد عليها وبدا متردداً: «دعيني أحضر لك ما تشائين من...»

قاطعته بمرح مصطنع: «رائع». إذا لم يكن يريد أن تبحث في شاحنته، فربما يكون ذلك بسبب وجود شيء آخر يخفيه. ربما وجدت رأسًا مقطوعًا في مؤخرة الشاحنة.

أو ربما كان يتصرف بلطف، ويعرض عليها أن يأتيها بما تريد.

أو ربما كان جسد هيرميس مقطوعًا هناك في قطع مغلقة بالبلاستيك وأراد أن يجنبها رؤيته.

عادت تشارلي إلى الثلاجة بحيوية متجددة. لقد أخذت تدعك رفوفها بهمة وحماس كما لو أنها تزيل كل رغبتها فيه، وكل حماقاتها السابقة.

أحضر فينس مواد التنظيف وخرج لتنظيف المزاريب، وفي يده كوب القهوة.

استيقظت بوزي في وقت متأخر عن المعتاد، حوالي الساعة أربعة. بدت في حال رثة وهي تترنح في مشيتها داخلة إلى المطبخ حيث ملأت وعاء الحبوب بكل القهوة المتبقية، ثم وضعت في الميكروويف.

كانت تشارلي قد واعدت سارقًا زميلًا لها لمدة شهرين، قبل أن يغادر المدينة بزوج من الأقران تمكنت من إقناعه بأنهما مرصعان بالألماس. لقد أخبرها بأنه عندما بدأ اقتحام المنازل لأول مرة، كان يعتقد أن الأغنياء يحتفظون بأشياءهم باهظة الثمن في الخزائن، لكن اتضح له أن معظم الناس يحتفظون بالأشياء حيث يمكنهم رؤيتها. يحتفظ الأثرياء بمفاتيح بيوتهم تحت السجادة في الخارج مثل أي شخص آخر، لأنهم يضيعونها أو يضعونها كالأخرين في غير مكانها. انتهى بهما الأمر إلى الحصول على شهادات الميلاد ورخص الزواج والأوراق القانونية بدلاً من الأشياء الثمينة. كانت المجوهرات توضع في خزانة غرفة النوم الأساسية، حتى الأشياء القيمة حقًا؛ لأن أصحابها يريدون ارتدائها طوال الوقت. بينما كانت أجهزة الكمبيوتر المحمولة توضع على مكاتب أو أرائك، والتلفزيونات على الحوائط، والمشروبات باهظة الثمن على عربة تُجر باليد بالقرب من المشرب، والأسلحة في الدرج الأول من الكومودينو بجوار الفراش.

يحب الناس الأشياء القريبة منهم، بما في ذلك أسرارهم. ما الذي يجعلك تشعر بالأمان عند النوم ليلاً؟ أن تكون قادرًا على التحقق ومعرفة أن أسرارك لا تزال مخفية.

إذا كان هناك شيء ما يمكن أن تجده تشارلي، فهناك احتمال كبير أن يحتفظ به فينس في غرفة نومه.

بمجرد أن وائتها الفكرة، باتت مشغولة بتنفيذها.

عليها أن تخرجه من المنزل، في أسرع وقت، قبل أن يغلب إغواء المسارعة بفعل ذلك تقديرها السليم للأمور فتبدأ التفتيش ثم تجده يدخل عليها بعد قليل.

بعد ساعة، عاد فينس إلى الداخل، ويده ملطختان بالسخام. بحلول ذلك الوقت، كانت تشارلي قد أعدت قصتها المختلقة.

قالت تشارلي، مُحاولَة أن تبدو كأنها تتحدث بعفوية: «كاتلين تريدني أن ألتقي بها لتناول القهوة الليلة».

غسل يديه في الحوض وغمر ذراعيه بالصابون حتى مرفقيه. «صانعة الوشوم التي لها ابنة عم كانت تأكل حشرات العث في صغرها».

قالت متوترة: «صحيح أفكر في الحصول على وشم جديد».

«أوه نعم؟». سأها وهو يمسح يديه المبللتين في سرواله الجينز الأسود.

كان التعبير على وجهه - ابتسامة خفيفة، واهتمامًا صريحًا على ما يبدو بما تنوي فعله، بلا أي إدانة لها لما تسببت فيه من متاعب في الليلة السابقة - مزعجًا لها أيضًا. يبدو أنه يهتم بها حقًا. لقد قتل شخصًا ما لإنقاذها.

أرادت بحق أن تثق به.

«فينس؟». أمسكت بيده ونظرت إلى عينيه الرماديتين الشاحبتين. «كيف فقدت ذلك؟
أخبرني بصدق هذه المرة».

أشاح بوجهه عنها وهو يقول: «أنا.. أنا لم...»، توقف، ثم تحدث مرة أخرى: «لم أفهم الخطر
الذي كنا فيه».

لم يكن يكذب بالضرورة. غالبًا ما تكون الحقيقة معقدة ويصعب تفسيرها. «أي خطر؟».

هز رأسه والتقط دلو السماد - الذي اشترته بوزي، عبر الإنترنت، في محاولة لهم ليكونوا
دعاة حماية أفضل للبيئة - والآن صار مليئًا ببقايا الخيار اللزج وبقايا الثلاجة الأخرى،
بالإضافة إلى الكثير من القهوة المطحونة.

لاحقته بقولها: «هذه ليست إجابة».

ولكن مهما كانت تبحث عنه، فإنها لم تحصل عليه. لقد ذهب إلى الخارج لإلقاء السماد في
حاوية المهملات - حيث توجد بعض الديدان لتحويل بقايا الطعام العضوية إلى سماد -
والتي لم يكن أيٌّ منهما متأكدًا من أنها تعمل. مع كل بقايا القهوة المطحونة التي يلغون بها
في هذه الحاوية، الشيء الوحيد الذي كانت تشارلي متأكدة منه هو أن تلك الديدان صارت
تعاني توترًا كمدمني القهوة. وأنه إذا أكل طائر منها، فسيحلّق مباشرةً باتجاه الشمس.

بحلول الوقت الذي عاد فيه فينس، كان هاتفه على أذنه. لقد استدعي لمهمة. جريمة قتل
لشخصين.

قال لها: «يمكنني البقاء إذا أردت». وأبعد الهاتف عن فمه. كانت تسمع بالكاد صوت رئيسه
يصرخ في شخص ما. قبل تلك اللحظة، لم تكن متأكدة مما إذا كان فينس قد زيّف المكالمة،
فقط لتجنّب التحدث معها.

لكنها هزت رأسها: «سأخرج على أية حال. مشوار كاتلين، أتذكر؟».

جلب معطفه وقبّلها قبلة من الواضح أنها تعني شيئًا ما، ولكن سواء أكان ما تعنيه اعتذارًا أم وعدًا، فإنها لم تكن متأكدة.

بعد أن غادر، حدقت إلى باب غرفة نومهما. لو لم يُستدعَ للعمل لأعطاها بعض الإجابات. وكانت تعلم أن أي كاتب عمود في إحدى الصحف - ممن يمنحون الناس استشارات ردًا على تساؤلاتهم أو شكواهم - سيخبرها بأن عليها الانتظار، واحترام خصوصيته، وأن تطلب منه المزيد من المعلومات عند عودته.

لقد نجحت في كبح جماح نفسها لمدة خمس عشرة دقيقة قبل أن تنهض وتفرد أطراف جسمها قائلة لأختها: «حسنًا، سأخذ غفوة سريعة قبل أن أخرج». فردّت بوزي بامتعاض: «انتظري، كنت أنتظر مغادرته. هناك شيء أريد أن أتحدث إليك عنه».

لم تكن تشارلي ترغب في سماع المزيد عن أقراص الدي إم تي وكيف أنه من الضروري للغاية سرقة بعضها من أجل تجربتها في معتكف ناءٍ في الغابة. لذلك قالت: «لن أطيل في النوم».

في غرفة النوم، والباب مغلق، نظرت تشارلي حولها. ملاءات مجعدة، والملابس والأحذية متناثرة على الأرض. خزانة ملابس مليئة بكتب ورقية صفراء وعلب مكياج ومزهريّة محشوة بالإيصالات.

عندما نظرت إلى يديها، تفاجأت عندما وجدتهما ترتعشان.

قلبت تشارلي طقم الفراش تمامًا، ثم دفعت المرتبة إلى الحائط. كانت ثقيلة لكنها رفعتها. في الأفلام كثير من الأشياء تتوارى تحت الأسرة؛ ما يعني أن الأشخاص الذين شاهدوا الأفلام يخفون الأشياء تحت الأسرة.

ولكن تحت المرتبة، كل ما وجدته كان زوجًا من الملابس الداخلية التي فقدتها، ومنديلًا مجعدًا، بالإضافة إلى شيء مقزز وغامض ومسطح ربما كان ذات يوم إحدى كرات شعر

قطتها لوسيبير.

استعادت تشارلي صورة والدتها وهي تبحث عن دليل على وجود امرأة أخرى في حياة زوجها في الأدراج، في الجيوب. محاولة مستحيلة لإثبات وجود شيء سلبي. لم تكن تأمل في العثور على شيء بعينه، ومعرفة أنها لم تعثر على أي شيء سيعني فقط أنها لم تبحث بجدية كافية وليس أن الشخص الآخر بريء. أقسمت تشارلي إنها لن تنتهي إلى هذه الحال أبدًا.

ومع ذلك فقد كانت هذه هي حالها حتى الآن.

انتقلت تشارلي إلى النصف الذي يخص ملابس فينس من الخزانة ذات الأدراج، ودفعت يديها حتى الخلف ثم أخرجت كل شيء وقلبت الأدراج. كان فينس مرتبًا - لم يترك ملابسه على الأرض قط، ولم يترك أي مخلّفات في الحوض مطلقًا - لذلك كانت مفاجأة لها العثور على قمصان وسراويل جينز ملقاة معًا بشكل عشوائي. كانت تأمل في عدم وجود أي نظام للفوضى التي خلفها وراءه؛ لأنها لن تكون قادرة على إعادة كل شيء كما كان. إذا ترك مثلًا أربعة جوارب بترتيب معين لاكتشاف التطفل، فسيكتشف أمرها.

لكنها لم تجد شيئًا يثير الاهتمام. لا شيء يدينه.

ثم انتقلت إلى الدولاب بعد ذلك. كانت معظم الأشياء موجودة بداخله، كان هناك معطف شتوي وزوج من الأحذية مدفوع بعمق على الجانب الأيسر. مدت يديها في الجيوب وأخرجت إيصالين: واحدًا للغاز وآخر لأسعار الحليب والخبز والبيض. كلاهما دُفِع نقدًا.

حدقت إلى الظلام، لاحظت وجود حقيبة سوداء فارغة من القماش الخشن على الأرض، خلف الأحذية. سحبتها للخارج وفتحتها.

وجدت في الجزء السفلي قرصًا معدنيًا بحجم قطعة الخمسة سنتات ورخصة قيادة. قلبت الحقيبة على الأرض، لكن لم يسقط شيء آخر.

التقطت القرص المعدني الصغير. كان سميكًا وأثقل مما توقعت، تقريبًا مثل بطارية الساعة، ولكن من دون أي علامات. هل هو جزء لشيء إلكتروني؟ قطعة في لعبة؟ ثم دسسته في جيبها.

ثم نظرت إلى رخصة القيادة. كانت الصورة لفينسنت وهو في سن أصغر، وترتسم على شفطيه ابتسامة واسعة بشعر أنيق مصفف بعناية، وقميص بياقة يظهر على طول الجزء السفلي من الصورة. العنوان في سبرينجفيلد مع رقم شقة. وفوق اسم عاصمة الولاية، اسم مختلف تمامًا.

إدموند فينسنت كارفر.

للحظة، اعتقدت تشارلي وهي مذهولة أنها كانت تنظر إلى بطاقة هوية مزورة، لكن البطاقة كانت ذات حواف منتظمة الشكل وعندما حملتها أمام الضوء، أضاء الكينيجرام - الصفحة المحتوية على معلومات الهوية - المعدني على صورته.

إنه حفيد ليونيل سولت. الشخص الذي سرق كتاب الخراب. الشخص الذي كان من المفترض أنه ميت.

وريت ليونيل سولت، يرقد بجانبها في الظلام.

وجدت تشارلي صعوبة في التقاط أنفاسها. كانت متأكدة أنها تتعرض لنوبة زعر كاملة، وأنها إذا استمرت في التقاط أنفاسها بسرعة وبطريقة سطحية، فإنها ستصاب بكدمات في رثتها.

أخرجت تشارلي هاتفها والتقطت صورة لرخصته، مندهشة من قدرتها على أن تفعل ذلك بثبات رغم كل شيء. بدا لها أن كل شيء يحدث بسرعة كبيرة. لكنها دفعت نفسها باتجاه جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بها وفتحت محرك البحث الخاص بها. ثم كتبت «إدموند كارفر» و«سبرنجفيلد».

الضربة الأولى كانت مقالة ظهرت في الصيف الماضي، نُشرت في صحيفة ذا ريببليكن:

سبرنجفيلد - اكتشفت بقايا جثتين محترقتين في سيارة على بعد شارعين من كازينو إم جي إم في منطقة وسط المدينة في ساعات الصباح الباكر من يوم الاثنين.

حددت الشرطة أن إحداهما تخص إدموند «ريمي» كارفر، 27 عامًا، وهو من الوجوه الاجتماعية المعروفة وحفيد ليونيل سولت. أما الأخرى فهي روز الألباند، 23 عامًا، والتي أُبلغ عن اختفائها واعتبارها في عداد المفقودين بعد اختفائها من شقتها في ورسيستر قبل أربعة أشهر. تشير تقارير الطب الشرعي الأولية إلى وقوع جريمة قتل - انتحار.

مكتب رئيس الشرطة لا يبحث عن مُشتبه بهم حاليًا.

تسارعت دقات قلب تشارلي.

بعد إجراء المزيد من البحث وجدت صورة فينس مع عشرات الشباب الآخرين ذوي الأكتاف العريضة في فريق المبارزة بسلاح الشيش بجامعة نيويورك. كان يرتدي بذلة بيضاء ذات ياقة، وذراعه مطويتان على صدره، وشعره أقصر مما هو عليه في صورة الرخصة، ويكاد ألا يكون موجودًا على جانبي فروة رأسه. لقد بدا كأنه يرتدي زيًا تنكريًا، باستثناء الطريقة التي كان يبتسم بها للكاميرا، إذ كان يبتسم كمن يعتقد أن العالم خُلِق لأشخاص مثله.

لم يبتسم فينس بهذه الطريقة وهو معها قط.

بالطبع، في ذلك الوقت كان يُطلق على نفسه اسم ريمي وكان ثريًا وسعيديًا. وقتذاك لم يكن قد قتل أحدًا أو زوّر موته. لم يكن يعمل في الخفاء لتنظيف الجثث أو يعشق فتاة محطمة نفسيًا كي توفر له مكانًا للإقامة والنوم.

تذكرت العرق الذي كان يقطر بين لوحَي كتفيها في الحانة المزدهمة في الليلة التي التقيا فيها، ومذاق الشراب الذي كانت تحتسيه لأنها أرادت وقتها أن تسكر بدفع أقل تكلفة، وصديقتها التي غادرت مبكرًا، وكيف أن فينس وقف حائلًا بينها وبين أن تؤذي نفسها أكثر في تلك الليلة وما تلاها.

لو عرفت أنه محض ثري قدر، فهل كانت ستصحبه إلى المنزل وقتما كانت تشعر بالانهزام والحماسة؟ مستحيل. بالطبع لا، كما أنها لم تصدق تمامًا ما حكاه عن نفسه. لو عرفت، كانت لتعتقد وقتها أن هذه هي أسوأ سلالة في العالم. أوه، إنه حفيد الملياردير الشهير، كما يُقال؟ حسنًا، أنا فقط أرافق المليونيرات ومن شابههم. يا لي من محظوظة! ماذا لو كان قد كشف لها حقيقته وأقنعها؟ أبدًا. إنه ليس مجرد شاب تخرّج في جامعة مرموقة، أو شاب لديه صندوق ائتماني ومستقبل واعد أمامه. لم تكن لتسمح له بأن يعود معها إلى منزلها المستأجر، حتى يتمكن من السخرية من طريقة عيشها، وحتى يتمكن من النظر إليها باحتقار بسبب وظيفتها، وافتقارها للتعليم اللائق، وجميع خياراتها السيئة.

ولو عرفت أنه مرتبط بليونيل سولت، لكانت قد كسرت زجاجة فوق رأسه.

حاولت تشارلي أن تركز، وتتخيل ما كان يفكر فيه في تلك الليلة. ربما كان يشعر بالقلق لأنه لم يعد لديه مستقبل، أليس كذلك؟ لقد سرق كتاب الخراب، ثم حدث خطأ ما. خطأ يتعلق بالفتاة التي كانت معه؟ شيء أسفر عن جثتين ونشوء حاجة لتزييف قصة موته؟

لقد حصل على رخصة القيادة المزيفة من مينيسوتا بطريقة ما، وهي مزيفة على نحو جيد بما يكفي كي لا تشك امرأة مثل تشارلي فيها. بالطبع، فإنها لم ترَ رخصة حقيقية من مينيسوتا من قبل، أو أخرجتها من غلافها البلاستيكي لتفقدتها، كما أنها افترضت أن عددًا قليلًا جدًا من الأشخاص الآخرين لديهم أيٌّ منها. لكنه لم يكن لديه قَط بطاقة ائتمان ولا أي نوع من أنواع الائتمان. لا يوجد رقم ضمان اجتماعي. مجرد عمل تنظيف - بشكل غير رسمي - لغرف الفنادق التي وقعت فيها جرائم القتل.

ثم دخلت تشارلي إلى حياته. ربما رآها تشرب بمفردها ورأى أن هذه علامة على أنها صيد سهل. فتاة حزينة، على استعداد لأخذه مباشرةً إلى منزلها. يائسةً بما يكفي لعدم طرح الكثير من الأسئلة. هذا ما يفعله المحتالون البارعون. إنهم لا يكونون بحاجة إلى إقناعك بأي شيء؛ لأنك تكون مشغولاً جداً بإقناع نفسك بكل شيء.

ثم بعد ما يقرب من عام، دخل فينس إلى الحانة - حيث تعمل تشارلي - ووجد الشخص الذي استأجره جده يقف هناك ويصوب لها مسدساً. لو كان هيرميس قد اكتشف هويته، كان سيواجه أزمة كبرى وغير مسبوقة؛ لذلك كان يجب أن يموت هيرميس. إنه لم يفعل ما فعل لإنقاذ تشارلي.

في تلك اللحظة شعرت تشارلي بقليل من الدوار والغثيان.

«هل تعمدت أن تتركي...». كانت بوزي مستندة إلى إطار الباب، بيد ثابتة على المقبض. اتسعت عيناها قليلاً عندما رأت المرتبة التي دُفعت نحو الحائط، والأدراج الفارغة، ثم وجَّهت بصرها إلى تشارلي الجالسة على الأرض. «هل تعلمين أنك تركت ثلاثين دولاراً في تلك الملابس التي ألقيتها في سلة المهملات؟».

قالت تشارلي «اللعنة!». كان هذا المبلغ هو قيمة الإكرامية التي تحصلت عليها خلال الليل. كانت تفقد السيطرة على كل شيء وتغدو غاضبة على نحو غير مسبوق.

دخلت بوزي الغرفة لتسليمها المال، ثم نظرت حولها مرة أخرى. «ماذا يحدث هنا؟ لأنك لا تبدين وكأنك كنتِ تأخذين غفوة؟».

اعترفت تشارلي: «لا، لم أكن نائمة».

أطلقت بوزي تنهيدة كبيرة وقالت: «سأصنع بعض الرامن ووعاء آخر من القهوة. لديك عشر دقائق لإنهاء كل ما تفعلينه، وبعد ذلك سنجري محادثة».

بمجرد مغادرة أختها، عادت تشارلي إلى البحث على الإنترنت ثم كتبت «إدموند كارفر» مرة أخرى. ظهرت صور له في مدونات المجتمع وهو يوجد في حفلات مختلفة. لا شيء خلال السنوات الأربع الماضية، ولكن قبل ذلك، وجدت إشعارات عن حضوره عروصًا افتتاحية وحفلات.

عثرت على مقال عن حفل لجمعية التراث الفرنسي أظهر صورة له مع امرأة شقراء ذُكر في التعليق أن اسمها أديلين سولت. كانت ترتدي فستانًا حريريًا أبيض بدا باهظ الثمن بشكل خاص على جسدها المتناسق وربما المنحوت.

في الصورة، فينس - إدموند - يلقي بذراعه على كتفها وكأس صغيرة من الشراب في يده. كان يضحك، والضوء مسلط عليه بحيث بدا ظله يلوح فوقهما.

عرفت تشارلي الفتاة. كانت هي التي تظهر في الصورة في محفظة فينس. إنها ابنة سولت، ما يجعلها عمة إدموند أو خالته، على الرغم من أنهما كانا يبدوان في العمر نفسه تقريبًا. أديلين. الفتاة - المرأة التي كان يناديها في أثناء نومه.

نشر العديد من الأشخاص تعليقاتهم في قسم التعليقات على مقال الصحيفة:

هذه هي مشكلة الاحتفاء بالفئة الطفيلية التي تُمَثَّل واحدًا بالمائة من المجتمع. لا بأس بأن يكون المرء قاتلاً ما دام يعرف كل الأشخاص المناسبين وأصحاب السلطة والنفوذ.

لا أصدّق الاتهامات الموجهة إلى ريمي وأي شخص يعرفه لن يصدق ذلك أيضًا. لطالما كان على استعداد لفعل كل ما بوسعه مهما تطلّب الأمر لمساعدة الناس، من تعريض ملابسه للبلل الشديد وهو يساعد العمال على إقامة خيمة بعد تهديد عاصفة مطيرة لإفساد أجواء حفلة في هامبتونز، إلى الاستلقاء على رصيف قدر لاستعادة محفظة شخص غريب سقطت في بالوعة. لن أنسى أبدًا التسلسل خارج حفل غداء في حديقة سنترال بارك لمجرد السير في الحديقة معه. هذا هو إدموند الذي اخترت أن أتذكره.

ربما أكون شخصًا شريرًا، لكني سعيد لأنه مات. أتمنى لو كان قد مات قبل أن يتمكن من قتل فتاة بريئة معه. إنه لأمر مثير للاشمئزاز أن يدافع عنه أي شخص، وأن «يختار أن يتذكره» على أنه أي شيء سوى ما كان عليه؛ شخص معتل اجتماعيًا.

سمعت تشارلي أختها تضع شيئًا ما في الحوض وعرفت أن لديها بضع لحظات أخرى قبل أن تضطر إلى التحدث إلى بوزي. ولكن هناك شيئًا آخر تريد القيام به. وضعت اسم ليونيل سولت في خانة بحث جوجل، وهو شيء لم تفعله منذ سنوات.

كان هناك ملف تعريف عن ضيعته أو قصره في ويست سبرينجفيلد، والتي يبدو أنه اشتراها بمبلغ 8.9 مليون دولار في عام 2001، إلى جانب بعض الروابط لاسمه المرتبط بالقضايا القانونية المستمرة. بمجرد أن رأته صورة لمنزل الرجل أو قصره الفاخر، بدأت راحتا تشارلي تتعرقان.

كان يشبه القصر الذي تتذكره.

14. سرب من الذباب الأسود.

كانت بوزي تتناول الرامن المتبّل بكمية كبيرة من صلصة الثوم والفلفل الحار عندما خرجت تشارلي من غرفة النوم.

كانت بوزي، التي كانت ترتدي سروالاً ضيقاً وقميصاً واسعاً، قد سحبت شعرها البني وعقصته في جديلة واحدة. كان هذا مظهرًا عاديًا لها، باستثناء أنها وضعت أيضًا محددًا للعينين، وملمعًا للشفاه، وارتدت حذاءً طويلًا بسحاب. كانت تخطط للذهاب إلى مكان ما. كانت تشارلي تأمل فقط ألا يكون مختبرًا من النوعية التي تخشاها.

قالت تشارلي: «حسنًا، لقد أردت التحدث معي من دون وجود فينس». وأجبرت نفسها على التركيز على هذه المحادثة وليس على كل ما عرفته عنه قبل دقائق، ثم استطردت: «لأي غرض؟».

فردت بوزي بسؤالها: «ألن تخبريني لماذا قلبت غرفة نومك رأسًا على عقب؟».

ربما يجب على تشارلي أن تطلب من أختها قراءة حظها في بطاقات التاروت مثل السذج في كل مكان. ربما كانت أيضًا بحاجة إلى سماع شخص آخر يقول لها: «إنه ليس إنسانًا جيدًا». لكنها قالت: «حدثيني أولاً عن موضوعك أنت».

«حسنًا، في الليلة الماضية، كنت أتحدث مع هذا الرجل».

تمنت تشارلي فجأة لو أنها لم تثرثر بالكثير في الليلة السابقة. «لقد أخبرتني أنك لن تفعل ذلك».

قالت بوزي: «لقد توقفت عن الجدل معك. لكنني لم أوافق قط على فعل ما قلته لي».

بإجراء مكالمة هاتفية حمقاء واحدة، كادت تشارلي تقتل نفسها. ماذا سيحدث لو سمع سولت بطريقة ما قصة بوزي وربطها بهيرميس؟

أصرت بوزي: «كنت حريصة».

«اسحبيه. أيًا يكن ما عرضته أو تحدثت عنه، فاسحبيه أو تراجعني عنه». تلفتت تشارلي حولها بحثًا عن الكمبيوتر المحمول الخاص ببوزي كما لو أنها تستطيع إلقاءه بطريقة ما في بحيرة ناشاوانوك، وكما لو أن ذلك سيؤدي بدوره وبطريقة ما إلى إزالة ما نشرته على الإنترنت.

فأصرت بوزي: «لم يكن على الإنترنت. لقد كانت محادثة مشفرة تُحذف بعد قراءتها».

جلست تشارلي إلى الطاولة. كان رأسها يطن بشدة. كانت أحداث الأربع والعشرين ساعة الماضية كثيرة للغاية حيث أرادت أن تتكور على نفسها في قاع حفرة مظلمة أو ربما تنخرط في شكل من أشكال التنفيس عن همومها بالصراخ.

قالت بوزي: «انسي كل ذلك لمدة دقيقة؛ لأن هذا ليس الجزء الذي أريد التحدث معك عنه».

قالت تشارلي وقد بدأت تفقد السيطرة على ردود فعلها: «اللعنة!».

«هناك طالب دراسات عليا في جامعة يوماس واسمه مادوراي مالهار آير. إنه يعمل على أطروحة دكتوراه حول إيقاظ وفصل الظلال عن أجساد أصحابها. الرجل الذي أخبرني عنه كان يحاول إقناع مالهار بالتحدث معه منذ زمن طويل، لكن مالهار أصر على أن يتجاهله».

كان لدى تشارلي شعور بأنها تعرف ما سيحدث بعد ذلك، وأنها ستكره ذلك.

«كنت على يقين من أنك لن توافقني على مقابلته؛ لذلك كتبت له وزعمت أن كل الأشياء التي حدثت لك حدثت لي، لكن...»

حدقت تشارلي إلى وجهها بيأس.

فأتمت بوزي حديثها: «لكني لا أستطيع الذهاب وحدي».

«ولم لا؟».

قالت بوزي كما لو أن هذا الأمر بديهي: «لأنني لم أفكر في هذه الاحتمالية».

غرست تشارلي شوكة في حساء الرامن الذي طهته أختها وتركت الفلفل الحار يحرق فمها وهي تأكله. «يبدو أن هذا يمثل مشكلة كبيرة بالنسبة لك».

«لقد أخبرته أننا يمكننا مقابلته في مكتبة يوماس الليلة للتحدث»، هكذا قالت بوزي بنبرة مرتفعة كمن يطلب المصادقة على ما قال من دون أن يبدو أنه يطلب ذلك بل يقرره، ثم أضافت: «الليلة».

قالت تشارلي وهي ترفع يديها: «لا.. لا، لن يحدث هذا بأية حال من الأحوال. هذا لن يحدث».

ضيق بوزي عينيها وهي تقول: «هل أنت مشغولة بفعل شيء؟ مثل التخطيط لبعثرة محتويات غرفة المعيشة؟».

نهضت تشارلي موضحةً: «الليلة الماضية كانت سيئة للغاية، وأنا بالتأكيد لا أريد مناقشة ما جرى فيها مع شخص غريب اليوم».

«لقد كذبت بشأن مقابلتك لكاتلين الليلة، وأنا أعلم ذلك يقينًا. أنت تبحثين عن شيء ما ولا تريد أن يكون فينس هنا عندما تفعلين ذلك». كان تهديدها مضمراً، لكنه كان فعالاً.

وقفتا وهما تحدقان إلى بعضهما. كانت يدا تشارلي متكورتين بشدة وبلا وعي على شكل قبضتين، لدرجة أن أظفارها كانت مغروسة في راحتيتها، «لا تفعلي هذا».

قالت بوزي برجاء: «ليس لديّ سيارة. خذيني في سيارتك إلى هناك، رجاءً».

زمجرت تشارلي وتوجهت إلى غرفتها.

«إلى أين تذهبين؟»، صاحت بها بوزي.

«لأجلب معطفي».

مرت تشارلي بلوسبير وهي تطوح بذيلها وتحقق إلى أحد الجدران بالقرب من غرفة الاستحمام. في بعض الأحيان يمكن سماع الفئران وهي تخربش هناك، ما يجعل القطة متحفزة. في تلك اللحظة افترضت تشارلي أنهم كنّ جميعًا متحفزات وبالتحديد هذه الأيام.

بعدما عادت إلى غرفة النوم، حاولت تشارلي أن تنظّمها بحيث يكون مظهرها مرتبًا على نحو ما؛ فرتبت الفراش وفردت عليه ملاءات جديدة كي تتذرع لاحقًا بأنها كانت تنظف الغرفة، إذا ما بدا أن شيئًا ما في غير موضعه.

وهما ينطلقان بالسيارة من الممر، كانت أفكار تشارلي عبارة عن خليط من ذكريات قتل سولت لرانند، والسهولة التي ارتكب بها فينس جريمة قتل في الليلة السابقة ثم أخفى معالمها. هل قتل أحدًا من قبل لصالح جده؟ هل قتل تلك الفتاة التي وجدوها ميتة في سيارته لأجل سولت؟ هل قتلها لسبب يخصه؟

كان فينس حريصًا ودقيقًا وكفؤًا بشكل لا يبعث على القلق، لكن لم يبدُ عليه أنه يحب القتل أو أنه حريص على فعل ذلك مرة أخرى. كان من الصعب عليها تخيّل أنه قد يؤذي شخصًا آخر لغرض المتعة فحسب.

لكن كان بوسعها كذلك أن تتخيله بسهولة في منتصف إحدى الحفلات التي لا تشاهدها إلا على شاشة التلفاز، مرتديًا زيًّا من المرجح أن يكون ثمنه أغلى من ثمن سيارتها، ويجرع من

شراب فاخر وأصلي جاء مباشرةً من المنطقة التي تُزرع فيها الثمار التي يُشتق منها في فرنسا. إن لم تكن قادرة على تخيل كل ما تشاء فلعل تشارلي في النهاية تملك خيالاً محدودًا وغير خصب.

سألت تشارلي لتشتيت انتباهها: «أخبريني إذن عن هذا المدعو مالهار».

هزت بوزي كتفيها في عدم اكتراث: «أنا لا أعرف الكثير عنه. لكنه بدا لطيفًا في غرفة الدردشة».

«لا أقصد أن أنتقص من قدرك يا بوزي، لكن هناك الكثير من طلاب الدراسات العليا في الوادي من حولنا، وهم مجرد طلاب. ما الذي يجعلك تعتقد أن هذا الرجل لديه معلومات أكثر مما لديك؟ أعني أنك تقضين كل ليلة على الإنترنت في البحث. ربما تكونين قد تصفحت مليون حساب للظلال المنفصلة».

زاد عبوس بوزي ثم عقبت: «أنا لا أقوم بأبحاث. يمكن للناس اختلاق القصص، أو المبالغة للفت الانتباه إليهم. يمكن تزوير مقاطع الفيديو. ربما أعرف الكثير، لكن الكثير من الأشياء التي اعتقدت أنها حقيقية تبين لي أنها لم تنجح. في غضون ذلك، فإنه يوثق المعلومات التي يحصل عليها. إن لديه أدلة». تحولت بوزي في جلستها بشكل يشي بأنها منزعجة. ربما لأن المقاعد كانت، مثل كل شيء آخر في سيارات الكورولا، تفتقر إلى الجودة نوعًا ما. «بالحديث عن هذا الموضوع...»

تساءلت تشارلي: «ماذا؟».

تلاعبت بوزي بملامح وجهها كي تُبدي ندمًا زائفًا: «ربما أكون قد بالغت بدوري في الحديث عن بعض الأشياء...»

«كي تلفتي انتباهه بالطبع». علق تشارلي بذلك ثم تطلعت من النافذة إلى السماء المظلمة، وأضافت: «وأعتقد أنك حصلت عليه».

بعد ذلك، بقيت بوزي صامته طوال الطريق حتى عبرتا جسر كالفن كوليديج التذكاري.

برزت جامعة ماساتشوستس بوصفها مدينة وجودها مفاجئ في وسط العدم، مدينة مكتملة بوجود إستاذ لكرة القدم، ومبانٍ شاهقة، واختناقات مرورية، ومجسم صغير لأثر ستونهنج الصخري التاريخي. إذا اتخذت بسيارتك منعطفًا خطأ عند سوق للمزارعين، ستجد نفسك محاطًا بسرب من الطلاب الذي يفدون كل عام مثل الجراد، متعطشين لتناول الجعة وشاي بوبا. الطلاب هم شريان الحياة في الوادي، وحتى إذا ما استاءت تشارلي من وجودهم، فإنها تعرف أنها بحاجة إليهم وإلى أموالهم مثل أي شخص آخر هنا كي تستمر الحياة والوظائف وبالطبع الحصول على الرواتب.

سرعان ما استغدو بوزي واحدة منهم، وتنطلق معهم نحو مستقبل مليء بالإمكانيات المحتملة. على الأقل، كان هذا ما تأمله.

أوقفت تشارلي سيارتها في ساحة انتظار ضخمة، حيث كانت هناك علامات باستخدام بعض الأحرف الكبيرة والتي قد تعني أو لا تعني أنها توقفت في المكان المناسب.

عندما خرجتا من السيارة، أعربت تشارلي مرة أخرى عن أسفها؛ لأنها لم تُحضر معها معطفها الجلدي طلبًا للشعور بالدفء. في الأفق البعيد انزلقت الشمس بلونها الأحمر القاني. كما تمكنتا من رؤية مزرعة البرق في سندرلاند، تلك التي تجمع الطاقة المتولدة من الصواعق التي تضرب الأرض وتُستخدم لأغراض الإنارة وغيرها.

سألت تشارلي. «هل أنت بخير؟».

قالت بوزي: «لا أستطيع أن أتخيل المجيء إلى هنا كل يوم».

وقفنا هناك لبضع ثوانٍ حتى ذكّرت تشارلي بوزي بأنها هي الدليل في هذا المشوار، ومَن ينبغي أن تعرف إلى أين عليهما أن تتجها. أمعنت بوزي النظر في هاتفها لفترة من الوقت ثم قالت: «أعتقد أننا من المفترض أن نتجه نحو تلك البركة».

لقد ضلنا الطريق مرتين وهما تتجولان في الحرم الجامعي، وتمران بمجموعات من الطلاب يرتدون أحذية من الفرو وجلد الأغنام وسراويل بيجامات. جلست امرأة سوداء زججت حواجبها بطريقة أنيقة خارج مركز الطلاب، وهي تقرأ ترجمة نسوية لملمحة بيوولف. وحاول صبي ذو بشرة بيضاء تسليم تشارلي نشرة إعلانية لأحد مهرجانات الرسوم المتحركة. بينما هرول من حولهما ثلاثة رجال يرتدون أزياء موحدة.

لقد ارتاد فينس كلية كهذه، وجلس ليتلقى محاضرات، ويتعلم المبارزة بالشيش. بالطبع فإنه فعل كل ذلك في جامعة أرقى وأعلى تكلفة، جامعة من المفترض أن يتخرج فيها مستعدًا لانتقاد وإطلاق الأحكام الجائرة بحق الأشخاص الأقل حظًا منه.

لقد حظي بكل شيء؛ المال، الامتياز، السلطة.

لأول مرة، تساءلت تشارلي عما يمكن أن يدفع شابًا، لديه كل هذا، إلى الهرب.

كان مادوراي مالهار آير ينتظرهما في بهو المكتبة. كان شابًا طويل القامة، ذا بشرة بنية، يرتدي نظارة ذات إطار سلكي وسترة خفيفة فوق قميص، وكان نحيفًا بطريقة تشي بأنه يقضي الكثير من الوقت في الدراسة حتى إنه ينسى تناول الطعام.

قالت بوزي: «أنا بوزي، وهذه أختي تشارلي».

أدخلهما مالهار بصفتها ضيفتين له وقادهما إلى قاعة للمذاكرة في الخلف. «شكرًا لموافقتك على مقابلتي بهذه السرعة». قال ذلك بينما يسرون بين أرفف الكتب.

أومأت بوزي ردًا على مجاملته، وبدا واضحًا أنها تشعر بقليل من الحرج. كما أدركت تشارلي أنها أرادت أن تثير إعجاب مالهار.

أنزل مالهار حقيبته عن كتفه ووضعها على الطاولة، وأعاد تحريك حاسوبه المحمول ومفكرة كانت موجودة إلى جواره. سقطت عدة أقلام وتدحرجت خلفها تفاحة. «هل

تريدان شيئًا معينًا؟ هناك آلة لصنع القهوة، لكنها ليست جيدة جدًا. لا بأس بتناول الشيكولاتة الساخنة، لكن شخصًا ما أخبرني بأنه عثر ذات مرة على صرصور مسلوق في فنجانهِ».

تقلص أنف بوزي اشمئزًا وقالت: «شكرًا، لا أريد شيئًا».

بينما ردت تشارلي: «سأخذ قهوة الصرصور». لقد بدأت دفقة الطاقة التي استمدتها من قهوة بالتازار المسكّرة في التلاشي، وكانت بحاجة إلى شيء آخر لتواصل اليوم بشيء من التركيز.

قال: «سأحضر بعضًا منها». ثم أردف مترددًا: «أنا متأكد من أن القهوة جيدة. أعني، الكثير من الناس هنا يشربونها».

بعد قليل عاد ومعه ثلاثة أكواب؛ اثنان بهما قهوة وواحد به شيكولاتة ساخنة. افترضت تشارلي أنه يشعر بأنه ملزم بأن يُحضر كوبًا لنفسه، مثل مضيف يأخذ أول رشفة من الشراب ليُظهر للجميع أنه لا يسمم ضيوفه.

ثم قال مالهار وهو يتنحّج: «بوزي، أود منك أن تحكي قصتك مرة أخرى، وأود أن أسجلها. هل يناسبك هذا؟».

دفعت بوزي كتفيها للخلف. «في الحقيقة أختي هي التي حدث معها ما أخبرتك به. لقد أخبرتك بأنني صاحبة القصة المثيرة، لأنني لم أكن متأكدة من رغبتها في التحدث عن ذلك. لكنني أقنعتها بضرورة أن تفعل ذلك».

تحولت نظرتَه إلى تشارلي التي هزت كتفيها في لا مبالاة.

«إذن، أنتِ صاحبة الظل اليقظ أو المتنبه أو المستقل؟». بدا مالهار مرتبًا وأدركت تشارلي أنه محق في حيرته ثم التفتت إلى بوزي وقالت بنبرة مستنكرة: «ماذا؟».

بدأت بوزي خجلة. ثم أعلنت: «نعم، إننا نتحدث عن الظل المستقل، أو على الأقل شيء ما يشبهه. أنت تعرفين جيدًا أن ما حدث معكِ الليلة الماضية كان غريبًا جدًا».

قالت تشارلي وهي تقف: «سأقتلك. حقًا سأفعل! لن يلومني أحد. لا أصدق أنني تركتك تسحبيني إلى هنا...»

رفع مالهار يديه متصديًا لموجة العنف التي قد تنشأ في غضون ثوانٍ واقترح: «يمكننا إجراء بعض الاختبارات».

لقد أخبرتها بوزي في السيارة بأنها بالغت في حكي تفاصيل القصة، لكن تشارلي لم تتوقع أن يصل الأمر إلى هذا الحد. «مستحيل. سنخرج من هنا. إنها تضيع وقتك. كل ما تريده هو أن تخبرها كيف توقظ ظلها. ستقول لك أي شيء تعتقد أنه سيقنعك بفعل ذلك».

قالت بوزي وهي تشد ذراعها: «انتظري. دعيه يبحث الأمر. أخبريه بالقصة».

نزعت تشارلي ذراعها من يد أختها الصغرى. لقد أرادت أن تلقي بكوب قهوتها بعيدًا. أرادت إلقاء كرسي على أحد.

ومع ذلك، تساءل جزء آخر منها، هل يمكن أن يكون ظلها سحريًا؟ ألا يستحق الأمر ترك أختها تفلت من العقاب على عملية احتيال صغيرة، وإن كانت مزعجة لها للغاية، إذا أضحت بعض المعلومات التي ستحصلان عليها مفيدة بالفعل؟

قالت تشارلي: «حسنًا». وعادت إلى الجلوس على الكرسي. «تفضل. اختبر ظلي. أيًا كان. لكن عندما يتبين أن كل هذا هراء، لا تثقل إنني لم أحذرك».

رفع مالهار هاتفه: «إذن، لا بأس إذا سجلت ما يحدث هنا؟».

ردت تشارلي: «لا، أنا غير موافقة».

قالت بوزي لتستحثها: «تشارلي، لا تكوني متصلبة الرأي».

أوضح مالهار: «لن تضطرا إلى ذكر اسميكما في التسجيل. سأبقي هويتيكما سريتين في ملاحظاتي. هذا التسجيل فقط لأعود إليه من جديد لغرض المراجعة، لذلك أنا حريص على أن يكون كل شيء لديّ على ما يرام. لن يسمع هذا أي شخص آخر».

نقلت تشارلي نظراتها بينه وبين بوزي ثم أكدت: «لا بأس، لا أسماء».

بعدما ضغط على زر، وضع الهاتف المحمول بينهما. «حسنًا، نحن نسجل. سنمضي قدمًا وبتدرج. أولًا، أخبريني قليلًا عن نفسك. عمرك. أي تفاصيل أخرى تبدو مهمة».

«عمري ثمانية وعشرون عامًا». أما باقي التفاصيل فلم تكن بالتي تسمح تشارلي بوضعها على لسانها في تسجيل موثق، لذلك أضافت: «لا يوجد الكثير لأضيفه».

«ماذا عنك؟». والتفت إلى بوزي.

«أنا؟». كانت تعلق الجلد حول إبهامها بعصبية. ثم عضت طرف إصبعها وبدأ لها عندئذ أنها صارت تدرك حقيقة ما كانت تفعله، فطوت يديها على الطاولة.

«سوف تتحدثين في التسجيل». وابتسم لها بطريقة مطمئنة.

رفعت بوزي صوتها قليلًا، وكأنها تخشى ألا يلتقطه التسجيل: «أنا في الخامسة والعشرين. أنا أختها، وأقرأ بطاقات التاروت للأشخاص عبر الإنترنت».

سأل مالهار: «حقًا؟».

أومأت برأسها. «يمكنني أن أفعل ذلك لك».

«نعم، ربما يمكنني أن أستعين بقراءة من هذا النوع». قال عبارته هذه بنبرة مَن يبدو كأنه يندم على كل شيء بخصوص هذه الليلة. «اسمحا لي بأن أشرح لكما بعض التفاصيل عن المشروع الذي ستكونان جزءًا منه. لقد بدأ كإثنوجرافيا؛ دراسة ثقافية عرقية ومنهجية لعلماء السحر. محاولة للغوص العميق في هذا المجتمع. بدا الأمر مهمًا عندما كان أشخاص في الجوار لا يزالون يعتقدون أن أمورًا كهذه من قبيل الأسرار، وآخرون لم يعرفوه إلا - في المقام الأول - من خلال رؤية الظلال المتغيرة في المجالات».

وأضاف: «ولكن كلما زاد عدد الأشخاص الذين تحدثت إليهم، أصبحت مهتمًا أكثر بالظلال المستقلة، والإثنوجرافيا الخاصة بها. لقد فوجئت بمدى اختلاف النظر إلى الظلال في العصور المختلفة وبين المجموعات المختلفة. وهي النتيجة التي لم تتناسب مع التصور الأصلي للأطروحة. لذا، آه، تضخمت الأطروحة واتسع نطاقها. بدأت في جمع المراجع التاريخية ومقارنتها بالسرديات الحديثة. ثم صرت بحاجة إلى إجراء المزيد من المقابلات. كنت أقضي الكثير من الوقت في الدفاع عن عملي أمام أساتذتي. وزملائي. وحتى والدي».

فَعَقَّبَتْ تشارلي: «يجب أن يكون كل هؤلاء سعداء لأنك تفعل ذلك. ألن تهتم جامعة ماساتشوستس، على سبيل المثال، بتأسيس كلية للسحر والسحرة يومًا ما؟».

تحسرج صوت مالهار لما اشتمه في تعقيبيها من سخرية وقال: «هناك فيزيائيون يختبرون الظلال الخبيثة والمظلمة. كما يجمع علماء الفولكلور القصص. ويخيط علماء الأحياء ظلال الققط على الفئران. لكن من المفترض بي أن أكون عالمًا في الإثنوجرافيا حيث الأعراق والسلالات البشرية، ويبدو أن الجميع يعتقدون أنني منغمس في الموضوع بقدر زائد على الحد».

فردت تشارلي: «آه، أنت مَن يهتم بتأسيس كلية السحر والشعوذة».

هز رأسه لكنه كان يبتسم هذه المرة: «هل تعلمين أنني سأحذف أي شيء محرج يُقال خارج النص المكتوب للتسجيل؟».

سألت تشارلي: «ماذا لو قلت شيئًا أريده أن يكون غير قابل للنشر؟».

فأجاب: «سأوقف الشريط طوال مدة أي تعليق تريدين إبداءه وأعيد تشغيله عندما تنتهين. هل هناك شيء تريدين قوله ولا تريدينه مسجلًا على الشريط؟».

قالت: «ربما».

انتظر ما الهار أن تقول المزيد، وعندما لم تفعل أو ما لها برأسه بشكل مشجع، كما لو كان معتادًا إجراء مقابلات مع غريبي الأطوار المصابين بجنون الارتياب. أخيرًا، تنحنح وتابع: «هل يمكنك أن تعطيني تفسيرًا لما أدى إلى حدوث التغيير في ذلك؟».

تناولت تشارلي رشفة من القهوة، في محاولة لمعرفة كيفية سرد هذه القصة بطريقة لن تضرها لاحقًا. «جاء رجل إلى محل عملي واستخدم ظله لتخويفي. كان ظله أشبه بسحابة من الضباب لدقيقة واحدة، ثم صار مثل دمية ورقية مقطوعة لشخص خرج من قلب ثقب أسود. شكل مصنوع من ضوء غائب أو ظلام عميق. كان بمقدوره أن يصبح صلبًا بما يكفي لهز وإسقاط بعض زجاجات الشراب في الحانة. وهو...»

توقفت تشارلي عندما استرجعت ذكرى الشيء الذي غاص في رثتها، وعجزها الكامل في تلك اللحظة. لقد جرعت ما تبقى من القهوة، على أمل أن تساعد مرارة القهوة على تجاوز تلك اللحظة. لسوء الحظ، كانت القهوة خفيفة وسائلة حتى استقرت في بطنها.

«ثم نزل الظل عبر حلقي. لقد شعرت بأنه كثيف وثقيل، كما لو أنني ابتلعت سحابة عاصفة. لم أكن أستطيع التنفس». نظرت إلى طلاء الأظافر المكسور على إبهامها، كي لا يكون عليها أن تنظر إلى أيٍّ منهما. «ثم فقدت الوعي، على الرغم من أن ذلك لم يدم لفترة طويلة».

ثم استعادت سماع صوت فينس عندما استيقظت. الهدوء والنعومة التي كان مفعماً بها عندما كان يتحدث إلى هيرميس، والرقعة التي كانت تغلف صوته وقتما كلمها على الدرج، وقوله: «أتمنى لو كان على قيد الحياة حتى أقتله مرة أخرى».

قال مالهار: «فقط بعض التوضيحات». «هل يمكن أن تخبريني إلى أي مدى كان الظل قادرًا على التحرك بعيدًا عن جسد الشخص؟».

فردت عليه تشارلي وهي سعيدة بالتركيز على التفاصيل الفنية بدلاً مما شعرت به: «ربما حوالي سبعة أمتار حدًا أقصى، لكنه ابتعد في العموم بمقدار ثلاثة أمتار في غالب الأحوال».

طرح مالهار سلسلة من الأسئلة من هذا القبيل: كم مرة أصبح الظل فيها صلبًا؟ إلى أي مدى أصبح صلبًا؟ هل بدا الظل مرتبًا بأحد سحرة الظلال؟ هل بدا ساحر الظلال متوترًا أو منهكًا بأي شكل من الأشكال أو توقف عن تزويد الظل بالدم؟ هل نذفت تشارلي؟ وإذا كانت قد نذفت، فهل بدا الظل مشتتًا أو مهتمًا بالدم؟

ثم قدّم ملاحظة لافتة: «وهل تحدث الظل في أي وقت؟».

هزت تشارلي رأسها نفيًا وهي متفاجئة من السؤال. في أوقات ما ذكر أن الظلال المستقلة كانت تتحدث، أو على الأقل بعض منها فعل ذلك. الظلال القوية للغاية من بينها، مثل رودي جوس الذي كان مسؤولًا عن مذبحه بوكسفورد، أو شيانج شينج الذي أملى على بعض العلماء والباحثين العديد من الملاحظات حول طبيعة العالم ومكوناته في حوالي عام 220 بعد الميلاد وكان يُنظر إليه على أنه شبح. كان معظم الظلال المستقلة - التي يتحلى معظمها بالخبت أو تطغى عليه نوازع الشر - أقل ذكاءً من الحيوانات، فقد اقترضت ما تتحلى به من خبت ومكر محدود من ذكرياتها البشرية، وقد امتزج ذلك بالجنون الذي أصاب معظمها.

لكن الظلال العادية كانت لا تزال مقيدة. ولم تتمكن من التحدث، على الأقل ليس من تلقاء نفسها. حسنًا، على الأقل هي كانت تعتقد أنها لا تستطيع ذلك.

لا بد أن بوزي كانت تتساءل عن الشيء نفسه: «هل يمكن لهذه الظلال التحدث بالفعل؟».

تردد مالهار، ليس كما لو كان يحاول أن يقرر هل يجيب أم لا، بل كما لو كان يحاول أن يقرر كيف سيصوغ ما سيقوله. «أنا لا أعرف ما تعرفينه عن آليات تبادل الطاقة بين ساحر الظلال والظل ذي الصلة».

فعبست بوزي. لم تكن تحب أن تعترف بما لا تعرفه، لكن تشارلي خمنت أن هذا أحد الأشياء التي كانت تريد بعض الإجابات الحاسمة عنها.

لذا سارعت تشارلي إلى القول: «أخبرنا».

«الإنسان العادي، في حالة الراحة، يُنتج طاقة كافية لتشغيل مصباح كهربائي أو لشحن الهاتف. أما إذا ركضنا، فإننا نُنتج ما يكفي لتشغيل موقد كهربائي». ثم هز رأسه وتابع: «وفقًا للقانون الأول للديناميكا الحرارية، لا يمكن إنشاء أو تدمير الطاقة؛ لذلك نحن لا نصنع الطاقة بل نستمدّها من الطعام والماء».

أومأت بوزي مسائرةً تفسيره.

«هذه هي الطاقة التي تُنقل إلى الظلال. إنها تشبه إلى حد ما الطفيلي. حيث يُنتج الجسم طاقة زائدة على أية حال، والطفيلي السحري يستنزفها. كلما زادت الطاقة التي يخزنها، زادت قوته».

فقلت بوزي: «وهذه هي الطريقة التي من خلالها تدفعها لفعل ما تريد».

قال مالهار: «لقد لاحظت أن لسانك مشقوق، لذلك أنا متأكد من أنك سمعتِ عن الوعي المتشعب. يدرّب سحرة الظلال أدمغتهم ليكونوا قادرين على التحكم في ظلالهم مع التحكم في أجسادهم في وقت واحد. مثلما أن الناس الذين يستخدمون كلتا اليدين بالكفاءة نفسها لديهم ميزة إضافية، فإنك إن رأيت ساحرًا للظلال من دون لسان منقسم أو مشقوق، فالاحتمال الأرجح أنه يجيد استخدام كلتا يديه بالكفاءة نفسها».

قالت بوزي بصبر نافذ: «بالتأكيد». بالنسبة لها، كانت هذه معلومات أساسية ومعروفة.

«المشكلة أن الظل المستقل بعدما يُوقظ، لا يخزن بمفرده الكثير من الطاقة. لذلك، لنفترض أن أحد سحرة الظلال يريد أن يفعل شيئًا يتطلب طاقة أكبر من تلك التي يمتلكها ظله، يمكنه فتح نقرة أو جرح لظله، والسماح له بسحب الطاقة منه، لكن ترك هذه النقرة أو الفتحة أو الجرح مفتوحًا لفترة طويلة يعني إمكانية أن يموت الساحر. هذه هي المرحلة التي تبرز فيها الروح المنقسمة.

«إذا وضع أحد سحرة الظلال بعضًا من نفسه أو كيانه في ظله، فسيتمكن إنشاء كيان منفصل يحمل الطاقة. يصبح الظل مرآة عاكسة للذات، أو يغدو بمثابة الذات المنعكسة، الذات الثانية، الذات المقلوبة. ولكن كلما زاد ظلك قوة، زاد تحكُّمك فيك».

قالت تشارلي: «فيتحول الظل المنفصل العادي إلى ظل مستقل خبيث».

أوماً مالهار برأسه موافقًا واستطرد: «عندما يموت ساحر الظلال، يحدث ذلك. لكنني أعتقد أنهم يكتسبون الوعي قبل هذه المرحلة بوقت طويل».

خطر ببال تشارلي أن مالهار قال إنه كان يدرس إثنوجرافيا الظلال، وفهمت فجأة لماذا اعتقد مستشاروه أنه تعمق في الأمر بما يجاوز حد الاعتدال أو ربما الحد المرغوب فيه. هل كان يأمل في إجراء مقابلة مع واحد منهم؟ هل أجرى مقابلة مع أحدهم بالفعل؟

«آه، حسناً، يجب أن نصل إلى الجزء التجريبي». قال مالهار وربما ميِّز التعبير الذي ارتسم على وجهها. «هناك ثلاثة أشياء أود أن أجربها، لكن عليَّ إعداد شيء ما أولاً».

سألت تشارلي: «هل ستصوّر بالفيديو؟».

أجاب بحذر: «إنه جزء من الاختبار».

تجهمت تشارلي عندما أخرج حاملاً معدنيًا وأوصل سلكًا من جهاز الكمبيوتر المحمول بهاتفه. «إياك أن تفكر حتى في إظهار وجوهنا».

أومأ برأسه وهو يُخرج بعض الحلقات الضوئية. ثم أخرج إبرة صغيرة - من النوع الذي يُستخدم في وخز الأصابع - في عبوة بلاستيكية.

«تشارلي، هلاً تقفين؟». سألهما، بعد أن وضع معداته حيث أراد أن تكون.

فنهضت.

«الآن، هل يمكن لأيٍّ منكما إخباري بما لاحظته وجعلها تعتقد أن ظلها قد تأثر بالتجربة؟».

قالت بوزي: «لقد تحرك بشكل غريب. ليس معنى ذلك أنها كانت تتحكم فيه أو أي شيء آخر، لكنه تحرك على نحو غريب».

التفت إلى تشارلي وسألها: «هل أطعمته بعضًا من دمك؟».

فقالت: «لقد كنت مصابة في تلك الليلة وبجسدي الكثير من الجروح. وبعد ذلك، أزلت قشرة أحد الجروح في الحمام اليوم فتدفق منه الدم؛ لذلك أنا لا أعرف، ربما».

بدأت بوزي وكأنها قد تعرضت للخداع لأنها تسمع هذا الكلام للمرة الأولى، ولكن بالنظر إلى أن هذه المقابلة نفسها ما كان لها أن تحدث لولا أنها خانت ثقة تشارلي بها وكذبت عليها، فقد قاومت أن تشعر بالاستياء حيال ذلك.

سأل مالهار: «هل ستكونين على استعداد لوخز إصبعك الآن؟ أمام الكاميرا».

«بالتأكيد». التقطت تشارلي إبرة الوخز وفتحت العبوة. ثم دفعت برأس السن إلى إصبعها وشاهدت نقطة حمراء صغيرة تظهر.

شاهد الجميع ما يحدث في صمت. لكن لم يحدث شيء. أخيرًا، لعقت تشارلي إصبعها وعقبت: «حسنًا، لم ينجح الأمر. هل انتهينا؟».

لم تكن متأكدة من شعورها الحقيقي. لم تكن تعتقد أنها تود أن تكون ساحرة للظلال، لكنها كانت تشعر كمن فشل في اختبار مهم.

«هل يمكنك محاولة جعله يتحرك؟». سألتها مالهار، على الرغم من أنه كان يعلم أنه لا فائدة من ذلك.

حشدت تشارلي تركيزها. كانت مضطربة بعض الشيء، لكن تفكيرها لم يكن مشتتًا بالقدر نفسه.

سألت بوزي: «هل ستحاولين بالفعل؟».

فرمقت تشارلي أختها بنظرة ذات دلالة.

قال مالهار: «حسنًا، آخر مرة». ثم أشعل الأضواء.

الحلقة الأولى من الضوء كشفت أن ظلها بدا شامقًا على الحائط إلى يسارها.

ثم أضاء نور الحلقة الثانية والذي كان يجب أن يضاعف حجم الظل، ومع ذلك لم يحدث أي شيء على الإطلاق.

حدقت تشارلي، غير راغبة في تصديق ما كانت تراه: «هل هو...؟».

أومأ مالهار برأسه، وعندما تحدت كان صوته منخفضًا: «لديك ظل مستقل. إنه لم يصل إلى مرحلة الانفصال الكامل بعد، لكن بعد يوم أو يومين آخرين من إطعامه بالدم سيصل إلى هذه المرحلة. لا أعتقد أنني رأيت ظلًا من قبل في هذه المرحلة».

حدقت تشارلي إلى ظلها الشاهق فوقها، ونبض قلبها يتسارع. كانت تعرف أنه جزء منها، لكنها لم تستطع أن تمنع شعورها بالخوف منه. «ماذا أفعل؟».

قال مالهار: «يمكنك التوقف عن إطعامه وسوف يسكن».

فأومأت برأسها موافقة.

فقالت بوزي محتجة: «لكنك لن تفعل ذلك». وكان الخيار نفسه بمثابة إهانة.

أخذت تشارلي فنجان القهوة الآخر، وشربت بعضاً من القهوة الفاترة.

«أو يمكنك أن تصبحي ساحرة للظلال». بدأ مالهار يطفئ الأنوار وهو يبتسم: «بعض الناس غير مرتاحين لفكرة إيقاظ وفصل الظلال. حتى إن هناك مجموعات صغيرة تعتقد أننا خُدعنا فيما يتعلق بطبيعتها».

فنخرت بوزي قائلة: «إنه يتحدث عن الأشخاص الذين يعتقدون أن الظلال شياطين».

أوما برأسه موافقاً ومتابعاً: «أو كائنات فضائية. إنهم يعتقدون أن عقولنا تسيء تفسير ما تراه أعيننا؛ لأن الحقيقة مروعة للغاية بحيث يتعذر على العقل البشري استيعابها».

فأردفت بوزي: «لكن تشارلي ليست مجنونة».

لم تكن تشارلي نفسها متأكدة من ذلك. «حسنًا، ما الظلال المستقلة؟».

قال مالهار بحذر: «إنها موجودة من الناحية النظرية. ربما تكونين قد سمعتِ عن المادة المظلمة: الأشياء التي تمنع الجاذبية من تمزيق مجرتنا. لا بد أن هذه المادة موجودة وإلا ستنهار جميع الحسابات الرياضية الأخرى، لكن لا أحد يستطيع إثبات ذلك. حسنًا، احتمال وجود الطاقة المظلمة أكثر غموضًا من ذلك».

«لقد استُخدمت الطاقة المظلمة لتفسير وجود الأشباح، لكنها أكثر ملاءمةً لتفسير وجود ونشوء الظلال. بطريقة ما، يمكنك اعتبارها أشباح الأحياء. ومثلما تبدو الأشباح وكأنها أصداء لأحداث صادمة، يقال إن الظلال القائمة أو المظلمة تتشكل من الصدمة. يعتقد بعض الأساتذة هنا أن الظلال المظلمة، مثل الأشباح، تعيد تمثيل الذكريات بدلاً من أن تكون لها حياة حقيقية. وهذا هراء، بالمناسبة.»

قالت تشارلي بنبرة متسائلة: «الظلال المظلمة؟».

فقال مالهار بنبرة معذرة: «تلك التي تنمو في غياب الضوء، المصطلح منتشر في الأوساط الأكاديمية ولم أنتبه إلى أنك قد لا تألفينه.»

«الصدمة إذن هي ما يوقظ الظلال؟». صار صوت بوزي خافتًا ومستثارًا بعض الشيء الآن بعد أن وصلوا إلى الجزء الذي كانت مهتمة به من المحادثة.

قَطَّب مالهار حاجبيه قائلاً: «يبدو الأمر كذلك، لكن دلالة الصدمة وقدرها يختلف من شخص لآخر. هناك بعض مقاطع الفيديو المزعجة للغاية لأشخاص يفعلون أشياء متطرفة وغير مسؤولة لإيقاظ ظلالهم. لكن من غير المرجح أن ينجح ذلك لأن ذلك لا ينطوي على أي بعد عاطفي بالنسبة لهم. معنى الصدمة يجاوز الألم وحده بكثير.»

أعطت تشارلي أختها نظرة ذات دلالة وقالت: «إذن، لا قيمة فعلية لشراب آياهواسكا؟».

فانفجر مالهار ضاحكًا.

صمتت بوزي ومشاعرها تتراوح بين الحرج والغضب.

ثم قالت تشارلي وهي تقف: «يجب أن نذهب»، محاولةً ألا تبدي الكثير من الارتياح والرضا عما آلت إليه المقابلة حتى الآن.

رفع مالهار هاتفه عن الطاولة مقترحًا: «أود التحدث معك مرة أخرى، حتى أتمكن من مراقبة تقدّم ذلك. أتمنى أن تعرفي أنه يمكنك الوثوق بي».

سألت تشارلي: «هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالًا خارج نطاق التسجيل؟».

فأوقف مالهار التسجيل مشجعًا إياها: «بالتأكيد».

«هل سمعت عن كتاب يُسمّى Liber Noctem / كتاب الخراب؟».

ارتفع حاجباه وقال: «لعلك تقصدين كتاب الظلال المستقلة / المتحررة؟».

فأومأت برأسها إيجابًا، فقال: «سمعت عن المزاد المتعلق به. كان هناك الكثير من الادعاءات الجامحة، أنه كتب بواسطة ظل مستقل، ظل (حاز القدرة على أن يحيا كالإنسان). أود أن ألقى نظرة عليه. إنه أحد الكتب التي يرغب الجميع في دراستها، مثل The Luctifer Treatise أو Codex Antumbra أو FushinoKage».

«هل تعتقد أن أيًا من هذه الادعاءات صحيح؟».

هز كتفيه كمن لا يكثرث إلا بما يسعى إليه وقال: «مثل أن الكتاب من تأليف ظل مستقل؟ سيكون ذلك رائعًا. جميع الكتب تقريبًا حول سحر الظلال هي من وجهة نظر السحرة، ولكن كيف سيبدو الأمر من وجهة نظر الظل، الظل الذي أصبح واعيًا ويتعلم كيفية السعي لتحقيق رغباته الخاصة؟».

لم تكن تشارلي متأكدة تمامًا من رغبتها في معرفة ذلك، لكنها كانت تحاول أن تستوعب لماذا قد يرغب ظل متحرر آخر في قراءة كتاب كهذا.

بعد دقائق، كانت تشارلي وبوزي تسييران عبر المرج العشبي إلى موقف السيارات، وعبر مجموعات من الطلاب تمر بهم.

سألته تشارلي: «هل تعتقدين بالفعل أن ظلي يستيقظ رويدًا رويدًا؟». فهزت بوزي رأسها: «هل تعتقدين أنتِ؟».

«بالطبع لا». دست تشارلي يديها بعمق في جيبي معطفها الجلدي. «كنت سأخبرك بذلك لو خطر لي».

نخرت بوزي، كما لو أنها لم تكن متأكدة من ذلك.

فقال تشارلي، وهي تتطلع حولها: «سيناسبك المكان هنا».

لكن أختها لم ترد.

فكررت: «أنا جادة. أنتِ مثل هؤلاء الشباب».

ركلت بوزي بضع أوراق شجر مبلة على الأرض وقالت بتشكك: «لقد تأخرنا في دفع الفواتير، وكما تذكيرني دومًا فإننا لا يمكننا تحمّل تكاليف دفع إيجار المنزل إلا لأن فينس يدفع جزءًا كبيرًا منه. نفقات الدراسة مكلفة وبلا جدوى. وإلى جانب ذلك، سيغدو كل شيء مختلفًا الآن. أنتِ بصد أن تكوني واحدة من سحرة الظلال. في غضون عام، عندما تصبحين من الظلاميين يمكننا أن نفعل ما نريد. حتى لو كان ما تريدينه ساعتها أن أحصل على درجة علمية غير مجدية».

قُطبت تشارلي حاجبيها وهي تحدق إلى الأرض، في ظلها. لم تفكر قط في مستقبل تكون فيه واحدة من الأشخاص ذوي القوة أو النفوذ. سيكون من الجيد تصديق أن هذا يعني أنها يمكن أن تعطي بوزي شيئًا يجعلها سعيدة. ولكنهما منذ كانتا طفلتين، فإن تشارلي كانت تحصل فيما يبدو على الأشياء التي أرادتها بوزي فحسب؛ انتباه والدتهما، والمال، والآن السحر الحقيقي.

ولكن حتى لو كانت الأشياء الجيدة ستتحقق فستضطر أولاً إلى التعامل مع فينس، الذي خانها، والذي كان كاذباً ويحمل في صدره سر كتاب مخفي، متصل بليونيل سولت وبالعنف. شعرت تشارلي بأن معرفتها أسرار فينس تشبه امتلاكها بطنًا مليئًا بالذباب الطنان. وقتما ستفتح فمها، فإنها لن تستطيع منع ذلك الذباب من التدفق خارج بطنها في شكل سرب أسود مثير للاشمئزاز!

15. الماضي

بعد رحيل راند، أمضت تشارلي بضعة أسابيع في التجول وقضاء الوقت بلا هدف محدد. في المدرسة، كانت تتسكع مع أصدقائها. صار لديها المزيد من الوقت للذهاب إلى منازلهم، والمشاركة في حفلات صاخبة تقام في عطلات نهاية الأسبوع.

لسنوات، كانت تشارلي تقول لنفسها إن راند هو مَنْ يجبرها على المشاركة في مخططاته. لكن من دونه، اكتشفت تشارلي أن حياتها مضطربة. بدت كأنها تحتاج إلى ما هو أكثر من وجود العديد من الأشخاص المحيطين بها، وكذلك إلى جرعة أعلى من الأدرينالين كي تستعيد ما كان ينتابها من أحاسيس في السابق.

بعد ستة أشهر من دفن راند، وجدت تشارلي نفسها مرة أخرى تعود إلى حانة موس لودج، وقد ضحك بيني عندما رآها تدخل من الباب.

قال: «أوه، يا عزيزتي الصغيرة، أنتِ لا تنتمين إلى هنا. ولن ترغبي في أن يلاحقك مسئول الغياب في مدرستك حتى هذا المكان إذا ما انتبه إلى غيابك».

ألقت تشارلي حقيبة ظهرها على إحدى الطاوات وتوجهت إلى الجزء الخلفي من المشرب. فحصت ماكينة صنع الثلج، التي تُنتج كريات تندمج معًا وتتطلب استخدام ذراع حديدية بقوة بدنية لدفع الكريات بداخلها وتكسيورها. ثم صنعت له شرابه المفضل بالطريقة التي يحبها، مع وضع مقبلات من عدة حبات زيتون للتخلص من لذعة الشراب.

وقالت له وهي تدفع شرابه تجاهه: «أريد أن أؤدي عملي بمفردي، ولا أريد أن أعمل لدى نايت».

قَطَّب حاجبيه وقال لها مؤكِّدًا: «الظلاميون هم مَنْ يُوظَّفون هذه الأيام».

فردت على الرغم من أن كفيها بدأتا في التعرق: «حسنًا، لكني لن أعمل مع هذا بالذات».

هز كتفيه لا مبالياً وعقب: «ابن شقيق ويلي، ستيفن، انخرط في عمليات سرقة الظلال. يقول إنه مجال سهل لجمع المال. ويقول أيضًا إنه يستطيع قطع الظل بالطريقة التي تقطعين بها رباط كيس النقود أو المحفظة؛ كل ما تحتاجين إليه هو إحدى سكاكين العقيق اليماني».

تجهمت تشارلي وقالت: «إذن، ماذا؟ هل صرت تسرق الناس الآن؟». لقد اكتسبت من راند كراهيته لنوع الجرائم التي لا تتطلب أي موهبة حقيقية.

قال: «إنه يحصل على مائتين وخمسين دولارًا للواحد وأكثر من عشرين ضعفًا لهذا الرقم إذا كان الظل سحريًا، لكن هذا النشاط خطير».

أومأت برأسها وهي تتفكر في الأمر.

نظر إليها بتشكك وقال: «لكنك تريدين وظيفة حقيقية، أليس كذلك؟».

اعتدلت في وقفقتها وسألته: «ما هي؟».

«هذا النوع من المهام التي ربما حاول أحدنا القيام بها في أيام شبابنا، هل تعرفين منزل آرثر طومسون؟».

قالت له تشارلي: «بالتأكيد». لقد ذهبت إلى هناك مع صفها، في عامها الدراسي الأول.

«هناك مجموعة من شباب السحرة الذين جمعوا بعض المال ويريدون شخصًا ما ليقتحمه ويسرق صفحة واحدة من أحد دفاتر الملاحظات في خزانة مقفلة. من المفترض أن تكون لهذه الصفحة علاقة باستخدام الظلال بوصفها طاقة قابلة للامتصاص لتغيير الظلال الأخرى إلى آخر هذا الهراء السحري. هل تعتقدين أنه يمكنك فعل ذلك؟».

آرثر طومسون هو مَنْ اخترع تقنية استخلاص الكهرباء من العواصف وأسس أول مزرعة برق منذ حوالي ثلاثين عامًا. هذا ما اشتهر به على الأقل قبل مذبحة بوكسفورد. هذا هو أفضل ما يجب أن يُتذكر به، وفقًا لمعلمي تشارلي الذين أرادوا الحفاظ على تراث وزخم أسطورة محلية مثل هذا الرجل في مواجهة اهتمام الأطفال المستحدث بالأمور السحرية المروعة فقط.

بالإضافة إلى اهتمامه بالبرق، كان آرثر طومسون مهتمًا بسحر الظلال. لكونه رجل علم، فإنه عندما اكتشف كشغًا في معرض المقاطعة تديره مجموعة من المتطرفين الذين اعتقدوا أن سحر الظلال هو محض عمل من الشياطين، توقف عنده هو واثان من أصدقائه ليجادل هؤلاء بشأن ما يعتقدونه.

باختصار شديد، في نهاية المطاف أُطلق الرصاص عليهم جميعًا ومات آرثر، وأصبح ظله شريكًا مستقلًا عن صاحبه وقتل أكثر من مائة شخص. لكن منزله حوفظ عليه كما تركه، بما في ذلك ورشته مع جميع ملاحظاته ودفاتره.

سألت تشارلي: «ما المقابل؟».

نخر بيني مجيبًا: «خمسمائة دولار».

نظرت إليه، في محاولة لمعرفة رده النهائي وقالت: «هذا لا يبدو مبلغًا كبيرًا. هذا ثمن ظلين مسروقين».

هز كتفيه منهيًا النقاش وقال: «نعم، ربما يجب أن تتمسكي بتنفيذ المهام السهلة فحسب».

وبالطبع قبلت تشارلي المهمة.

لطالما اعتبرت تشارلي نفسها صعبة المراس، أو مجازًا، كثيرة الأشواك وقادرة على أن تضرب وتؤذي بسرعة مثل قنفذ البحر، ولكنها إذا أرادت أن تكون فنانة محتالة مثل راند،

فعلها أن تتحسن في شئون السحر والتعاويد. إن اتباع تعليمات راند شيء، وتوليها هي مسئولية كل شيء أمر آخر تمامًا.

لقد تدربت على الأساسيات وممارسة الخدع البسيطة والسريعة من قبيل مغالطة بائع العلكة في الحساب ودفعه ليعيد إليها ما دفعته له في البدء عبر تشويشه وإرباكه. كان هذا تلاعبًا سخيًّا وتافهًا، لكنه تطلَّب منها التحدث بسلاسة والظهور بمظهر الصادقة والبريئة.

ثم لعبة البريق الزائف، والتي كانت فعالة وملائمة بشكل خاص بالنسبة لها بوصفها مراهقة. حيث كانت تشارلي تتظاهر بالعثور على خاتم يبدو ذهبياً في الشارع، أو شيء له القيمة نفسها، ثم تسأل أحد المارة إذا كان هذا الخاتم يخصه أو يخصها. في كثير من المرات لم يكن عليها حتى أن تقترح على الشخص أن يعطيها عشرين دولارًا مثلاً وأن يأخذ الخاتم منها مدعيًا أنه يخصه؛ كان هذا الطامع على يقين من أنه يخدع الفتاة الغرة البريئة لدرجة أنه كان يقترح منحها المال من دون أن تسأله شيئًا.

لقد ساعدها ذلك في معرفة كيف تتكلف الابتسام، وتتظاهر بالخجل، وكذلك التلهف على نيل التعويض البسيط. وقد كسبت من ذلك ستين دولارًا، وهذا لم يكن مبلغًا هينًا.

أما في ذلك السبت البعيد، فقد استعدت للقيام بمهمتها الأولى من دون راند.

أتاح لها الاتصال بمنزل آرثر طومسون أول جزء من المعلومات التي تحتاج إليها. لقد اكتشفت أي المجموعات السياحية كانت تزور المنزل يوم الاثنين، ثم ذهبت إلى متجر التوفير الأقرب إلى المدرسة التي ذكرها موظف المتحف. هناك، تمكنت من العثور على زي مدرسي. بدا وكأن العثة قد أكلت أطرافه قليلاً، وكانت التنورة أقصر مما يُفترض وربما كان ذلك من فعل مالكتها الأخيرة، لكن كل ذلك لم يكلفها سوى اثني عشر دولارًا، بما في ذلك القميص الأبيض.

في المنزل، جربت أن تجدل شعرها. جعلتها الضفائر التي صنعتها تشعر كما لو كانت ترتدي زياً تنكرياً، ولكنها عندما سحبت شعرها مرة أخرى وعقصته في شكل ذيل حصان، وارتدت جوارب سوداء طويلة ووضعت ملمع شفاه وكذلك قطعة من العلكة في فمها، بدت مثالية.

سيكون من السهل الدخول - إنه متحف، بعد كل شيء، وهو مكان يرحب بالزائرين - ولكن من الصعب جداً الدخول إلى حجرة مكتب مقفلة ثم خزانة مقفلة من دون أن يلاحظ أحد. ويصعب كثيراً قص صفحة من كتاب والمغادرة بها من دون أن يوقفها أحد.

يوم الاثنين، وضعت خطتها موضع التنفيذ. أخبرت والدتها بأنها ستبيت في منزل لورا، ثم زورت رويشتة طبيب كي تعطيها لمسئولي المدرسة. واستقلت الحافلة إلى نورثهامبتون. من مبعده، شاهدت الأطفال وهم يتجمعون داخل المتحف، وانتظرت خمس عشرة دقيقة، ثم دخلت وراءهم.

قالت تشارلي للمرأة في مكتب الاستقبال: «لقد تأخرت». وبدت مذعورة بقدر استطاعتها. «أنا آسفة جداً. كان على أمي أن توصلني إلى هنا وسأواجه الكثير من المشكلات. الأطفال هنا، أليس كذلك؟ هل يمكن أن أدخل؟».

ترددت المرأة قليلاً، ثم قالت: «الحقي بهم بسرعة».

اندفعت تشارلي إلى الداخل وانضمت إليهم، وقد غدت مرتاحة لأن الجزء الأول تم بنجاح. ثم عثرت على الأطفال لكنها ظلت بعيدة عنهم حتى دخلوا إلى مكتب آرثر طومسون. بعدها اقتربت من جموع التلاميذ وانزلت إلى الداخل. كان هذا هو الجزء المهم؛ لأن الباب كان مزوداً بجهاز إنذار ولم يكن يُسمح إلا لمجموعة واحدة بالدخول في كل مرة.

ثم قال المعلم المصاحب للمجموعة - وهو شاب يتحدث بلهجة شرق أوروبية - بعد أن تنحج: «الآن، سنستمع بأذاننا، وليس بأفواهنا».

فانزلت تشارلي بخفة خلف رف كتب.

بدأ أحد العاملين في المتحف بسرد طفولة آرثر طومسون، والتحديات التي واجهها في هارفارد في الثمانينيات، وكيف صدمه وآذاه تطبيق النموذج الأولي لعمل آلية استخلاص الطاقة الكهربائية من صواعق البرق لدرجة أنه قضى ستة أسابيع في المستشفى.

سألت إحدى الفتيات: «هل حدث هذا عندما صار ظله سحرياً؟».

فرمقها المعلم بنظرة حانقة، لكن موظف المتحف أوماً برأسه إيجاباً وتابع: «يُعتقد عمومًا أن هذه كانت الحال، لأنه سعى لاستكشاف عالم سحر الظلال بعد ذلك. حيث انضم إلى بعض المنتديات المبكرة، بل أجرى حسابات حول تبادل الطاقة بين السحرة وظلالهم».

«إذن ماذا حدث له؟». سأل صبي في الخلف.

فسأل المعلم بدوره: «ألم تقرأ ما حددته لكم يا توبياس؟».

فأجاب الطفل: «لا، أعني الظل. رودي جوس، لقد أطلق هذا الاسم على نفسه عندما تحول إلى ظل مستقل خبيث، أليس كذلك؟ هل طاردوه؟».

فقال المعلم: «لم يكن هناك شيء بخصوص ذلك في القراءة، ولسنا بحاجة إلى إضاعة وقت الموظفين».

فألح الطفل: «لقد رأيت الفيديو على الإنترنت».

ابتسم الموظف، على الرغم من أن الابتسامة أصبحت متوترة قليلاً. «لا أحد يعرف ما حدث لظل آرثر بعد مذبحه بوكسفورد. كانت هناك بعض التكهانات بأن نقل الطاقة أدى إلى فقدان الظل الذاكرة، أو أنه كان مشوشًا. لكن تذكّر أن رودي جوس لم يكن هو آرثر بالتحديد. لقد مات آرثر في مذبحه بوكسفورد، كان ضحية مثل أي شخص آخر في ذلك اليوم».

استمعت تشارلي إلى المحادثة حيث كافح المعلم والموظف بمثابرة لإعادتها إلى المسار الصحيح. بعد خمس عشرة دقيقة، خرج أطفال المدرسة، تاركين تشارلي مختبئة خلف رف

الكتب. انتظرت تشارلي حتى أصبحت الغرفة فارغة لتنتقل وتزحف تحت مكتب آرثر طومسون الضخم.

لعدة ساعات أخذت تشاهد أقدامًا تتحرك ذهابًا وإيابًا، وأدركت أنها كان يجب عليها الانضمام إلى المجموعة الأخيرة من الطلاب الزائرين وليس أي مجموعة أخرى قبل ذلك. لكن لم يكن عليها أن تقلق كثيرًا بشأن عدم إحداث ضوضاء أو التحرك أو شيء من هذا القبيل. كانت الأصوات مسموعة في كل مكان حولها، عبارة عن نشاز من الضحكات ومضغ العلكة والمحاضرات.

ثم خرجت المجموعة الأخيرة. ومن الغرفة الأخرى، سمعت موظفي المتحف - اثنين غالبًا - يتحدثان معًا. كان أحدهما يضحك، ثم بدأت أصوات إخلاء المكان.

لكن أحدًا لم يدخل غرفة المكتب وتلاشى الضجيج بعد بضع دقائق.

ثم تنفست تشارلي الصعداء.

بعدها أرهفت السمع والأقفال ثوضع وأجهزة الإنذار تُضبط. وفي الخارج، حلّ الليل. زحفت تشارلي من تحت المكتب، وهي متوترة أكثر مما اعتقدت أنها ستكون. على الرغم من جميع المنازل التي اقتحمتها من قبل، كان هذا الشعور مختلفًا. إن أقل صوت كان يجعلها تجفل.

التقطت أنفاسًا قليلة منتظمة، ثم استخدمت هاتفها لإعطائها ضوءًا كافيًا حتى تتمكن من فتح قفل الخزانة. تطلّب الأمر منها ثلاث محاولات قبل أن تصبح أصابعها أخيرًا ثابتة بما يكفي لفتح الباب.

خلفه، وجدت دفتر الملاحظات الذي يريدونه، كان واحدًا من الدفاتر التي كانت معروضة. ثم قلبت فيه حتى عثرت على صفحة مكتوب عليها «مبادلة طاقة الظل»، ثم أخرجت شفرة حلاقة من حقيبة ظهرها.

لكنها عندما استعدت لقطعها، شعرت بتأنيب الضمير. بدا لها أنه من الخطأ بوضوح قرصنة كتاب. عندما كان راند يفعل مثل هذه الأشياء، لم يكن عليها قَط التفكير في الجانب الأخلاقي. كان رجلاً شريراً، وكانا يفعلمان أشياء سيئة، وكانت هذه هي الحال.

أكلت تشارلي قطعة من الجرانولا من حقيبتها وهي تنظر إلى الخزانة.

ثم أخذت تتجول في الغرفة وهي تنظر إلى الصور؛ رسومات آرثر طومسون الأصلية لمزرعة البرق، خطاب تهنئة من الحاكم، وفي إحدى الزوايا، رسالة من شخص يدعي أنه ظل مستقل في يد عنكبوتية ملتوية.

إلى إيه. طومسون في مدينة نورثهامبتون.

كنت تحاول الاتصال بي وأنا أحثك على الكف عن ذلك. نعم، هناك كائنات قديمة في الظل، لكن من الأفضل لك السماح لنا بالبقاء على هذا النحو.

ليس لديّ أدنى اهتمام بالخضوع لأي دراسة. ربما كنت في الأصل أنتمي إلى نوعك البشري، لكنني لم أعد منكم.

كُتِبَ في الثالث والعشرين من شهر أبريل بواسطة كليوفيس من يورك.

استاءت تشارلي من ذلك، متسائلة عما إذا كان ظل آرثر طومسون لا يزال يتجول في الأنحاء ويكتب الرسائل.

أخيراً، أخرجت تشارلي هاتفها والتقطت صورة للصفحة من دفتر الملاحظات. كانت تحتوي على المعلومات نفسها، وإذا كان هذا ما أرادوه، فيجب أن يكون هذا كافيًا لهم. حتى في أثناء قيامها بذلك، كان لديها شعور بأنها كانت تفعل شيئًا سيئًا، لكنها لم تستطع دفع نفسها لقطع الصفحة.

ثم توجهت ناحية النوافذ، على أمل أن يكون هناك مخرج، لكنها كانت موصولة بأجهزة الإنذار. جلست تشارلي على كرسي المكتب وجعلت تديره وهي جالسة عليه ثم لعبت لعبة على هاتفها. بعد ذلك زحفت مرة أخرى تحت المكتب وغفت.

بعدما استيقظت بقليل رأت شيئًا منعكسًا على زجاج النافذة؛ ظل في زاوية الغرفة ينزلق بعيدًا عن الحائط. تكورت تشارلي على نفسها بقوة أكبر وحاولت ألا تتنفس. تحرك الظل عبر الغرفة، وتوقف عند شريط من البلاط الأسود يمتد على الأرضية بشكل متقاطع. ثم خطا الظل فوقه، وأصبح أكثر صلابة بعدما فعل. للحظة، اكتسب بعض الملامح كما لو كانت هذه هي ملامح ساحر الظل الذي يسيطر عليه، ثم تجاوز بلاطات العقيق اليماني وصولًا إلى الخزانة. لقد تدفق عبر ثقب المفتاح ومن ثم فتح باب الخزانة.

بعدها أصبح الظل متماسكًا مرة أخرى، كما لو أن شخصًا ما قد شكّل الظلام في هيئة بشرية. يجب أن يتخذ هذه الهيئة على أية حال ليكون قادرًا على حمل الكتاب. خفق قلب تشارلي بشدة وحبست أنفاسها مرة أخرى عندما مر بها. ترك هذا الشيء الكتاب مطويًا في زاوية من الغرفة، وسط سلة من المخططات المعمارية الملفوفة التي ربما كانت نسخًا لمخططات أصلية.

عندما انسل عبر النافذة، أدركت تشارلي لماذا لم يأخذ الكتاب معه. إنه لم يستطع إخراج الكتاب من النافذة أو الباب مثلما لم تستطع هي. لكنها يمكن أن تنقل الكتاب حتى يتمكن ساحر الظل من الحضور غدًا ويضعه في حقيبته ثم يغادر من دون أن ينتبه أي شخص. كان وقت الفجر قد اقترب عندما قررت تشارلي أن الظل لا ينتظر في الخارج، وتوجهت إلى السلة لتطلع على الكتاب.

لحظتئذ قُطبت جبينها. كان هذا هو الكتاب نفسه الذي أرسل إليها لتقطع الصفحة منه. ومجددًا فتحت الكتاب وأخرجت موسها، لكن هذه المرة انتابها شعور بالبهجة التي يخالطها القليل من الخبث.

أيًا يكن ساحر الظلال الذي يحاول أخذ الكتاب، فسوف يتفاجأ للغاية عندما يحصل عليه. كانت تأمل أن يغدو غاضبًا. وكانت لديها رغبة شديدة في ترك توقيع يشير إلى أنها من فعلت ذلك، لكنها قاومت هذه الرغبة.

بحلول الوقت الذي دخلت فيه أول مجموعة من الطلاب الزائرين إلى المكتب في اليوم التالي، كانت تشارلي تشعر بالحماس من جراء الانتصار الذي حققته، وفي الوقت نفسه كانت بحاجة ماسة إلى مرحاض للتبول. وعندما غادروا، اندفعت تشارلي من تحت المكتب ثم إلى خلف رفوف الكتب. مع قدوم مجموعة أخرى إلى المكتب وسماع محاضرة أخرى عن صاحبه سيمكنها بعد ذلك أن تخرج من هناك.

دخلت المجموعة التالية إلى المكتب، فابتسمت تشارلي لصبي تحرك ليقف بالقرب منها. ثم مسحت حافة فمها وعبست في وجهه وقالت: «لديك شيء ما غريب على وجهك...» ضغط الصبي على الموضع الذي أشارت إليه ثم مدت يدها تجاهه، وقالت: «هنا، ها قد أزلته».

تمكنت تشارلي من البقاء بعيدًا عن أنظار المعلمين حتى حان وقت المغادرة. ثم حاولت الخروج مع الآخرين، وهي تبقي رأسها منخفضًا، وعندما صارت بجوار الباب، سمعت صوتًا. قالت إحدى المعلمات: «أنتِ، أنتِ لستِ مع هذا الفصل». استدارت وشعرت بأنها المُخاطبة بهذا النداء، ووجهها ملطخ بأحمر الشفاه. لكنها شاهدت عيني المعلمة تتوجهان إلى الصبي، الذي لطخت فمه بأحمر شفاهها.

«كيث!». هكذا قالت المعلمة بنبرة مستنكرة. ثم سارعت تشارلي بالخروج من الباب، ثم من المتحف كله وهي تركض كمن فزعت من شيء.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، رتب بيني اجتماعًا بينها وبين مجموعة الظلاميين المعنية في موقف للسيارات خلف مقهى في وسط المدينة.

ظهر ثلاثة من الظلاميين ممن يبدون في العشرينيات من أعمارهم. كان لدى أحدهم سيجارة إلكترونية في فمه، وكان آخر يحمل لوح تزلج. نظروا إليها كما لو أنهم ما كانوا ليستعينوا بخدماتها أبدًا لو أدركوا كم كانت صغيرة.

«إليك ثلاثمائة دولار». بادرها صاحب السيجارة وهو يشير لها بعجرفة.

فتحت تشارلي فمها للاعتراض، فسارع أحدهم ليقول مبتسمًا: «خذيها أو اتركيها».

قالت تشارلي: «سأتركها».

قال الشاب نفسه: «أين ستبيعين الصفحة، إن لم يكن لنا؟ هل تعتقدين أن أي شخص آخر سيعطيك صفقة أفضل؟».

تساءلت تشارلي عما إذا كان أحدهم قد أرسل ظله إلى منزل آرثر تومسون مستبعدًا الآخرين من الصفقة، أو ما إذا كان شخص ما قد تحدّث إلى أحدهم، في محاولة لإخراج الآخرين من الصفقة.

كان بمقدورها أن تخبرهم بما تتصوره، أو هكذا كان يُفترض بها. لكنهم لم يروقوا لها بما فيه الكفاية. «ستمائة دولار، أو سأشعل في الصفحة النيران. والسعر سيرتفع في كل مرة تحاولون تقليله فيها».

نظروا إلى بعضهم بعضًا. وقال أحدهم: «مستحيل!».

فردت تشارلي: «سبعمائة».

ضحك أحدهم، فأخرجت قداحة من قاع حقيبتها وفتحت غطاءها.

قال الشخص الذي يحمل لوح التزلج: «أذهبي إلى الجحيم».

أضرمت تشارلي النار في الصفحة التي سرعان ما اشتعلت وتحولت إلى رماد في لحظات وهم يصرخون. تطايرت ذرات الرماد في الهواء، وأشكال سوداء تدور من حولهم في الريح مثل الظلال.

لقد هزأت بهؤلاء الظلاميين وأبدت ازدراءها لهم، لكنها كانت تقاوم في الوقت نفسه موجة من الإرهاق الذي أصابها من جرّاء الجهد الذي بذلته في تلك الليلة التي بدا أنها لم تثمر لها شيئاً، والإحباط من الخسارة التي انتهت إليها، في حين أنها كانت متأكدة جداً من فوزها، واليقين بأن هذا الذي حدث لم يكن ليحدث أبداً لرائد لو كان مكانها.

«هل تعرفين ماذا فعلت؟». سألتها صاحب السيجارة الإلكترونية بنبرة حقود.

فأجابت تشارلي بحزم: «لقد عزمت على ألا يخدعني أحد مرة أخرى»، وأبقت رأسها مرفوعاً وكتفَيها مستقيمتين.

في تلك الليلة رفعت تشارلي الصورة التي التقطتها على الإنترنت. في بعض الأحيان كانت لا تزال ترى الظل وهو يدور من حولها، وكان بإمكانها دائماً أن تفترض أنه الظل الخاص بها؛ لأن زاوية إصبعها كانت مرئية عند حافة الصورة التي التقطتها بنفسها.

16. العق جراحك.

في الوقت الذي عاد فيه فينس إلى المنزل، تظاهرت تشارلي بأنها نائمة، وهذأت من إيقاع أنفاسها، بينما ضغطت خدها على الوسادة. وقف فينس في المدخل، وتطلع إليها وهي نائمة لفترة استشعرت تشارلي أنها طالت إلى حد ما.

كانت تعلم أنها ستضطر إلى مواجهته، لكن ليس الآن؛ ليس وهي مرهقة والغضب الذي يجب أن تشعر به قد تلاشى بطريقة أو بأخرى، وتركها مثقلة بالحزن. لم تكن تريد أن يكون فينس حفيد ليونيل سولت، ولم تكن تريد أن تتساءل إلى أي مدى سيذهب لحماية هويته. إذا كان قد قتل هيرميس لأنه أدرك أنه إدموند كارفر، فهل هذا يعني أنه سيقتلها أيضًا؟

ذُكرت نفسها بأنه لا يستطيع أن يدرك أنني أعلم. على الأقل ليس بعد. لكنها لا تزال تتخيل فينس وهو يستلقي بجانبها، ثم يأخذ وسادتها ويخنقها بها.

تخيلته ممسكًا بسكين من مطبخها خلف ظهره وهو يقترب من السرير. ثم تشتت انتباهها بتذكُّر أنها اشترت تلك السكاكين من متجر تي جيه ماكس وأنها كانت دائمًا بحاجة إلى شحذ. في المرة الأخيرة التي قطعت بها ثمرة قرع عسلي، كان عليها أن تبذل جهدًا مضاعفًا لفعل ذلك. ستكون هذه طريقة رهيبة للموت؛ أن تموت بسكين ثلثة.

وبالنظر إلى السرعة التي تخلّص بها من آخر جثة، فلن يواجه فينس أي مشكلة في التخلص منها أيضًا. لم تكن تشك في أن لديه كل المذيبات المناسبة لتنظيف مسرح الجريمة جيدًا، لدرجة أن فريق الطب الشرعي سيعاني للعثور على أي أدلة.

سرت رعشة في كتفها وعضت خدها لتحافظ على سكون جسدها وانتظام تنفُّسها.

خطر لها هذا الوصف القديم للقتلة - رجل هادئ، منطوٍ على نفسه. هذا وصف ينطبق على فينسننت بامتياز.

بقيت ساكنةً بينما كان يطوي سرواله ويضع قميصه في سلة الغسيل. لم تتحرك كذلك وهو يضع ساعته على خزانة الملابس، ويصل هاتفه بالشاحن.

ربما كان عليها أن تخرج من هذه العلاقة قبل الوصول إلى هذه المرحلة. عندما تعيش مع شخص ما، من المفترض أنك ستتعرف بسهولة أي وسائل متاحة لإضعافه وتجريده من قوته. هناك الكثير من الأساليب المألوفة والمستغربة كي تحاصر شريكك عاطفيًا ونفسيًا وتستجوبه بل تجبره على الاعتراف بكل شيء، وتطرح عليه جميع الأسئلة التي لطالما رغبت في معرفتها.

ومع ذلك، فكل ما كانت تشارلي تتوق إليه أن ينزلق فينس إلى داخل السرير ويضع يده على كتفها، وأن يخبرها بأنه يعلم أنها مستيقظة. أن يقول إنه أحبها بشدة وأراد أن يعترف بكل الأشياء التي احتفظ بها لنفسه وحجبها عنها، وجميع الأسباب التي أدت إلى ذلك. كانت رغبة طفولية؛ رغبة في ألا يكون العالم كما كان، وأن يتصرف الناس بطرق لم يألّفوا التعامل بها. كانت رغبة إنسانية تعسة، مستعدة للتخلي عن كل شيء لديها مقابل محبة صادقة ومصارحة بكل شيء.

فينسننت داميانو ليس شخصًا حقيقيًا. لقد كانت مشغولة للغاية بمحاولة التأكد من أن فينس لا يرى ما وراء أقنعتها لدرجة أنها لم تلاحظ أن حياته كلها كانت محجوبة عنها. نساؤنا يحببن دومًا رجالًا لدى كلٍّ منهم ثقب في الرأس، أو ثقب في القلب، أو ثقب في الجيب. هذه هي لعنة عائلة هول.

في النهاية، غادر فينس الغرفة وأطفأ الضوء العلوي. صارت تترقد وحيدة في الظلام، وعيناها مفتوحتان. في الخارج، أضواء أنوار الشوارع. خلف منازل جيرانها ارتفع مبنى

الطاحونة القديم، وكان معتماً أيضاً، ومن فوقه ضوء القمر اللامع كعملة فضية صغيرة.

لم تنم تشارلي إلا بعد أن غشي ضوء الفجر الأحمر الأفق.

استيقظت تشارلي في أول الظهيرة، وحدها.

قامت من السرير وهي تتعثر في خطوها، ثم أدخلت رأسها عبر باب غرفة أختها للتأكد من أن فينس لم يُصَب بالجنون وقطعها إلى نصفين أو شيء من هذا القبيل. كانت بوزي نائمة، وإحدى ذراعيها مرفوعة فوق جهاز ماك بوك القديم.

وضعت تشارلي رداءً منزلياً فوق ثياب نومها وذهبت إلى المطبخ، وصبت لنفسها قدحاً من القهوة الفاترة قليلاً. ثم أدخلت سكيناً لتقطيع اللحم في جيب رداها. ثم انتظرت، ومعدتها تنقلص.

لقد حان الوقت للحديث الحقيقي.

بعد عشرين دقيقة، عاد فينس ومعه كيسان من البقالة. لم يسع تشارلي إلا أن ترى الفراغ في عيني هذا الشاب الثري، وكذلك كل معاني الخداع والتحايل والعبث بأرهمف ما لديها من مشاعر.

ألقي فينس نظرة على تعابير وجهها ووضع الكيسين على المنضدة، ولم يقم بأي حركة لتفريغهما. «هل حدث شيء؟».

قالت تشارلي وهي تصدم بنظراتها عينيه الشاحبتين: «لقد كذبت عليّ».

لم يبد أنه اتخذ وضعاً دفاعياً بعد، لكنه بدا حذراً فقال: «أنا...»

قاطعته قائلة: «حاول اكتشاف الكذبة التي أتحدث عنها، لا بد أن الأمر صعب لأن هناك الكثير منها يا... يا إدموند كارفر».

قال بحدة: «لا تناديني بهذا الاسم».

«لأنك تفضل ريمي؟ أم لأنك تخشى أن يسمع شخص ما؟». اعتقدت تشارلي أن مواجهته ستكون مؤلمة، لكنها شعرت بالارتياح لتفريغ كل ما بداخلها من هواجس وشكوك. «هل كان من الصعب أن تنام على مرتبة على الأرض وليس بين ملاءات حريرية وثيرة؟».

هز رأسه: «أقسِم لك، لم يكن الأمر كذلك».

لكنها عندما نظرت إليه، كل ما رآته هو إدموند فينسنست كارفر الذي كان يظهر في صفحات أخبار المجتمع في الجرائد، والازدراء للناس الأقل حظًا باديًا في عينيه الملونتين. مجرد وضع دهان فاخر لشعره، وميل صغير في فكه أو زاوية فمه، وسيغدو شخصًا غريبًا عنها. لو أنها راقبته من كتب، لكانت حدست حقيقته؛ تمييزه لساعة من طراز فاشرون كونستانتين الفاخر من بعيد، ومعرفته الدقيقة عن بيوت العطلات للطبقة العليا، والحب اللعين للقبيل والقال، ناهيك من القدرة على قتل الناس واعتقاده الراسخ أنه لن تكون هناك عواقب لذلك».

«أوه، لمجرد أنك تقسم يجب أن تكون صادقًا». قالت تشارلي ذلك وزمجرة تكسو صوتها.

«أردت أن أبدأ من جديد». ظل صوت فينس ناعمًا. «بلا أي جزء من حياتي السابقة. لم أكن أريدك أن تريني بالطريقة التي كنت عليها من قبل».

«هذه جملة مؤثرة. لكنها لا تفسر كيف من المفترض أن تكون ميتًا، أو كيف يبحث الجميع عن كتاب سرقة، بما في ذلك الرجل الذي حاول قتلي. من المؤسف أنك لم تحتفظ بهذا الكتاب في الحقيبة في الجزء الخلفي من خزانة غرفة النوم لدينا، جنبًا إلى جنب مع رخصتك الحقيقية».

«هل فتشت أغراضي؟». كان البرود المفاجئ الذي اعترى صوته مزعجًا.

لكن تشارلي اندفعت، وقد تحول كل ألمها في النهاية إلى غضب. «نعم. لقد وجدت الرخصة. ثم وجدت القصة التي في الصحيفة حول الكيفية التي قتلت بها فتاتك، ثم قتلت نفسك. هل تريدني أن أشعر بالضيق حيال الاعتداء على خصوصيتك؟».

قال: «نعم». وهو يفرك يده على وجهه. «ربما عليك أن تشعرني بذلك... لا أدري».

«هل تعرف ماذا أيضًا؟ لقد سمعت كل ما قلته؛ لهيرميس. كله. في تلك اللحظة عرفت أنك كنت تكذب. والآن أعرف لماذا قتلته، لأنه تعرّف إليك».

هز فينس رأسه مرة أخرى، كما لو كان يستطيع منع كلماتها من النفاذ إلى أذنيه.

ثم استحثته: «هيا أنكر ذلك. أخبرني أنك لست شخصًا مدعيًا في علاقة عاطفية زائفة».

«هل هذا ما تعتقدينه حقًا؟». كانت عيناه تبرقان بغضب لم تره من قبل.

جعلها مظهره هذا تتردد: «ما الذي يفترض بي أن أعتقده؟ ما عدد الأشخاص الذين قتلتهم من أجل ليونيل سولت؟».

قال: «الكثير». وأغمض عينيه.

حدقت إليه في رعب. «والفتاة؟».

فهز رأسه نافيًا: «لا، لم أقتل روز».

«ماذا عن الرجل الذي تم العثور عليه في السيارة؟ الجسد الذي تركته ليظن الجميع أنه يخصك؟». كان صوتها باردًا بقدر ما كانت تأمل، وحازمًا.

بادرها بالقول: «لا أستطيع أن أجعل نفسي أتوقف...»

«عن القتل». أتمت هي الجملة. ثم أردفت: «كل شيء يتعلق بي ينتهي إلى الانهيار، حتى العلاقة التي ظننتها ستنقذ كل شيء، يا لتعاستي!».

قال فجأة: «سأذهب». واستدار نحو غرفة نومهما.

«بالطبع تفضل المغادرة على الإجابة عن أسئلتني؟». صرخت من ورائه.

استمر في المشي واتجهت يده إلى الحائط كما لو كان بحاجة إلى أن يسند نفسه. بالطبع سيفادر ويتركها. بالطبع كان موجودًا فقط عندما كانت في متناوله بلا أي أسئلة أو أي إزعاج، عندما كان كل شيء سهلاً.

تبعته تشارلي كقطة مهاجرة تطوح بذيلها في كل اتجاه بطريقة اتهامية.

«حسنًا، أين كتاب الخراب؟ ماذا عن ذلك؟ الكل يريد أن يعرف. حتى هيرميس المغدور».

«ماذا؟ حتى تتمكني من سرقة الكتاب مني؟». سألتها، وهو يفتح درجًا.

ردت عليه تشارلي من المدخل وهي تراقبه وهو يبدأ في حشو الملابس في الحقيبة، «في الوضع الأمثل، من المؤكد أنني سأجني من وراء ذلك الكثير من المال».

فتوقف عن التعبئة وأوضح: «سولت يمارس لعبة قذرة، وهناك شخص ما يلعب معه. إنهم يريدون أن يصنعوا بياق منا جميعًا. أسوأ شيء يمكن أن يفعله أي شخص هو العثور على هذا الكتاب».

قالت: «حسنًا، اشرح لي. أخبرني ما الذي يحدث».

قال لها: «لا أستطيع».

فقلت: «أنت لا تريد ذلك. أنت لم تردني قَط، أليس كذلك؟ أردت فقط مكانًا تختبئ فيه وتعلق جراحك. أنت لم تحبني قَط.»

بدا كأنها صفعته. ثم تغير شيء ما في تعبيره، وكست الظلمة وجهه فغدا مثل منزل مغلق في الليل، وكل أجهزة إنذاره في حالة تأهب: «ماذا تعرفين أنتِ عن الحب؟». قال فينس وهو يضع حقيبته على كتفه ثم أضاف: «لم أكن الوحيد الذي كذب هنا.»

فتحت تشارلي فمها، ولكن من بين كل الأشياء التي كانت مستعدة للرد عليها، لم يكن ذلك الاتهام أحدها. ثم قالت: «ربما لم أخبرك بكل شيء عني، لكن هذا ليس مثل التظاهر بأنني شخص...»

صاح ليقاطعها: «أنتِ على حق». كان من المخيف رؤيته يطلق لمشاعره العنان بعد شهور عديدة من ضبط النفس، وكان هناك شيء في عينيه جعلها تتساءل عما إذا كان خائفًا أيضًا. «لم أتمكن من إعطائك ما تحتاجين إليه. احتفظت بأشياء سرًّا وحجبتها عنك. حتى لو لم تكوني تعرفين ما الخلل أو المشكلة، كان بمقدورك أن تقولي إنني لم أقدم لكِ ما يكفي. أتمنى لو كان بمقدوري القول إنني آسف، وأني أردت أن أكون صادقًا طوال الوقت، لكنني لست كذلك. لم أرغب قَط في أن أكون صادقًا. أردت فقط أن يكون ما قلته لك هو الحقيقة.»

صرخت قائلة وهي غير راغبة في التراجع: «قل لي على أية حال. كن صريحًا الآن. على الأقل أنت مدين لي بذلك.»

فرد: «أنا لست مدينًا لكِ بذلك، ولن أخبرك»

فصرخت: «حسنًا إذن، اللعنة عليك! اهرب. هذا ما تجيد فعله، أليس كذلك؟ اذهب وابحث عن فتاة غبية أخرى لتخدعها.»

اندفعت القطة لوسيبير وصعدت إلى منتصف كاحل تشارلي وعضت ريلة ساقها ثلاث مرات متتالية.

«آه، اللعنة!». صرخت تشارلي بينما قفزت لوسيبير بعيدًا، وهرعت إلى الغرفة الأخرى.
«اللعنة، ما خطبك أيتها القطة؟».

ابتسم فينس وارتفع حاجباه، وضحكت تشارلي. بعد لحظة، صارت غاضبة من نفسها لضحكها، ومن القطة لكونها حيوانًا أرعن، لكنها لم تستطع منع نفسها من الضحك. وفي تلك اللحظة، تساءلت عما إذا كانت مخطئة في الاعتقاد بأنها لم تكن تعرف فينس جيدًا، وربما كانت هناك بعض الحقائق الأكثر صدقًا تحت ركام الأكاذيب.

كان لا يزال هناك أثر للابتسامة على وجهه عندما ابتعد عنها، والحقيبة القماشية على كتفه.

قال فينس من مدخل الصالة: «ليس الأمر كما تعتقدين». لم يستدر باتجاهها، لذلك لم تستطع حتى محاولة تفسير التعبير الذي على وجهه. لكن صوته خلا من نبرة المرح.

«أوه، نعم؟». صاحت به ثم سألته: «إذن لماذا تغادر؟».

«لأن الأمور تسوء».

بعد بضع دقائق سمعت باب المدخل يُصفق خلفه.

كان على تشارلي أن تغرس أظافرها في راحة يدها لإجبار نفسها على عدم مطاردته. بعد قليل دوى صوت محرك الشاحنة، ثم صوت الإطارات على الأسفلت المتفتت للممر.

ركلت تشارلي الخزانة ذات الأدراج فألم ذلك قدميها العاريتين أكثر مما أصاب الخزانة. ثم ركلتها مرة أخرى.

لم تكن حساباتها خطأ فقط لدرجة أن الرجل الذي كانت متأكدة من أنه شخص صالح تبين أنه قاتل زيف موته وأيضا حفيد شخص لطالما كرهته، بل إن هذا الرجل ذاته قد هجرها للتو.

كانت فتاة ملعونة بكل السبل.

ومن جديد ركلت تشارلي الخزانة للمرة الثالثة تأكيداً لهذا المعنى.

ومع ذلك، فإنها لا تملك أن تنكر أياً مما حدث أو تعيد عقارب الساعة إلى الوراء. لقد سرقت الإيصال من مكتب أوديت بالفعل، واتصلت بمتجر بيع الكتب بالفعل، ونطقت بتلك العبارة الفرنسية المقتبسة من جوجل بالفعل، وفتشت أغراض فينس بالفعل. كانت هذه مشكلتها. تشارلي هول، لا ترضى أبداً حتى تبلغ الأحداث ذروتها وتتكشف كل تفاصيل الكارثة.

لا، إنها لن تُسقط الثماني والأربعين ساعة الماضية من ذاكرتها. بل إنها ستخطف آدم ثم تسلمه إلى دورين، تماماً كما خططت. على الأقل يمكن لتشارلي أن تعذب حبيباً بائساً آخر يخص صديقة لها، ما دام حبيبها هي قد رحل.

تذكرت تشارلي - على نحو مشوش - أنه لم يكن من المفترض بها أن ترغب في القيام بأشياء من هذا القبيل، ولكن ذلك عندما كانت تحاول أن تكون شابة طبيعية وتنسى ماضيها في عالم الجريمة.

لكن للأسف فقد عرفت المتاعب طريقها إليها مجدداً، ومن ناحيتها فإنها كانت مستعدة للترحيب بها مرة أخرى. وإذا صادف أن آدم يمتلك كتاب الخراب، وإذا حدث أن آدم قد أخذه من فينس بطريقة ما، سيغدو الوضع أفضل بكثير بالنسبة لها.

الانتقام من الجميع. هذه مهمة من شأنها أن تملأ وقتها. مهمة من شأنها أن تبقئها مشغولة ومشتتة عن التعمق في سبر أغوار مشاعرها.

إذا لم تستطع أن تكون إنسانة مسؤولة أو حريصة أو سالحة أو محبوبة، إذا كان محكومًا عليها أن تكون عود ثقاب مشتعلًا طيلة الوقت، فربما يتوجب على تشارلي أيضًا العودة للبحث عن بعض الأشياء التي تستحق حرقها.

17. الرجاء عدم الإزعاج.

الشيء الرائع فيما يخص السرقات أنها تستحوذ على كامل انتباه من سيقوم بها.

إذا كنت ستسرق شيئًا ما أو تخدع شخصًا ما، فلن يسعك التفكير في ذلك الذي استيقظ من خموله وما إذا كنت تريد إطعامه الدم أو تجويعه مرة أخرى كي يستكين أو ينام. وبالنسبة لتشارلي فإنها لن تملك رفاهية التفكير في كلمات فينس الأخيرة، أو الطريقة التي نظر إليها بها عندما عاد من المتجر، وأكياس البقالة لا تزال بين ذراعيه.

ماذا تعرفين عن الحب؟

إنها حتى لم تفكر في أنها تركت الطعام كما هو على المائدة، والذي ربما صار متعفنًا.

لا، كان عليها أن تنحي جانبًا كل ما تعانيه من آلام أو مشكلات أو أحزان. وأن تؤجل تدبُّر كل مشاعرها حتى تنتهي من مهمتها.

لقد شعرت بالصدمة لاضطرارها إلى الاعتراف بمدى صواب كلام راند عنها، على مدار السنوات الماضية. إنها تنجذب إلى المتاعب والأخطار مثلما ينجذب النمر لمطاردة فريسته، وتجد في ذلك الراحة والعزاء.

كان بالتازار محققًا بشأنها أيضًا. هذا هو الشيء الوحيد الذي تجيده على الإطلاق.

في ساحة انتظار السيارات خارج فندق إم جي إم، استعدت تشارلي بأسرع ما يمكن. بدأت في وضع مسحوق تجميل فوق جفنيها، ووضعت ظلًا بنيًا غامقًا فوق تجعدات عينيها. ثم رسمت بقلم تحديد سائل خط الرموش أعلى العين، وضغطت بقلم تحديد أبيض أدنى خط الرموش في أسفل العين وبالتحديد في الجزء من العين القريب من الأنف، وبقلم كحل

أسود ليبيطن ما تبقى. انتهت من استخدام الماسكارا، بعدما مررتها فوق الرموش ثلاث مرات، أو أربع مرات. ثم لصقت بعض الرموش المزيفة في الأعلى.

وهي تتطلع إلى نفسها في مرآة الرؤية الخلفية في السيارة، وضعت كريم أساس لونه أفتح من بشرتها بمقدار درجتين، ومزجته بأصابعها، ثم أضافت الكونتور تحت عظام وجنتيها وعلى جانبي أنفها بفرشاة، يليه مزيد من المزج، ثم أحمر الخدود، وقلم التظليل. عندما انتهت من ذلك، بدا أنفها أضيّق وخداها ممتلئين، ما أدى إلى تغيير ملامح وجهها. أخيرًا، وضعت باروكة شعر مستعار وثبتتها، ومشطت شعرها الأحمر قليلاً بأصابعها حتى بدا طبيعيًا بقدر ما تستطيع الحصول عليه.

عندما نظرت إلى المرأة، كانت ملامح تشارلي هول قد اختفت تقريبًا. كان الأمر مريحًا لها بقدر أكبر مما تحب أن تعترف به.

كان فندق إم جي إم سبرنجفيلد يقع على بُعد حوالي عشرين دقيقة من إيستهامبتون. افتتح الكازينو بداخله منذ بضع سنوات، بناءً على النظرية التي تقول إن من شأنه أن يجلب الأموال إلى مدينة تفتقر إليها بشدة. على الرغم من كتابة عدد لا حصر له من الافتتاحيات في الصحف المحلية حول الكيفية التي من المرجح أن يجعل وجود مثل هذا المكان من خلالها الأمور أسوأ بالنسبة للسكان بدلاً من أن يجعلها أفضل، لكن لا شيء يمكن أن يوقف عجلات الصناعة بمجرد أن تبدأ في الحركة.

كانت النتيجة عبارة عن مستودع بحجم ملعب كرة القدم مليء بماكينات القمار، مكتمل بوجود الأضواء الساطعة، والسجاد متعدد الألوان، والكوكيتيلات التي تُقدّم طوال الليل تقريبًا. ولكن عندما دخلت تشارلي الفندق، فوجئت بكونه باعًا على الشعور بالراحة رغم كل الأجواء المصطنعة من حولها.

غطت أرفف الكتب الجدران المبنية من الطوب، مع وجود شرفة معلقة كمكتبة فوق مكتب الاستقبال. تم تعليق كتل خشبية كبيرة الحجم خلف موظفي الاستقبال، وكانت الأرائك من

الجلد البني وهو النوع الذي يتوقع المرء أن يجده ويغفو عليه في حجرة مكتبة أستاذ جامعي. كان المكان كله يشعرها وكأنها في محطة قطار فيجاس، ولم تكن تشارلي بطبيعتها تمنع الوجود في مكان كهذا على الإطلاق.

ثم بنظرة واحدة حولها، كان بمقدورها أن تقول إنه مكتظ بالطريقة نفسها التي يكتظ بها أي فندق آخر فيه كازينو، حيث يوجد الناس هناك للاحتفال مع الأصدقاء أو الابتعاد عن حياتهم الرتيبة لبضع ساعات، محاطين بالمحتالين الذين يأملون في الحصول على أي مكاسب. ولم تكن تشارلي تمنع أن تكون واحدة من هؤلاء أيضًا.

لا بد أن إحدى حفلات الزفاف التي تقام بعد الظهر قد اختتم لتوه في إحدى قاعات الاحتفالات، لأن البنات الصغيرات كن يركضن في الفساتين البيضاء وشعورهن هائشة وضافئرن مزينة بالورد. فيما وقف عدد قليل من الأفراد الأنيقين ممن يرتدون بذلات فاخرة وفساتين لامعة - بمن في ذلك امرأتان بقبعتين جذابتين - على حافة المشرب يتحدثون.

جلست تشارلي على أحد كراسي المكتبة، بعيدًا بما يكفي عن الناس حتى لا يُسمع صوتها، واتصلت بغرفة آدم. رن الهاتف خمس مرات قبل أن يحيلها إلى ترك رسالة. لم يكن آدم في الغرفة.

ثم حددت بحذر مواقع الكاميرات الأمنية واتجهت إلى المصعد. وبينما هي في طريقها، عادت كلمات فينس تخطر بذهنها.

أتمنى لو كان بمقدوري القول إنني آسف، وإنني أردت أن أكون صادقًا طوال الوقت، لكنني لست كذلك. لم أرغب قط في أن أكون صادقًا. أردت فقط أن يكون ما قلته لك هو الحقيقة.

لقد فكرت - بينها وبين نفسها - في أن تقول عبارة شبيهة بهذه من قبل، لكنها لم تعترف بذلك قط لأي شخص.

في المصعد، كانت تشارلي حريصة على ألا تلتقي عيناها بعيون الركاب الآخرين - رجل توصيل بيتزا وفتاتين بشعر مبلل ومناشف، قادمتين من المسبح - بينما كانت تتذرع بمظهر يشي بأنها تشعر بقدر من السأم. في الطابق الثامن، خرجت من المصعد وتابعت اللافتات حتى شقت طريقها إلى الغرفة 455.

كانت بطاقة «الرجاء عدم الإزعاج» معلقة فوق مقبض الباب. خلعتها تشارلي ووضعتها في جيب معطفها. وتحسبًا لأي طارئ، طرقت الباب. لم يصدر أي صوت من الداخل.

هذا أفضل بكثير.

كانت تشارلي تدرك جيدًا أنها فوّتت فرصتها في الدخول إلى الغرفة والخروج السريع منها قبل ليلتين. ومن ثم سيكون الوضع أصعب قليلًا هذه المرة. ومع ذلك، كان هناك باب واحد يفصل بينها وبين النجاح.

كانت تشارلي تعرف امرأة ألقّت بنفسها في بهو أحد الفنادق وهي بملابس النوم، وبصحبتها دلو مملوء بالثلج وتتصاعد من أنفها رائحة الخمر الكريهة، مدعية أنها نسيت مفاتها داخل غرفتها ويتعذر عليها دخولها. لقد حصلت بهذه الطريقة على «مفتاح بديل». لكن تشارلي لم تكن متأكدة من أنها تستطيع فعل ذلك، ولم تكن متأكدة من رغبتها في أن تكون ملحوظة إلى هذا الحد. كان مخططها الحالي أقل استعراضًا ولكن كان به احتمال أقل بكثير للتعرض للفشل أو لابتذال نفسها.

في الفنادق الأكثر فخامة في أكبر المدن توجد غرفة بها آلة توزيع للثلج، وإذا كنت محظوظًا ستجد آلة صودا حيث لا توجد أي كاميرات بها. انسلت تشارلي إلى داخل غرفة الثلج في الطابق الثامن، ومن هناك اتصلت بالمكتب الأمامي. قالت: «مرحبًا، هل يمكنك تحويلي إلى قسم التنظيف؟».

قال صوت رجل: «لحظة واحدة».

رن جرس الهاتف مرتين ثم جاءها صوت امرأة هذه المرة، والتي بادرتها بالتحية.

فقال تشارلي بلهجة أهل لونغ آيلاند الثقيلة: «معك شيرلي في غرفة 450 هل يمكنك إرسال شخص ما لتنظيف الغرفة؟».

قالت المرأة إنها ستفعل. بحلول الوقت الذي أنهت فيه تشارلي المكالمة، تسارع نبضها بفعل الإثارة المتوقعة، كما لو أنها تناولت جرعة كبيرة من الإسبريسو. كان اختبار ذكائك وقوتك مقابل العالم من حولك هو أسوأ علاج يمكن أن يلجأ إليه شخص لاستعادة تقديره لذاته الذي تعرّض لصدمة قوية.

سيفوز العالم دائماً في مواجهة كهذه، لكن ربما لا يحدث ذلك اليوم.

بينما كانت تمر بأشد حالات الاكتئاب لديها، قابلت تشارلي معالجاً اعترفت له بقائمة مختصرة جداً من المشكلات. لقد طُلب منها ممارسة نهج «الوعي التام» والذي يتضمن الحضور بكامل تركيزها في اللحظة الراهنة، وعدم الانغماس في التفكير في كل أخطائها السابقة، بالإضافة إلى جميع الأخطاء التي تخطط لارتكابها في المستقبل». لم تبرع تشارلي في القيام بذلك في مكتب المعالج، ولم تبرع كذلك في التعامل مع تطبيق الوعي التام الذي حملته من الإنترنت، ولكن في منتصف عملية احتيالها هذه، شعرت أخيراً بما يمكن أن يعنيه مفهوم الوعي التام في الواقع.

كانت حاضرة بكامل وعيها وتركيزها في هذه اللحظة.

بعد عشرين دقيقة من التوتر، دفعت شابة ذات شعر أرجواني عربة مليئة بالمناشف من المصعد عبر الممر. أخذت تشارلي نفساً ثم خرجت من مكمنها ومرت بجوار العاملة وبعدها اصطنعت التعثر. ارتطمت تشارلي بالفتاة بمرفقها حيث انتزعت أصابعها بطاقة المفتاح العام من فتحة قميص المرأة. ثم أسقطته في جيبها وأخرجت قطعة حلوى صلبة من القرفة، تماماً كما علّمتها السيدة بريستو.

كان من الممكن أن تربط المرأة ما حدث لها بتشارلي عندما تدرك أن بطاقتها مفقودة، ولكن بحلول الوقت الذي سيأتي فيه فريق أمني ليطلق بابها، ستكون قد غادرت الفندق وفق مخططها.

سألته المرأة: «هل أنت بخير؟».

ضحكت تشارلي وقالت: «أنا منتشية قليلاً من تناول الشراب في حفل الزفاف». وبعد ذلك مرت بثلاث غرف ثم إلى داخل غرفة آدم.

بات واضحاً أن لافتة «عدم الإزعاج» كانت معلقة على الباب منذ مدة. لقد غطت الملابس الأرضية الخشبية إلى جانب زجاجة بلاستيكية كبيرة من الشراب الكحولي الرخيص مفتوحة ونصف فارغة وغطاؤها موضوع بجانب التلفزيون الأنيق في إطاره الحديث. كان الهواء معبئاً برائحة سجائر عطنة، والأسلاك تتدلى من الجهاز كاشف الدخان الذي عطّله آدم.

الآن عليها فقط أن تجد الكتاب.

كانت الطاولة الجانبية المجاورة للسريير فارغة، باستثناء علبة من الواقيات الذكرية. في الحمام، وجدت مجموعة من منتجات الشعر، وما بعد الحلاقة، والكولونيا. كان الدرج يحتوي قلم تدخين ذهبي اللون ولا شيء آخر.

عندما كانت تشارلي تتنقل في أرجاء الغرفة، تذكرت على نحو مزعج أنها فتشت محتويات غرفة نومها قبل يوم واحد فقط.

دفعته تلك الذكرى باتجاه خزانة الملابس التي فتحتها لتجد فقط معطفاً معلقاً بالداخل. ثم دست أصابعها في الجيوب لتجد بعض الأوراق فحسب.

فتحت هذه الأوراق ووجدت أنها عبارة عن إيصال رهن خاتم من محل رهونات موراي حيث حصل آدم على سبعمائة دولار مقابلته. كان وصف الخاتم كالتالي: خاتم كوكتيل نسائي، ذهب أحمر عتيق، حجر بديل. كان لدى دورين خاتم كهذا، انتقلت ملكيته إليها من جدتها.

ينبغي ألا تتفاجأ تشارلي من أن آدم كان يسرق من دورين. بمجرد أن تبدأ بسرقة أشياء خفيفة، بمجرد أن تدرك أن بمقدورك الحصول على ما تريد من خلال قول ما يحب الآخرون سماعه، سيكون من السهل عليك انتحال الأعذار وسيصعب عليك أن تتوقف.

اعتاد راند أن يقول إن المحتالين يعيشون على هامش المجتمع، ويبتسمون بثبات في أماكنهم بغض النظر عن مدى تدهور الأحوال من حولهم. بدا هذا التصور رومانسيًا.

لكن تشارلي أدركت الآن مقدار انعدام الأمان الهائل الذي يغذي حياة كهذه. الحاجة المستمرة إلى أن تكون الأذكى بين الناس. كما أن معرفة قاعدة أنه لا أحد يربح في كل مرة تصبح تحديًا دائمًا أكثر من مجرد كونها تحذيرًا عامًا.

تساءلت تشارلي عما تورط فيه آدم ومدى سوء الأمر؛ لأنه وعلى الرغم من وجود كتاب لديه يحتاج إلى نقله، فإنه يحتاج إلى نقود بصورة ملحة وعاجلة.

بالنسبة للأشخاص العاديين، تُستخدم مكاتب الرهونات لضخ النقود بسرعة لإخراجهم من أزمة عصبية، على أمل ألا يحين تاريخ استحقاق استرداد قطع الصيني الخاص بجداتهم، أو خاتم زواجهم، أو أي شيء آخر قبل أن يصلوا إلى حل لتسوية أوضاعهم ورد المال. بالنسبة للمجرمين، فإنها وسيلة جيدة لنقل الأغراض. متجر رهونات موراي مكان تعرفه تشارلي، إذ باعته بعض الأغراض في وقت سابق.

بعدما حصلت على الإيصال فإن بمقدور تشارلي استعادة الخاتم، فقط إذا كان لديها سبعمائة دولار. وهو ما ليس لديها. وحتى لو كان المال لديها، فلن تنفقه على هذا الأمر.

دفعت تشارلي الورقة في جيبها. كان من الممكن أن تُبلِّغ دورين عما حدث للشرطة. لم يكن من المفترض أن تُباع العناصر المسروقة في مكاتب الرهونات، ومصادرة بعض هذه الأغراض أحيانًا تكون ثمنًا لقيام الشرطة بعملها مقابل غض الطرف عما يجري في أماكن كهذه معظم الوقت.

على الأقل صار لديها شيء لتسليمه إلى موكلتها.

كانت على وشك الخروج من الغرفة عندما جذب المعطف انتباهها. كان يتدلى بشكل غريب، كما لو أن ثقلًا يسحب ظهره إلى الوراء. ضغطت تشارلي على طول البطانة حتى شعرت بشيء صلب.

شيء صلب ومستطيل و... اللعنة!

أخرجت تشارلي سكينها وقطعت البطانة بعناية حتى سقطت المحتويات في يدها: دفتر ملاحظات جلدي بحجم A5. لم يكن هذا كتاب الخراب العتيق. كان دفتر ملاحظات حديثًا، من النوع الذي يمكنك شراؤه من أي قرطاسية، وكتب بداخله بقلم حبر جاف.

الصفحة الأولى كانت بعنوان الملاحظات العديدة لنايت سينج. للحظة، حدقت تشارلي إليها.

كان هذا هو الكتاب الذي حاول بالتازار دفعها لإيجاده وسرقته في الليلة نفسها التي دخلت فيها دورين إلى الحانة لتطلب منها أن تعيد إليها زوجها، تلك الليلة التي قُتل فيها بول إيكو.

كانت في حالة حيرة شديدة أكثر من كونها محبطة.

ما الذي كان في أوراق نايت والذي كان مهمًا جدًا كي يخفيه آدم عن أمبر؟ لمن أراد بيعه ولماذا ظن أن بالتازار لن يقبل بالتعاون مع هذا الشخص؟

انتاب تشارلي شعور بأنها تغرق في هوة عميقة.

حسنًا، ربما كان آدم ذكيًا بما يكفي للحصول على أوراق نايت، لكنه لن يكون ذكيًا بما يكفي للاحتفاظ بها. دفعت تشارلي الكتاب لأعلى تحت ثوبها، فانضغطت الأسلاك السفلية لحمالة صدرها بشدة على جلدها.

لقد حان وقت الذهاب. في منتصف طريقها إلى الباب، سمعت نقرة ميكانيكية واضحة لإحدى البطاقات الإلكترونية وهي تفتح الباب. فانحرفت إلى الحمام، ودخلت حوض الاستحمام فور فتح الباب.

حاولت تعديل ستارة الحوض وهي متكورة على نفسها، من دون صوت حتى أخفتها تمامًا قدر الإمكان. هذه بالتأكيد ليست أفضل لحظة لها حيث تتعرض لخطر الانكشاف ثم حرج تبرير موقفها.

جاء صوت آدم من الغرفة الأخرى. «نعم، أراهن بستمائة دولار. هل تقسم أن نتيجة هذا الرهان قد حُدَّت مسبقًا؟».

ثم سمعت صوت طقطقة ووهج ولاة ثم رائحة دخان سيجارة. شعرت بإجهاد وضع القرفصاء الذي اتخذته بالفعل، وأسندت أصابعها إلى حافة حوض الاستحمام لتثبّت نفسها، وزاوية مدببة من كتاب نايت سينج تطعنها في المعدة.

«نعم، راهنت على الحصانين فانتا بلاك ووايلد مارس روفر». ثم تغيّر صوته فجأة وقال بنبرة تنم عن احترام لمحدثه: «لا، أنا لا أشك فيك. بالطبع لا».

حاولت تشارلي حبس أنفاسها حتى تتأكد من سماع ما يقوله.

«عندما أحصل على أربعة عشر ألفًا، سيكون الكتاب لك. ثم أعود بطلًا إلى ابنتي في المنزل».

كان من الممكن أن يكون هذا الشعور أكثر رقة لو أنه لم يتخلل عن دورين وطفلتها لأيام عديدة، كما أنه سرق خاتمها ليرهنه. على الأقل الآن، أدركت تشارلي ما كان يحتاج آدم إلى الخاتم من أجله. لقد عرض عليه شخص ما رهانًا معينًا متعلقًا بالكتاب.

كان نايت عضوًا في مجلس الكابال، وهي هيئة حاكمة محلية لسحرة الظلال. كان لدى نايت منظمة صغيرة أذرعها ممتدة في الكثير من الأشياء، بما في ذلك سرقة الأعمال الفنية والتلاعب السياسي. وكان يستخدم بشكل رئيسي جماعة مُحركي الدمى.

مع رحيله، قد يكون هناك فراغ في السلطة في الأعلى. من شأن معرفة نايت المتراكمة أن تساعد أي شخص على القيام بدور قيادي. ربما يكون هذا الشخص محرك دمي آخر يستخدم ظله للعبث بالعالم. محرك دمي آخر، لديه الكثير من الطموح من دون الكثير من المال.

لقد افترضت تشارلي أن هذه يمكن أن تكون صفقة جيدة، لكنها كانت بالتأكيد صفقة غير مشروعة؛ لذلك أراد آدم أن ينقل الكتاب بسرعة.

جاء صوته من الغرفة الأخرى: «لقد حصلت عليه من ريفين». ثم سمعت نوابض السرير وهي تصر، «لا أعرف ما إذا كانت قد قرأته».

اهتزت ساقا تشارلي من ثباتهما على وضعهما. قد تخاطر بالجلوس، والذي سيكون قرارًا سيئًا إذا اضطرت إلى النهوض بسرعة. أو يمكنها البقاء على وضعها وتأمل ألا تتقلص عضلاتها، ما سيجعلها أبطأ وأقل قدرة على الركض، إذا اضطرت لذلك.

قطبت تشارلي وهي تتطلع إلى ظلها على البلاط الأبيض، وهو شيء آخر قد يتخلى عنها ويهجرها.

لقد عضتها القطة بعد ظهر ذلك اليوم. هل يمكن أن يكون ذلك القدر من الدم كافيًا لإنهاء عملية إيقاظه؟ يمكن لشكل غامض - كظلمة - متجه نحو آدم أن يطارده مباشرةً إلى خارج

الغرفة وربما يواصل مطاردته نزولاً إلى البهو، فيصرخ آدم بأعلى صوته، متخيلاً أن هذا الشكل ساحر للظلال غاضب منه ويلاحقه.

تحرك، هكذا خاطبت تشارلي ظلها. افعل شيئاً.

بقي ظلها حيث كان.

أوه، هيا، هكذا هتفت به في خيالها. كن سحرياً.

لكنه ظل خاملاً.

ستفعلها مقابل الدم، أليس كذلك؟ إذا رميت منديلاً مبللاً به، مثل العصا التي تُرمى كي يتلقفها الكلب.

أو مثل منديل مبلل بالدماء لـكلب، كما افترضت.

أرجوك. ولكن شيئاً لم يحدث. صار وضع ساقيها أسوأ. ما نفعك إذن؟

خاطرت تشارلي ووضعت يدها على البلاط، ودفعت نفسها ببطء للوقوف على قدميها. يمكنها الوقوف لفترة أطول، ولكن إذا دخل آدم الحمام، فسيراها بالتأكيد.

لم تسمعه يُحكِم إغلاق الباب الإلكتروني. إذا تمكنت من القفز خارج الحمام، واجتياز الغرفة بسرعة كافية، فقد تغدو خارج الباب قبل أن ينهض من السرير. لكن سيكون من المستحيل عليها تقريباً الخروج من الحمام من دون إصدار بعض الأصوات. إذا شغّل للتو التلفزيون، فقد تميل إلى المحاولة.

في الغرفة الأخرى، كان آدم منخرطاً في مكالمة ثانية. «نعم، سأستحم بسرعة وبعد ذلك سألتقي بك في المشرب».

كان عليها أن تخرج من الحمام، على الفور.

بطء وحذر، سحبت هاتفها المحمول من جيبها.

لقد وجد بالفعل طريقة لنقل الكتاب؛ لذلك لن يعود لأمبر أي دور، حتى لو لم يكن قد حذر رقمها. يمكن أن تستخدم تشارلي هاتفها الأساسي، وترسل له رسالة نصية، متظاهراً بأن هذا تنبيه يخص بطاقة ائتمان مسروقة، أو تنتحل هوية مدير الفندق. ولكنه إذا عاود الاتصال بها، فلن تستطيع الرد من حوض الاستحمام الخاص به.

استعرضت تشارلي في ذهنها الأشخاص الذين تعرفهم، بالإضافة إلى الأشياء التي قد تكون قادرة على إقناعهم بقولها. ربما يمكنها إقناع بارب بالاتصال بآدم وإخباره بوجود طرد يخصه وأن عليه النزول والتوقيع. ربما يمكنها أن تجعل بوزي تتصل به وتخبره بأن سيارته مشتعلة.

ثم فكرت في الشخص الوحيد الذي يمكنه بالتأكيد أن يُخرجه من الغرفة. دورين.

من الغرفة الأخرى، كانت تسمعه وهو ينقب في أدراجه.

فكتبت تشارلي إلى دورين رسالة نصية دلالتها كافية لإحداث التأثير المرغوب: اللعين باع خاتمك الأثير.

للحظة لم يكن هناك رد وبدأت تشارلي في التعرق.

ثم جاءت رسالة دورين: الوغد. سأقتله. أين هو؟

ابتسمت تشارلي وكتبت بأسرع ما يمكن. فندق إم جي إم، غرفة 455 إنه موجود الآن، إذا كنت تريد أن تطلع عليه على بعض مما ستفعلينه به.

كانت هناك وقفة طويلة. استندت تشارلي خلالها بإحدى يديها إلى الحائط.

ثم جاء الرد: هل أنتِ معه؟

شيء واحد يمكن أن تعتمد عليه تشارلي بكل ثقة هو مدى بُغض دورين للانتظار. لقد كانت متململة طوال الوقت بعدما جاءتها في حانة رابنتشر، وتبدو نافذة الصبر في كل رسالة تتبادلانها. وحينما كانتا معًا في المدرسة الثانوية، كانت دورين تنقر بقدمها على الدرجة الخلفية لكرسي تشارلي طوال الوقت، وتلهو بقلم من الحبر الجاف في أثناء الحصة. لذا فإن تشارلي ببساطة لم ترد. وفي أقل من ثلاثين ثانية، بدأ هاتف الفندق الأرضي بالرنين.

التقط آدم السماعة، وكان هناك صمت طويل. «كيف عثرتِ عليّ؟».

«هل ستأتين إلى هنا؟ حبيبتي، انتظري ثانية. كيف حصلتِ على رقم غرفتي؟».

سمعت تشارلي خطوات قادمة نحو الحمام فعدت إلى وضع التكور على نفسها، ثم أنصت وآدم يتبول في المراض. بعدها أطلق سُبَابًا ساخطًا وركل الجدار بقدمه، ثم خرج من الغرفة. سمعت الباب ينغلق ومعه صوت تعشيق القفل الإلكتروني.

ورجالها متيبستان وترتجفان، قفزت تشارلي من حوض الاستحمام مستخدمة حامل المناشف لمساعدتها، وعرجت وهي تسير باتجاه الباب. لقد أرادت أن تفتحه وتهرب على الفور، لكنها أجبرت نفسها على العد حتى خمسين. ثم خرجت إلى الممر وتوجهت إلى الدرج ثم إلى أسفل. في الطابق الخامس، كان عليها التوقف وأخذ بعض الأنفاس العميقة. الذعر جعل أنفاسها تتلاحق وتصاب بالدوار.

في بهو الفندق أبطت رأسها مرفوعًا ونظرتها مركزة على المخرج. وقد ذكّرت نفسها أنه حتى لو كان آدم يعرف شكل تشارلي، فإنها كانت ترتدي باروكة شعر مستعار. بل ربما كان بإمكانها أن تمر جوار دورين من دون أن تُرصد وتُعرف.

عندما خرجت من الباب ارتطم بها هواء الخريف البارد المنعش. لقد استنشقتته وشعرت بدفقة الأدرينالين النقية التي تغلغت في جسدها ومهمتها على وشك أن تتم. والآن، مع وجود كتاب نايت سينج مدسوسًا تحت حمالة صدرها، كان أمامها وعد بمهمة جديدة.

بعد عشر دقائق، كانت تُصَف سيارتها بالقرب من الرصيف على طريق ميدو، أمام محل موراي للمجوهرات. إذا حصلت على خاتم دورين، فسيكون لديها شيء ما لتسليمه لها مقابل إصلاح الأمور في كلية بوزي، وللتعويض عن سرقة الكتاب من آدم.

«تشارلي هول»، قال موراي ذلك بينما ترن الأجراس المعلقة حول الباب من خلفها وهي تنظر حولها إلى الأرفف المألوفة المغبرة. «ماذا أحضرت لي هذه المرة؟».

كان رجلًا ضئيل البنية أحمر الشعر ويرتدي نظارة ذات إطار سلكي تُضخّم عينيه بشكل غريب. كانت تبيع له البضائع المسروقة منذ أن كانت في الخامسة عشرة من عمرها، ومنذ أن قرر راند أنه من المهم بالنسبة لها أن تعرف «مأل» الأغراض المسروقة.

مشت تشارلي إلى طاولة البيع، ثم نظرت إلى الخواتم المعروضة. «هل يمكنني رؤية هذا الخاتم؟».

ضاقت عينا موراي قليلاً، لكنه أخرج علبة الخواتم.

وضعت تشارلي إصبعها على خاتم دورين وهي تقول: «هذا الخاتم مسروق، كما تعلم».

فرفع حاجبيه في امتعاض زائف: «هذا عار حقيقي».

تهددت، لأنه وفي حين أن دورين يمكنها بالفعل استدعاء الشرطة بخصوص فقدان الخاتم، فإنهم لا يتورطون عادةً في النزاعات المنزلية بين الأزواج حول ملكية غرض معين. «سأقايضك مقابل حصولك على رهان مضمون على فرس رابح في سباق للخيل».

ضحك قائلاً: «هل تريدني مني أن ألعب معك لعبة الرهانات؟ وإذا خسرت ماذا أفعل؟ هل أسترد الخاتم منك؟ أنت تعلمين أنني معجب بك يا فتاة، لكنني أتعامل مع الحقائق المؤكدة».

قالت وهي تُقلِّب الخاتم في أصابعها، مُعجبة بوميض الحجر وثراء الذهب. «أوه، لا يسعك أن تخبرني بأن عمل متجر الرهونات لا يشبه القمار إلى حد ما».

فقال بنبرة متدمرة: «إذا كنت تجيدينه فلن يصبح كذلك. هذا الحجر مزيف، كما تعلمين».

قالت: «هاه». وهي تُقَرِّبه من وجهها وتدقق النظر به. كانت الأسنان المدببة التي تحمل ما كان من المفترض أن تكون ألماسة مختلفة الظل عن البقية. إنه مجرد ذهب أصفر لامع.

سألته تشارلي: «هل يعرف آدم؟».

هز موراي رأسه نافيًا وعَقَّب: «آدم؟ لقد باعه لي منذ سنوات».

«إذن كيف دفعت له هذا المبلغ؟». سألته تشارلي وهي تتساءل عما إذا كانت دورين، في النهاية، ستعتبر أنها استردت الخاتم إذا اكتشفت أن الألماسة التي تزينه قد اختفت.

نخر موراي متعجبًا وقال: «إذن فأنت تعرفين السعر الذي قدمته له أيضًا؟ لمعلوماتك، لقد دفعت مقابل الذهب الذي فيه؛ اثنين وعشرين قيراطًا. هذا هو السبب في أن الخاتم مخدوش بشكل لافت. إنه ناعم جدًا بحيث يصعب ارتداؤه بشكل منتظم من دون إتلافه».

منحت تشارلي موراي أفضل ابتسامة بريئة لديها وقالت: «هيا يا رجل، هذا الرهان مناسب. كما أن الخاتم بلا قيمة حقيقية في نهاية المطاف».

نخر موراي، ثم فتح جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به وبدأ في كتابة شيء ما فيه. فوضعت تشارلي الخاتم على مفصل إصبعها الأوسط وأخذت تدور بعينيها متفحصة باقي معروضات المتجر.

في إحدى الخزانات الأخرى، لاحظت معروضات من العقيق اليماني؛ خواتم وأقراط وقلادات وشبكة من خرز العقيق المصقول والأصفاة المبطنة بشرائط من العقيق المستقر في العلبة. بجانبها كانت قفازات مثل تلك التي كانت لدى أوديت، لكن بدلاً من أن تكون الأظافر لامعة، كانت من الحجر الأسود. ثم كان هناك مساحيق لإضافتها إلى طلاء الأظافر أو وضعها على أحمر الشفاه، وبعض الأسنان المزيفة، ومجموعة كبيرة من سكاكين العقيق اليماني المنحوتة. كانت واحدة منها كبيرة الحجم ومعلقة خلف آلة تسجيل النقود. كان نشاط موراي الثاني إذن هو بيع وسائل الحماية من الضلال.

سألها موراي: «إذن رهان مضمون على الحصان وايلد مارس روفر. ما مدى تأكّدك من هذه النتيجة؟».

سؤال جيد. لقد بدأ آدم على يقين من نتيجة السباق المحددة سلفاً، لكن آدم أحمق على كل حال. وفي نهاية المطاف فإن المراوغة لن تجعله يلومها بشكل أقل إذا خسر المال. فأكدت له: «متأكّدة تماماً».

قال: «حسناً، خذي الخاتم إلى صديقتك. ولكن إذا لم يتحقق وعدك، فسيكون عليك منحي ضعف قيمة ما خسرت، وسيكون لزاماً عليك أن تقدمي لي هذه القيمة في صورة شيء سهل نقله وتحريكه مثل الأحجار الكريمة غير المصقولة، أو الضلال المسروقة. اتفقنا؟».

«بالطبع». أجابته تشارلي، وهي تدفع بالخاتم إلى أسفل إصبعها ثم تشير لأسفل حيث السكاكين السوداء: «هل تباع الكثير من تلك؟».

«طوال الوقت. لا يسع الجميع إلا أن يكونوا على حذر دوماً. يقول الناس إن العقيق اليماني يمكنه أن يشق ظلام الليل».

«كم ثمن الواحدة؟».

منحها موراي ابتسامة لطيفة، كابتسامة جد مسن وقال: «سأضيف قيمة واحدة منها إلى حسابك. من الأفضل أن تحسلي عليها من شخص تثقين به. هناك الكثير من السكاكين اللامعة المزيفة التي تباع بالخارج».

فردت بنبرة امتنان: «أقدر لك ذلك».

اختار إحدى السكاكين من صندوق العرض، ثم لفها بقطعة قماش ووضعها في كيس. «أتمنى أن تكون الخيول عند حُسن ظني».

قالت تشارلي: «حسنًا، أتمنى ذلك أيضًا». وخرجت من الباب. بعدما خرجت لاحظت أن واحدة من الطوب الذي على العتبة كان أسود مصقولًا، ما يعني أن العجوز كان يُؤمن متجره ضد هجمات الظلال المحتملة.

في السيارة، وبينما تجلس خلف عجلة القيادة، فتحت تشارلي الحقيبة وأخرجت السكين. ثم ضغطت بإصبعها على جانبها. لم تكن حادة على نحو لافت، لم تكن للحجارة حافة قاطعة مثل المعدن.

يمكن أن يشق العقيق اليماني ظلام الليل.

لم تكن قد حملت معها سكينًا من العقيق اليماني منذ أن توقفت عن السرقة من سحرة الظلال. على الرغم من أن سكين العقيق اليماني لم تكن حادة، فإنها كانت سلاحًا ممتازًا ضد الظلال حيث تجبرها على التصلب؛ لذلك يمكن أن تصيبها وتضعفها.

كانت بحاجة إلى السكين، ولا سيما الآن بعد أن لم يعد فينس موجودًا لكسر أعناق الناس.

مع انتهاء مهمتها الليلية، لم تكن هناك طريقة لمنع نفسها من التفكير فيه. لا توجد طريقة لتجنب الشعور بالألم بمعدتها من تذكُّرها له. لا توجد طريقة لتجنب الحزن الذي كان يخنقها.

لكنه على الأقل أدرك أن تشارلي هول لم تكن مغفلة.

إدموند فينسنت كارفر. أخرجت هاتفها لتتحقق إلى صورة رخصته مرة أخرى، لتتفحصها كما لو كانت تعرفه من تلك الصورة. انزلق بصرها إلى العنوان، هناك في سبرينجفيلد. ربما تزور هذا المكان.

كان المبنى السكني يتكون من أربعة طوابق عالية الأسقف فيما غطى الطوب القديم المدخل الخارجي. إذا لم تكن قادرة على تخمين عمر المبنى من الطلاء المتآكل والمتداعي، لباح لها بذلك مظهر النوافذ غير المتسقة في مختلف طوابق المبنى. كل مكيف هواء يخرج من إحدى النوافذ كان لا بد من تعليقه بزاوية غريبة كي يستقر في مكانه.

صعدت تشارلي الدرج. كان هناك عشرة أزوار بجوار البوابة الخارجية. الثلاثة الأوائل لم يصدر عنهم أي رد. ثم لم يكن لدى الرابع والخامس أية فكرة عن تسأل عنه. السادس حصلت منه على ترحيب ممتعض، قالت: «لديّ طرد هنا من أجل إدموند كارفر وأحتاج إلى توقيعه».

رد صوت رجولي: «إنه لا يعيش هنا».

اقترحت تشارلي: «حسنًا، ربما يمكنك إرساله إليه». إذا فتح الباب، فإنها كانت تعتقد أنها تستطيع أن تدخل وترفض المغادرة حتى يخبرها من سيفتح لها بأي معلومة مفيدة. «أنا فقط بحاجة إلى شخص ما للتوقيع».

«قلت لك إنه ليس هنا. لقد مات».

لم يكن مقنعًا قط أن الرجل المجهول بدأ حديثه بـ«ليس هنا» وانتهى بـ«لقد مات». لذا قررت أن تخاطر: «انظر، لقد كذبت عليك. أنا صديقة وأحاول حقًا العثور عليه...».

كانت هناك ارتعاشة في الصوت: «ابتعدي. لا أريد أيًا منكم عند باب منزلي. لقد أخبرتكم جميعًا، لا أعرف شيئًا. في معظم الليالي لم يكن حتى ينام هنا، ولم يترك أي شيء وراءه. والآن، اذهبي بعيدًا». ثم توقف جهاز الاتصال الداخلي عن الطنين.

عاودت تشارلي ضغط الجرس مرارًا وتكرارًا، لكن الرجل لم يرد.

تطلعت تشارلي إلى سيارتها وفكرت في المغادرة، ولكنها عوضًا عن ذلك استدارت حول المبنى وصولًا إلى الجزء الخلفي منه حيث صناديق القمامة. لم تستغرق وقتًا طويلًا لتجد في واحد منها بين بقايا القهوة المطحونة وقشور البيض وعلب الطعام الجاهز، بريدًا غير مهم موجه إلى الشقة 2 بي. كتالوج لامع لملابس الأطقم الطبية، وغلافه ملطخ قليلاً ببقع متجمدة لحساء ما، كان الكتالوج يحمل اسم الطبيب ليام كولفين مطبوعًا على ظهره.

18. الماضي

وُلِدْتُ كخصلة من شيء، وُلِدْتُ سريع الزوال مثل دخان سيجارة. يغذيني الدم، وما يعتري صاحبي من مشاعر رعب وازدراء للذات. تراودني دومًا رغبات محرجة. أريدها. أريده. أريد هذا أو أريد ذلك.

يقول لي أمسك الكرة فأمسكها. هل هما يداي أم يداه؟

يقول لي طاردني وحدد مكاني. اللعبة سهلة جدًا. لكنني كي أفقد أثره، يجب عليّ أن أفقد نفسي وأضيعها.

يريدني أن أضحك ويوضح لي كيف. يريني أشياء مضحكة؛ القلط التي تسقط عن الطاولات. المراهقون الذين يتزلجون في البحيرات.

يقول لي أحيانًا: أنت صديقي الوحيد. لكن هذا صحيح فقط؛ لأن والدته تبقيه حبيس المنزل؛ لأنه يرتدي ملابس متسخة، ولأنه لا يستطيع دعوة أي شخص لمرافقته.

أخشى أن تموت. أريدها أن تحتضني عندما أبكي، وعندما أشعر بالقلق، وعندما أخاف. أريدها أن تمشط شعري إلى الوراء. أن تُقبّل جبهتي. أنا أكرهها. ربما سأكون أفضل حالًا إذا ماتت. أيّ من هذه المشاعر لا تخصني في الأساس، لكنها أصبحت مشاعري. لقد أصبحت أنا.

في بعض الأحيان تأخذنا أمه إلى المتجر الكبير وتضع فقط الأشياء الثقيلة الرخيصة في عربتها؛ سكر، دقيق. لبن، ثم تخبره أن يضع عبوات من صدور الدجاج وقطع اللحم في حقيبته.

لا حلوى، كما تقول. حيث يتوقع موظفو المتجر أن يسرق الأطفال الحلوى. هكذا يمسون بك.

هناك مرايا عاكسة في السقف تسمح للناس بالمراقبة. هناك كاميرات للمراقبة.

لكن لا أحد منهم يراقبني. لذا فإننا نأخذ ما نريد. نأخذ الحلوى. نأخذ كل شيء.

ثم يأخذنا جده إلى منزله الكبير، حيث توجد فتاة ليلعب معها وطعام كافٍ للجميع. إذا كان ريمي جائعًا، فإن شخصًا ما يصنع له الطعام. إذا بكى ريمي، سيأتي شخص ما ليتفقدته. لكن ريمي لم يعد يبكي. لقد منحني كل دموعه.

الاتفاق بسيط. يمكننا البقاء هنا ما دمت أفعل أشياء سيئة. الناس لديهم شرارة بداخلهم ونزعة لفعل الشر، وما عليّ فعله هو إذكاؤها وإبرازها. في كل مرة أفعل فيها هذا، يعلق بي بعض من آثارها، مثل اللطخة التي يخلفها سحق يراعة أو خنفسة مضيئة. القتل أسهل من السرقة، لكني لا أحب الطريقة التي ينظر بها ريمي إليّ عندما تنتهي.

أنا أتغير. الشرارات التي تلحق بي تُحدث أثرًا يُغيرني.

أواجه صعوبة في العودة إلى النوم عندما لا يحتاج إليّ ريمي.

أنا قلق. ثمة خطب بي. ليس ثمة خطب بي. أنا مضطرب. يمكنني القيام بأشياء لا يعرفها ريمي. عندما يكون نائمًا، أتجول في المنزل، والحبل أو الرباط الرفيع بيننا لا ينفصم أبدًا. يمكنني التلاعب بثمار البرتقال في الهواء، وتشغيل الراديو مثل روح شريرة. يمكنني أن أقرأ الكتب، أو أرسم صورة فوق البخار الذي يتكاثف على النوافذ.

إنها فكرتي، أول فكرة تخصني وحدي. أريد أن أرى ماذا سيحدث إذا انقطع الحبل بيننا. وبعدها يحدث ذلك، فإنني أشعر بالخوف. هناك فراغ حيث كان ريمي، وأشعر كأني أهوي من على خلال الليل. لم أكن وحدي قط قبل ذلك، ولا يوجد ما يكفي مني لأكون وحدي.

في كل مرة يحدث لي فيها ذلك، أنسى الأشياء. أشياء قليلة. أين كنتُ. كم من الوقت مضى.

تخبرني أديلين بأشياء، لكنها ليست كلها صحيحة. لا أريد الاستماع إليها بعد الآن.

في بعض الأحيان، يبدو الهواء من حولي مشحونًا، مثل عاصفة على وشك الهبوب. أعتقد أنني قد أغضب. أعتقد أنني قد أكون مهتاجًا. أعتقد أنني قد أكون على وشك القيام بشيء سوف أندم عليه.

ريمي قطع لي وعدًا. ششش... سوف نهرب. عندها سأكون أنا فقط وليس أنا وهو. سوف يُصلح من شأني. سوف يساعدي.

لكن أولًا، عليّ أن أطفئ بعض الشرارات، عليّ أن أغرق بعضًا من النجوم.

19. الحلوى التي تكسر الأسنان.

أرسلت تشارلي رسالة نصية إلى دورين مفادها أنها حصلت على الخاتم، ثم ذهبت إلى حانة بلو روين لتنتظر وتفكر فيما ستفعله بكتاب نايت سينج.

كانت الحانة تقع في مبنى صغير من الطوب، بعيدًا عن وسط المدينة. من الخارج، ظهرت لافتة باهتة مكتوب عليها «بلويرد»، ورغم ذلك لم يدعُ أحد المكان بهذا الاسم، قَط. كانت الحانة تعمل على ثلاث ورديات حيث تفتح في الساعة الخامسة صباحًا وتعلن عن تلقي آخر طلب في الساعة الثانية صباحًا. بين الثانية والخامسة، تتحول الحانة إلى مطعم بقائمة خيارات محدودة للغاية. إذا طلبت ما يكفيك من الكوكتيلات خلال الثلاث ساعات التي تفصل بين آخر طلب في الوردية الأخيرة وأول طلب في الوردية الأولى من اليوم الجديد، سيكون بمقدورك أن تواصل تناول ما تحبه من أشربة لمدة أربع وعشرين ساعة متواصلة.

كان زبائن الخامسة صباحًا عادةً من الممرضات والأطباء من مستشفى كولي ديكنسون القريبة، إلى جانب عمال الصيانة، وأمن المستشفى، وعمال المطاعم في الوردية الثانية الذين يبحثون عن مكان يذهبون إليه بعد استنفاد جميع الأماكن الأخرى.

لم تكن بلو روين مكانًا أنيقًا، حيث اشترى المشرب والطاولات التي بها ندوب في أثناء بيع التصفية لحانة قديمة ولم تكن تتناسب جيدًا مع مساحة المكان. كانت الأرضية لزجة على طول الطريق حتى الباب، وكانت المشروبات تُقدَّم في أكواب بلاستيكية، وكان الشيء الوحيد الذي لديهم للتزيين شرائح ليمون ذابلة تُوضَع فوق الأكواب.

إذا كانت هناك في أي وقت من الأوقات حانة يجسد مظهرها شعور تشارلي تمامًا بعد ظهر ذلك اليوم، فهي بالتأكيد حانة بلو روين. لقد جلست على كرسي عالٍ من كراسي المشرب، وهي مطمئنة لكونها تستطيع البقاء هنا طوال الليل.

بعد ساعة، كانت قد جرعت ثلاثة أكواب من الشراب، ولم تكن لديها رغبة في إبطاء وتيرتها.

كانت دورين قد أرسلت رسالة نصية لتقول إنها في طريقها إلى المكان والكثير من الأشياء الأخرى لم تتكلف تشارلي عناء قراءتها. كما تلقت تشارلي رسالة نصية أخرى من صديقتها في المدرسة الثانوية لورا حول تفويت حضور حفل الشواء الخاص بها، بالإضافة إلى رسالة من والدتها حول ذكرى ميلاد زوجها الجديد وكيف كانت تأمل أن يتمكنوا جميعًا من الاجتماع معًا. وربما ترغب الابنتان في استضافة حفل صغير كهذا لأن شقتهم أكبر مساحة من شقتها؟! من شقتها؟!

كانت هناك رسالتان صوتيتان من مكان عملها للاستفسار عن إمكانية قدومها ليلة الاثنين. حاولت أن تتخيل عودتها إلى هناك خلف المشرب لتصنع المشروبات للزبائن وهي تحاول عدم التفكير في الزجاج والدم والاختناق بالظل الذي تعرضت له. وتحاول أيضًا عدم التفكير في الصوت الذي أحدثته رقبة هيرميس عندما انكسرت.

تجاهلت كل الرسائل ودخلت الحمام لتزيل مكياجها المصطنع، لكن بعضًا من آثاره تبقّت وتمثلت في بقعة سوداء لامعة غطت عينيها وجزءًا من خديها. كان الإرهاق والتهيج يتملكانها بأسرع مما يمكن للكحول للسيطرة عليهما.

كان هناك دائمًا شعور بالدوار ينتابها بعد إتمام أيٍّ من مهامها الاحتياالية مباشرةً، يتبعه انخفاض في الأدرينالين. ثم تشعر بأن كل شيء ممل قليلاً وتصبح حساسة جدًا. كما هي الحال في هذه المرة، عندما نظرت إلى نفسها في المرآة، وهي تحديق إلى عينيها الداكنتين وتسير بإصبعها على شفرتها التي كستها الندوب، شعرت بشكل غير متوقع وعلى نحو مهين وكأنها تبكي.

لم يكن ذلك بسبب فينس. لم يكن له علاقة به، أو هكذا تحاول أن تقنع نفسها.

ثم عادت إلى المشرب وطلبت شرابًا آخر. إذا كنت ستُغرق أحزانك، فأنت بحاجة إلى الكثير من السوائل.

كان الساقى صديقًا لدون وحاول في بعض الأحيان تجاذب أطراف الحديث معها، لكن تشارلي لم تكن بارعة في تسيير محادثات من هذا النوع وبالتحديد في مثل ظروفها هذه. وعند نقطة بعينها أدركت أنه ربما يحاول أن يغازلها.

قال لها الساقى بابتسامة وهو يرفع عينيه من فوق شاشة هاتفه: «كايل، هذا اسمي. ربما أخبرك دون عني».

انتاب تشارلي فجأة إحساس بأن دون كذلك أخبر كايل عنها.

كان رأس كايل مليئًا بشعر بني كثيف ومموج. وهناك وشم لسلسلة يمتد من معصمه إلى ذراعه. كما بدا ظله طبيعيًا تمامًا. لعل كايل سيكون أفضل في محو رعبها وحزنها من كل أنواع الشراب الموجودة في العالم.

يجب عليها الاتصال بشخص ما. لورا، حتى يمكنها الاعتذار عن عدم حضور حفل الشواء. وبارب، التي يمكن أن تُضحكها. وجوزيه، الذي كان حزينًا أيضًا.

قالت لكايل، وهي تحاول إجراء محادثة معه: «هل تعلم؟ من المفترض ببعض حبات من الملح أن تزيل مرارة القهوة. أليس غريبًا أن يعتقد المرء أن الملح فعال أكثر من السكر؟!». «لا أعتقد أن هذا صحيح».

الأرجح أن كايل كان ساقياً فاشلاً في مسابقة الزبائن على عكس المعتاد. فهزت كتفها في لا مبالاة وقالت: «أنا أحب الأشياء المرة على أية حال. مثلي».

رمقها بنظرة تشي بأنه لم يكن متأكدًا من كيفية الرد على ذلك.

تحذير، كان حريًا بها أن تخبره. اعتبر كلامي بمثابة تحذير بأنني في حالة مزاجية سيئة للغاية، وسأسعد بتفريغ كل ما لديّ من خوف وقلق وإحباط فيك أنت بالتحديد.

أرادت تشارلي أن ينظر إليها الجميع على أنها صلبة وخشنة القلب، وقاسية مثل الخشب القديم المتحجر، مثل الصخور، كالحلوى التي تكسر أسنانك؛ لكنها لم تكن كذلك في الحقيقة.

«هأنتي يا تشارلي هول العظيمة». جلست دورين بجانبها عند المشرب وهي تغلي بوضوح. كانت ترتدي ملابس العمل، سروال جينز أبيض وقميصًا أزرق بياقة مزينة باسم عيادة طب الأسنان، حيث كانت تعمل موظفة استقبال، مطرزا فوق صدرها. لا بد أنها خرجت من العمل عندما تلقت الرسائل النصية حول مكان آدم.

قلّبت تشارلي عينيها: «ماذا؟ لقد توصلت إلى مكان رجلك وخاتمك».

«من فضلك قولي لي إنك لم تسرقي متجر الرهونات». كان صوت دورين مرتفعًا بما يكفي لجعل عدد قليل من الزبائن المسنين الذين كانوا يسلمون وقتهم بالجلوس في مثل هذا المكان يرفعون أنظارهم إليها.

هزت تشارلي كتفيها في عدم اكتراث.

«لقد رهن آدم الخاتم فحسب. لقد أخبرني بأنه سيستخدم المال لعقد صفقة من شأنها أن تغير حياتنا». من الواضح أن دورين أرادت أن تصدق ذلك. ثم أضافت: «إنه لم يستخدم المال ليعبث بظله».

قالت تشارلي: «لعله أخبرك بأن الحجر الموجود في الخاتم ليس أصليًا أيضًا؛ لأنه باعه منذ سنوات».

احمر وجه دورين قائلاً: «أنتِ حقًا مثل الشيطان، هل تعرفين ذلك؟ تعرفين كل آثامنا».

شعرت تشارلي كما لو أنها كانت تراقب المحادثة من بعيد جداً وليست منخرطة فيها. «هذا كلام سخيف. أنا فاشلة يا دورين. لكنني وجدت رجلك بل حصلت على خاتمك؛ لذلك إذا كنت قد علمت شيئاً لا تريدين معرفته عن آدم، فهذا سيئ للغاية بالنسبة لك».

حدقت كل منهما إلى الأخرى للحظات طويلة.

ثم خلعت تشارلي الخاتم ووضعتته على قمة المشرب. عندما مدت دورين يدها إليه، غطته تشارلي بيدها. «لقد وجهت إليّ بعض التهديدات بخصوص ما يمكن أن يفعله أخوك بحساب بوزي في جامعة يوماس. أريد تأكيداً على تأجيل الموعد النهائي للدفع. ثلاثة أشهر على الأقل. أحتاج إلى رؤية الإشعار على هاتفي عند تسجيل الدخول إلى حسابي».

«لا يمكنك أن تتوقعي منه أن يخاطر ب...»

«أنا أفعل ذلك بنسبة ألف بالمائة». من أكثر الأشياء المحبطة بشأن مقايضة عمل تشارلي بعمل آخر أن الناس يثمنون عملها غالباً حتى يُنجز المطلوب، ثم يصبحون مقتنعين بأن تنفيذ ما سعوا إليه ابتداءً كان أمراً سهلاً. لم تسر عملية إعادة التفاوض في مصلحتها قط.

نظرت دورين إلى الخاتم تحت يد تشارلي وقالت: «هذا الخاتم ملكي».

فردت تشارلي: «سيكون كذلك بمجرد أن تتصلي بأخيك وأتلقى البريد الإلكتروني المرغوب فيه».

أخرجت دورين هاتفها من جيبها بينما كانت تسير إلى الباب. ثم بعد بضع دقائق عادت، وفمها ملتوي.

«كما تعلمين، قال آدم إنه سيستعيد خاتمي في وقت محدد. لقد استخدمه مقابلًا للحصول على قرض».

«هذا مثير للاهتمام». نطقها تشارلي بطريقة جعلت دورين تعرف أن ما قالته كان بلا قيمة تقريبًا.

ثم تنهدت دورين وباحت أخيرًا بسرّها: «لقد تحدثت إلى أخي. يقول إنه لا يستطيع الوصول إلى الفاتورة الخاصة ببوزي. الأمر لن ينجح».

ففزعت تشارلي: «لا بد أنك تمزحين معي، ماذا يعني ذلك؟».

«إنه لا يعرف». بدت دورين قلقة، وهذا هو السبب الوحيد الذي جعل تشارلي لا تتهمها باختلاق هذا العذر برمته. «ربما يتعلق الأمر بقسم مختلف لا يدير فواتيره من خلال مكتبه. أو ربما وُضعت علامة تحذير خاصة على حسابك. لكنه حاول».

للحظة، شعرت تشارلي بدفقة من الغضب العارم، الموجّه في معظمه إلى ذاتها.

ثم رفعت يدها من فوق الخاتم. لقد خطر ببالها، وليس للمرة الأولى، أنها لو كانت مهتمة بجني الأموال من وراء مخططاتها بمقدار نصف اهتمامها بالمخططات نفسها، لصارت أفضل حالًا.

ترددت دورين وسألت: «ماذا الآن؟». قالت تشارلي: «خذي، اللعنة، اللعنة عليك، اللعنة عليّ، اللعنة على كل شيء».

«ما خطبك على أية حال؟». أشارت دورين حولها، كما لو أنها كانت تشير إلى أن بلو روين كان مكانًا مريبًا للغاية للقاء، كما أن الوقت كان بعد الظهيرة، وكانت تشارلي على شفا أن تسكر وتغيب عن الوعي.

قالت تشارلي: «أنا أحتفل بكوني عزباء».

أطلقت دورين ضحكة مريرة وهي تقول: «حسنًا، انظري إلي نفسك. لقد صرعتك الحب، وتعاين مثل أي شخص آخر منّا».

قالت تشارلي وهي ترفع كوبها البلاستيكي: «اشربي معي نخب المعاناة».

قالت دورين وهي تشعر بقليل من الاشمئزاز: «يجب أن أعود إلى العمل. لديّ مسؤوليات، وأعتقد أن لديك أيضًا؛ لذا لا تشربي الكثير من الكحول حتى لا تنسي ذلك. أوه، وإذا كنت قد سرقت متجر الرهونات، فلا تورطيني معك عندما تلاحقك الشرطة».

«إذا كنت محظوظة، فسوف أتناول الكثير من الشراب وأنسى أننا تحدثنا معًا». ثم تجرعت تشارلي شرابها مرة واحدة بشراهة وهي تقول: «أحضِر لي الزجاجَة، يا كايل».

قالت دورين، وهي في منتصف الطريق إلى الباب، «أتدريين، لقد رأيت رجلِك مرة واحدة، وفي اللحظة التي رأيتَه فيها علمت أنه سيخدعك. الرجال الذين يشبهونه...»

فقاطعتها تشارلي: «لم يعرفه أحد على حقيقته».

فنخرت دورين وهي تقول: «إلا أنتِ؟».

هزت تشارلي رأسها نافيةً: «لا أحد على الإطلاق. إنه لم يكن شخصًا حقيقيًا. لم يكن كذلك قط».

غادرت دورين الحانة وهي تدمدم نتيجة إحباطها من عدم فهم ما تقوله تشارلي التي باتت مخمورة.

سألها كايل عندما أحضر لها زجاجة الشراب: «إنك لم تسرقي متجرًا حقًا، أليس كذلك؟».

أعطته ابتسامتها الأكثر خبثًا: «بالتأكيد لم أفعل».

«هل تريدين بالفعل شراء هذه الزجاجَة؟»، ثم وضعها بجانبها.

«بالتأكيد». ثم سكت مشروبها من زجاجتها الخاصة. كان الأمر أشبه بالوجود في أحد تلك الأماكن الفاخرة التي تُقدّم لروادها زجاجات الشراب كاملة عوضًا عن مجرد كئوس منها، باستثناء أنها ليست في مكان كهذا.

لا يهم إذا كانت لا تستطيع تحمّل تكلفة زجاجة شراب فاخرة كهذه. لقد صار مستقبلها واضحًا. ستعود للعمل مع سحرة الظلال، وستدفع نفقات كلية بوزي بالطريقة التي كان يجب أن تتبعها منذ البداية، وستبتعد عن جميع صديقاتها. إذا كانت ستفجر كل شيء من حولها، فعليها أن تُبقي كل شخص تهتم بأمره بعيدًا عنها.

اللعة على كل شيء!

ظلت تشارلي في حانة بلو روين حتى المساء، حيث تلهّت بالعبث بصندوق الموسيقى في الزاوية، وتناولت مع اثنين من مدمني الكحول المسنين بيتزا اشتريها، ورقصت مع أحدهما على أنغام أغنية قديمة من الثمانينيات. ثم بدأت التفاصيل تتداخل معًا وبدأ المكان يكتظ بالزبائن. تذكرت تشارلي الجلوس على المرحاض في الحمام، وأنها ألصقت ظهر دبوس وجدته في حقيبتها بجلدها مرارًا وتكرارًا، كما تذكرت الوقوع على الأرض والاستلقاء وقول كايل شيئًا عن أنه لم يكن من المفترض أن يخدمها إذا لم تستطع الوقوف، ما جعلها تضحك.

لم تكن بحاجة إليه. كانت لديها زجاجة خاصة بها.

عندما صعدت إلى كرسيها مرة أخرى، متمسكة بحافة المشرب لتثبّت نفسها، دخل رئيسها السابق من حانة توب هات إلى بلو روين مع ثلاثة من أصدقائه.

قال لها الرجل بعدما ألقى عليها نظرة خاطفة: «حسنًا، حسنًا، انظروا من جرتها القطة إلى هنا».

«ريتشي، لطالما كانت تزوق لك العبارات المبتذلة». قالت تشارلي ذلك وهي تحاول إخفاء نبرة الازدراء في صوتها. كان في أوائل الخمسينيات من عمره، وشعره رقيق من أعلى وعيناه مثل الطيور الجارحة. كانت لديه ممتلكات في جميع أنحاء الوادي، بما في ذلك حانتان وثلاثة مطاعم. عندما طردها من عملها لحسابه، كان معنى هذا ضمناً أنها لن تكون قادرة على العمل في أي مكان آخر، وقد اعتبرها إهانة شخصية له أنها وجدت عملاً في حانة رابتشر.

«سمعت أن المطاف انتهى بك في رابتشر».

«نعم...». كان الوادي صغيراً بالفعل، لكن لم تعجبها على الإطلاق فكرة كونه صغيراً إلى هذا الحد.

قلد ريتشي حركة الجلد بالسوط ولعب حاجبيه. «لعلك تربطين الناس وتعذبتهم حالياً؟ أراهن أنك تحبين ذلك»، فضحك أصدقاؤه.

فقالت له ببرود: «فلتتعفن في الجحيم».

فقال هازئاً: «أوه، لا ترهبينا بما لديك من أسلحة مخيفة».

ألقت تشارلي زجاجة الشراب شبه الفارغة باتجاهه، لكنه انحنى في الوقت المناسب فاصطدمت بالحائط من ورائه، فسال الكحول على الطلاء القذر للجدران.

«أيتها العاهرة المجنونة!». نطقها ريتشي بغضب لكنه لم يعد يبدو متعجباً، ولم يعد متأكدًا من أنه يستطيع قول ما يريد ويقتبله الجميع من حوله، حتى إنه بدا خائفاً قليلاً. كانت تشارلي تحب أن تخيف أمثاله.

في تلك اللحظة نبتت ابتسامة خبيثة على شفطي تشارلي.

ثم قال لها كايل: «عليك أن تذهبي الآن». ثم انحنى إلى الأمام وخفض صوته مضيئًا:
«وربما لا يجب عليك العودة قريبًا».

«لقد طردت من أماكن أفضل من هذا بكثير». نهضت تشارلي وارتدت معطفها بتؤدة بينما كان ريتشي يرمقها بنظرات حاقدة. بعدها حسبت طلباتها والإكرامية ووضعتها على حافة المشرب المبللة. ثم بعثت بقبلة في الهواء للرجل العجوز الذي رققت معه وشعرت بالرضا الشديد عندما قلّد حركة تلقّيه لها.

لقد تعثرت مرتين فقط في طريقها للخروج من الباب.

استيقظت تشارلي في المقعد الخلفي لسيارتها بفم جاف ورأس يطن، وشعرت كما لو كان رأسها محشوًا برغوة عازلة. كانت أطرافها متصلبة من البرد، وكانت قطرات المطر تطقطق على السطح والسماء في الخارج مظلمة ومثقلة بالسحب التي تعد بأن تفيض بالمزيد.

اعتدلت لتجلس ورأت انعكاس صورتها في زجاج النافذة. لقد ذابت الماسكارا، وعلى الرغم من أنها لم تتذكر أنها بكت، فقد كانت آثار البكاء واضحة على خديها فغمرها شعور مألوف بالخزي. كانت قد أمضت ليالي كثيرة مثل هذه، وذلك عندما كانت تستيقظ وهي تعلم أنها فعلت شيئًا لتنال قدرًا من الرضا اللحظي عن ذاتها وحياتها، والذي سرعان ما سيتضح أنه لا يستحق - بأية حال من الأحوال - التكلفة التي قدمتها للشعور به.

ولكنها بينما تتسلق التل إلى امتداد الغابة لتتبول، كانت على استعداد للإقرار بكل أخطائها وتقبّلها. لقد كانت تكذب على نفسها عندما اعتقدت أنها يمكن أن تتغير.

كانت بالضبط تشارلي هول التي كانتها دائمًا؛ إنسانة فوضوية، ومندفعة، ووحيدة.

وهي عائدة إلى سيارتها، رأّت تشارلي شخصًا آخر يقف بجانبها؛ رجل عجوز بشعر أبيض ومعطف طويل من الصوف الأسود الفاخر.

ثم تقلصت معدتها واضطربت.

في تلك اللحظة بادرها العجوز: «لا بد أنك تشارلي هول، أنا ليونيل سولت. أعتقد أن لديّ مهمة لك.»

20. شم مزدوج.

كان الرجل متكئًا على عصا فضية، وخلفه سيارة رولز رويس السوداء الداكنة ذات السمعة الأسطورية. حتى نوافذ السيارة كانت داكنة ولا يبين من ورائها شيء. وقف بجانبه رجل مسن ضئيل الحجم، ممسكًا بمظلة حتى يقي ليونيل قطرات المطر بينما كان نصف معطف الرجل قد تغيّر لونه بالفعل بسبب المطر.

مجرد النظر إليه ملاً تشارلي بشعور من الرعب قوي لدرجة أن عضلاتها تقلصت. كانت تعلم أنها يجب أن تتجه إلى سيارتها، لكن جسدها حثها على الاستدارة والركض إلى أعماق الغابة والاختباء بها.

«مهمة؟». رددت وراءه بصوت مرتفع، وخرج صوتها ثابتًا بشكل مفاجئ لها.

«لقد استأجرت رجلًا، هيرميس فورتشن، يعمل في مجال عملك نفسه. لسوء الحظ، فإنه اختفى. يبدو أنني بحاجة إلى لص جديد. وسمعت أنك بارعة جدًا؟».

انحدرت تشارلي من التل وتباعدت عنه قدر المستطاع، بينما كانت تتجه إلى سيارتها. الفستان اللامع الذي كانت ترتديه في فندق إم جي إم بدا متوهجًا في ضوء شمس الظهر التي بدأت ترخي أستارها على المكان. في انعكاس نافذة السيارة جعلتها زينتها الملطخة، التي شوهتها آثار الدموع، تشعر بالضعف التام. ربما سيفعل المطر وجهها، رغم أنها كانت تشك في أن ذلك لن يؤدي إلا إلى زيادة سوء مظهرها. قالت: «أنا خارج اللعبة حاليًا. هناك رجل اسمه آدم يؤدي الآن ما كنت أؤديه من مهام فيما مضى. يستطيع بالتأزر أن يصل بينكما».

التوت زاوية فمه لأعلى وهو يقول: «آدم لوكين؟ إنه يعمل على شيء آخر من أجلي».

أخبرها بالتأزر أن آدم فشل في العثور على كتاب الخراب. إنها لم تعتقد أن سولت من النوع الذي يعود إلى الاستعانة بخدمات الأشخاص الذين خذلوه من قبل. هل كان سولت هو الشخص الموجود على الطرف الآخر من المكالمة الهاتفية التي استرقت السمع إليها.

قالت تشارلي: «يا له من سوء حظ! لكني ما زلت لا أستطيع مساعدتك».

«لقد تحدثت إلى أحد معارفي القدامى، أوديت فيفر. يبدو أنك على الأرجح كنت آخر شخص رأى هيرميس على قيد الحياة. يا لها من مصادفة! ألا تعتقدين ذلك؟ لقد دعيتك باسم تشارلي هول. هل هذا اسمك الحقيقي؟ لقد سمعت أنك تُدعين فقط بلقب المشعوذة».

حدست تشارلي للتو أن أوديت تعرف سولت. كان لديها ما يكفي من العملاء الأثرياء كي تتقاطع طريقها يوماً ما مع الملياردير المحلي ليونيل سولت. وقد أوضحت أوديت لتشارلي أنها تحدثت إلى شخص ما عن هيرميس. كان على تشارلي أن تصل فوراً إلى أسوأ استنتاج ممكن.

على الأقل لم يتعرف إليها سولت حتى الآن. بالطبع، كانت في الخامسة عشرة من عمرها وقتما التقته للمرة الأولى، مجرد طفلة. ولم يكن هناك أي شيء مميز في تلك الليلة بالنسبة له. ربما قتل الكثير من الناس قبل ذلك وبعده.

ولكنه إذا كان يعتقد أن ابتزاز تشارلي من خلال تحميلها مسؤولية اختفاء هيرميس سينجح، فإنه واهم. بعد مقتل راند، أدركت تشارلي أن ممارسة الابتزاز عمل تتضاعف عواقبه السيئة بمرور الوقت. أيضاً، لم تكن تعتقد أن أوديت تهتم إذا كانت تشارلي قاتلة أم لا، ما دامت تحضر في وريديت عملها في الوقت المحدد وتحافظ على حساباتها.

بعد أن امتد الصمت لفترة طويلة حتى أدرك سولت أنها لن تجيبه، تحدث مرة أخرى: «بالحديث عن المصادفات، ما احتمالات أن تجد سارقة، شابة وشهيرة، للكتب السحرية

نفسها متورطة مع رجل هرب مع كتاب يخصني وينتمي إلى هذه الفئة من الكتب؟».

قالت تشارلي: «أنا أقدر لك وصفي بالشهيرة».

«لقد تعرف حفيدي إليك بالتأكيد، أليس كذلك؟». بقي صوت سولت ثابتًا، لكن من الواضح أنه لم يُعجَب بتوجهها ومسلكها عمومًا. ربما كان يعتقد أن الشخص الذي يتبول في الغابة، سيتصرف بنوع من الخجل وربما الخزي عند محاصرته بالحقائق المفاجئة عن حياته وعمله، لكنها فاجأته بالرد: «الراحل إدموند كارفر، خالص التعازي في وفاته».

فضيَّق عينيه وقال: «أعتقد أنك اعتدت أن تناديه باسمه الأوسط. لقد وصفته أوديت بتفاصيل لا لبس فيها بالنسبة لي؛ لذلك فلنتوقف عن التظاهر بأننا نتحدث عن لا تعرفين».

تساءلت تشارلي: «فينس؟»، ثم استطردت بصوت تملؤه البراءة: «لقد هجرني بعد ظهر أمس. يبدو أنك أضعت أثره مرة أخرى».

«أعتقد أنه من الأفضل أن تركبي السيارة». تحرك سولت من مكانه، ولم يُعد يحاول إخفاء غضبه. «لدينا الكثير لنناقشه، ولا أعتقد أن أيًا منا يريد القيام بذلك هنا تحت المطر».

سيشعر الكثير من الشبان والشابات من معارفها بالغيرة؛ لأنها تلقت دعوة لركوب سيارة رولز رويس، لكن الفكرة لم تحمّسها بل أثارت عنادها: «أنا مبتلة بالفعل، لذا، لا شكرًا. ستبلل ملابسي مقعدك الجلدي الجميل».

مد ليونيل سولت يده إلى الجيب الداخلي لمعطفه الصوفي وأخرج مسدس جلوك أسود غير لامع يتطابق لونه مع لون السيارة تمامًا.

أما الرجل المسن الذي كان يحمل المظلة فلم يظرف له جفن.

قال سولت ملوحًا بفوهة المسدس بشكل عرضي تجاهها من دون أن يصوبه بإحكام: «أخشى أنني مُصر على طلبتي».

كان ضوء النهار كاشفًا وكانا يقفان في منتصف ساحة انتظار السيارات. كان يمكن لأي شخص يخرج من حانة بلو روين أن يراهم ولم يكن هناك أي سيارات في ساحة الانتظار. كما لم يكن الطريق الذي يجاورهم مزدحمًا بالسيارات، ولكن المركبات كانت تمر بين الحين والآخر. أن يشعر سولت بالأريحية لإخراج مسدسه علانية في هذه الأجواء، فقد ذكّر هذا تشارلي أنه يعتقد أنه يمكن أن يفلت من عاقبة أي شيء.

لقد مر أكثر من عقد منذ أن أنقذ حياتها تقيؤها لعصير البنجر الذي تناولته والجري وسط الغابة. ظلت هذه الليلة تطاردها منذ ذلك الحين، لكن تعاطي المخدرات ومرور الوقت جعلها ذكرياتها حول هذه الحادثة مشوشة وحوّلاها إلى كابوس غائم عوضًا عن أن تكون ذكرى بارزة الملامح.

لكن في اللحظة التي رأت فيها سولت، عاد ذلك الإحساس بالرعب إلى النشوء والتصاعد. لقد شعرت كأنها طفلة مرة أخرى، وهي تجري في الغابة، والوحوش في أعقابها. لم يكن لديها أي رغبة في العودة إلى منزله الكبير وأن تنزف ما تبقى من دمها على سجادة مكتبته. قالت له من دون أن تتحرك: «في ظل هذه الظروف، لا أعتقد حقًا أنني يجب أن أرافك».

قال لها وهو يدور حول سيارتها الكورولا متجهًا نحوها: «لكنك ستفعلين. أنت فتاة ذكية وستتخذين القرار الذكي».

رفعت تشارلي حاجبها: «من الواضح أنك لا تعرف أي شيء عن طبيعتي».

وبينما كان ليونيل سولت يحدق إليها، لم تستطع منع نفسها من رؤية التشابه في الملامح بينه وبين فينس. كان كلاهما طويل القامة ولهما الفك الصلب والحاجبان الغاضبان نفسيهما، ولكن في حين لم يكن لفينس ظل، فإن ظل سولت يومض خلفه كاللهب الغاضب.

لاحظت ارتفاع ظله من الجانب عندما استدار سولت، وتساءلت عن صاحب الظل الذي سرقه ليصبح أخيرًا ساحرًا للظلال.

قال سولت، وهو يوجه المسدس إلى تشارلي بتعمد واضح هذه المرة «ابنتي تنتظرنا في السيارة»، ثم استطرد: «أنا أفضل ألا أزعجها. سأدفع لك مقابل وقتك. ولكن هذه فرصتك الأخيرة لاتخاذ القرار الصحيح».

سألت تشارلي: «إذن ستدفع لي إذا ذهبْتُ معك وستطلق النار عليّ إذا بقيتُ؟».

نمت ابتسامته لذكاء ملاحظتها وعقّب: «العالم يعمل من خلال مبدأ الجزرة والعصا».

«إذا كنت تعرف أوديت جيدًا، فأنت تعلم أحيانًا أن الجزرة هي نفسها العصا»، لكن على الرغم من الملاحظة، وعلى الرغم من يقينها أن الذهاب معه كان سلوكًا غبيًا، فإنها كانت تدرك قلة الخيارات المتاحة لها.

لقد تجاوزت محنة إصابتها برصاصة في آخر مرة تعرضت فيها لإطلاق نار، لكن الرصاصة هذه المرة من المرجح أن تصيبها وتقتلها.

حثها بقوله: «تعالى معي. سنتناول الغداء في مكان عام بمنتهى التحضر. ويمكننا مناقشة ما ستفعلينه لأجلي، وكم من الوقت سيكون لديك لإنجاز المهمة».

بدأت تشارلي غير مقتنعة وهي تسير في اتجاه سيارة سولت. قد لا يكون هناك مهرب من الذهاب في هذه الرحلة، لكنها ذكّرت نفسها بأنها قد هربت منه ذات مرة، وستفعل ذلك مرة أخرى.

أوه، هذه المرة ستجعله يدفع الثمن حقًا؛ لما بدر منه تجاهها في الماضي، وبسبب المسدس الذي كان يحمله ويهددها به، ولكن الأهم من ذلك كله هو إرساله هيرميس لقتلها وتدمير علاقة عاطفية كانت جيدة تمامًا في ظاهرها ومبنيّة على أكاذيب كاملة في باطنها.

فتح الرجل المسن ذو المظلة - صغير الحجم ونحيف البنية مثل فارس - باب المقعد الخلفي.

أخبرتكَ بأن جدي كان صارمًا، أليس كذلك؟ لقد علّمني الكثير من الأشياء. كان يؤمن بقوة العمل التي تحسّن حياة المرء، بغض النظر عن عمرك. لم يكن يؤمن بالأعذار. وكان لديه سيارة ليموزين تتعطل في بعض الأحيان.

من المستبعد أن سولت علّم فينس أن يصلح السيارات بنفسه، لكنه بالتأكيد أصر على أن يفعل شخص آخر ذلك.

سألت تشارلي السائق: «لقد أحببت إدموند، أليس كذلك؟». لم يبدُ الرجل سعيدًا بالتحدث معها لكنه أجاب بصوت منخفض: «لقد أحب الجميع إدموند، يا آنسة هول».

ثم انزلت إلى داخل السيارة.

حتى مع ارتداء النظارة الشمسية، كانت المرأة التي تشغل الجانب الآخر من المقعد الخلفي هي التي في صور الحفلات التي كانت تُقام في نيويورك على نحو لا لبس فيه. ابنة سولت وخالة إدموند فينسننت كارفر، لكنها بدت أشبه بأخت له. كانت ترتدي سروالاً أسود ضيقاً مدسوساً في حذاء من جلد الغزال، وبلوزة زرقاء مخططة من نسيج رقيق، وسترة جلدية. كان شعرها الأشقر أفتح بكثير من شعر إدموند الذهبي.

قالت المرأة: «أنا أديلين»، ثم أردفت وتشارلي تدلف إلى داخل السيارة: «آسفة على سلوك أبي. يمكن أن يكون فظاً في بعض الأحيان».

سياسة العصا والجزرة نفسها.

قال سولت شيئاً للسائق بصوت منخفض، ثم جلس في مقعد الراكب الأمامي.

رائحة الجلد ومعطر الجو الغالي جعلاً رأس تشارلي يدور.

«لنتناول بعض القهوة». قال سولت ذلك مستديرًا لإلقاء نظرة عليها، وأضاف: «يبدو عليك أنك في حاجة إلى قدر منها».

قالت أديلين وهي تجعد أنفها ثم تبتسم لتشارلي: «وملابس جديدة. لا أقصد التقليل من شأنك. لقد استيقظت في كثير من الصباحات وأنا أرتدي ملابس حفلة الليلة الماضية».

لم يكن من السهل عليها تخيل أن فينس كان يقضي الكثير من أوقات فراغه معها، لأنه كان يتحلى بالصبر. أما ما كان مستحيلاً عليها تصوره فهو أن فينس يعتز بوجود امرأة كهذه في حياته.

خرجت السيارة على الطريق العام وانطلقت بعيداً عن الحانة، وعن سيارة تشارلي، وعن أي أمل في الهروب السهل.

بعد بضع دقائق توقفت السيارة أمام مقهى ذا روست على حافة وسط مدينة نورثهامبتون. خرج موظف ومعه صينية قهوة وحقيبة تلقاها السائق عبر النافذة الأمامية. تساءلت تشارلي عما إذا كانت هناك علامة يمكن أن تعطيها وتبين أنها مختطفة، مثل هؤلاء النساء الماهرات اللواتي يستطعن الإشارة إلى أنهن في ورطة في أثناء توصيل البيتزا إلى بيوتهن.

حتى إذا كانت هناك إشارة من هذا القبيل فإن دوار الخمر الذي تشعر به تشارلي منعها من التفكير في الأمر. ابتعدت السيارة عن الرصيف باتجاه طريق I-91. فيما أخذت المساحتان تنظفان الزجاج الأمامي بوتيرة متسارعة.

أخذت تشارلي رشفة من القهوة وهي متوترة. بينما تناولت أديلين بعضاً من شاي الماتشا، ما ترك أثراً من الرغوة الخضراء على شفرتها العليا.

بدأ سولت حديثه بالقول: «أنا شخص معتاد الحصول على ما أريد. وما أريده هو أن يعود كتاب معين إلى حوزتي. كتاب الخراب، أو كتاب الليل أو الظلمة أو الضلال المستقلة، سمّيه ما شئت. ابحثي عن كتاب يحتفظ به إدموند ويحرص على إخفائه بعناية، كتاب بغطاء معدني، وهذا كل شيء. لا توجد كلمات على الغلاف. قد يبدو لك للوهلة الأولى كدفتر يوميات».

أومأت تشارلي برأسها، من دون أن تؤكد صراحةً موافقتها على الحصول عليه من فينس، وأخذت رشفة أخرى من القهوة ثم انتظرت. في بعض الأحيان يدفع الصمت الناس إلى التحدث. في بعض الأحيان، إذا تحدثوا كثيرًا، فلن يلاحظوا أنك لا تشاركهم الحديث.

لقد نجح هذا النهج حيث واصل سولت كلامه: «يمكن أن يكون حفيدي شابًا فائقًا، لكنه أناني. ليس ذنبه أنه يستغل الناس. لقد نشأ مع أم مدمنة والتي وضعت في مواقف صعبة وتركته بين أناس لا ينبغي أن يرتبط بهم أي طفل. كانوا يعيشون في الشارع، حتى إنهم كانوا ينامون في السيارات. منذ صغره، كان عليه أن يتعلم كيف يعيش، وأن يتحول إلى ما يرضي الناس حوله. بحلول الوقت الذي توليت فيه أمره، كان قد بلغ الثالثة عشرة من العمر وقد دُمّر عمليًا».

ألقت تشارلي نظرة سريعة في اتجاه أدلين. كانت المرأة مقنطرة ونظرها موجه إلى يديها، وكأنها لم يعجبها ما قاله والدها لكنها لم تكن راغبة في الاختلاف معه علانيةً.

على الرغم من أن تشارلي كانت تكره تصديق سولت بشأن أي شيء، فإن تاريخًا كهذا من شأنه أن يفسر كيف كان فينس قادرًا على التصرف بوصفه إنسانًا عاديًا، حتى بعد أكثر من عقد من تمتعه بثروة هائلة. الطفل الذي عاش في فقر لمدة ثلاثة عشر عامًا، الشخص الذي كان هو المسئول الأول في الأسرة، سيعرف جيدًا كيفية تنظيف المزاريب. وربما تعلم بسبب ذلك كيفية صنع سندويتشات التاكو وغسل الملابس وجميع الأشياء التي سيصعب على أي شخص غني أن يؤديها وحده بلا معاناة.

وفيما يتعلق باستغلال الناس، حسنًا، لقد استغل تشارلي، أليس كذلك؟

استطرد سولت: «عندما ينظر معظم الناس إلى النجوم، فإنهم يخافون من اتساع الكون، وافتقارهم الذاتي إلى الأهمية».

في تلك اللحظة سمعت صدى صوت فينس: «هل تعتقد أن النجوم لها ظلال؟».

«لكنني كنت دائماً مرتاحاً فيما يتعلق بهذا الشأن، هل تعرفين لماذا؟».

هزت تشارلي رأسها فحسب؛ لأن هذا بدا لها كأنه ما كان من المفترض أن تفعله.

«لأن النجوم تشير دوماً إلى وجود إمكانية ما. في خضم كل هذا الاتساع، من المستحيل أن هذا الكون ليس لديه أسرار متروكة لثقتشف. وعندما أخذت حفيدي تحت جناحي، رأيت أنني على حق؛ لأنه وعلى الرغم من كل ما كُسر فيه، فقد كانت لديه موهبة واحدة رائعة».

خَمَّنت تشارلي: «السحر».

أوماً سولت برأسه إيجاباً: «عندما رأيته يتقن ذلك - وهو ما فعله من دون أن يمتلك لسائناً مشقوقاً أو أيّاً من هذه الأشياء، ولم يتلقَ أي تعليم رسمي مع أي ساحر ظلال - شعرت كما لو أنني وجدت ما كنت أبحث عنه طوال حياتي. سر حقيقي في الكون، وطريق إلى أسرار أعظم. لكن بالنسبة لإدموند، كانت مجرد خدعة بسيطة. لقد لعب مع الظل كما لو كان صديقاً وهمياً يرسله لسرقة الحلوى والسجائر».

اندفعت السيارة في ممر طويل عليه علامة منحوتة ومطوية تبين أنهم يدخلون أراضي نادي جراند بيركشاير الخاص. بدا الأمر كما لو أن سولت كان ينوي الالتزام بوعده بشأن اصطحابها لتناول الغداء في مكان عام.

«سأرسلكما أيتها الفتاتان إلى المنتجع الصحي. هناك حجرات ساونا لتنعشكِ يا أنسة هول. يمكن للموظفين إحضار الملابس لك. سنلتقي لتناول طعام الغداء بعد نصف ساعة. وبعد ذلك يمكننا إنهاء أعمالنا. والآن، برأيك أليس هذا سلوكاً متحضرًا؟».

كان كذلك بالفعل، باستثناء المسدس الذي في جيبه.

دار السائق مرة أخرى حول السيارة وفتح الباب. سمحت له أديلين بأخذ يدها كما لو كانت تغادر عربة خشبية قديمة وعالية تنتمي إلى زمن مضى. تبعتها تشارلي بلا مبالاة، محاولةً

ألا تتكشف سراويلها الداخلية.

كانت قطرات المطر قد تحولت إلى رذاذ خفيف. نظرت تشارلي حولها وهي تتأمل مساحات الأراضي الخضراء الشاسعة ومعظمها مخصص للعب للجولف. بدا العشب زاهياً على نحو يصعب استيعابه؛ لأن الوقت كان في أواخر الخريف. كان هناك مبنى كبير على مبعدة ويبدو أنه يخص النادي الريفي بينما كان مبنى المنتجع الصحي أصغر حجماً، وأبرزت لافتاته الخشبية لون نباتات السرخس الريفي الساحر.

وُضعت لافتة على أحد جانبي الباب معلنةً أن هذا مركز للاسترخاء والراحة.

في الداخل، كان الهواء دافئاً ورطباً وتفوح منه رائحة نباتات الأوكالبتوس. كانت هناك امرأة خلف مكتب أخذت منشفتين من الرفوف خلفها ووضعتهما على المنضدة. لقد ابتسمت لهما كما لو كان من الطبيعي تمامًا أن يكون لديك عميلة مخمورة في ثوب أنيق مع مكياج ملطخ على وجهها، وكانت نظرتها ثابتة.

قالت أديلين: «نريد غرفة ساونا خاصة. ونحتاج إلى بعض الملابس بمقاس اثني عشر، أليس كذلك؟».

صححت لها تشارلي: «أربعة عشر».

استمرت المرأة في الابتسام: «هناك مناشف وأردية في انتظاركما. هل تريدان بعض ماء الخيار؟».

«قطعاً». كانت تشارلي تشعر بالجفاف بما يكفي لشرب حوض استحمام من ماء الخيار. «هل لديكم أسبرين؟».

«بالطبع. أي شيء آخر؟».

تساءلت تشارلي عما إذا كان هناك أي شيء يمكن أن يطلبه من شأنه أن يضعف ابتسامتها. زرافة؟ منطاد الهواء الساخن؟ قوس ونشاب حتى تتمكن من إطلاق سهم على سولت من الخلف؟

وهي لا تزال تصنع تلك القائمة العقلية، تبعت تشارلي أدلين إلى غرفة الساونا. اصطفت الخزائن البيضاء على الحائط الأيسر، وتدلت الأرواب على خطافات متصلة بها. الباب المؤدي إلى الساونا نفسه كان مغلقًا، مع وجود الكثير من الأقراص على الباب التي من المفترض أن تعمل على ضبط مستويات الحرارة والرطوبة، كما لو كانت هي وأدلين عبارة عن سحالي في خزان مياه فاخر للغاية.

وكانت هناك غرفة للاستحمام.

أمسكت تشارلي بروب وقالت لأدلين: «سأعود بعد دقيقة».

تحت الحرارة الثابتة وضغط الماء الممتاز، دعت تشارلي وجهها بغسول للجسم، متجاهلة الطريقة التي لسع بها عينيها. ثم غسلت شعرها مرتين ولبست رداءها.

وقفت أدلين في انتظارها، وشعرها ملفوف وممسوك بمشبك على شكل صدفة سلحفاة: «تعد الساونا حقًا أفضل شيء لعلاج صداع الكحول. كانت رائحتك نفاذة جدًا».

رصدت تشارلي وجود إبريق من ماء الخيار وعلبة أسبرين على صينية فضية. أخذت قدرًا وفيرًا من كليهما قبل اتباع أدلين إلى غرفة البخار.

كانت رائحة الهواء داخل الغرفة الصغيرة أقوى من رائحة المكتب الأمامي، وبدا أن تشارلي تشربه بقدر ما تتنفسه. لم تدخل تشارلي ساونا من قبل؛ لذلك لم تكن متأكدة مما إذا كان إحساسها هذا طبيعيًا. خلق الجمع بين الحرارة والرطوبة إحساسًا يشبه رهاب الأماكن المغلقة ولكنه لم يكن بالنسبة لها إحساسًا بغيضًا تمامًا. ثم جلست على مقعد من الخيزران ومدت أصابع قدميها العاريتين.

قالت أديلين: «لقد أصبتِ بكدمة». مشيرة إلى ريلة ساق تشارلي التي تلونت باللونين الأسود والأزرق بعد أن طاردها وطرحتها أرضًا ظل هيرميس قبل ثلاثة أيام فقط. قررت تشارلي أن أفضل شيء يمكنها فعله هو تجاهل هذه الملاحظة وإعادة توجيه المحادثة: «أنت وإدموند في العمر نفسه تقريبًا، أليس كذلك؟».

ترددت أديلين في الإجابة وكأن السؤال يضايقها. «كنا متقاربين منذ الوقت الذي جاء فيه للعيش معنا لأول مرة. كانت أختي غير الشقيقة أكبر سنًا مني بكثير لدرجة أنني لم أكن أعرفها جيدًا؛ لذلك كان من الأسهل عليّ التفكير في ريمي بوصفه أخًا، أكثر من أي شيء آخر».

ترددت الكلمات في رأس تشارلي: أختها غير الشقيقة. والدة إدموند، ثم سألتها: «ماذا عن والدتك؟ هل كانت تمنع في وجود طفل آخر في المنزل؟».

«كانت عارضة أزياء من هولندا حيث اعتادت هناك أن يتصرف الأطفال بشكل مختلف عن الأطفال الأمريكيين. لقد اعتقدت أن هناك خطبًا ما به». ابتسمت أديلين كما لو كانت تتذكر ذكرى جميلة. «كان إدموند يسب كثيرًا».

«ماذا عن الآن؟».

تهتت أديلين: «إنها تعيش في نيويورك منذ الطلاق. لقد رأيت والدتي أن هوس أبي بسحر الظلال... أمر مقيت».

لا بد أن المسكنات قد بدأت تُحدث تأثيرها؛ لأن رأس تشارلي لم يعد يؤلمها مثلما كانت الحال قبل قليل. صار من السهل عليها أن تتدبر أفكارها وأزعجها أكثر أن هذا الموقف برمته مثل عبئًا إضافيًا عليها. «لماذا قرر إدموند الهرب؟».

«لم يكن يريد أن يواصل تنفيذ ما يقوله جده». شيء ما في وجه أديلين جعل تشارلي تتساءل عما إذا كانت أديلين لا تشعر بنزعة التمرد نفسها ولو قليلًا. «كان أبي يطلب الكثير

من إدموند».

بوسعها أن تتخيل. في نهاية المطاف فإن حفيد سولت هو الشخص الذي يملك مواهب السحر. حتى بمجرد أن حصل سولت لنفسه على ظل مستقل، لم يكن لديه سنوات من الخبرة التي تمتع بها حفيده. كان من المستحيل شراء ذلك، ولم يكن بإمكان تشارلي سوى تخيل مقدار ما سيؤثر به ذلك على رغبات سولت وإحاحه على تنفيذها. بالنسبة لرجل اعتاد شراء أي شيء، فلن يكون مقبولاً بالنسبة له أن يغدو غير قادر على شراء القوة التي يمتلكها طفل وبالتحديد حفيده.

تساءلت أديلين: «كيف كانت حاله معك؟». تلقت تشارلي السؤال باستغراب، كما لو أن الكلمات تخص شخصاً آخر.

ربما كانت أديلين تفكر في إدموند على أنه متغير الأحوال، بالطريقة التي وصفه بها جده، باستمرار ليناسب الشخص الذي يكون معه. كان من الصعب معارضة هذا التصور. بعد كل شيء، إذا كان إدموند مختلفاً مع الجميع، فكيف يمكنها أن تعرف؟

لكن كانت لدى تشارلي طريقة واحدة لوصفه. «هل سبق لك أن زرت كوايين؟».

«الخزان؟». بدت أديلين مرعوبة بعض الشيء.

قالت تشارلي: «تعلمين أن هناك بلدة كاملة مدفونة تحت الأمواج. هذا ما كان عليه الحال مع فينس. بلدة غارقة. يبدو منها بعض الملامح على السطح؛ لكن الأعماق كلها مختفية في الأسفل».

«لا يمكنك أن تعرفي...». بدأت أديلين الكلام، ثم توقفت. نظرت إلى الساعة الذهبية النحيلة ذات الإطار الألماسي على معصمها، والتي لا تزال تعمل بشكل مثير للتعجب على الرغم من حرارة ورطوبة الغرفة، ثم تنحنت وقالت: «تقريباً لقد حان الوقت لمقابلة أبي لتناول طعام الغداء. يجب أن نذهب».

ثم وقفت وسارت فتبعتها تشارلي، التي وقفت وأخذت تمدد أطرافها حتى أصدرت طقطقة مسموعة من لوحَي كتفَيها.

في غرفة تغيير الملابس، رمقتها أدلين بنظرة مطولة وقالت: «أعلم أنك لن تعتقدي أن من اللطيف مني أن أقول ذلك، لكنني سعيدة لأنك لم تعودي مع إدموند بعد الآن».

كانت محقة. لم يكن الأمر لطيفًا، لكنه كان مثيرًا للاهتمام.

ترك المنتجع الصحي ملابس تشارلي مُعلّقة فوق إحدى الخزائن. كان يبدو كأن الزي قادم من متجر لملابس لعبة الجولف، والذي تخيلت تشارلي وجوده على الأرجح في المبنى الرئيسي، سروال من مادة قابلة للتمدد، وقميص أبيض بياقة، وسترة شيفرون البحرية بسحاب. أحضروا لها حذاء تنس أبيض وجوارب، بينما كان حذاءها المسطح بحال جيدة مع وجود القليل من الطين الجاف على الأطراف. ارتدت ملابسها وضفرت شعرها من دون أن تربطه بمشبك، فسرعان ما انفك.

ثم سقطت نظرة تشارلي على ظلها.

في كل هذا الحديث، لم يشرح أحد تمامًا كيف فقد فينس ظله، أو متى.

نادتها أدلين: «تشارلي؟».

فرمشت بعينيها وخرجت من لجة أفكارها.

كانت هناك عربة جولف متوقفة أمام المنتجع الصحي، والسائق ينتظر لنقلهما إلى المبنى الرئيسي. لم تكن تشارلي مضطرة للذهاب لتناول الغداء. كان بمقدورها العودة إلى الداخل، وتصر على أن يستدعي لها أحدهم سيارة أجرة. ثم ترتدي ملابسها وتعود إلى المنزل.

ولكن إذا أراد سولت العثور عليها مرة أخرى، فليده الموارد للقيام بذلك. يمكنه أن يتتبعها من وإلى عملها في سيارته الفاخرة. وبحسب ما تعرفه عنه فقد يكون قادرًا على إرسال

شرطي إلى منزلها ليصحبها إليه.

ربما يكون هذا الشرطي هو المحقق اللطيف خواريز.

ما يكفي من المال يمكن أن يشتري أي شيء.

كان العشب المبلل يلامس كاحليها وهي تمشي إلى عربة الجولف. ثم تلكأت بينما تعبران موقف السيارات، متجاوزين سيارات عديدة من طرازَي بنتلي ولكزس. تساءلت تشارلي كم من عملاء أوديت كانوا أعضاء هنا.

داخل المبنى الرئيسي، تبعت تشارلي أديلين فوق أرضية حجرية لامعة إلى المطعم. لم يسأل المضيف عن اسميهما، فقط قادهما إلى غرفة خاصة حيث كانت الجدران مغطاة بالحرير الأصفر، ورسومات خيول، ومعاطف لامعة، مثل خشب الماهوجني المصقول معلقة فوق مشجب.

كان ليونيل سولت ينتظرهما بالفعل عند الطاولة، وهو يرتشف على مهل شرابًا من كأس بها قطعة من الثلج. تأملت تشارلي تجاعيده، وبقع الشبخوخة الباهتة وبشرته الشاحبة للغاية كما لو أنه حاول تفتيحها. ونعومة جبهته الناتجة عن الكثير من الحقن. كان يرتدي قميصًا أسود بياقة عالية وسروالًا رماديًا داكنًا. على إصبعه، ظهر خاتم ذهبي عليه رمز غامض غير مألوف. لاحظت تشارلي أنه لا هو ولا أديلين يرتديان أي أغراض من العقيق اليماني.

قالت تشارلي بينما سارع المضيف لسحب مقعدها من أجلها: «ثمة الكثير من الترتيبات لإجراء محادثة».

«تبدين منتعشة». تبادل سولت نظرة مع أديلين، التي أومأت برأسها. ربما وضعوا لها سُمًّا مزدوجًا - ذلك الذي يتكون من مزج سُمِّين معًا - في ماء الخيار. إذا بدأت تشعر بالدوار، فسوف تطعن سولت في صدره بأي سكين، حتى لو كانت سكين زبدة.

أشار سولت إلى نادل: «سنتناول سلطة كونفيت بلحم طائر الدراج المدخن، وسمك سلمون مقددًا مع زهر كرز الكنزان، ولحم الضأن المشوي». ثم نظر إلى تشارلي وألمح: «أفترض أنك لست نباتية؟».

هزت رأسها نفيًا. بعد ليلة عاقرت فيها الكثير من الشراب، كانت ما تريده حقًا هو شطيرة بيض ولحم مقدد مدهون، لكن سولت هو الرجل الذي يعطي الأوامر حاليًا.

ثم ختم طلباته: «وزجاجة شاتو دي إسكلانس». فأوماً النادل برأسه.

قالت تشارلي: «سأتناول الشاي المثلج فقط».

بعد أن غادر النادل، وضع سولت يديه على الطاولة. كانت أظافره نظيفة ومصقولة. إذا كانت ستخدع سولت، فعليها أن تنتبه لما لاحظته على مظهره من بريق الكمال ورغبة في السيطرة.

تجلى ذلك في الطريقة التي ظلت بها أدلين هادئة وصامتة ما لم تُدعَ للتحدث، والطريقة التي أخرج بها المسدس على الفور من جيبه عندما رفضت تشارلي الذهاب معه. يتوقع سولت بشكل بدهي الطاعة التلقائية والاعتراف بتفوقه من أناس مثل تشارلي، ومثل فينس.

أفضل طريقة لخداع سولت هي السماح له بالسيطرة، أن تدعه يفوز. حينها سيصدق أنه المتحكم في الأمر ولن يتطلع إلى أبعد من ذلك.

قال سولت وهو يضع مرفقيه على الطاولة ويحدق إليها: «إذن، نحن نتشارك شيئًا ما. لقد ظلمنا حفيدي الحبيب على حد سواء. لقد أخذ مني شيئًا وكسر قلبك. أليس هذا صحيحًا؟».

قطبت أديلين حاجبيها وهي تنظر في طبقها. إما أنها كانت إلى جانب فينس أكثر مما أرادت أن يعرف والدها، أو أن وجود تشارلي مع فينس قد أزعجها حقًا. ربما كانت تكره كل حبيباته.

قالت تشارلي: «أفترض ذلك».

«إذن لنكن حلفاء. لن تساعدني فقط باستعادة كتابي، بل إنك ستمنعين إدموند من ارتكاب خطأ كبير. كما أخبرتك من قبل كان حفيدي، بطريقته الخاصة، يعامل ظله كحيوان أليف وصديق في الوقت نفسه.

«للسيطرة على الظل، يجب أن يكون المرء وصيًا جيدًا. إننا نوفر له الدم والطاقة من أجسادنا. نحن نهب لهم الحياة، وفي المقابل يعطوننا طاعة تامة. إنهم نحن، في نهاية المطاف. لقد تشكلوا منا، مثلما شكلتنا يومًا يد الخالق».

تفاجأت تشارلي بالمسحة الدينية التي أضفاها على وصفه. كانت قد أمضت بضعة أيام أحاد في دار العبادة التي ترتادها صديقتها لورا، في محاولة لإقناع والدي لورا بأنها - أي تشارلي - لم تكن ذات تأثير سلبي كبير على صديقاتها. الأجزاء الوحيدة التي كانت تتذكرها بالتفصيل هي الأنشودات، وقطع الكعك المجاني التي كانت تحصل عليها في الطابق السفلي، والكثير من الكلام الديني والتوصيفات مثل الذي تحدّث به سولت قبل قليل.

تابع سولت حديثه: «إننا نعطي ظلالنا الأجزاء التي نريد أن ندفعها إلى الظلام؛ غضبنا، وغيرتنا، وشرهنا، وأكثر رغباتنا المخزية. تخيلي مخلوقًا مليئًا بالكراهية، مصنوعًا من كل شيء وحشي في شخص ما، شيء يتغذى على الطاقة والدم. تخيلي الآن أن تدلي ذلك المخلوق، يا آنسة هول».

حاولت تشارلي تصوّر فينس بظل كهذا ووجدت أنه من السهل عليها الآن تخمين سبب رغبته في التغاضي عن الكثير من أخطائها.

قال سولت: «لقد أسماه ريد. ريد وريمي، أليس هذا لطيفًا؟ ربما هذا الاسم هو ما يدعو به نفسه الآن».

سألته تشارلي: «ماذا تقصد؟».

«بمجرد قطع ظل إدموند، سيتحول إلى ظل مستقل».

اعترضت تشارلي: «ظل مستقل لشخص حي؟».

«لأن ظل إدموند تشكّل في طفولته وسمح له - بتساهل الأطفال وحمافتهم - بأن يكون شرهًا؛ فقد غدّي هذا الشيء بما يفوق حد الاعتدال. لقد أعطى له الكثير من الدم، وليس فقط دمه. بحلول الوقت الذي صار فيه إدموند بالغًا، أصبح ظله قويًا جدًّا، قويًا بما يكفي لتكون لديه رغبات خاصة فيه. ولهذا السبب سرق إدموند مني كتاب الخراب، لجعل ظله يحيا حياة كاملة ولا يعود مجرد ظل».

قالت تشارلي وهي غير متأكدة حتى من الجزء الذي اعترضت عليه: «هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا».

«يشرح كتاب الخراب الطريقة التي يمكن أن يكتسب بها الظل المتحرر ويحافظ على مادة وطاقة كافيتين لتميرها إلى الإنسان». ثم تطلّع عبر الطاولة إليها، كما لو كان يريد أن تستوعب فداحة الأمر. «قدّم المؤلف هذا على أنه سر الخلود. ولكن ما لم يدركه أي ساحر ظلال حاول أن يعيد إحياء هذا الطقس أن وعيه وحياته لن يكونا بمنأى عن الفقد. وهكذا، فإنهم يُخدعون ليلقوا حتفهم بينما تسير ظلالهم، المنتفخة بالطاقة المسروقة، بيننا وهي تتمتع بكل المظاهر البشرية. ربما حتى يومنا هذا».

بدا ذلك لها مثل قصص الرعب المنشورة على الإنترنت.

مستحيلة، سخيفة.

لكن تشارلي لم تستطع تذكر كيف أخبرها فينس بأن ما فعله كان أسوأ من كل اتهاماتها؛ شيء سيئ لدرجة أنه رفض شرحه. قال سولت: «أنت لا تريدين أن تصدقيني، لكن عليك تصديقي».

جاء النادل وقاطعهم لإحضار الشراب. ملاً الأكواب الثلاثة بالشراب الوردى الداكن، ثم لف منشفة حول عنق الزجاجة ووضعها في دلو ثلج فضي. أخيراً، وضع شاي تشارلي أمامها، وشريحة ليمون سميكة تزين الجانب وغصن نعناع مع مكعبات الثلج.

ثم صرفه ليونيل عندما بدأ يسأل عما إذا كانوا بحاجة إلى أي شيء آخر.

سألت تشارلي: «ماذا فعلت لفينسنت، يا سيد سولت؟».

رمقتها أدلين بنظرة حادة ومفاجئة.

سأل سولت، كما لو كان يتظاهر بأنه تعرّض للإهانة: «ماذا فعلت؟».

«شيء ما جعله يغادر. هل حقاً تتوقع مني تصديق أن السبب في ذلك أنك عانيت أزمة ضمير بسبب تجربته مع ظله؟».

أخذت أدلين كأسها من الشراب وجرعتها دفعة واحدة: «هذا مروع، فقط أخبرها...»

فقاطعها: «سأفعل يا عزيزتي». وهو يضغط أحرف الكلمات لتأكيد مقصده. ثم التفت إلى تشارلي واستطرد: «كان إدموند غير عقلاني بشأن ظله ريد. أنت تعرفين ما يكفي عن الظلال المستقلة لتدركي إلى أي حد يمكن أن تكون مخيفة. إنهم مصنوعون من أسوأ الأجزاء منا ويمكن أن يكونوا أقوىاء للغاية وجامحين بل مجانيين. لهذا السبب يُتخلّص من بعضها، وبعضها الآخر يُقبض عليه ويُربط بأناس جدد غير أصحابهم. السيطرة عليهم هي الشيء الوحيد الذي يحافظ على سلامة البشرية».

كانت تشارلي تعرف أن بعض سحرة الظلال يرتدون ظلالاً متحررة عدوانية وشريرة بدلاً من ظلالهم الخاصة، على الرغم من أنها لم تكن قَطَ الفكرة الأكثر حكمة. كان سحر الظلال فنًا مُستحدثًا جدًّا بالنسبة لممارسيه ما أغراهم بمحاولة اتباع طرق خطيرة للوصول إلى التحكم الكامل والقوة المرغوبة. قد تكون بوزي على استعداد للقيام بذلك.

بل إن بوزي ستنتهز أي فرصة مواتية لفعل ذلك من دون شك.

لكن لا يبدو أن فينس لم يكن مدرِّكًا لخطر ترك الظل المتحرر يتجول بحرية. ولا يبدو أن سولت يقلق فعليًّا على سلامة البشرية.

كانت تشارلي سعيدة عندما عاد النادل بالطعام، ما جعل المحادثة تتوقف إجباريًّا.

وجه سولت النادل ليضع لحم الضأن أمام تشارلي. أخذت تشارلي قضمة وعقلها في مكان آخر ثم مضغتها بصورة آلية، بالكاد كانت تتذوق ما كانت تأكله.

قال سولت، بمجرد أن أعاد النادل ملء كئوس الشراب وغادر: «صحيح أنني شاركت فيما حدث بعد ذلك. حاولت إنقاذ إدموند من ريد، لكن حفيدي أطلق ظله قبل أن أتمكن من تدميره. الآن هو سائح حر في أرجاء العالم. هل تدركين لماذا يجب أن أحصل على كتابي قبل أن يتمكن من إكمال خطوات الطريقة الموضحة فيه. ما ينوي إدموند فعله لا يمكن أن يحدث. ظل يمكن أن يتحول إلى إنسان ويحل محله، مع جوع لا نهاية له لكل مصادر الطاقة والغذاء... هل تريدان أن يمشي مثل هذا الظل المدمر في شوارعنا، ويفعل بالآخرين ما فعله ببول إيكو ونايت سينج؟».

احتجت تشارلي: «لم يكن فينس ليفعل ذلك.».

قال سولت: «إنه لن يفعل ذلك؛ لأنك ستحضرين لي كتاب الظلمة إلى اجتماع سينعقد يوم السبت، وسوف نحافظ عليه آمنًا. هل كلامي واضح؟».

كانت تشارلي لا تزال تحاول استيعاب اتهامه. «لماذا قتل ظل فينس - ذاك المسمى ريد - هؤلاء الناس؟».

قال سولت وقد لوى فمه وتجلت في عينيه نظرة نارية: «حصل أحدهم على قطعة من الكتاب، بينما كان الآخر يعرف الكثير عن محتوياته. لكن ريد يحتاج إلى أن يقتل. وكلما زاد استهلاكه من الدم وطاقة الظل، زادت قوته، وزاد استعداده لأداء الطقس المرغوب فيه».

بحلول الوقت الذي نظرت فيه تشارلي إلى طبقها، كان الشيء الوحيد الذي بقي هو بقع حمراء من اللحم النيء. مسحت حواف فمها بمنديلها وهي لا تتذكر أنها تناولت حقًا أيًا من محتوياته.

سألته تشارلي: «هذا الكتاب مفقود منذ عام أو أكثر. ما الذي يجعلك تعتقد أنه يمكنني الحصول عليه بحلول يوم السبت؟».

«أنت تعرفين إدموند جيدًا. يمكنك فعل ما لا يستطيع أي شخص آخر القيام به، تحديد المكان الذي يمكنه أن يضع فيه كتابًا لا يريد أن يعثر عليه أي شخص. سأقيم حفلًا ساهراً لمجتمع سحرة الظلال احتفالاً بترقيتي إلى عضوية مجلس الكابال. سيكون الحصول على الكتاب دليلاً دامغاً على مدى النجاح الذي سأحققه في منصبتي الجديد».

حدقت إليه تشارلي في رعب. بالتأكيد، كان مجلس الكابال هيئة حاکمة غير شرعية ولا رسمية، لكنه يعمل على تحديد التهديدات التي يتعرض لها المجتمع - مثل الظلال المتحررة التي لا ترتبط بصاحب لها، أو القوانين التي تهدف إلى تقنين سحر الظلال ونشره - وتوظيف سحرة الهيروفانت، كما أنها تُبقي على السحرة المحليين تحت المراقبة. وجود شخص ما مثل سولت هناك ليكون واحدًا من الأشخاص الخمسة الذين يتخذون القرارات، سيكون سيئًا للجميع.

لا، واحد من أربعة أشخاص؛ لأن نايت سينج مات.

قالت تشارلي: «أقدر عرض العمل لصالحك، لكن هذه المهمة لا تناسبني. ليست لدي أية فكرة عن مكان فينس أو ما فعله بكتابك. كل ما أعرفه أنه تخلص منه. وإلى جانب ذلك، أنا لا أحبك. لقد اختطفتني تحت تهديد السلاح، وأنت شخص حقير».

أن تخبره تشارلي بذلك لم يكن انتقامًا صريحًا، لكنه لم يكن كلامًا هينًا في الوقت نفسه. حبست أديلين أنفاسها في ترقب وهلع.

تطلّع سولت إلى تشارلي عبر الطاولة، وكان هناك شيء ما في وجهه كما لو كان يتسلى أو يترقب مشاهدة عرض ممتع. كان هذا هو التحذير الوحيد التي تلقته قبل أن يتدفق ظله نحوها ويتخلل جلدها. قبل أن تفهم ما كان يحدث، رفعت يدها سكين اللحم فور عودة النادل إلى الغرفة.

كان بمقدورها أن تعي وجود الظل بداخلها، وعي مستقل. كانت تسمع أفكاره وتستشعر فداحة كراهيته.

انفتحت فمها وشعرت بأن لسانها يبدأ في تكوين الكلمات، واخشوشن صوتها مع محاولتها المقاومة. «سا.. ساق.. ثل».

ثم صارت حرة مجددًا وهي ترتجف من الرعب. لم تكن متأكدة مما إذا كانت قد تخلصت من الظل بإرادتها، أو أن سولت هو من أطلقه.

ضحك سولت من وجه النادل المذهول ثم قال كاذبًا: «إنها تضطرب عندما نتناقش في السياسة، لكنها لا تؤذي أحدًا. أليس هذا صحيحًا يا عزيزتي؟».

عضت تشارلي لسانها ولم تُجب. كانت خائفة جدًا من احتمالية ألا تخرج كلماتها من فمها.

انحنى سولت مقتربًا منها، وهمس لها: «لديك أسبوع لسرقة كتاب الخراب من أجلي. نظرًا لسمعتك، أنا متأكد من نجاحك. ولكنك إذا فشلت، فسنرى ما الذي يمكنني فعله ولمن أيضًا.

لديك أخت أليس كذلك؟ الآن، هل تريدان احتساء القهوة قبل أن تذهبي؟ تحية مودة؟».

كانت مشاعر الغضب والخوف والحنق تتصاعد في أعماق تشارلي مثل موجة تُطيح بكل فكرة أخرى بعيداً. لم تعتقد من قبل أنها من الممكن أن تحتقره أكثر مما فعلت، لكن يديها الآن صارتا ترتعشان بالرغبة في العنف. أرادت كسر الزجاج واستخدامه لتقطيع وجهه. أرادت مشاهدته وهو يتلوى على السجادة بينما يتخلل السم جسده ويُغَيَّب وعيه.

نمت ابتسامة سولت وهو يتأمل تعابير وجهها. كان لديها شك عميق بأنه يستمتع بكرهها له. لقد كان هذا نوعاً آخر من القوة.

مسح سولت حواف فمه بمنديل من القماش. «أريد أن أسمعك وأنتِ تقولين إنك تفهمين، وإنكِ ستوجدين في منزلي يوم السبت، والكتاب في يدك».

دفعت تشارلي كرسيها إلى الخلف ونهضت وهي تعض خدها من الداخل. «أعدك».

أوماً برأسه قائلاً: «يوم سعيد لك، أيتها المشعوذة».

عندما استدارت للذهاب، أمسكت أدلين بيدها. «أعلم أنك تشاهدين نشرات الأخبار وتقرئين الصحف. قبل أن تحكمني على والدي، تذكر ما يمكن أن يفعله ريد».

هل كان ظل فينس موجوداً حقاً بالخارج حرّاً طليقاً ويقتل الناس انتظاراً لأن يتحول إلى كيان آخر في مرحلة لاحقة؟ هل هذا ما حدث لروز الأباندي؟ ما مدى مسؤولية فينس عن كل هذا؟

ومع ذلك، فقد عُثِر على جثة راند أيضاً في سيارة، جنباً إلى جنب مع فتاة ميتة كانت تشارلي متأكدة تماماً من أنه لم يلتق بها قط في أثناء حياته. كل ذلك من ترتيب سولت.

ربما لم يزور فينس موته. ماذا لو أنه أخذ الكتاب وهرب؟ إذا كان سولت قد دبّر حادث السيارة المحترقة مع وجود جثث متفحمة في الداخل، لكان قد أعلن عن وفاة فينس، ما

سيجعل من المستحيل عليه الفرار بعيدًا أو الذهاب إلى السلطات. وإذا اعتقد أي شخص أنه على قيد الحياة، فسيكون مطلوبًا بتهمة القتل.

بالطبع، كل هذا لا يفسر كل ما يتعلق بظله ريد.

قالت لها تشارلي: «اتركيني».

لكن أدلين غرست أصابعها بشكل أعمق في جلد تشارلي واستطردت: «إنك تعتقد أنك تعرفين ريمي، لكنك مخطئة».

نزعت تشارلي يدها من قبضة المرأة وخرجت من الغرفة بأسرع ما يمكن. لم تكن متأكدة حتى إلى أين تتجه، لكنها ستكون بخير ما دامت ستغدو بعيدة عن عائلة سولت ورغباتهم ومطالبهم المرعبة. وبينما كانت تعبر البلاط الأملس لقاعة الاستقبال، لاحظت رجلًا متكئًا على الحائط.

فتسارعت دقات قلب تشارلي.

كان أصغر سنًا من معظم الأشخاص الذين كانوا يتجولون في النادي الريفي، ذا شعر داكن وعينين عميقتين وكدمات في الجلد تحتها. إنها ثقوب نتجت عن طلاقات رصاص هكذا فكرت في تلك الليلة عندما رآته لأول مرة في الزقاق. ولكن عن قرب، بدت عيناه متعبتين لا أكثر.

ثم سقطت نظرتها على المنطقة الواقعة بين حافة قفازاته وكمي قميصه. لم تُظهر لها الكثير، لكنها استطاعت أن ترى ظلًا حيث يجب أن يكون جلد معصمه.

لقد أجبرت نفسها على القول: «أنت الهيروفانت».

ابتسم، لكن على نحو مخيف وغير مألوف. وتحركت زوايا وجهه في اتجاهات عديدة.

أجابها: «نعم». كما لو كان يجبر الكلمات على الخروج من فمه. «أنا أطا.. رد ظلًا متحررًا هاربًا».

أخذت تشارلي خطوة إلى الوراء بشكل لا إرادي، وقلقت من الطريقة التي تحدّث بها أكثر من قلقها مما قاله. لقد ذكّرها، فجأة وبشكل مروع، كيف بدت عندما سيطر عليها سولت منذ قليل.

سألته: «ريد؟».

لمع بريق في عينيه وسألها بدوره: «لقد رأيتك، أليس كذلك؟».

فهزت رأسها.

أعطاه هيروفانت إحدى تلك الابتسامات الغريبة: «لقد كنت لصًا ذات مرة. مثلك».

إذا قبض عليها في المكان الخطأ، في اللحظة الخطأ، كان من الممكن أن ينتهي بها المطاف مثله. أن تُقَطَّع يداها، وتُرسل لقتل الظلال المتحررة القاتلة. هل كان ساحرًا للظلال من قبل؟ لم يكن معظم اللصوص كذلك، والسبب الأبرز هو صعوبة تجاؤز الظل لوسائل حماية العقيق اليماني التي يضعها معظم سحرة الظلال.

بأدرته تشارلي: «ظلك...». وهي تريد أن تسأل عما إذا كان قد استيقظ من تلقاء نفسه، أو ما إذا كانوا قد ربطوه بشيء ما.

ضاقت عيناه وابتعد عن الحائط ليخطو نحوها: «بمجرد أن يُدخِلوا مخالِبهم فيك، لن ينزعوها أبدًا».

فتراجعت إلى الوراء في ترقب وقلق.

رفع الهيروفانت رأسه جانبًا وبدأ في الكلام، في البداية بنبرة رتيبة، ثم بصوت عالٍ: «أخبري ريد بأنني أريد الكتاب. أخبريه بأن بوسعنا أن نتشاركه. أخبري ريد بأنني سأمزقه إلى أشلاء».

مع استمراره في التقدم نحوها، استدارت تشارلي وركضت وحذاؤها الرياضي الأملس يُصدر صوت احتكاك بالأرضية اللامعة المصقولة.

صرخ الهيروفانت خلفها: «لا أحد يستطيع أن يحارب ظله».

ضربت تشارلي الباب بكتفها، فانفتح على مصراعيه. كانت السيارة ذات اللون الأسود غير اللامع تنتظرها، ولم تتوقف عن الركض حتى أصبحت بداخلها.

21. الماضي

وقف ريمي كارفر في شارع مرصوف بالحصى في حي بيكون هيل في بوسطن، محاولاً أن يبدو كمراهق عادي وليس مخططاً لجريمة قتل. لقد شعر بجذب ظله له كما لو أن هناك حبلاً بينهما، حبلاً رقيقاً، بينما كان يريد ينساب فوق درجات المنزل المستهدف.

عبر الشارع، كانت امرأة عجوز ترتدي معطفاً من الفرو له ياقة تُسيّر كلباً سميئاً من سلالة شيواوا. تطلعت السيدة إلى ريمي الذي استدار مبتعداً عن اتجاه نظرتها، وتحرك ليختفي وسط الظلال وقلبه يقرع كمطرقة.

ربما كان يجب أن يأتي الساعة الثانية صباحاً، بدلاً من الحادية عشرة ليلاً. لقد زعم جده بأن هذه الساعة هي الأنسب، وقال إن رصده وتمييزه سيكون أكثر صعوبة عندما يكون هناك أشخاص آخرون في الشارع، ولكن تبين أن أي وقت يمكن أن تُثار فيه الشكوك حيال صبي يبلغ من العمر أربعة عشر عاماً يتسكع وهو يحمل أو يدفع بضعة صناديق قمامة، في انتظار أن يقتل صديقه غير المرئي شخصاً ما.

لم يكن ريمي ينتمي إلى مكان كهذا، بغض النظر عن هوية جده. كانت صناديق النوافذ المزدانة بزهور الربيع ومقابض الأبواب النحاسية اللامعة تجعله يشعر بعدم الارتياح.

لقد حاول التركيز على شيء آخر غير ما كان يحدث في الطابق العلوي، على الرغم من أن جزءاً منه يمكن أن يرى عبر عيني ريد. وصل ظله إلى غرفة نوم الرجل. كان الباب موارباً ولم يكن هناك أي حاجز على الإطلاق. كان الرجل نائماً وزوجته بجانبه. كانت لديها واحدة من تلك الكانيولات معلقة في أنفها، تلك التي تمدّها بالأكسجين الإضافي...

هز ريمي رأسه، وأغمض عينيه كما لو أن ذلك سيمنع تلقيهما لما سيحدث. لا. لا. فليفكر في المرة الأخيرة التي رأى فيها والدته وكم كانت حالتها أفضل. لكن تلك الذكرى لم تكن جيدة

أيضًا؛ لأنها كانت تريده أن يأتي ليعيش معها ولكنه لم يستطع فعل ذلك.

فليفكر في المدرسة الخاصة الفاخرة التي كان يرتادها وكيف قدّمته أدلين لأصدقائها. لقد رأوا فيه فتى رائعًا. كان يعرف كيف يحصل على المخدرات، وكيف يرصد رجالًا يتجه إلى متجر خمور فيقنعه أن يشتري لهم - هم القُصّر - زجاجة مقابل عشرين دولارًا إضافية. لقد أرادوا منه الحضور إلى نُزل التزلج الخاص بهم هذا الشتاء. وأرادوا منه أن يأتي إلى الجزر التي يذهبون إليها لقضاء عطلة الربيع.

ألم يكن ذلك أفضل بكثير مما كان يفعله العام الماضي، حيث كان يلف شريطًا لاصقًا حول حذائه الرياضي، حتى لا تتبلل قدماه، ويمشي عبر الثلوج؟

إنه يستحق ذلك. ما يفعله الآن يستحق كل هذا العناء.

هذا ما ركز عليه بينما كان الظل ريد يخترق حلق الرجل، وبينما كانت أصدااء الأصوات المروعة تتردد في رأسه. عندما استيقظت الزوجة بدورها وبدأت بالصراخ، فكّر في امتلاك منزل. فكّر في إلحاق والدته بإحدى مصحات إعادة التأهيل التي يذهب إليها المشاهير. فكّر في المستقبل. فكّر في أدلين التي أرادت - وربما أرادها هو أيضًا - أن تكون أخته لا خالته.

لا تفكر في ريد.

منذ أن اكتشف جده مدى فائدة حفيده ريمي، أراد بشدة أن يستغل ظله. ثم بدأ جده في جمع الكتب عن سحرة الظلال، وتحدّث عن خطأ ريمي في تسيير علاقته مع ظله. وكيف أن ريمي في حاجة ماسة إلى فهم أن ريد كان مجرد امتداد له مثل يد، شيء كان لديه سيطرة كاملة عليه.

إن التصرف وكأن ريد يمكن أن يتخذ قراراته الخاصة أمر خطير.

لكن ريمي لم يرغب في قتل أي شخص. كان من السيئ أن يكون مشاركًا في أمر كهذا؛ لذا لم يستطع أن يتخيل السماح لنفسه بأن يكون مدرِّبًا ومتابعًا لكل ما كان يفعله ظله الذي دفع نفسه إلى أسفل حلق الرجل، ثم يشاهد عينيه تنتفخان ولسانه يتدلى. ثم يستمع إلى عواء الزوجة المحموم والذي كان عاليًا ومدويًا بما يكفي لدرجة أنه شعر كأن أذنيه تنزفان. عندما انتهى ريد من مهمته، مسح ريمي الدموع من جوانب عينيه.

كان يكره معرفة أن الرجل المراد قتله يحتضر، وكان يكره الرجل المُحتَضِرَ أيضًا. لو كان هذا الرجل قد وافق فقط على الاتفاق التجاري الخاص بجرد ريمي، كانت حالهم جميعًا قد صارت أقلُّ بؤسًا.

لم يستغرق ريد وقتًا طويلًا للعودة، وانزلق عبر الأحجار المرصوفة تجاهه. لكن ظله توقف قبل أن يعود إلى مكانه الخامل. بدلًا من ذلك، انتصب ريد مستندًا إلى جدار القرميد، كما كان ريمي منتصبًا، في تحدٍّ لأضواء الشوارع وأي قانون طبيعي.

قال ريد: «أنت غير سعيد». على الرغم من أنه لا يمكن سماع كلمات ريد إلا في ذهن ريمي.

لقد أوضحت له أديلين أن ريد كان جزءًا من إدموند، من دون أن يستشعر إدموند وجوده على نحو واعٍ طوال الوقت. إنه مثل عقله الباطن.

لكن «ريد» لم يشعر بأنه العقل الباطن لريمي. بل شعر وكأنه عُلِيَّة. مكان لدفع الأشياء التي لا يرغب ريمي في التعامل معها. في المدرسة الخاصة الفاخرة الجديدة التي أصرَّ جده على إلحاقه بها، لا يحبون أن يتشاجر الطلاب، لذا لم يعد ريمي يتشاجر، على الرغم من أنه في مدرسته القديمة كان عليه أن يفعل ذلك إذا أراد أن يحظى بالاحترام، لكن هذا الغضب كان يجب أن ينصرف إلى مكان ما.

وعندما كان ريمي يشعر بالحزن في مثل هذه الأوقات، أو عندما كان يفتقد والدته، كان يغذي ريد بهذا الحزن أيضًا. وكذلك بشفقته على الناس الذين أرادهم جده أن يُقتلوا. وهو

ما لم يكن أمرًا عادلاً؛ لأن ريد بدوره يجب ألا يقتل الناس ويشعر بالأسف حيالهم.

لكن ريد لم يكن كيانًا حقيقيًا. لقد كان العقل الباطن لريمي. أو مجرد عُليّة.

لطالما كان أشبه بصديق له.

«وماذا في ذلك؟ لقد قُضي الأمر». قال ريمي ذلك، ودفع كل مشاعر الحزن بعيدًا عنه. ثم تساءل عما إذا كان ريد سيشتكي، لكنه كان محض طاقة، أليس كذلك؟ مثل الدم الذي أطعمه إياه.

قال ريد: «في المرة المقبلة أطلق سراحني من دون أن تربطني بك. وعندما يتم الأمر، سأعود».

كان ريمي يكره أن يقول ظله أشياء لا يبدو أنها تأتي من بنات أفكاره هو على الإطلاق، أشياء تفاجئه. فيما مضى كانت تعجبه هذه الأشياء، عندما كانت مقصورة على عمل حركة مفاجئة في لعبة، أو الركض إلى الأمام في سباق من دون سابق إنذار.

«علينا أن نغادر». تمتم، وانطلق على الرصيف ويده في جيبه. ستأتي الشرطة قريبًا وكذلك سيارة إسعاف.

فليدع ظله يتبعه. هذا ما هو مفترض أن تفعله الظلال.

شعر بتحسن بمجرد أن استدار عند الزاوية الأولى من الشارع. في تلك اللحظة لم يكن هناك ما يربطه بجريمة القتل.

وكلما فكر في الأمر، أدرك أن ما يريده ريد هو ما يريده هو أيضًا، أليس كذلك؟ حتى لو كان مستحيلًا. لذلك ينبغي ألا يكون ما اقترحه ريد مفاجئًا. كان سلوك ريمي غريبًا فيما يتعلق ببعض الأمور، وربما هذا بسبب ما قاله له جده.

همس ريد: «أعدك بأني سأعود. بملء ما في قلبي من إخلاص لك، وبقدر ما في عيني من ضياء منك».

فألقاها ريمي في وجهه بلا تحفُّظ: «ليس لديك قلب، أو عين».

«بحياتي إذن، أعدك بحياتي».

قال ريمي: «أنت أنا ولست أكثر من ذلك».

ردد ريد الكلمات كصدى: «أنا أنت ولست أكثر من ذلك». لكن ريمي لم يكن متأكدًا تمامًا مما تعنيه هذه الكلمات التي كانت تأتيه من ظله.

عندما كانا أصغر سنًا، كان ريمي يعرف دائمًا ما يعنيه ريد.

ثم قال ريمي: «سأفكر في الأمر».

لكنه كان يعلم في قرارة نفسه بالفعل أنه سيفعل أي شيء، إذا كان ذلك يعني أنه لن يكون مضطرًا لقضاء ليلة مثل هذه مجددًا.

22. العالم والظل.

بمجرد أن دخلت السيارة الطريق السريع، تنحى السائق المسن وقال: «هناك شيء ما في المقعد الخلفي لك، يا آنسة هول».

على بساط الأرضية، وجدت تشارلي كتابًا بغطاء جلدي أحمر مختوم بالذهب. بعد سرقتها للكثير من المجلدات القديمة المتهالكة، كان هناك شيء غريب يتعلق بحمل كتاب حديث مصمم - على ما يبدو - وكأنه من زمن آخر.

كان العنوان هو الأعمال الكاملة لهانز كريستيان أندرسن. كما وُضعت فاتورة بقيمة مائة دولار في إحدى الصفحات، لتكون بمثابة إشارة مرجعية. كان عنوان القصة عند الصفحة المحددة هو ببساطة «الظل».

ولأنها لم يكن لديها ما تفعله في الطريق إلى المنزل. فقد شرعت في القراءة.

في القصة كان ثمة عالم من الشمال البارد سافر إلى مدينة رائعة في الجنوب لكنه لم يكن قادرًا على تحمل الحرارة هناك. لقد نُحِل جسمه تحت أشعة الشمس الحارقة، وأصبح نحيفًا ومرهقًا. حتى ظله بدا كأنه يتلاشى. فقط في الأمسيات عندما كانت النسائم الباردة تهب، كان يبدأ في الشعور وكأنه عاد إلى طبيعته مرة أخرى. كان يجلس على شرفته حاملاً شمعة ويشاهد ظله يمتد ويستطيل في هواء الليل.

شعرت تشارلي بقشعريرة صغيرة تنتابها لكنها واصلت القراءة.

تحت شرفة العالم وظله، بدت المدينة رائعة في ضوء القمر. كانت العربات الخشبية التي تحمل الموسيقيين الذين يعزفون على آلات المندولين تمر وتُصدر عجلاتها صوت خشخشة محببًا إلى النفس. وكانت أجراس دار العبادة تُقرع بينما تنقل الحمير عربات الفاكهة

الناضجة من الأسواق. استنشق العالم بعمق روائح البهارات والدخان والزهور الخضراء. لقد انبهر بالتحديد بهذه الزهور التي كانت تتفتح فوق الشرفة المقابلة له، من حيث كانت تأتيه أصوات الغناء.

كل ليلة، كان العالم يجلس في شرفته وينظر منها. ذات مرة، اعتقد أنه اكتشف عذراء جميلة بين الزهور. عندما نظر مرة أخرى، كانت قد ذهبت. ولكن في ضوء الشموع، أصبح ظله طويلاً بما يكفي ليمتد عبر الشارع إلى نافذة الفتاة.

ثم أخبر العالم ظله ضاحكاً: «كن مفيداً. اذهب وانظر في الداخل وأخبرني بما تراه. لكن احرص على العودة».

بعدها ذهب العالم إلى الفراش لكن ظله لم يفعل. لقد تسلل لينظر كما طلب منه صاحبه، ورغم التأكيد عليه بالعودة فإنه لم يعد قط.

وجد العالم هذا أمراً مزعجاً للغاية. ومع ذلك، سرعان ما وجد ظلًا صغيراً جديداً يبدأ في النمو من أطراف قدميه. بحلول الوقت الذي عاد فيه من البلد الحار، صار لديه ظل جديد تماماً، فقرر الاكتفاء به.

ذات ليلة وبعد سنوات عديدة، سمع العالم نقرًا على بابه. على الجانب الآخر كان هناك شخص نحيف للغاية، يرتدي ملابس أنيقة. عندما نظر إليه العالم شعر بقدر من الاستغراب، لكنه دعا الشخص الغريب إلى الداخل على الرغم من مخاوفه.

قدّم الغريب نفسه على أنه ظل العالم؛ الظل القديم. رغم اندهاشه كان العالم مستمتعاً بعض الشيء برؤية ظله مرة أخرى. لقد أخبره الظل بالعديد من الحكايات عن مغامراته وكيف أنه، بما أنه كان قادرًا على التسلل إلى أي مكان ورؤية كل تلك الأشياء التي أراد أصحاب النفوذ إخفاءها، أدى عملاً جيداً جداً لحساب نفسه. لقد أصبح ثرياً جداً.

تعجب العالم من هذا؛ لأنه بقي فقيرًا. ثم دعا الظل العالم ليسافر معه وعرض عليه أن يدفع كل التكاليف. كان هذا الأمر محرّجًا لكبرياء العالم، لكنه وافق في النهاية.

لقد سافرا بعيدًا إلى مكان يمكنهما فيه الاستشفاء بمياه الينابيع، وكان الظل يدعي أنه يأمل أن يعالج هناك عيب افتقاره إلى لحية. في أثناء رحلتها، اتخذ الظل جميع القرارات ودفع ثمن كل ما كانا يأكلانه ويشربانه. سرعان ما بدأ الظل في معاملة العالم بوصفه خادمًا له.

كان الكثير من الناس من جميع أنحاء العالم يحضرون إلى ينابيع المياه الشافية، والتقى الظل بأميرة جاءت لعلاج حالة كانت تعاني منها، وهي حالة كانت تتيح لها رؤية الأشياء بوضوح شديد. ألقت الأميرة نظرة على الظل وأخبرته بأنه جاء إلى هذه الينابيع على أمل أن ينمّي لنفسه ظلًا جديدًا. ضحك وقال إنها فيما يبدو قد تعافت بالفعل مما تشكو منه؛ لأن ظله كان حاضرًا هناك. ثم أشار إلى العالم.

لقد أثار اهتمام الأميرة فكرة أن ظله كان أرقى بكثير من ظل أي شخص آخر. في تلك الليلة رقصا معًا وأخبرته الأميرة عن بلدها. لقد ذهب الظل إلى هناك، وكان لديه قدر كبير من المعرفة عنها لدرجة أنها وقعت في حبه بسرعة.

ثم أرادت أن تتزوج منه لكنها كانت بحاجة إلى أن تُطمئن نفسها على حكمته؛ لأن الحاكم يجب أن يكون حكيماً ومطلعاً. ومن ثم فقد اختبرته بطرح سلسلة من الأسئلة الفلسفية الصعبة عليه. ضحك الظل قائلاً إنها أسئلة بسيطة لدرجة أن ظله يمكن أن يجيب عنها. وعندما طرحت الأميرة الأسئلة نفسها على العالم، أجاب عليها بشكل رائع لدرجة أنها وافقت على الزواج من الظل على الفور.

في ذلك المساء، قدّم الظل للعالم عرضًا. يمكنه أن يعيش معهما ويظل ثريًا طوال حياته إذا أخبر الجميع بأنه هو الظل، وأن الظل هو.

رفض العالم وقال إنه سيذهب إلى الأميرة ويخبرها بكل شيء. لكن الظل أخبره بأنه إذا حاول، فسيخبر الظل الأميرة وحراسها بأن العالم كاذب.

قال له كن عقلانيًا. أنا من سيتزوجها وسوف يستمعون إليّ ويصدقونني أنا وليس أنت.

أصر العالم على موقفه، وحدث كل شيء كما توقع الظل. طلب الظل من حراس الأميرة القبض على العالم ففعلوا. وبحلول الوقت الذي تزوج فيه الظل والأميرة، أُعِدِم العالم وانتهت حكايته إلى الأبد.

أغلقت تشارلي الكتاب ورأت أنهما غادرا الطريق I-91 وكانا يتجهان عبر الطرق الخلفية إلى حانة بلو روين. وضعت تشارلي يدها على الغلاف الجلدي، وحاولت تحية القصة جانبًا والتركيز على السبب الذي دفع سولت كي يتركها لها لتقرأها.

لقد أرادها أن تُصدّق أن ريد لم يكن مجرد تهديد للعالم، بل لفينس نفسه. كان من المفترض أنها لن تهتم لما سيحدث لفينس، لكن كان عليها أن تعترف لنفسها أنها تكثرث وبشدة.

تأججت كراهيتها لسولت في أحشائها، لكن بغض النظر عن مدى احتقارها له، وبغض النظر عن مدى تأكدها من أنه كان يخدعها، فقد كانت على يقين من أنه لم يكذب بشأن كل شيء.

أوقف السائق السيارة الرولز رويس بجانب سيارتها الكورولا. نزلت تشارلي وأخذت معها الكتاب وعلامة المائة دولار المرجعية. في نهاية المطاف، فقد وعد سولت بأن يتولى مهمة الدفع طوال الوقت.

عادت الرولز رويس السوداء إلى الطريق مسرعة. وكان المساء يقترب حينما فتحت تشارلي باب سيارتها. لقد حبست أنفاسها ترقبًا، حتى بدأ المحرك خفقانه المعتاد. كانت محفظتها في المكان الذي تركته فيه، في المقعد الخلفي، كما كان هاتفها هناك أيضًا، مع مكالمة فائتة من بوزي وأخرى من الحانة.

تجاهلت كل هذا واتصلت بمكتب أمين صندوق جامعة يوماس لمحاولة تقويم كل ما هو خطأ في حساب بوزي. كان الخط مشغولاً وعندما حاولت مرة أخرى، انتقلت المكالمة إلى البريد الصوتي. بعد محاولتين لإجراء المكالمة حان وقت إغلاق المكتب وسيبقى على هذا النحو خلال الاحتفال بيوم المحاربين القدامى.

وهي محبطة، قادت تشارلي سيارتها إلى المنزل. كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة عصرًا بقليل، وكان المنزل هادئًا. لم تنهض أختها بوزي من الفراش أو ربما حبست نفسها في غرفتها. وهي تشعر بالإرهاك ذهبت تشارلي مباشرةً إلى مرتبتها وارتمت عليها. عندما استيقظت، كانت رائحة المنزل وكأن شيئًا ما يحترق. كما اكتشفت أنها كانت تضع الكتاب الأحمر على صدرها، وكأنه دمية دب محشو.

في المطبخ، كانت بوزي تحرق غاضبةً إلى مقلاة من الكعكات التي اسودَّ لونها، ثم قالت: «لم تعودي إلى المنزل الليلة الماضية، ولا فينس. و... ما هذا الذي ترتدين؟».

نظرت تشارلي إلى الملابس الرياضية التي اختارها لها المنتجع الصحي والتي لا تزال ترتديها. مع هزة كتفيها دلالة عدم الاكتراث، جلست على كرسي وحاولت تناول كعكة مع بعض السكر. «لقد غادر فينس. حزم أغراضه ورحل».

لقد توقعت أن تبتهج بوزي، أو على الأقل تتباهى بحدوث النهاية التي توقعتها، لكنها بدت مصدومة بدلاً من ذلك. «هل هجرته؟».

هزت تشارلي رأسها. «لا، أخبرتك. لقد غادر».

«لكن لماذا؟».

«لأن اسمه ليس في الحقيقة فينسنت داميانو. إنه إدموند كارفر، وهو ثري قذر، ومن المفترض أن يموت». تنهدت تشارلي، وتركت الكعكة ثم ذهبت لتضع لنفسها بعض حبوب الغذاء في وعاء.

كل ما كان لديهما هي رقائق النخالة المملة، والتي اشتراها فينس بناءً على طلبها. ومن ثم فقد سكتها في وعاء.

تساءلت بوزي بنبرة مستنكرة: «حقاً؟».

قالت تشارلي: «أعتقد أنه في ورطة... بل من الواضح أنه في ورطة. لكنه في ورطة أكبر مما تتخيلين، ويتعلق الأمر بظله المفقود».

كان فينس في الثالثة عشرة من عمره عندما استقبله سولت، مراهقاً مضطرباً وربما كان راغباً في الاستقرار. ما الذي كان يمكن أن يفعله من أجل نيل ذلك؟

ثم راهنت نفسها بأن الجواب الصحيح كان أي شيء على الإطلاق.

دفعت بوزي في قلب الكعكات المحترقة بملعقة بلاستيكية ذائبة قليلاً وأخرجت بها قطعة متماسكة.

«من الذي يلاحقه؟».

«إنها قصة معقدة بعض الشيء. هل تتذكرين صديق أمي المحتال، راند؟».

جعدت بوزي أنفها في تملل: «ذلك الرجل العجوز الذي كان يتسكع معك دائماً. ألم يمُت بطريقة غريبة حقاً؟».

قالت تشارلي بحزم: «لقد قُتِل».

هزت بوزي رأسها محتجة: «أعتقد أنه لم يكن قتلاً مباشراً أو قتلاً بالأساس. لقد عثروا عليه مع جثة أخرى في سيارته، كان انتحاراً على الأرجح، أو مزيجاً من القتل والانتحار. أتذكر الآن. لقد ألقى أبي باللوم على أمي لأنها سمحت لك بالتسكع معه كل تلك الأوقات. كان قلقاً

من أن هذا الرجل قد فعل بكِ أشياء مثل التي اعتقد الجميع أنه فعلها بتلك الفتاة قبل أن يقتلها».

لم يقل لها والدها، بالطبع، أي شيء على الإطلاق. حتى هذه اللحظة، لم تكن تشارلي تعرف أنه كان على علم أصلاً بوجود راند في حياتها. كان من الصعب موازنة دهشتها مع الانزعاج من بوزي، التي اعتقدت على ما يبدو أن تشارلي أخطأت بتذكر أحد أكثر الأحداث المروعة في حياتها.

ثم كررت بصرامة: «لقد قُتِل راند. أعرف ذلك يقينًا؛ لأنني كنت هناك».

بدأت بوزي تفتح فمها، ربما للاعتراض، ثم أغلقتة فجأة.

«لقد قتله جد فينس. ليونيل سولت».

«لماذا كنت هناك؟». سألتها بوزي، وقد غدا صوتها أكثر هدوءًا وأقل ثقة.

فأجابت تشارلي: «لأن راند كان محتالًا وكنت مساعدته، مثل مساعدة الساحر، ولكن لارتكاب الجرائم».

قالت بوزي: «لا شيء يضاهاى متعة العمل بمساعدة ساحر، أليس كذلك».

مررت تشارلي إصبعها عبر الفتات الأسود للكعكات وعقبت: «اسمعي، راند لم يكن أفضل رجل. لقد كان مختالًا وسريع الانفعال، وخدعني للعمل معه في المقام الأول لكنه علمني الكثير. لم يكن راند يستحق أن يُقتل، وبالتأكيد ليس بهذه الطريقة. لا أحد يستحق أن يموت هكذا».

«لطالما أخبرت أمي أنك تريدان الذهاب معه». قضمت بوزي كعكة ثم تلاعبت بلامح وجهها استنكارًا. «اعتقدت أنه كان يشتري لك أشياء، وفي ذلك الوقت كنت أحسدك لكن

بعد ذلك لم أكن أعرف ما الذي عليّ أن أفكر فيه. لطالما كان لديك المال. حسنًا، لقد كان شخصًا غريب الأطوار».

عندما تحدثت بوزي على هذا النحو، بدا الأمر سيئًا. تساءلت تشارلي أكثر من أي وقت مضى عما كانت والدتها تعتقد أنها تفعله مع راند، ولماذا كانت لا تعارض ذلك.

مضغت تشارلي حبوب فطورها وهي عابسة.

ربما كانت مشكلاتها السابقة غير قابلة للحل، لكن فينس كان المفتاح لإصلاح مشكلاتها الحالية. إما أن يكون لديه كتاب الخراب، وإما يمكنه إخبارها بمكانها. وإذا كان يحاول حقًا تحويل ظله الشرير إلى شخص شرير، فلعله ينتهي من فعل ذلك بحلول يوم السبت، ومن ثمّ يمكنها إعادة الكتاب إلى سولت.

وحتى إذا كانت قد شعرت في أعماقها بالارتياح لوجود سبب للاتصال به مجددًا، فقد رفضت التعمق في تأمل هذا الشعور. ومن ثمّ فقد سحبت هاتفها، وحبست أنفاسها وهي تنقر على اسمه، في انتظار الرنين.

بعد لحظة أخبرها صوت آلي بأن الرقم لم يعد موجودًا بالخدمة. بالطبع لا بد أن تتوقع شيئًا كهذا.

حسنًا، لقد أمضت الجزء الأكبر من العقد الماضي من حياتها في العثور على الأشياء. بمقدورها إذن أن تعثر على رجل طويل القامة من دون بطاقات ائتمان صالحة وبطاقة هوية مزورة.

نظرت تشارلي عبر المطبخ إلى أختها وسألتها: «هل تعتقدين أنك يمكن أن تكوني صديقة لظلك؟ أي تهتمين لأمره حقًا؟».

قطبت بوزي وهي تتدبر الفكرة للحظات، ثم أجابت: «هناك سيدة تزوجت يومًا جدار برلين بمعنى أنها صارت محطمة للغاية عندما أسقطوه. وظلت تحمل معها لبنة منه في أي مكان تذهب إليه لفترة من الزمن».

كان لكلام بوزي مغزى، لكن هذا لم يكن ما قصدته تشارلي. «نعم، حسنًا، ولكن هل يمكن أن تكوني صديقة له بشكل عملي وعقلاني؟».

«لا أعرف».

قالت تشارلي: «نعم، وأنا أيضًا لا أعرف».

ثم قالت بوزي وهي لا تزال تتدبر السؤال: «إذا كان بإمكانه التحدث، ربما. ولكن بعد ذلك، أَلن يعني ذلك أنك ستتحدثين مع نفسك في نهاية المطاف؟».

قطبت تشارلي وهي تحرق إلى الأرضية. لم تكن تتحدث عن ظلها هي، لكن ربما كان عليها أن تتحدث؛ إذ لم يكن يستجيب لأيٍّ من تعليماتها على الإطلاق كما كانت حاله دائمًا. إنه بالتأكيد ليس ظلًا ودودًا. «أنت مغتظة مني قليلًا، أليس كذلك؟».

فرمقتها بوزي بنظرة دالة: «تقصدين أنه ليس من العدل أن يكون ظلك هو الذي يستيقظ، بينما تعلمين يقينًا أن حلم أن أصبح ساحرة ظلال هو أكثر شيء أرغب في تحقيقه؟».

أومأت تشارلي برأسها إيجابًا.

قالت بوزي: «أنا غاضبة منك ومن كل الدنيا، على الرغم من أنني أعلم أن هذا ليس خطأك. سأتجاوز ذلك في نهاية المطاف ولكنك إذا أفسدت هذه التجربة وضيعت هذه الفرصة، فسأكرهك». تنهدت تشارلي وهي شبه متأكدة من أنها ستفسد كل شيء في مرحلة ما على طول الطريق. كانت هذه هي طبيعتها. تشارلي هول صانعة الأخطاء، وربة الكوارث.

الأشياء الوحيدة التي كانت تجيدها على الإطلاق هي السرقة والخداع؛ لذا من الأفضل أن تتمسك بها. لقد حصل بول إيكو على صفحة من كتاب الخراب بطريقة ما. إذا كان فينس قد باعها له، فسيكون هناك سجل للمعاملة بينهما. ربما ترك فينس لإيكو رقم هاتف يعمل، أو حتى عنوانًا.

متجر الكتب المُحرَّمة، هذا هو اسم متجر إيكو. حسنًا، صارت تشارلي تشعر بمزيد من الفضول.

ثم قالت وهي تتجه إلى غرفة نومها لتغيير ملابسها: «سأخرج».

فرمقتها بوزي بنظرة جانبية. «هل ستعودين إلى المنزل الليلة؟ سأطلب طبق لو مين».

فردت تشارلي: «أحضري لي طبقًا معك. يمكنني دائمًا تناؤله على الإفطار».

كان متجر الكتب المحرمة يقع في الطابق الثالث من مبنى قديم ورثَّ كان فيما مضى طاحونة أو مصنعًا، في الطابق الذي بأسفله كانت هناك مدرسة للسيرك حيث يتعلم الأطفال الصغار كيفية التلاعب بالأطباق وتدويرها، وفي الطابق الأرضي كان هناك شخص يتاجر في مواد البناء. كانت أقفال الأبواب غير محكمة تمامًا، ومن ثم لم تكن تشارلي بحاجة إلى التعامل معها بطريقتها المعتادة. لقد أدخلت بطاقة لها فحسب في الفجوة بين الإطار والباب، ثم رفعتها بقوة كافية للضغط على مزلاج الباب، ثم أدارت المقبض ودفعت الباب بفخذهما فانفتح.

اصطفت فوق الجدران أرفف الكتب التي يبدو أنها كانت مليئة بكل الأغراض التي تم الحصول عليها من عروض البيع المخفضة من المكتبات في البلدات المجاورة وكذلك مواقع مثل كريجزليست. كانت المجلدات مكدسة بإحكام ومتلاصقة لدرجة أن تشارلي تساءلت كيف يمكن إخراج أيٍّ منها من دون بعثرة البقية. كانت الصناديق الكرتونية مكدسة في هيئة أبراج وبعضها بجوانب ممزقة، وبعضها الآخر يحتوي على صناديق مطوية

بالداخل، ويُفترض أن تكون هذه مخصصة للشحن. في أعلى الجدار الخلفي، وفوق صف من النوافذ، رُسم اقتباس غير منسوب لشخص بعينه: «الكون ملك للفضوليين».

استقر مكتب معدني قديم على طراز مكاتب خمسينيات القرن الماضي في منتصف الأرضية، وعلى سطحه كان هناك جهاز كمبيوتر في الأعلى، وهاتف أرضي قديم المظهر، وطابعة ملصقات. كسا الورق المتناثر الأرضية كما لو أن أحداً قام بعملية تفتيش هنا مؤخرًا.

سارت تشارلي من طرف إلى آخر، مستنشقة ذرات غبار الكتب القديمة. كانت هناك خزانة زجاجية مقفلة لكنها كُسرت وأفرغت الأرفف بداخلها. استقر رف كتب واحد على الأرض، وكانت الكتب تتساقط أرضًا منه.

عادت تشارلي إلى المكتب، وجلست ثم حرّكت الفأرة في دائرة على سطحه. بعد لحظة، عادت شاشة الكمبيوتر إلى العمل حيث ظهرت شاشة مليئة بالعناصر بشكل يبعث على الحيرة. فتحت نافذة بحث وكتبت «الاسم: الخراب». فلم يظهر شيء. فاستبدلت به «الظل المتحرر». فلم يظهر شيء أيضًا.

ثم جربت «المخزون» فحصلت على ملف إكسل. عندما فتحت، وجدت قائمة بالكتب التي كانت لدى بول إيكو في المتجر، مع ملخصات قصيرة، والسعر الذي دفعه بول مقابلها، والسعر الذي باعها به.

كتبت «الخراب» في منطقة البحث بالملف، لكن لا نتائج.

وهي تشعر بالإحباط أخرجت تشارلي هاتفها الخلوي واتصلت بـ«التازار». وقد أجابها عند الرنة الثالثة.

قال بترحاب مفتعل: «عزيزتي، ما الذي دفعك إلى الاتصال بي؟».

«ماذا لو أردت تولي المهمة المتعلقة بنايت سينج؟». سألت وهي تركل درج الملفات وتدور بكرسيها.

«بعد فوات الأوان، للأسف. سمعت أن شخصًا ما حصل على الورقة بالفعل. هل تأسفين لذلك؟ لا تقلقي. لدي الكثير من المهام الأخرى وبعضها خارج الولاية إذا كنت على استعداد للسفر. وبعضها صعب ومعقد جدًا إذا كنتِ تبحثين عن الإثارة».

قالت تشارلي: «دائمًا ما أبحث عن ذلك. لكن من الذي أرادها؟».

«أراد ماذا؟».

«أوراق نايت سينج». بتكاسل بدأت تشارلي بفتح أدراج المكتب التي أصدرت صوتًا معدنيًا مزعجًا.

تردد بالتأزر قبل الرد وهو يقول: «هل هناك شيء يجب أن تخبريني به؟».

«لا أعتقد ذلك». وجدت في درج الملفات العشرات من المجلدات، وكلها مُصنَّفة وفق الاحتياجات التقليدية للأعمال: الفواتير، والإيجار، وقوائم الوجبات السريعة، والتأمين، ومنظمات بائعي الكتب ذات الأسماء المختصرة المتعددة، مثل إيه بي إيه وما شابه ذلك. «لقد كان من مُحركي الدمى، أليس كذلك؟».

«كان هناك العديد من التابعين من جماعة المُدرَّعين الذين أرادوا الورقة، ونعم، محرك دمي. محرك دمي ثري جدًا». ثم توقف عن الحديث وكأنه مضطرب ومحتار ثم سأل: «الآن هل ستخبريني كيف عرفت ذلك؟».

قاومت تشارلي الرغبة في التباهي كعادتها، وأن تذكر أنها كانت تدرك أن ريفين هي الشخص الذي أخذت منه الأوراق.

قالت تشارلي ببراءة: «إن وظيفتي هي معرفة الأشياء». كان عليها أن تشكر بالتأازار، وتغلق المكالمة، وتنتهي الأمر عند هذا الحد، لكنها كانت مدينة له بشيء فيما يتعلق بالمعلومات. «هل تذكر تلك المهمة التي قلت إنه يجب عليّ القيام بها، العثور على كتاب الخراب؟ أخبرني سولت بأنه سيقتلني وكل من أحب إذا لم أقم بها».

قال بالتأازار: «من الجيد أنني لن أجد نفسي في هذه الفئة».

«أوه، لا أعرف. لكنك بدأت تروق لي مؤخرًا». قالت له بينما تتجه أصابعها إلى الجزء الخلفي البعيد من الملفات في الدرج السفلي، وتتوقف عند مجلد رفيع يحمل علامة «إباحي». كان فارغًا.

قال بشيء من التودد: «أنت لست شخصًا يسهل التعامل معه أيتها المشعوذة».

قالت له: «إلى اللقاء الآن يا بالتأازار». ثم أغلقت الخط.

بالانتقال إلى الكمبيوتر، كتبت كلمة «إباحي» في شريط البحث. ظهر مجلد. في الداخل، كانت هناك مجموعة من الملفات والتي احتوت على ملف إكسل واحد. عندما نقرت عليه ظهرت قائمة بمجموعة من كتب السحر والتنجيم التي قد تكون ذات فائدة لسحرة الظلال. تضمن جدول البيانات العام الذي أنشئ فيه، وتخصّص كل ساحر للظلال، وما إذا كان الكتاب قد طُبع لمرة واحدة أو طُبع مرات عديدة وانتشر على نطاق واسع، وما إذا كانت هناك إصدارات أخرى، وما الرف الذي كان عليه، وكيف حصل عليه بول.

ثم كانت هناك قائمة بتذكارات سحرة الظلال. لإخفاء معرفة أحدهم بالآخر، اعتاد سحرة الظلال كتابة أسرارهم بطرق غير تقليدية. على بطاقة معطف من الجلد أو بأحرف صغيرة داخل عمل فني من أي نوع أو في أحد الأغراض التي أخفيت قيمتها الحقيقية تمامًا بحيث يمكن التخلص منها، أو بيعها مقابل أجر ضئيل في سوق السلع الرخيصة والمستعملة.

وبعد ذلك كانت هناك الرموز والتذكارات غير القابلة للاستبدال تجاريًا. إنها تحظى بشعبية بين الأثرياء، ولا تزال بعيدة عن متناول معظم سحرة الظلال. كان لدى بول واحد منها في مخزونه، ويبدو أنه سجله «بيع مقابل مائة ألف دولار» قبل أسبوعين.

مسحت تشارلي قائمة البائعين بحثًا عن ريمي وإدموند وفينسنت وريد وحتى سولت. لكن الاسم الوحيد الذي تعرفت إليه هو ليام كلوفين.

ليام كلوفين، الطبيب. صديق فينس القديم.

بدا الأمر كما لو أنه باع بول إيكو ثلاثة كتب في غضون أسبوع من الوقت الذي من المفترض أن إدموند مات فيه. وفقًا للمدخلات، فقد كان اثنان من الكتب عبارة عن مذكرات من القرن الثامن عشر، ويساوي الواحد منهما خمسمائة دولار، وقد حُفظا في الخزانة الزجاجية المحطمة - من الواضح أن تلك المذكرات قد اختفت. الثالث كان كتابًا بعنوان Umbramagists Through History، نُشر عبر منصة لولو في عام 2011. بدلًا من تحديد موضعه على أحد الأرفف، وُضعت علامة على الكتاب تشير إلى أنه في صندوق من الورق المقوى على الطرف الآخر من الغرفة مع علامة «A-7».

ذهبت تشارلي للحصول عليه. وبينما تهم بفعل ذلك أفزعته طرقة على الباب.

«بول؟». جاءها صوت أجش عبر القاعة.

مع وجود الكتاب في متناولها سكنت تشارلي في مكانها. فُتح الباب قليلاً وفي اللحظة التي شرع فيها أحدهم في الدخول، توارت وراء بعض الصناديق.

عبر شخص يرتدي حذاء عمل ثقيلًا الأرضية باتجاه المكتب. ثم قال الرجل في سخط: «بربك يا رجل. بول! أنت مدين لي بالإيجار اللعين. لا يمكنك الاختباء مني إلى الأبد».

ثم خرج من الغرفة وصفق الباب خلفه.

كانت تشارلي تحب أن تعتقد أنها خفيفة الوزن وقت اللزوم، ولكن في مبنى قديم كهذا كان من المستحيل تقريبًا تمييز ألواح الأرضية التي من المحتمل أن تئن تحت ثقلها وتلك التي ستحملها. لقد ظنت أن التصرف الشجاع في مثل حالتها هذه أن تبقى حيث كانت لمدة خمس عشرة دقيقة، حتى تتيقن من أن مالك العقار قد رحل.

مع عدم وجود أي شيء آخر لتفعله خلال هذا الوقت، فتحت الكتاب وتصفحته على ضوء هاتفها المحمول.

احتوى الكتاب على مجموعة مقتطفات منسقة مأخوذة من كتب أخرى. وعلى الرغم من أن إدخال المعلومات المضللة كان في كثير من الأحيان يشكل مصدر قلق حيال الإصدارات المعاد طبعها من هذا النوع، فإن ذلك الهاجس زال بسرعة بالنظر إلى عدم اكتراث المؤلف بتنسيق كتابه على نحو جذاب. من الواضح أن كل صفحة كانت مجرد مسح للمادة الأصلية بالخط الأصلي من مصدرها.

تصفحت تشارلي المقتطفات من الصحف وكتب التاريخ والوثائق الأخرى. مهما كان رأيها عن كيفية تجميع هذه المقتطفات، فقد كانت المعلومات الفعلية في الكتاب لافتة ومثيرة للاهتمام، ومنها مثلًا ما يلي:

سقط محارب في طيبة القديمة في حقل من الدماء، لكن ظلّه ظلّ يقاتل حتى مات قاتله.

ادّعت عضوة في جمعية سرية غامضة كانت قائمة في زمن قريب من زمن جماعة الفجر الذهبي الشهيرة أنها كانت قادرة على فصل وعيها عن جسدها في الليل، ورصد أعدائها في أكثر لحظاتهم خصوصية. أشارت السردية نفسها إلى أنه بينما كانت هذه العضوة تبعث ظلها في مهمة، كانت عرضة لأن تتحكم ظلال أخرى في جسدها.

حاول رجل صوفي أن يغذي ظلّه بكل دمه ويعيش من خلاله.

استيقظت امرأة على أحد جوانب تل وثلاثة من كبار السن يحاولون قطع ظلها عند قدميها. عندما صرخت ركضوا بعيدًا. لم تكتشف المرأة قَط ما الذي كانوا يفعلونه بالضبط، لكن كان لديها شعور بأنهم لو نجحوا في فعل ما أرادوا، فإن شيئًا رهيبًا كان ليحدث لها.

كاد رجل يختنق حتى الموت عندما تحوّل شخص ظلامي إلى دخان واخترق حلقه. لكن خادمًا يحمل شمعة - دخل الغرفة عن طريق المصادفة - جعله يفر قبل أن ينجز مهمته المخيفة.

بحلول الوقت الذي رفعت فيه تشارلي ناظريها عن الكتاب، كان المبنى هادئًا. دسّت الكتاب في حقيبتها، ثم انزلت عبر الباب ونزلت السلم.

كان عليها التحدث إلى ليام كلوفين، لكن هناك شخصًا آخر أرادت التحدث إليه أولًا. إذا كان يريد قتل نايت سينج حقًا، فماذا كانت ريفين تفعل بأوراقه؟ وإذا كان سولت محرك الدمى الثري جدًّا يبحث عنها، فلماذا يكافح للحصول على ملاحظات شخص من جماعة المُدرّعين بينما من المفترض أن يكون مهووسًا بالاستحواذ مجددًا على كتاب الخراب؟

في السيارة، استدارت تشارلي إلى المقعد الفارغ بجانبها حيث سقط ظلها، ثم قالت له: «حسنًا، يا فتى. يبدو أن الكون ملك بالفعل للفضوليين».

23. مخالب الدب.

أوقفت تشارلي سيارتها في ساحة انتظار السيارات، أمام متجر إكلييس لصنع الوشوم وما يُعلّق بالجسم من أقراط ومختلف الإكسسوارات، في أمهيرست حوالي الساعة العاشرة من تلك الليلة. كان المتجر يقع وسط مجموعة من المتاجر المتوازية والمتلاصقة بين مطعم لتقديم الدجاج الكوري ومغسلة. أوقفت تشارلي سيارتها في الخلف، أمام كتلة رقيقة من الأشجار فحمل هواء الليل البارد إليها روائح الجعة والطعام المقلي.

ثم جذبت كيسيًا ورقياً يحمل شعار دانكن دونتس من المقعد الخلفي، وذهبت إلى الباب بالقرب من حاوية القمامة حيث كانت لمبة حمراء تبعث بأضواء مرتعشة فوقه. طرقت تشارلي بقوة على الخشب فأطل شعاع من الضوء من بين ستائر التعقيم المعلقة خلف النافذة.

بعد لحظات، فتحت امرأة ذات بشرة سوداء الباب. كانت ترتدي قميصًا من دون أكمام وسروال جينز ممزقًا، وخصلات شعرها مصبوغة فبدت كألجنة اللهب حيث الأصفر في جذرها والأحمر فيما تبقى منها، وإضافات بسيطة من اللون الأزرق في الأطراف. كما غطت الوشوم ذراعيها، من معبودة القمر ذات البشرة الداكنة إلى خيوط العنكبوت والورود والجمجمة التي تحمل ثعبانًا يتسلل عبر عينيها.

طوت ريفين ذراعيها على صدرها، ونظرت إلى تشارلي بريية: «لا أستقبل العملاء العابرين، خصوصًا في هذه الساعة».

قالت تشارلي: «لقد سُرِق منك شيء مؤخرًا. أريد أن أتحدث إليك عن نايت سينج، وكتاب ملاحظاته. أخبريني بما أريد أن أعرفه، ويمكنك استعادته عندما أنتهي من مهمتي، خلال أقل من أسبوع، أعدك».

ضيّقت ريفين عينيها، ثم تراجعت حتى تتمكن تشارلي من الدخول. عندما أغلقت ريفين الباب، شاهدت تشارلي هذه العبارة مكتوبة بالإسبانية على ذراعها اليسرى من الداخل بحروف قوطية كبيرة: «الفن ممتد والحياة قصيرة».

كان العديد من قشور الجروح منتشرة على ساقها، كما لو كانت نتاج لدغات الحشرات، أو لعلها علامات على مواضع تغذي ظلها من دمها. حملت تشارلي كيس دانكن دونتس وقالت: «أحضرت معي قهوة، لعلها تكون منعشة لنا وتساعد على إجراء محادثة مفيدة».

«حسنًا أيتها اللصة، فلنستمع إلى ما تريد.» مدت ريفين يدها لتفتش محتويات الكيس، ثم نظرت لأعلى مستطردة: «اللعنة. لديك معجنات مخالبا الدب».

الجزء الأول من أي عملية خداع هو كسب ثقة شخص ما، وكل محادثة تشبه إلى حد ما خدعة. وجود القهوة والمعجنات لا يضايق أحدًا كما أنهما تمثلان بادرة مودة.

سألت تشارلي: «كيف انتهى بك الأمر إلى حيازة أوراقه؟ مما سمعته، كان موته غير متوقع».

رفعت ريفين حاجبيها وأخذت رشفة من القهوة. «ربما تكونين محقة في هذا. لقد وجدوه في منزله، على البساط بالقرب من مكتبه والجدران من حوله مغطاة بالدم. لم يرغب مجلس الكابال في أن يعرف أي شخص التفاصيل، لكنني اكتشفت الأمر». استمرت ريفين من دون أن تترك مساحة للكلمات المطمئنة أو الدهشة التي مبعثها الارتياح. «قال ساحر ظلال آخر إنهم سمعوا صوت رجل يصرخ، شخص آخر غير نايت. يتطلب القيام بما فعل به نوعًا من القوة التي لا يمكن أن تأتي إلا من خلال ظل، قوة قاهرة، متخمة بالطاقة والدم».

قالت تشارلي: «هذا مروع».

أومأت ريفين مؤمنة على كلامها: «نايت أول ساحر ظلال قابلته على الإطلاق، وهو الذي علمني كيفية استخدام سحري بشكل صحيح. لقد استاء بشدة عندما قررت أنني أريد

التركيز على تعديل الظلال. قال لي إنني كنت أسعى بالأساس لجني المال. ربما كان على حق.

«المهم أنه أعطاني هذا الكتاب قبل أسبوع من اغتياله. أخبرني بأن أبقيه في مأمن إذ كانت لديه معلومات يمكن أن تضر بشخص مهم. إن احتفاظه بهذا الكتاب الذي كان يهدد به ذلك الشخص أبقاه آمنًا، وآخرين. لكنني أعتقد الآن أنه كان مخطئًا في تقديره».

سألت تشارلي: «ليونيل سولت؟».

رمقتها ريفين بنظرة غريبة. «ربما. هذا الرجل العجوز غريب الأطوار. لقد سرق الظل الذي يلازمه حاليًا. كما يُعتقد أن الكثير من الناس قد اختفوا داخل منزله».

مجددًا سألت تشارلي: «إذا كانت هذه المعلومات معروفة للكثيرين، فكيف لم يفعل مجلس الكابال أي شيء؟ لماذا لم يستخدم نايت سينج ما كان لديه؟».

ذهبت ريفين إلى خزانة بالقرب من مطبخ صغير وأخذت طبقًا معدنيًا صغيرًا. «عليّ القيام بعدة مهام، هل تمانعين إذا عملتُ في أثناء حديثي معك؟».

قالت تشارلي: «تفضلي».

فتحت ريفين ثلاجة صغيرة محشورة في زاوية خلف المنضدة وأخرجت كيسًا بلاستيكيًا به دم، ثم مزقت حافته بأسنانها.

«ناوليني أحد أكواب القهوة هذه؟». طلبت منها ريفين ذلك وأومات برأسها تجاه حوض حيث استقرت بعض الشوكات والأكواب النظيفة على رف تجفيف بلاستيكي مخدوش.

حدقت تشارلي إليها في حيرة: «ماذا تريدني أن أفعل الآن؟».

ابتسمت ريفين وقالت: «الأكواب. بجوار حوض الغسيل، ناوليني واحدًا».

أختارت تشارلي بشكل عشوائي واحدًا مكتوبًا عليه: «واجه خيبتك بشجاعة». سكبت ريفين الدم في الكوب ثم وضعته في الميكروويف، وضبطت المؤقت لمدة دقيقة ونصف.

ثم قالت: «للتخلص من البرد». كما لو أن قولها يعني شيئًا مفهوميًا.

ثم التفتت إليها ريفين وهي تقول: «لا يملك أحد أي دليل حقيقي، وسولت فاحش الثراء. هذا هو السبب في أن مجلس الكابال لن يفعل أي شيء. أما لماذا لم يستخدم نايث ما كان لديه، فلا أعرف إذ يعتمد ذلك بالأساس على ما كان لديه».

قالت تشارلي: «لا يمكنك أن تتوقعي مني أن أصدق أنك لم تقرئي كتاب نايث بينما كان لديك».

ابتسمت ريفين: «أوه، لقد فعلت. إن به الكثير من المعلومات معظمها متعلق بحملة الظلال ممن تلازمهم أو تلتصق بأجسادهم أكثر مما تتعلق بمن يُعدّلون الظلال أو يعملون على تغييرها، ولكن لم يبدو لي أن بالكتاب أي شيء على الإطلاق يبدو أنه يمكن أن يطيح بأي شخص».

قَطَبت تشارلي. «بخلاف ما كان لدى نايث، هل سيكون لدى سولت أي سبب لإبعاده عن طريقه؟».

«كان نايث ضد تعيين سولت عضوًا في الكابال، والآن بعد أن رحل نايث، فإنهم يخالفون القواعد ويسمحون لسولت بالانضمام، على الرغم من أن ماليك يُمثّل بالفعل جماعة مُحركي الدمى».

«لذا لن يكون لديهم أي شخص من جماعة المدرّعين؟».

تحولت نظرة ريفين إلى الكوب وأدارت الطبق، وكانت غارقة في التفكير: «لم يكن ما حدث عادلاً. لقد ساعد نايث في بناء الكابال، وكان من أوائل السحرة الذين انفتحوا على عالم

سحر الظلال وكانوا إيجابيين حياله».

تناولت تشارلي قهوتها وأخذت رشفة وهي تفكر في ريد وما قاله سولت عن فينس. ما علاقة نايت بكتاب الخراب؟ قد لا يكون لديه أي علاقة، لكنها كانت تأمل من خلال الحديث على هذا النحو أن تعتقد ريفين أن تشارلي تعرف أكثر مما لديها بالفعل.

«كتاب الظلال المتحررة؟». أطلق الميكروويف صفيراً فألقت ريفين بمحتويات الكوب في طبق معدني غير قابل للصدأ. «لقد اعتقد نايت أنه من المثير للسخرية أن سولت قد خُدع ليدفع الكثير مقابل ذلك، على ما أعتقد.

«هذه هي مشكلة سحرة الظلال الأغنياء. إنهم يشترون جميع الكتب السحرية لأنهم يستطيعون، ثم يستخدمون تلك المعرفة لربط السحرة الآخرين بهم. لن يتبع سولت قواعد أي شخص، والآن سيكون هو من يضع القواعد».

كانت هناك قصص عن طوائف شكَّلتها سحرة الظلال في الأيام الأولى من ظهور سحر الظلال للجمهور. الكثير من إراقة الدماء لتغذية وإنعاش ظلالهم. الكثير من الأثواب العجيبة والممارسات الجنسية المخيفة. وفي النهاية، الكثير والكثير من الوفيات.

عندما فكرت تشارلي في الشكل الذي ستبدو عليه منظمة لسحرة الظلال يديرها سولت، تخيلت النسخة المؤسسية الأكثر رقيًا من تلك الطوائف الشعبية. لكن الناس سوف ينضمون له في النهاية. إن لديه الكتب والمال، وكلما كبرت منظمته، زاد تأثيره على سحرة الظلال الآخرين. ومنصبه في الكابال سيعني أنه لا يمكن لأحد أن يمنعه.

دفعت ريفين الكوب الفارغ الملطخ بالدماء في يدي تشارلي، ثم ذهبت باتجاه الباب ووضعت الطبق المعدني على الدرج. «هل يمكنني أن أعلم ماذا تفعلين بالضبط؟». سألت تشارلي ورفعت حاجبيها اندهاشًا.

«ستعرفين خلال دقيقة، سواء أردت ذلك أم لا». بدت ريفين مستمتعة جداً. «لماذا تريدين أن تعرفي عن كتاب الخراب؟ ألم يسرق حفيد سولت هذا الكتاب قبل أن يموت؟ لماذا تريدين أن تعرفي أي شيء عن هذا الأمر؟».

تهافت تشارلي على مقعد، بالقرب من كومة من مجلات فلاش وقالت: «حدث خطأ ما، وأعتقد أنني تورطت فيه. لا يمكنني الابتعاد الآن، حتى لو أردت ذلك، وأنا لا أريد. ما أريده حقاً هو معرفة مَنْ كان يكذب، وبخصوص ماذا».

نخرت ريفين وقالت: «ربما كانوا كلهم يكذبون، ويكذبون بخصوص كل شيء».

في الخارج، حجبت سحابة عابرة بعض الضوء الذي كان يتدفق من القمر إلى الغرفة. ثم رأَت تشارلي بضعة ظلال تنزل نحو الوعاء الصغير.

كانت كيانات خافتة وغير واضحة حتى عندما تحركت تحت الضوء القوي للمصباح فوق الباب. بالكاد كانت ملحوظة. لكن المنطقة المحيطة بالوعاء أصبحت أكثر قتامة مع ازدياد تجمُّعها.

ثم تموج سطح وعاء الدم، كما لو أن لساناً وهمياً يلعبه ثم غدا التموج الواحد تموجات عدة.

قالت ريفين بهدوء: «هناك شيء مهم بخصوص كتاب الخراب. كان نايث يعرف رجلاً في أحد بيوت المزادات والذي منحه امتيازاً هائلاً وسمح له بأن يلقي نظرة على الكتاب قبل أن يشتريه سولت. فنسخ نايث بعض الملاحظات عن تقييد الظلال المتحررة، لكن لا شيء آخر».

هل كان بإمكانه التغاضي عن الاطلاع على الطقوس لإعطاء الظلال المتحررة وزناً وشكلاً، أم بدا تصوُّر حدوث هذا الأمر فظيماً لدرجة أنه ببساطة لم يرغب في معرفة ذلك؟

جلست تشارلي وقد صارت محطبة أكثر من أي وقت مضى، وهي تشاهد الدم يتناقص داخل الطبق. فيما تكاثفت الظلال حولها بأشكالها القاتمة. «ماذا عن الهيروفانت؟ من المفترض أن يطارد الظلال المتحررة ويصطادها، وقد قلتِ لا بد أن ظلًا قويًا هو الذي قتل نايت سينج، لعله ظل متحرر شرير، أليس كذلك؟».

تنهدت ريفين وتطلعت إلى حافة ساحة انتظار السيارات بالقرب من الأشجار.

«هذا الرجل، ستيفن. كنت أعرفه بشكل سطحي قبل أن يصبح الهيروفانت أو صائد الظلال المتحررة. لم يكن الأمر متعلقًا بأنه كان لصًا فاشلاً، بل بأنه كان يسرق الشيء الخطأ من الشخص الخطأ. لقد علّقه ساحر الظلال الذي استأجره حتى تجف آخر قطرات دمائه. ثم عاقبه عن طريق خياطة ظل متحرر ينتمي إلى عصر قديم على جسده. حسنًا، لا أعتقد أن الأمور سارت على ما يرام. ظل من هذا القبيل، واعٍ ويهمس في أذنك، وغريب الأطوار إلى حد لا يمكن تصوّره. أشك في أنه سيصطاد أي شيء في نهاية المطاف».

استعادت تشارلي تعليق سولت حول ربط الظلال المتحررة القوية بأجساد أشخاص جدد ليحملوها.

كما تذكرت كلمات الهيروفانت أيضًا. أخبرني ريد بأنني أريد الكتاب. أخبرني ريد بأن بوسعنا أن نتشاركه. أخبرني ريد بأنني سوف أمزقه إلى أشلاء.

سألت تشارلي: «لماذا يوافق ظل متحرر على أن يكون مقيّدًا أو مربوطًا بإنسان؟».

هزت ريفين كتفها وأجابت: «معظمهم لا يوافق».

أشارت تشارلي نحو الطبق: «هذه ظلال متحررة، أليس كذلك؟ إن منحها الدم يمنحها القوة، هل هذا صحيح؟».

وافقتها ريفين: «بقدر قليل. أنت تتساءلين لماذا أرغب في القيام بذلك».

حدقت إليهم تشارلي وهي تفكر في ريد، والهيروفانت، وشعور أن ظلًا ما يحرك فمها ويجبرها على التحدث. «كنت أتساءل في الواقع عن مقدار الدم الذي سيتطلبه الأمر لجعل الظل قويًا بما يكفي ليكون متحررًا، من دون أن يموت ساحر الظلال المرتبط به».

قالت ريفين: «سأخبرك، سأقدم لك عرضًا لكليهما».

غطى ظلها يدها فيما بدا أنه قفاز ضبابي الشكل. ثم مدت يدها والتقطت ظلًا واحدًا كان يلحق ما في الطبقة. تملص الظل من يدها، لكن يدها الأخرى كانت ممسكة بما يبدو أنه إبرة وخيط، كلها مكونة من الظلال.

أخذ الظل يتلوى مثل ثعبان البحر، أو قنديل البحر، أو كأحد الأعضاء الداخلية سُحب خارج الجسم. إذا ألقيت نظرة عجل على ما يحدث، فقد يبدو لك أنها تحاكي شيئًا ما وتغرز إبرة خيالية في شيء وهمي.

لم تستطع تشارلي أن تقرر ما إذا كانت أكثر اشمئزازًا أو افتتانًا.

رأت ريفين تعابير وجهها فابتسمت: «في كل مرة يعمل فيها واحد من طائفة المغيّرين على تغيير ظل شخص ما، علينا استخدام بعض من الظل الخاص بنا لفعل ذلك. إذا لم نكن حريصين فسوف نتخلى عن ذواتنا، قطعة قطعة، حتى لا يتبقى منا شيء، لكنني كنت حريصة».

«هذه الظلال الصغيرة لا شيء. لا ذكاء فيها، ولا وعي. قد لا تنجو حتى من خياطتها بشخص ما. لكنك محقة في القول، بالمعنى الدقيق للكلمة، إنها ظلال متحررة. الظلال التي نجت من الانفصال عن مرتديها أو صاحبها».

على الدرج، استطاعت تشارلي أن ترى القليل منها ينسل بعيدًا بعد أن انتهت وجبتها، لكن البعض لا يزال يراوح مكانه، كلون داكن شبه شفاف.

ثم قالت ريفين: «هذا الجزء قد يفزعك. يمكنك أن تغمضي عينيك إذا أردتِ».

لم يكن لديها أي نية على الإطلاق لأن تنظر بعيدًا، مثل أي شخص جبان. «لا بأس، افعلي ما تشائين».

فأخذت ريفين الظل وأسقطته في فمها المفتوح.

عضت تشارلي شفرتها لمنعها من إصدار صوت دال على دهشتها وفزعها. لم يكن هذا ما كانت تتوقعه على الإطلاق.

واصلت ريفين حديثها بابتسامة. «عندما يضع ساحر الظلال جزءًا من وعيه في ظله، فإنه ينمّي نوعًا من الهومونكلوس أو الإنسان صغير الحجم أو القزم. القوة ليست سوى جزء مما يشكل الظل المتحرر. إذا كنت لا تريدين أن يكون ظلك منفصلاً عنك، فلا تعتبره منفصلاً. لا تمنحيه اسمًا أبدًا. ولا تطعميه أبدًا دماً ليس لك؛ لأن هذا يمنحه طاقة ليست لك أيضًا».

أومأت تشارلي برأسها.

«لكن معظم الظلال المتحررة تتشكل والسحرة على فراش الموت. غالبًا ما يدفع سحرة الظلال أجزاء من أنفسهم إلى ظلالهم في تلك اللحظات الأخيرة، والتي غالبًا ما تُعبّر عن كل مخاوفهم وآلامهم. المخلوقات المخيفة تُصنّع هكذا. لكنها في الوقت نفسه مخلوقات قوية. لإنشاء ظل متحرر من دون فعل ذلك قد يتطلب الأمر سرقة الطاقة، ربما من شخص آخر على فراش الموت أو دم شخص آخر».

فكرت تشارلي في سولت وما فعله بها، والتفاف أصابعها حول السكين. «إذا كانت الظلال قوية بما فيه الكفاية، هل يمكن أن تسيطر عليك؟ هل يمكن أن تصبحي دمية لها؟».

رمقتها ريفين بنظرة متفحصة للحظات طويلة. «لم أسمع قط عن أن الظل قادر على التحكم في الشخص الذي يرتبط به، ولكن هناك طريقة واحدة فقط لتكوني آمنة تمامًا: ألا

يكون لك أي ظل على الإطلاق. لا يمكن السيطرة على مَنْ لا ظلال لهم».

لا يمكن السيطرة على مَنْ لا ظلال لهم. هل يمكن أن يكون هذا هو السبب وراء قطع فينس لظله، لتجُنب أن يصبح دمية لجده كما كان من قبل، لتجُنب أن يسيطر عليه ظله السابق ريد؟

التفتت ريفين إلى تشارلي. «أعتقد أن هذه إجابات كافية لك؛ لذا صدقيني، إذا ضايقتني أو خنتني بأي شكل، فسوف أتأكد من أن يمسك بك واحد من الهيروفانت ويهمس بتعويذة قديمة في أذنك في خضم مطاردتك لبعض الظلال المتحررة حتى يمسك أحدهم ويلتهمك بالكامل».

وعدتها تشارلي: «سأحضر لك أوراق نايت».

قالت ريفين: «أحضري كذلك المزيد من حلوى مخالب الدب معك عندما تفعلين ذلك». ثم غادرت تشارلي تحت جُنجح الظلام الذي بدا مليئًا بالظلال أكثر من ذي قبل.

بعد ظهر اليوم التالي، جلست تشارلي إلى طاولة المطبخ ومعها أقلام في كلتا يديها وورقتان من ورق دفتر الملاحظات حوافهما ممزقة. في حركات متزامنة، كتبت الكلمات نفسها مرارًا وعلى كلتا الصفحتين.

مرحبًا أيتها الدمية، هل انقسم دماغك أم ليس بعد؟

قالت بوزي وهي تنظر إليها مقطبةً: «لم أكن أعلم أنك تجيدين استخدام كلتا يديك».

فردت تشارلي: «لست متأكدة من أنني كذلك. ولكن ربما أكون بارعة بما فيه الكفاية».

أخرجت بوزي من الشلاجة علبة من مشروب سليتزر وفتحتها. ثم اتكأت على طاولة المطبخ وشاهدت تشارلي وهي تكتب: «هل تشعرين أن وعيك منقسم؟».

تهدت تشارلي وتوقفت عن الكتابة. «لا أعرف. وحتى إذا كان الأمر كذلك، فماذا يمكنني أن أفعل؟».

أشارت بوزي إلى ظلها: «حاولي تحريك أصابعك. أعني تلك الأصابع».

زوت تشارلي ما بين حاجبيها في تركيز، وركزت على محاولة الشعور بيد غير مرتبطة بها. ولكن بغض النظر عن مدى صعوبة التحديق أو محاولة تغيير اتجاه وعيها أو محاولة التفكير في مكانين في وقت واحد، لم يكن هناك تغيير ملموس.

هزت بوزي رأسها. «حسنًا، ماذا عن إطالته؟».

بدا الأمر أكثر صعوبة لتشارلي لكنها امتثلت، وحاولت أن تتخيل ظلها ينتشر من حولها كما لو كان يذوب. حاولت أن تجعله يتغير، حتى مجرد أن يصير شكله ضبابيًا قليلًا عند الحواف. مرة أخرى، لا شيء. ثم بادرت شقيقتها بالقول: «أنا أحاول»؛ كي تتجنب أي انتقاد.

قالت بوزي: «ربما يمكنك محاولة العيش في ظلك».

رفعت تشارلي يديها في إحباط: «ما الذي يُفترض أن يعنيه ذلك؟».

فهزت بوزي كتفيها فحسب.

استمرت على هذا النحو، مع بحث بوزي عن بعض التمارين عبر الإنترنت، فيما تزايد إحباط تشارلي.

في النهاية، كان لدى بوزي مكالمة مع عميل عبر تطبيق زوم، ما أدى إلى إنهاء جلستهما. كانت تشارلي مرتاحة للتوقف عن المحاولة. ثم أخرجت جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بها وحدقت إلى الشاشة.

بتنهيدة أتت بالمقال الذي يتحدث عن وفاة إدموند كارفر، ونسخت اسم الفتاة التي عُثِر على جثتها في السيارة مع جثته ووضعتة في محرك البحث.

روز الأباندي.

لم يُذكر عنها الكثير، وأطول ما كُتِب عنها كان بعد أسبوع من اختفائها:

تطلب عائلة وأصدقاء روز الأباندي من عموم الناس مشاركة أي معلومات قد تقود المحققين إلى موقعها.

فُقدت الأباندي، 23 عامًا، قبل أسبوع وبعد ما وصفه الشهود بأنه جدال محتدم مع صديق. وفقًا للمحققين، فإنها كانت تقضي وقتًا مع بعض الأشخاص الذين تعرفت إليهم مؤخرًا. عُثِر على هاتفها المحمول بجانب الطريق السريع 91، بعد مخرج بي 19 مباشرة، من دون وجود شريحة الهاتف.

تُقدّم والدة الأباندي هذا النداء: «روز فتاة لطيفة تثق في الناس بسهولة بالغة، لطالما اعتقدت أن السحر نشاط ممتع بكل أشكاله، ولم تستوعب قط كيف يمكن أن يستغلها الناس لما يمكنها فعله. أنا مرعوبة من التفكير مما يمكن أن يكون قد حدث لها. إذا رأى أي شخص ابنتي أو كانت لديه أي معلومات حول مكان وجودها، من فضلك، نطلب منك الاتصال برقم 911 والإبلاغ عن أي شيء، مهما كان بسيطًا».

من الممكن أن يكون لفينس علاقة باختفاء روز الأباندي. لقد نجح في إقناع تشارلي نفسها بأن تثق به، في نهاية المطاف. لقد ركبت شاحنته مرات عديدة، وفتاة لطيفة مثل هذه لم تكن لديها فرصة لمقاومته إن أراد إيذاءها.

ولكن لكي يتحول فينس إلى ذلك الشخص المؤذي، يجب أن يكون ما أسماه سولت، متغيّر الشكل والأحوال؛ لأن فينس الذي كانت تعرفه كان ذلك النوع من الأشخاص الذين يذهبون

إلى المتجر ويشتررون رقائق النخالة لأنهم يتمتعون بصحة جيدة، ولأن تشارلي كانت ترغب في أن تأكل طعامًا صحيًا. إنه من ضمد جروح تشارلي لأنها كانت تنزف.

ولكن إذا كان الظل ريد قد ارتكب جرائم القتل، فسيشعر فينس بالمسئولية عن ذلك. كان ريد جزءًا من فينس في نهاية المطاف.

جاءت لوسبير وأملت رأسها عند حافة الكمبيوتر المحمول. بلا تركيز، أخذت تشارلي تمرر يدها تحت ذقن القطة.

أراد ليونيل سولت من تشارلي أن تعتقد أن فينس كان يخطط لاستخدام كتاب الخراب لجعل ظله وحشًا خالداً. وفقاً لنايت سينج، لم يكن الأمر يستحق ما دفعه سولت مقابل ذلك. لكن من المؤكد أن الهيروفانت تصرّف كما لو أن للكتاب قيمة ما.

إذا كان سولت على حق، وكان فينس ينوي القيام بهذه الطقوس مع ريد، فماذا كان ينتظر؟ كان لديه الكتاب لمدة عام، وهو ليس من النوع المماطل. إنه لا يؤجل فعل ما عليه من مهام. كان الشخص الوحيد في منزلها الذي يُخرج الوبر من المجفف بصبر ودأب.

باندفاع، كتبت «أديلين سولت + إدموند كارفر» في نافذة المتصفح. تصفحت المقالات مع المزيد من الصور لهما، فينس مع وشاح حول حلقه، وأديلين تقف خلفه وكأنها تحاول أن تبدو مستفيقة وهي في الحقيقة ليست كذلك، ولطخة صغيرة من أحمر الشفاه في زاوية فمها.

ثم مقال في مدونة للقبيل والقال، مع صور جوية لبعض الأشخاص على متن يخت.

دقت تشارلي النظر. في المقدمة، كان هناك جسدان متقاربان لكن صورتها لم تكن واضحة لأنهما كانا أسفل مظلة. كان شعر المرأة الأشقر مائلاً إلى جانب واحد بينما ينحني الرجل باتجاهها، لكنها عرفته حتى من دون أن ترى وجهه. كانت تعرف كليهما. أديلين وفينس.

هل كانت الابنة الوحيدة تخدع والدها الثري؟

على الفور تذكرت تشارلي ما قالته بصراحة من أنها كانت سعيدة لأنها انفصلت عن فينس. كل تلك الصور لأديلين وإدموند معاً في جميع حفلات جمع التبرعات والسهرات في نيويورك من دون أن يوجد بجانبه أو بجانبها أي شخص آخر قط.

ثم تذكرت الصورة التي كانت في محفظته.

دخلت بوزي واتكأت على إطار الباب. كانت تحمل علبة من بطاقات التاروت البالية في يدها. «إلام تنظرين؟».

قالت تشارلي وهي تغلق حاسوبها المحمول: «إثبات على أن لعنة عائلة هول أمر حقيقي». «ماذا عن تجربة خلط ورق اللعب واختيار ثلاث أوراق بشكل عشوائي للحصول على إثبات آخر».

فرمقتها تشارلي بنظرة ذات مغزى.

قالت لها بوزي: «فكري في بطاقات التاروت بوصفها أداة نفسية. للوصول إلى اللاوعي، عليك التعامل مع الجزء من عقلك الذي يمنعك من أن تكوني ساحرة».

قالت تشارلي: «حسناً». ثم أخذت منها حزمة الباقات وخلطتها كما لو كانت على وشك لعب البوكر.

قالت لها بوزي منبهتة: «ركزي على سؤالك. من المفيد كذلك أن تغمضي عينيك. أسألي البطاقات ما الذي يحجب سحرك».

لكن ما أرادت تشارلي أن تعرف عنه هو الظل ريد.

قلبت الأوراق الثلاث الأولى من دون أن تنظر وسلمتها إلى بوزي. ربما لهذا السبب يذهب الناس إلى الوسطاء، في النهاية. لأنهم يحتاجون إلى المساعدة ولا يُعنون بكيفية حصولهم عليها. عساهم يجدون أي مرفأً آمن في خضم عواصف الحياة.

قالت أختها وهي تقطب في تركيز: «هذه كلها بطاقات أركاننا أساسية. هذا مثير للاهتمام». «ماذا يعني هذا؟».

لم تبد بوزي سعيدة. «أن شيئاً مهماً يحدث».

قالت تشارلي بتشكك: «حسنًا، وماذا أيضًا؟».

أظهرت بوزي البطاقة الأولى. «الساحر. بطاقة تحويل الروحي إلى مادي. إنها بطاقة بدايات جديدة؛ لذلك أعتقد أن هذا يتعلق بكونك من عشاق السحر».

قالت تشارلي: «لا شيء جديد في هذا». بالرغم من تأثرها قليلاً. كشفت بوزي الثانية. «بطاقة الأحمق».

قلّبت تشارلي عينيها.

«هل ترين كيف أنه على وشك السقوط من فوق هذا الجرف؟ وهو غافل عن الخطر».

«أرى بالفعل».

نظرت أخت تشارلي إلى البطاقة الأخيرة ورفعت حاجبها وابتسمت. «أوه. يبدو أن هناك أحد المحرمات التي أنتِ على وشك انتهاكها».

عبست تشارلي. «أي بطاقة هذه؟».

فأظهرتها بوزي لها. حيث رأت رجل دين برداء أحمر يجلس على عرش رافعاً يديه بينما تابعان آخران منحنيان على ركبتيهما أمامه. إنها بطاقة الهيروفانت.

في تلك الليلة، نزلت تشارلي إلى القبو وأخرجت أربطة الحرير الجوي / الهوائي التي لم تتدرب بها منذ شهور، هذا هو الحرير الذي من المفترض أن يبقيها رشيقة بما يكفي للتسلل عبر نوافذ المنازل التي كانت تقتحمها.

علقت تشارلي الأربطة على خطاف، ونفضت عنها الغبار وعنكبوت واحد على الأقل كان عالقاً بها. ثم تسلقتها وأخذت تمارس بعض التدريبات القديمة. تلك التي اعتادت أن تمارسها كل صباح قبل أن تشرع في النشل. صار جسدها أكثر تصلباً مما كان عليه من قبل، ولكن مع ارتفاع درجة حرارة عضلاتها ألفت نفسها متسقة مع إيقاعها الجديد.

على الحائط، أخذ ظلها يتبع كل وضع كانت تتخذه، بدقة.

24. أغانٍ حزينة متكررة

في صباح اليوم التالي، أحضرت تشارلي فنجانًا من القهوة إلى مرتبتها على الأرض، وأخيرًا ردت على المكالمة من حانة رابنتشر حيث أرادوا منها أن تحضر في الليلة التالية، ثم تعود إلى العمل خلال ساعات العمل العادية لبقية الأسبوع.

لم يكن لدى تشارلي أي غضاضة في ذلك، ما دام يمكنها أن تأخذ يوم السبت إجازة لأجل حفلة سولت. سواء أكان الكتاب بحوزتها أم لا، عليها الحضور.

ثم، بعد تناول رشفة ضخمة من القهوة، وبينما ينسكب الضوء الذهبي على ملاءتها البالية، اتصلت بمكتب أمين الصندوق في القسم المالي بجامعة يوماس. التقطت سماعة الهاتف امرأة متأففة وبدا أنها في مزاج سيئ.

سألته تشارلي: «هل يمكنك البحث عن فاتورتي مستحقة الدفع؟ إنها باسم بوزي هول».

قالت المرأة بعد تنهيدة طويلة: «انتظري».

أخذت تشارلي تقضم الجلد حول حافة إبهامها، محاولةً عدم توقُّع أسوأ السيناريوهات الممكنة.

ثم قالت المرأة: «يبدو أنك فوّت موعداً نهائيًا للدفع، ومَن ثم فحسابك معلق».

سقط قلب تشارلي بين قدميها: «لا، كان لدي مهلة حتى نهاية الشهر. لدي رسالة هنا في مكان ما تفيد ذلك».

قالت المرأة: «نهاية الشهر الماضي».

للحظة، كل ما كان يمكن أن تفعله تشارلي هو التحديق إلى الحائط. من الممكن أن تكون دورين قد جعلت شقيقها يفعل ذلك، لكن من الممكن أيضًا أن تكون تشارلي قد ارتكبت خطأ.

قالت تشارلي: «يمكنني الدفع يوم الاثنين».

فردت المرأة بصبر نافذ: «الاثنين، أو ستضطرين إلى إعادة التقديم للفصل الدراسي المقبل»، ثم أغلقت الخط.

تراجعت تشارلي مرة أخرى لتستلقي على سريرها، ناظرةً إلى السقف، في محاولة لإقناع نفسها بالمضي قُدماً. إذا توقفت واستراحت، فقد لا تخرج من هذا السرير لأسابيع.

اتصلت برئيس فينس، ولديها في ذهنها قصة مختلقة جاهزة. بمجرد الرد باغتها بالقول: «أخبري هذا الحقير بأنه ميت بالنسبة لي! هل سمعت ذلك؟ أخبريه بأنه لا يسعه أن ينخرط في شراب الكحول لأمد طويل فيسكر ويغيب عن الدنيا، ثم يتوقع أن يجد وظيفته في انتظاره حالما يستفيق».

عندما قاطعته تشارلي قائلةً: «إنه ليس...». كان قد أنهى المكالمة بالفعل. وحتى لو لم يكن أنهاها، فمن الواضح أنه لم تكن لديه أية فكرة عن مكان فينس.

بعدها أجرت ثلاث مكالمات. خلال اثنتين منها أُغلق الخط في وجهها. ربما فقدت لمستها الخاصة.

تنهدت تشارلي وتركت رأسها يرتد إلى وسادتها. إنها تفتقده، ولم تكن متأكدة من أنها عرفت حقيقة أي شيء يخصه على الإطلاق. قد تكون قادرة على تخمين أين سيذهب فينس الذي عرفته، لكن ريمي كارفر كان لغزًا مطلقًا بالنسبة لها.

ولكن ربما ليس الدكتور ليام كلوفين، الذي باع ثلاثة كُتُب قيِّمة لبول إيكو. من الواضح أنه كان يعرف أكثر بكثير مما أخبرها به.

نهضت تشارلي وبدأت في خلع السروال الرياضي الذي نامت فيه، وكان ظلها يتبع حركاتها. شاهدته على الحائط، وهي ترتدي ملابسها الداخلية، وتسحب صدريتها من فوق رأسها، وتربط شعرها إلى الخلف بشريط مطاطي.

ثم همست لظلها، لنفسها: «نحن ساحران».

لم يكن هناك رد.

سألته: «هل أنت جائع؟».

بينما تمد يدها باتجاه ساقها، انتصب الشعر على مؤخرة رقبتها وشعرت بوخز فوق ذراعها. ثم وضعت مسمارًا تحت الحافة الصلبة لقشرة جرح كان قد جف تقريبًا ونخسته، كما لو كانت تمزق ضمادة إسعافات أولية. نزل الدم ببطء في خط متعرجًا فوق كاحلها.

لكنه لم يسقط على الأرض، قط.

بعد الانفصال، من الطبيعي أن تستمعي إلى الأغاني الحزينة على نحو متكرر. من الطبيعي أن تقضي ساعات في التحديق إلى الصور والرسائل القديمة، أو حرقها على الشواية، أو حتى رسم قرون الشيطان على كل صورة للحبيب السابق. من الطبيعي أن تأكلي علبة كاملة من الآيس كريم على الأريكة وتشربي معها زجاجة شاردونيه كاملة. من الطبيعي أن تتحدثي عنه باستمرار مع صديقاتك، وتتصلي برقمه فقط لسماع صوته على جهاز الرد على المكالمات ثم تنهي المكالمة من دون ترك رسالة.

لكن مجرد فعل الناس هذه الأشياء في هذه المرحلة لا يعني أنها أفكار جيدة في المطلق. بل إن ذلك أشبه بالضغط على كدمة في الجسد للتحقق مما إذا كانت لا تزال مؤلمة.

إن الذهاب لإزعاج زميل أو صديق حبيبك السابق هو إلى حد كبير أحد تلك الأشياء التي يفعلها الناس عادةً، ولكن بالتأكيد لا ينبغي لهم ذلك.

استغرق الأمر بضع مكالمات أخرى، لكن تشارلي اكتشفت أن ليام كلوفين كان طبيبًا مقيمًا في مركز بايستيت الطبي. هذا جعل الوصول إليه أكثر صعوبة من بعض النواحي، وأبسط من نواحٍ أخرى. لم يكن باستطاعة تشارلي تحديد موعد ومواجهته عندما يأتي للكشف على ما لديها من أورام مفصلية، أو أي شيء آخر.

لكن من المعروف أن الأطباء المقيمين يكونون مرهقين على الدوام، والإرهاق يعني الانتباه المحدود. كان ليام يركز على مهام وظيفته طوال الوقت، ما يعني أنه لن يتبقى لديه أي قدر من الانتباه ليكتشف فحًا قبل أن يقع فيه.

ليس هذا فقط، لكن ليام كلوفين كان على وشك تحقيق مبتغاه. لقد ضحى بالكثير من ليالي اللهو الصاخبة للوصول إلى ما كان عليه، وقضى زمناً في الدراسة، وأخذ قروضًا. بوصفه طبيبًا مقيمًا، فإنه كان قريبًا جدًا من الحصول على راتب من ستة أرقام. كان لديه الكثير ليخسره.

بينما لم يكن لدى تشارلي أي شيء لتخسره عمليًا.

كانت هناك عدة طرق لترصد الأطباء الشباب، ولكن أبسطها كان التسكع في الكافتيريا في وقت الغداء. قد يكون لديهم محاضرات أو واجبات أخرى، ولكنها إذا انتظرت فسوف يجوع في النهاية.

لكن لكي تتعرف إليه، عليها أن تعرف كيف يبدو. كانت عمليات البحث الأولية التي أجرتها على الإنترنت غير مثمرة. لا توجد صور له مع أطباء مقيمين آخرين في بايستيت، على الرغم من أنها تصفحت الصور الرسمية لما يقارب الساعة. لا يبدو أنه يمتلك حتى حساب فيسبوك. أخيرًا، اكتشفت صورة له في فصل تخرج ريمي في جامعة نيويورك. ها هو، ليام

كلوفين، أحمر الشعر ويحرق لأعلى. وليس بعيداً منه، إدموند فينسنت كارفر، الذي كان ينظر مباشرةً إلى الكاميرا.

ارتدت تشارلي الملابس التي تستخدمها في أداء هذا النوع من الأدوار؛ بلوزة زرقاء شاحبة ذات عنق لتغطية وشومها، وسروالها الجينز العادي، وباروكة شعر بنية اللون يمكنها دفع شعرها تحتها، ومكياج بسيط.

بحلول الوقت الذي كانت تقود خلاله سيارتها إلى مركز بايستيت الطبي وتتوقف بعيداً قدر الإمكان في ساحة انتظار الزوار، كانت قد تقمصت الشخصية.

في الداخل، أعطت رخصة قيادتها لامرأة تشعر بالملل على المكتب، وعندما سألتها عن سبب حضورها ادعت أنها ستقابل ابن عمها في الكافيتريا. كان هذا الجزء من المستشفى مفتوحاً للجمهور؛ لذلك لم يكن لدى أي شخص أية أسئلة مفصلة.

في محل بيع الهدايا سألت عن الاتجاهات، ونظراتها تتحقق من أماكن الكاميرات بينما تمشي. كان هناك الكثير منها.

ذُكرتها كافيتريا مركز بايستيت بكافيتريا في الكلية الأهلية حيث درست دورتين في علم النفس قبل أن تترك الكلية وتأخذ بدلاً من ذلك دورة للعمل ساقيةً لمدة ستة أسابيع. كانت بها طاولات فولاذية، وكل الأسطح يمكن تنظيفها بسرعة. كانت الروائح مألوفة للغاية، أغذية مجمدة يُعاد تسخينها، أشياء في مرق مخلوط لزيادة سماكته بنشا الذرة مع وجود حساء الشودر، والبصل، وقهوة البندق.

اختارت تشارلي طاولة في الزاوية وانتظرت. بعد مرور نصف الساعة الأولى من دون أن يحدث جديد، نهضت وجلبت لنفسها لحمًا مُجهزًا مسبقًا مع شطائر من خبز الجاودار، وقهوة، وماء. بحلول الوقت الذي عادت فيه تشارلي، كان شخص ما قد أخذ طاولتها.

جلست بعد قليل إلى طاولة أخرى، ثم أخذت تمضغ الطعام وتفحص هاتفها. كان لديها رسالة غاضبة - وربما مفعمة برائحة الكحول - من آدم على هاتفها الأساسي:

أيتها العاهرة، كان يجب أن تتركينا وشأننا. أنت تعتقدين أن دوري ستهجرني بسبب ما قلت له. إنها غاضبة منك مثلي تمامًا وأصبحت أكثر غضبًا الآن بعد أن أخبرتها بالطريقة التي خدعتني بها وسرقت ما كان ملكي. لقد أخبرتني بكل شيء / أيتها العاهرة آمل أن تموتي.

وضعت هاتفها المحمول على الطاولة، وشعرت كما لو أنه قد لدغها أو عضها. كان عليها أن تستنتج مبكرًا أن الوضع سييسوء بمجرد أن تسرق الكتاب. اللعنة، لقد أخبرتها سوزي لامبتون أنه سيُلحق بها الأضرار قبل ذلك بكثير.

خطرت ببال تشارلي عبارة آمل أن يموت أيضًا وحذفت الرسالة.

كانت تحاول أن تحسب إلى أي مدى أخطأت، عندما دخل ليام كلوفين الكافيتيريا. كان شاحبًا ونحيلًا وله لحية ضاربة إلى الحمرة؛ لأنه كان زميلًا لإدموند، كانت تعلم أنه يجب أن يكون قريبًا من عمرها، لكن زي الأطباء واللحية جعلته يبدو أكبر سنًا.

هذا لأنه فعل شيئًا ذا قيمة في حياته. ليس مثلها. تشارلي هول التي تقضي نصف وقتها في محاولة تجنّب المتاعب، والنصف الآخر في التورط بها.

انتظرت حتى حصل على طعامه ووجد طاولة.

ثم قالت وهي تجلس بجانبه: «مرحبًا، هل تمانع إذا جلست هنا؟».

يعتقد بعض الرجال أن المحتلات من النساء يسهل عليهن ممارسة الخداع والتحايل. كل ما عليهن فعله هو التعري والتدلل والإغواء ولا شيء آخر.

بادئ ذي بدء، هذا ليس صحيحًا على الإطلاق.

وثانيًا، إذا قررت امرأة أن ارتداء قميص أو بلوزة مفتوحة أمر ضروري، فهذا لأن لديها ما يبرر ذلك جسديًا أو نفسيًا. وإذا ما قدمت للرجل فرصة عمل فإنه سيرتاب، ليس لأن في الأمر احتيالًا مؤكدًا ولكن لأنها لن تعرف طبيعة ما تتحدث عنه. إنه عمل حساس، أن تتصرف بذكاء بما يكفي لأن يأخذها على محمل الجد وفي الوقت نفسه تجعله يشعر بأنه قادر على خداعها.

وإذا أراد الرجل أن يخدعها فعلاً، فسيغدو هذا عملاً أكثر حساسية وتعقيدًا.

ولكن في حين أن العيوب التي تعانيها المرأة المحتملة متعددة، فإن هناك مزايا. على سبيل المثال، تبدو النساء أقل تهديدًا. فلو أن رجلاً هو الذي جلس مقابل ليام، كان سيتصرف بشكل مختلف. قد لا يرغب ليام في وجود تشارلي من حيث المبدأ، لكنه لا يبدو قلقًا من كونها تمثل خطرًا ما عليه.

قال منزعجًا: «لا، أعني نعم، لديّ مانع. أنا حقًا لا أريد أي رفقا...»

فمدت يدها وأمسكت بيده فأبعدها عنه، الأمر الذي بدا منطقيًا. من الذي يريد شخصًا غريبًا عنه تمامًا أن يمسك بأي جزء من جسده؟ فاضت عينا تشارلي بالدموع. وضغطت بأصابعها على فمها في رعب. «لكن هذه هي الحقيقة!» ثم بكت، انتحبت بصوت عالٍ بما يكفي ليسمعهما الناس، بمن فيهم الممرضات والأطباء.

وقف ليام. لا شك أنه أراد الابتعاد عنها بأسرع ما يمكن. رد فعل معقول تمامًا. لكن المشكلة مع ردود الفعل المعقولة أن من السهل التنبؤ بها. ثم أمسكت بمعصمه، وتحدثت هذه المرة بصوت منخفض بما فيه الكفاية بحيث لا يسمعها إلا هو. «اجلس يا ليام كلوفين، أو سأحدث جلبة بحيث سيصدق كل شخص في هذه الغرفة أنك كنت تعالج والذي المحتضر، شممث رائحة الكحول في أنفاسك. سأكون صاخبة، وسأكون مقنعة. أو يمكنك إخباري بما أريد أن أعرفه، وسأتصرف معك بصفتي طبيبًا متعاطفًا يخلص مرضاه من آلامهم ومآسيهم. يمكنك حتى اختيار نوع المأساة، إذا أردت.»

كانت هذه هي الميزة الأخرى التي تتمتع بها النساء المحتلات، الجانب الآخر لعدم أخذهن على محمل الجد. بالنسبة للجمهور، يبدو دائمًا وكأنهن ضحايا.

«مَن أنتِ؟». كان من الواضح أنه كان غاضبًا، لكنه جلس على الكرسي المقابل لها. «ماذا تريدان؟».

قالت: «لن يستغرق هذا وقتًا طويلًا. لدي فقط بعض الأسئلة حول إدموند كارفر».

زاد عبوسه: «أنتِ مَن كنتِ على باب منزلي في ذلك اليوم».

ربما كان لديها بضع دقائق فقط قبل أن يتمكن من التخلص منها. سألته «أين هو؟».

قال: «ميت».

قالت له: «حاول مرة أخرى».

وقف مجددًا: «لست مضطرًا لإخبارك بأي شيء».

فهددته: «ربما أتهمك بأنني حامل منك».

زمجر: «هذا ليس مسلسلًا تلفزيونيًا فاشلاً».

قالت له وحاجباها مرفوعان: «ليس بعد».

حدجها بنظرة نارية لكنه جلس وأسد رأسه إلى يده. ثم أمسك بشطيرته وبدأ في إخراجها من كيسها البلاستيكي. «اسمعي، لقد دفع لي للسماح له بالاحتفاظ ببعض الأشياء في شقتي، واستخدام عنواني للبريد الذي لم يكن يريد أن يعرفه جده. هذا كل شيء».

«بم احتفظ هناك؟». سألته تشارلي وهي تتدبر فكرة عما إذا كان الحصول على المعلومات المطلوبة يمكن أن يكون بهذه السهولة.

«كانت لديه خزانة بقفل. لم يكن من شأني معرفة ما يضعه بها».

فألحت تشارلي: «لكنك تعرف». على أمل أنها إذا بدت متأكدة، فسيصدق أنها متأكدة من أنه يعرف شيئًا ما.

«أعرف بعض الأشياء». نظر ليام عبر الكافتيريا، كما لو كان يأمل في العثور على شخص يمكن أن ينقذه. «هاتف احتياطي. كُتِب من مجموعة والده. ملابس. رخصة قيادته. عملات معدنية قديمة، إذا كنت ستصدقين ذلك. كان يخطط للمغادرة، وأنا أعلم ذلك».

«وبالنسبة لك... ماذا؟ هل فتشت في الخزانة وبعثت كتبه لبول إيكو؟».

«لقد طلب مني بيعها!». قال ليام ذلك بصوت عالٍ قليلًا.

ابتسمت لتخبره بأنه يكذب؛ لأن بيع تلك الكتب حدث بعد وفاة ريمي المفترضة. «ومتى كان ذلك؟».

تنهد ليام. «حسنًا، رأيتَه في تلك الليلة، حسنًا؟ لقد بدا مجنونًا تمامًا. كان عاريًا تقريبًا، ويرتدي زيًا نسائيًا وقد أخبرني بأنه أخرجَه من مغسلة ملابس، كما كان حافي القدمين. لم يكن على طبيعته. قال إنه بحاجة إليّ لبيع بعض الكتب لحسابه. أنا فعلت هذا. لم أكن أعرف شيئًا عن الفتاة. لم أكن أعرف شيئًا عن باقي التفاصيل».

قالت تشارلي: «وبعد ذلك ساعدته في تزوير موته. لقد أخرجت جثة من المستشفى، أليس كذلك؟».

«لا!». وقف ليام نصف وقفة قبل أن يدرك أن عددًا من الناس التفتوا لينظروا إليه. ثم عاد إلى الجلوس وهو أكثر غضبًا. «لا، بالطبع لا. ليس لي دخل بأيّ من ذلك».

«ماذا قال بخصوص ما حدث له؟».

هز كتفيه. «لم يقل. ما يقلقني هو أنه جاء بعد عملية قتل شخص وتخلص من ملابسه لأنها كانت مغطاة بالدماء. لكنني في ذلك الوقت اعتقدت أن جده طرده بعد أن اكتشف أن ريمي لديه تذكرة طائرة محجوزة إلى أتلانتا».

هناك شيء ما دفع فينس ليبعد عن هذا المنزل، بعد سنوات من مسابقة أي عمل وحشي كان جده يرتكبه. بمفرده، كان سيفلس، بعد أكثر من عقد من العيش كأجير. لقد كان فقيرًا بما يكفي لدرجة أنه لم يكن لديه أي أوهام حول ما سيكون عليه الأمر، أو مدى سرعة إنفاق مبلغ المال الذي سرقه. «ماذا كان يجري في ولاية جورجيا؟».

أومأ ليام برأسه، وفرك وجهه. «أمه. كان يحاول إخفاء رسائلها عن جده. لقد ماتت من تعاطي جرعة زائدة من المخدرات في الليلة التي سبقت ظهوره في الشقة. يجب أن يكون هذا الخبر قد أفقده توازنه».

«هل بدا كأنه من النوع الذي يمكن أن يقتل شخصًا ما؟». كانت تشارلي تعي أن الطريقة التي تسأل بها كانت خطأ، وأنها كانت تمنحه غطاءً لينكر الأمر. لقد أرادت منه أن ينكر ذلك.

تفكر ليام في السؤال. «كان لدى ريمي حس دعابة سيئ، لكنني سمعت كلامًا أسوأ من ذلك يقوله الناس على سبيل الدعابة. أنا طبيب. الدعابات المتعلقة بالموت شيء نسمعه دومًا». ابتسمت له لتشجيعه.

فتابع: «يمكن لأي شخص أن يفعل أي شيء في ظل الظروف المناسبة. واسمعي، أحد الأطباء الذين يعملون هنا معروف بأنه يتساهل في منح الوصفات الطبية. رأيت أديلين، خالة ريمي، تشتري منه بعض الكيتامين. هؤلاء الأغنياء يحبون العقاقير المخدرة الموصوفة من قبل طبيب. إنها أغلى ثمنًا من مخدرات الشوارع ولكنها تأتي في تركيبات أكثر أمانًا، كما أن المرء في هذه الحالة يتعامل مع أشخاص من غير المرجح أن يخدعوك. من يدري ما كان ريمي يفعله عندما لم يكن معي؟».

«الكيتامين؟». كان أصدقاء تشارلي أكثر ميلًا لتعاطي الماريجوانا والأوكسيكودون.

قال ليام: «إنه يفصلك عن العالم. الجرعات المنخفضة منه تمنحك شعورًا بالنشوة. أما حين تعاطي الجرعات العالية، فإنه يُدخِل الناس في حالة لا تختلف عن الغيبوبة، لكنهم يكونون واعين جزئيًا. وفي بعض الأحيان لا يستطيعون الكلام، ويمكن أن يصابوا بالهلوسات وفقدان الذاكرة».

تساءلت تشارلي عما كان يُوضَع فيما تشربه، كل ذلك الوقت.

قال ليام وهو يتحرك للوقوف: «هذا يكفي بالنسبة لي. أنا لا أعرف مكانه، ولا أعرف مكان الكتاب أيضًا. اتفقنا؟».

رددت تشارلي في دهشة من أنه ذكره: «الكتاب؟!».

نخر ليام وهو يقول: «هل تعتقدين أنك أول شخص يأتي للبحث عنه؟ بعد شهرين من ظهور ريمي نصف عارٍ، جاءني هذا الشاب الذي يتحدث بصوت خفيض أشبه بالغمغمة. لم يكن يُخرِج يديه من جيوبه قَطٍ وقد هددني. كانت هناك زيارات أخرى من آخرين منذ ذلك الحين أيضًا. إذا كنت أعرف مكان ريمي، فسأخبر الشرطة، وليس أيًا منكم».

أخرجت تشارلي هاتفها ونقرت على صورة لها مع فينس. كانا يشاهدان فيلم *Bride of Frankenstein* في سينما في ماساتشوستس يوم الجمعة. لم تكن الصورة واضحة، ولم تكن ملامح فينس جلية، لكن من الواضح أنه كان هو. «كنت صديقته. هل ترى؟».

بدا ليام مرتاحًا بشكل واضح لهذا التأكيد، لكنه قال: «ما زلت لا أعرف أي شيء. لقد رحل ريمي».

«لقد أرسل لي شيئًا بالبريد». مدت تشارلي يدها في جيبها وأخرجت مفتاحًا صغيرًا. كان في الواقع مفتاحًا لصندوق موسيقى أعطته والدتهما لبوزي، لكنه كان صغيرًا وفضيًّا

ويصلح مفتاحًا لأي شيء. «وقال إنه إذا حدث أي شيء له، فسأعرف أين سأبحث. لكن ليس لديّ أية فكرة من أين أبدأ. لقد أصر على أنه شيء مهم، وأنه يحتوي على شيء مهم. كنت آمل أن يُثبِت هذا الشيء أنه بريء. إذا لم تتمكن من مساعدتي في العثور على ريمي، فيمكنك مساعدتي في العثور على هذا الشيء.»

لم تكن هذه أسوأ قصة ملفقة اختلقها تشارلي.

لذلك قطب ليام، متفكرًا: «بالعودة إلى أيام الكلية، كان جد ريمي يأخذه لأسابيع في كل مرة، لمجرد الانخراط في أي نزوة تعن له. وعندما يعود ريمي، يكون في حالة سيئة جدًا.»

سألت تشارلي: «أي حالة؟».

أجاب ليام: «يكون غاضبًا جدًا ولكن لأنه لم يكن يعرف متى سيحدث ذلك في كل مرة، فقد كان يخفي بعض الأشياء ولم يكن يتحدث عن كل شيء، حتى في ذلك الوقت. كان يتحدث دومًا عن وجود أماكن لن يراها الأثرياء أبدًا، حتى لو كانوا يحدقون إليها مباشرةً. إذا كان قد أخفى شيئًا ما حقًا، فسيخفيه في مكان من هذا النوع.»

تساءلت تشارلي عما إذا كان ليام، عندما يغدو جرحًا وغنيًا، سيعجز عن رؤية تلك الأماكن أيضًا، كما تساءلت إذا كان هذا هو الحلم المبتغى.

مدت تشارلي يدها عبر الطاولة لتضع يدها على ذراعه، في محاولة لإشعاره بإخلاصها: «شكرًا لتحدثك معي، على الرغم من أنني ضغطت عليك للقيام بذلك. لطالما قال ريمي عنك إنك شاب صالح.»

ابتسم لها ليام ابتسامة حزينة قائلاً: «أعتقد أنه كان شابًا صالحًا أيضًا.»

في ساحة انتظار السيارات، غرقت شمس الغروب الحمراء خلف المباني. ثم تطلعت تشارلي إلى الساعة على هاتفها. لديها ليلة أخرى قبل أن تعود إلى حانة رابتشر، وقد تبقت أربعة

أيام قبل أن يطالب سولت بكتابه. وصف ليام للشخص الذي كان يبحث عن فينس كان مطابقاً للهيروفانت. كانت تعلم أنه يريد الكتاب ويبدو أنه كان يريده منذ فترة. لكن ما لم تستطع تبينه بعد هو، وبغض النظر عن كل الأكاذيب التي كانت تتناثر هنا وهناك، لماذا يريد كل هؤلاء الأشخاص الكتاب فعلاً؟ قطع وقع خطوات تقترب منها حبل أفكارها. كان هناك رجل خلفها، وسرعان ما تعالَى وقع قدميه كلما اقترب أكثر فأكثر.

25. قط وفضدع وخراب سود.

هناك لحظة صراع وترقب تحين عندما يخرق الناس فيها قواعد العقد الاجتماعي الذي يعيشون وفقاً له. لحظة يبحث فيها العقل المتحضر عن سبب ما يفسر أن الشخص الذي يركض نحوك لا يفعل ذلك بالضرورة ليؤذيك. لحسن الحظ، لم يكن عقل تشارلي متحضرًا إلى هذا الحد. ومن ثم فقد أسرع باتجاه سيارتها، فطاردها الرجل، وحذاؤه يُصدر صوتًا مكتومًا ناتجًا عن اصطدامه بالأسفلة.

ركضت تشارلي بأقصى سرعتها. إن عملها وهي واقفة على قدميها لمدة ثماني ساعات خلال معظم الليالي كان يعني أن عضلات ساقها قوية بما يكفي.

لكن المطارِد كان بالفعل قريبًا جدًا منها وكان يركض بسرعة كبيرة. ثم أمسك بذراعيها وأدارها ناحيته. اصطدم جسد تشارلي بسيارتها ونظرت إلى وجهه.

«آدم؟». كانت عيناه محتقنتين بالدماء وأنفاسه يمكن أن تقشر الطلاء من فرط سرعتها وتلاحقها، لكنه هو من دون شك.

أمسك آدم باروكة شعرها وشدها بقوة. تمزقت باروكة الشعر ومعها الدبابيس ثم خاطبها بمقت: «تشارلي هول. أنتِ عاهرة بائسة ومتوحشة. هل اعتقدتِ أنك ستخدعيني، ثم تسرقيني؟».

«نعم، شيء من هذا القبيل». أقرت تشارلي وعيناها تواجهان عينيهِ. لا جدوى من إنكار ذلك.

ضربها بقوة على خدها، فاصطدمت مؤخرة رأسها بنافذة سيارتها. كانت ستسقط لولا أن أصابعها أمسكت بمقبض الباب وكانت قادرة على التمسك به والبقاء واقفة.

فلكمها في بطنها.

تكورت حول نفسها من الألم مثل حشرة الأرماديل.

قد تتحدث تشارلي بقسوة، لكنها لم تخض معركة حقيقية قط. حتى مع أختها، فإنهما كانتا تلجآن في الغالب إلى شد الشعر وإحداث بعض الخدوش الخفيفة بكلّ منهما.

فكّري يا تشارلي، هكذا حدّثت نفسها، لكن الصدمة والألم شتتا أفكارها.

ثم صاح بها آدم: «أين الكتاب؟ أعطني إياه».

تماسكت وقالت: «لقد تلاشى».

قال لها: «سأحطم وجهك. وجهك القبيح اللعين. لقد سئمت سماع أي شيء يخصك. يعتقد الجميع أنك كنت بارعة، لكني أبرع منك. هل سمعت ذلك؟ لطالما كنت الأفضل».

بصقت عليه، فتناثر اللعاب على خده. جفل آدم في دهشة وأغمض عينيه، ما منحها لحظة لتنزلق من بين ذراعيه.

أسرعت تشارلي لتنتقل إلى الجانب الآخر من سيارتها، وفتحت الباب لكنه أمسكها من حلقها.

وبعد ذلك شعرت كما لو أنها في مكانين، كما لو كان للعالم أكثر من ثلاثة أبعاد. لقد انقسم وعيها. كانت هي الشخص الذي يصرخ ويحاول أن يخمش يد آدم، وكانت في الوقت نفسه شيئًا آخر يصطدم بآدم من جانبه.

إنه ظلها!! شعرت بشيء كالجذب في مكان ما في وسطها. ثم رأتها، كيان مظلم، كما لو أن شخصًا ما شق حفرة في ظلام الكون. إنها هي وليست هي. مرآة لا تعكس إلا الظلام.

تعثرت تشارلي، ولكنها جلست على المقعد قبل أن يمسك بها مرة أخرى.

سيطرت على جسدها غريزة البقاء. أصبح جسدها جامحًا، يركل ويصرخ. اصطدمت إحدى الركلات بذراعه، وأخرى بمفاصل أصابعه. عوى من فرط الألم وتركها فأغلقت تشارلي الباب وضغطت على زر القفل الداخلي.

كان صوت الطرق على جميع الأبواب الأربعة يصم الآذان.

سحب آدم مقبض الباب بشدة وتخيلت تشارلي للحظة مرعبة أنه سيفتحه.

ثم هوى بقبضتيه على النافذة الزجاجية.

لقد جلست وأصابعها تقبض على عجلة القيادة. كان يصرخ فيها، لكن عقلها صار نائيًا عما يحدث وخدرًا بسبب الصدمة. على الرغم من أنها كانت تعرف أن آدم كان في حالة يرثى لها وأنها سرقته، فإنها قللت من تقدير خطره عليها. بعد امتناعها عن ممارسة أي نشاط احتيالي لمدة عام، كانت بحال مضطربة وتفتقر إلى لياقتها الذهنية والبدنية المطلوبة.

على الرغم من أنها كانت في حال خدر عابرة، فإن شيئًا جديدًا كان ينشأ بين تشارلي وظلها، إحساس جديد يتولد؛ اتصال شبه سري، طرف جسدي وهمي.

بأيدي مرتعشة أخرجت تشارلي مفتاح التشغيل من حقيبتها. لحسن الحظ، دار موتور السيارة. دق آدم على غطاء المحرك، فأعطته تشارلي تحذيرًا مؤقتًا تمثّل في تسريع المحرك، قبل أن تضغط دواسة البنزين. فعاد إلى الوراء في الوقت المناسب لتجنّب التعرض لأن تصدمه. باندفاع أخرجت تشارلي نفسها من ساحة انتظار السيارات.

عند أول إشارة حمراء بدا كل شيء ضبابيًا بعض الشيء أمام عينيها، كما لو كانت ترى عبر عدستين مدهونتين بفازلين ثم أدركت أن عينيها بدأتا تنتفخان.

أيضًا، فكّرت تشارلي في أنها تعاني نوبة هلع طفيفة.

توقفت عند محطة وقود على بعد حوالي كيلومترين تقريبًا وفحصت وجهها في المرآة. كانت عينها اليسرى متورمة ولونها أرجواني. جرح فمها، وشفتها العليا كانت منتفخة كما لو أن خبير تجميل قد حقنها بإبرة حشو تجميلية.

كانت تشارلي في حالة فوضوية. كان هناك عدد كافٍ من الأشخاص الذين يرغبون في أن يؤذوها لدرجة أنهم إذا أرادوا جميعًا نيل مبتغاهم فسيضطرون إلى الوقوف في صف طويل، كما هي الحال في مطاعم الوجبات السريعة.

وما الذي حدث قبل قليل مع ظلها؟ تذكرت كلمات فينس عن التغذية. تذكرت أن ظلها أوقف حديثًا، من دون أن يكون لديها أي مخزون من الطاقة.

كان عليها إطعامه.

لم تستطع تشارلي تذكر المكان الذي رأت فيه لأول مرة صورة ساحرة تطعم ظلها من حلمة ثالثة. تذكرت نقشًا خشبيًا، أو رسمًا توضيحيًا من المفترض أنه يُعبّر عن هذه الحالة. لا بد أن ذلك كان في خضم البحث الذي أجرته وقتما كانت تلعب شخصية ألونسو.

عندما كانت طفلة، لم تكن تشارلي تعتقد أن الحلقات الثلاث يمكن أن تكون حقيقية حتى نظرت إلى إحداها. ثم اتضح أنه يمكن أن تظهر في أي مكان على الجسم. تخيلت للحظة وجود حلمة على الجزء الخلفي من ربلة الساق، أو على مفصل الإصبع.

جعلها ذلك تفكر في تصريح أدلى به أحد مرتادي الحانة الكارهين للنساء بجدية كبيرة: الشراب المعتقد مثل الشدين للمرأة؛ امتلاك واحد فقط لا يكفي، وامتلاك ثلاثة يفيض على الحاجة.

هراء بالطبع. اسأل أي امرأة خضعت لعملية جراحية لإزالة ورم، أو أيًا من محبي الخيال العلمي، أو حتى أي شخص يحب الشراب المعتقد.

فلتسأل ظلها، الذي كان ملتفًا حولها، وهو يمتص الدم بقوة من بشرتها مثل أي ظل. القط الأسود، والصفدع الأسود، والغراب الأسود، كلها أرواح مرسله من الشيطان لتفسد العالم. كان جرح واحد كافيًا للظل، على الرغم من صعوبة استخلاص بضع قطرات من الدم عندما تكون قشورك ضحلة وتلتئم. «أنت بخير»، هكذا حاولت أن تُهدئي من روع ظلها كما لو كانت تتحدث لطفل بعد سقوطه أرضًا. «أنت بخير الآن، أليس كذلك؟». من الصعب جدًا عدم التفكير فيه على أنه شيء مستقل. من الصعب جدًا عدم التعامل معه على أنه كائن حي. من الصعب ألا تحبه، أو لا تشعر بالمسئولية عن ذلك.

استقر الظل في مكانه وقد بدا كعباءة على ظهرها، أو سجادة عند قدميها، أو وشاح على رأسها. سحر حقيقي. سحرها.

لم يكن من الرائع قط أن تتعرض للكم في وجهها، لكن تشارلي وجدت نفسها تبتسم عبر شفرتها المشقوقة. حتى أدركت أن آدم لكي يتبعها من المستشفى، لا بد أنه تتبعها أولاً إلى المستشفى، ما يعني أنه يعرف أين تعيش. ولأنه كان غاضبًا جدًا فقد يقود سيارته إلى هناك مباشرةً.

التقطت تشارلي هاتفها المحمول وألصقته بخدها، ما ألمها، واتصلت ببوزي.

رن الهاتف، وواصل الرنين.

تمت تشارلي: «أعلم أنك لست نائمة».

بدأ البريد الصوتي لبوزي في الرد. لا بد أنها في اجتماع مع عميل عبر تطبيق زوم. جربت تشارلي مرة أخرى، وتركته يرن، ثم أغلقت المكالمة واتصلت مرة أخرى مباشرةً.

أخيرًا، ردت بوزي وقالت: «تشارلي، أنا...»

«عليك الخروج من المنزل الآن».

«لماذا يبدو صوتك غريبًا؟».

لم يكن لدى تشارلي الوقت الكافي لشرح ما يخص شفتها المتورمة. «بجدية. الآن. اذهبي إلى المقهى أو الصيدلية. لا يهم أين. ما عليك سوى التقاط الكمبيوتر المحمول ومحفظتك، واخرجي من الباب الخلفي، واقفزي فوق السياج المنخفض إلى ساحة الجار التي بها الترامبولين.

«ما الذي...؟»

قاطعتها تشارلي: «سأبقى على الخط في أثناء قيامك بذلك».

احتجت بوزي قائلة: «أنا في منتصف قراءة لبطاقات التاروت مع عميل».

قالت تشارلي: «يجب أن تتحركي الآن».

«ثوانٍ». كان بإمكان تشارلي سماعها تتحدث إلى شخص ما وتعتذر له، على الرغم من أنها لم تستطع تمييز الكلمات. لعلها كانت تشرح لعميلها أنه يتعين عليها الذهاب.

عادت بعد لحظة لتقول: «أنت تعرفين أنني لا أستطيع القيادة».

قالت تشارلي: «سأكون معك طوال الطريق». وحافظت على صوتها هادئًا ومنخفضًا مثل صوت الراديو أو صوت مفاوض رهائن محترف. «أعدك، أنا قادمة لاصطحابك».

كان هناك صمت طويل على الطرف الآخر من الهاتف.

«من فضلك، يا بوزي». لم يكن هناك الكثير من الوقت الذي يسمح لأختها الصغرى بتدبر الأمر، فحثت إياها «عجّلي».

«حسنًا، الفناء الخلفي؟».

«نعم، كي لا تكوني مرئية من الشارع». كانت تشارلي تريد الدخول إلى الطريق السريع والمسارعة نحو المنزل، محاولةً أن تسبق آدم، لكنها كانت تعلم أنه من الأفضل لها التركيز على إخراج أختها من المنزل. «فقط بسرعة».

بينما كانت بوزي تتحرك عبر المنزل، وتلتقط بعض الأشياء التي قالت إنها بحاجة إليها وتضع لوسبير في حقيبة للقطط، غرست تشارلي أظافرها أسفل إبهامها. أرادت أن تصرخ في بوزي للتحرك أسرع. أرادت أن تفعل أي شيء سوى الجلوس هناك في ساحة انتظار السيارات، متألّمة وعاجزة.

بعد سماع أصوات خشخشة ولهات قالت بوزي: «حسنًا، أنا بالخارج مع القطة. أنا متجهة نحو الخلف».

قال تشارلي: «تجاوزي السياج، لقد أوشكتِ على الخروج».

«عليك أن تشرحي لي».

«سأفعل ذلك، أعدك وأنا آسفة»

«ماذا لو أن الجيران...»

«فقط استمري، لا تنظري إلى الخلف، انطلقي».

قالت بوزي وقد تجلى في صوتها مدى هشاشتها: «حسنًا، لقد تجاوزت السياج. أنت تعلمين أنني أكره المشي في ممتلكات شخص آخر. ماذا لو خرج إلياس وصرخ في وجهي لأنني أعبر فناء منزله؟».

«أنت تقومين بما عليكِ بصورة رائعة، كل ما عليك فعله هو الاستمرار. تجنبي الطرق الرئيسية واقطعي الطريق إلى... حاولت تشارلي أن تفكر. كان هناك الكثير من الشوارع

التي تتقاطع هناك، وسيكون من السهل اختيار الشارع غير المناسب. لم تكن تعتقد أن آدم يعرف هيئة بوزي، ولكن من الصعب عدم ملاحظة شابة تحمل قطة.

هناك مكتبة ويليستون في أحد الاتجاهات وهي ملحقة بمدرسة ثانوية خاصة للأطفال الأغنياء الذين لديهم امتيازات مثل ركوب الخيول. قد تكون بوزي قادرة على الدخول إليها ولكن سيكون عليها تقديم قصة مقنعة. في الاتجاه الآخر، كان هناك محل دانكن وهو مكان لتناول الغداء وكان مغلقًا بالفعل، وإستوديو لرسم الوشوم يُسمَّى نيدل إنك، ومتجر يونيون باكيديج لبيع المشروبات الروحية، ومطعم جلوري أوف إنديا، والذي غالبًا ما يقدم وجبات جاهزة.

«اخرجني إلى شارع كلارك، ولفعل ذلك اعبري موقف السيارات في شارع المدرسة. اذهبي إلى متجر يونيون باكيديج وتفرجي على المشروبات المعروضة حتى أصل إلى هناك».

سألته بوزي: «ماذا لو أنهم لا يسمحون بوجود الحيوانات الأليفة؟».

«حينها سنلجأ إلى مكان آخر. هناك صيدلية والجريز وهي ليست بعيدة».

انتظرت تشارلي وهي تستمع إلى صوت أنفاس بوزي، حتى سمعت صوت صرير فتح الباب وتيقنت من أنها دخلت.

سألته بوزي بصوت خافت: «هل ستأتين على الفور؟».

«على الفور». ردت تشارلي بنبرة مؤكدة وأغلقت الخط.

الخطر الذي يداهمهما الآن هو السبب في أنها ابتعدت عن سحرة الظلال، وعن المحتالين، وعن عالم السرقة. كيف لم تتعلم تشارلي بعد مغزى درس التلاعب بالسكاكين؟ حتى عندما تبقىها جميعًا في الهواء، فإن شفراتها تجرح يديك في كل الأحوال.

ألقت نظرة خاطفة على ظلها مرة أخرى، محاولةً تحويل تفكيرها باتجاهه. فاهتز استجابةً لذلك.

قالت: «حسنًا». وخرجت من محطة الوقود.

انطلقت سيارتها بسرعة على الطريق السريع، وبالكاد كان صوت قعقعة المحرك ملحوظًا. كل ما فعله فينس من إصلاح للسيارة كان أثره باقيًا حتى الآن وصامدًا رغم أنها ضغطت على دواسة البنزين بشدة، وتجاوزت بسرعة شاحنات التوصيل وسيارات الآخرين. زادت عينها المنتفخة من صعوبة تبديل الممرات إلى اليسار، وطفى الصداع على أفكارها والتي كانت في الغالب عبارة عن سلسلة من التصورات للأشياء الأخرى التي يمكن أن تحدث على غير ما تحب، ماذا لو قرر آدم أنه يحتاج إلى دفقة من الشجاعة قبل اقتحام منزلي والذهاب إلى متجر الكحول القريب، ماذا لو كان يتتبع سيارتي الآن، ماذا لو كان لديه شريك في تتبعي، ماذا لو تبولت لوسبير في حقيبة القطط وطُردت بوزي في اللحظة التي...

توقفت تشارلي بجوار الرصيف وقاومت رغبة جامحة في القفز خارج السيارة. لكنها تركت المحرك دائرًا، واتصلت بوزي.

ردت أختها عند الرنة الثانية.

قالت تشارلي: «أنا في الخارج». كانت تشعر بأنها تعاني ضيقًا في التنفس على الرغم من أنها لم تفعل شيئًا أكثر من القيادة. لعل أحد أضلعها قد كُسر.

بعد بضع دقائق، ظهرت بوزي بزجاجة ملفوفة في كيس ورقي، وحقيبة ظهر منفوخة على كتفها، وصندوق القطة يتأرجح من يدها. ثم صعدت إلى الخلف بينما أطلقت لوسبير مواء مستاء حيث ألقيت حقيبتها بلا اكترات على المقعد. «أحضرت معي حاسوبينا المحمولين وبعض الشراب لأمي».

رددت تشارلي بدهشة: «أمي».

لكن بوزي لم تكن مهتمة ببيان هذا الأمر، إذ إنها فغرت فمها حينما رأت وجه تشارلي في مرآة الرؤية الخلفية. «ماذا حدث لوجهك؟ ومَن تخافين أن يأتي إلى منزلنا؟ هل هو فينس؟ هل هددك؟».

«فينس؟». أعطت تشارلي أختها نظرة غاضبة ومستنكرة.

فقطبت بوزي: «إذن، هل كان ذلك الساحر من حانة رابتشر».

هزت تشارلي رأسها نفيًا وهي تتحرك إلى خارج هذا الشارع. كانت بحاجة إلى الابتعاد عن أي مكان قريب من منزلها. «هذا الرجل مات».

«ماذا؟». اتسعت عينا بوزي ثم أضافت: «ماذا تقصدين بأنه مات؟».

فنبهتها تشارلي: «تحققي ممن يسير وراءنا، وارصدي إن كان هناك أحد يتبعنا».

أنزلت بوزي حقيبتها عن كتفيها واستدارت وهي راکعة فوق المقعد. بدت شاحبة ومتعرقة قليلاً. «ما الذي يُفترض بي أن أقول أو أفعل؟».

«عليك فقط أن تتابعي ليس فقط السيارات التي خلفنا، ولكن السيارات الأبعد من ذلك. لا أعرف. لقد رأيت مثل هذه الأشياء تحدث في الأفلام فقط». ثم انحرفت تشارلي بالسيارة: «لا سيارة عابرة تسير في طريقك نفسه بالضبط في المعتاد، لا سيما المسار الذي سأسلكه، ثم سنعود أدراجنا مرة أخرى إلى الطريق نفسه. ومن ثم إذا ظلت سيارة معينة تتبعنا لفترة طويلة، علينا أن نشعر بالقلق».

قالت بوزي وهي تحديق: «حسنًا».

«هل أنت بخير؟». سألتها تشارلي، ونظرتها مركزة على الطريق.

فأجابت بوزي: «بالطبع أنا بخير. أنت الشخص الذي يتورم وجهه مثل البالون. الآن عليك أن تشرحي لي ماذا حدث؟».

فقالت تشارلي: «دورين لديها هذا الحبيب الذي يتركها ليعود إليها في كل مرة، واسمه آدم».

قالت بوزي: «الرجل الذي كنت ترأسينه».

أومأت تشارلي، متذكّرة أن أختها أمسكت بهاتفها يوم الأربعاء، عندما بدا لها في ذلك الوقت أنها لن تفسد حياتها مجددًا بالتورط في المتاعب القديمة.

«إذن هل ضربتك دورين لأنك كنتِ تعبتين مع صديقها من ورائها؟».

«لا بالطبع، هل تمازحينني؟ كان آدم غاضبًا لأنني أزعجته وسرقت شيئًا منه». بهذه الصياغة بدا أن ما فعلته تشارلي كان سيئًا جدًّا لكنها أكملت: «لقد استحق ذلك. وهذا الشيء الذي سرقتَه، لقد سرقه هو أولاً».

قالت لها بوزي وهي تعاود الجلوس في الوضع الطبيعي: «لا أعتقد أن ثمة أحدًا ورائنا، هل يمكننا الآن العودة إلى المنزل؟».

هزت تشارلي رأسها نفيًا: «فلنعطِ آدم ليلةً ليهدأ، بينما لا يعرف مكاني. سأتحدث إلى دورين. سوف تهدئه».

قَطَّبَت بوزي ونظرت عبر النافذة، ومن الواضح أنها كانت غير سعيدة.

تهدت تشارلي: «أسفة على قطع المقابلة مع عميلك».

قالت بوزي: «أنت تعلمين أن فينس كان على علم بموضوع آدم، أليس كذلك؟».

«تقصدين على علم بأنني كنت أخدمه؟». حوّلت تشارلي نظرتها إلى أختها في المرأة.
«كيف يمكنه أن...»

«حسنًا، فلأصغ الأمر بطريقة أخرى. كان يعتقد أنه يعرف عن موضوع آدم».

قالت تشارلي بإلحاح: «كوني صريحة».

«لقد سمعني أقرأ الرسائل على هاتفك. كما تعلمين، بشأن لقاءك بآدم على انفراد».

شعرت تشارلي بالاستياء: «هل قال شيئًا؟».

بدأت بوزي منزعة للغاية وهي تقول: «سألني إذا كنت قد اطلعت على موعد هذا اللقاء،
وقال إنني كنت محقة بشأنه. إنني كنت على حق طوال الوقت».

«وماذا قلتِ أنتِ؟».

أجابت بوزي: «لا شيء». كنت مندهشة للغاية. لم أكن أعتقد حقًا أنه يلاحظ ما أقوله أو ما
كنت أفكر فيه. وأعتقد الآن أنني ربما لم أكن منصفة حياله».

«الآن تعتقدين ذلك؟». كان على تشارلي إجبار قدمها على الابتعاد عن دواصة البنزين، كي لا
تنسب مشاعرها الحانقة في تلك اللحظة فيما لا تُحمد عقباه.

هزت بوزي كتفيها وعقبت: «كان هادئًا جدًّا. كنت دائمًا أنتظر أن يُظهر وجهه الآخر، أن
يتشاجر معك أو حتى يؤذيك. أعني، من المفترض أن يكون الرجال الواثقون في أنفسهم
والجذابون أوغادًا في نهاية المطاف. كنت أعتقد أنه سيتكشف عن شخص طالح في
النهاية. لكن في العموم، وعلى الرغم من أنه كان كذابًا محترفًا، فإنني أعتقد أنه كان أفضل
شخص دخلت معه في علاقة عاطفية».

فكرت تشارلي - وهي في قمة الحنق - لثوانٍ بأن تخرج بالسيارة عن الطريق وتتجه بها مباشرةً لتصطدم بشجرة.

لم أكن الوحيد الذي كذب. لقد قال فينس ذلك لتشارلي عندما كانا يتشاجران.

الآن، بعد فوات الأوان، فهمتُ تشارلي ما كان يقصده. لم أتمكن من إعطائك ما تحتاجين إليه. احتفظت بأشياء سرًا وحجبتها عنك. حتى لو لم تكوني تعرفين ما الخلل أو المشكلة، كان بمقدورك أن تقولي إنني لم أقدم لك ما يكفي.

في صباح يوم الجمعة، عندما ذهب إلى حانة رابنتشر لاصطحابها، هل كان يعرف أنها من المفترض أن تقابل آدم؟ لقد اعتقدت أنه جاء إلى هناك لأنه كان يخشى أن محرك سيارتها لن يعمل، ولكن ماذا لو أنه وُجد هناك لأنه كان يتوقع أن يجدها مع شخص آخر؟

أتمنى لو كان بمقدوري القول إنني آسف، وإنني أردت أن أكون صادقًا طوال الوقت، لكنني لست كذلك. لم أرغب قط في أن أكون صادقًا. أردت فقط أن يكون ما قلته لك هو الحقيقة.

لطالما اعتقدت تشارلي أنه لا يوجد شيء يمكن أن يؤثر على فينس حقًا؛ لأن كل شيء كان يهتم به حقًا قد خلفه وراءه في حياته القديمة، تلك التي نُفي منها. حياته التي كان يتوق للعودة إليه.

لكن من الممكن تمامًا أنه كان يكره حياته القديمة.

ومن المرجح أنها فقدت الآن أكثر مما كانت تظن أنها فقدت، في أي وقت مضى.

26. الماضي

كان كوب الشراب البارد في يد ريمي يسخن بسرعة كبيرة. في كل مكان حوله تقاربت أجساد كثيرة معًا، وكانت الضحكات الخفيفة تطفو في هواء الغرفة الراكد. كانت أدلين تتحدث إلى فيكونت أو بارونيت أو شخص ما يحمل أحد هذه الألقاب، والتي لا تأتي لصاحبها بأي أموال بل بالكثير من الدعوات إلى الحفلات والفعاليات الاجتماعية.

كان ريمي ينزعج - بقدر بسيط فحسب - من أن عينيه تستطيعان من دون أدنى جهد منه، وبشكل تلقائي، أن ترصدا تفكُّك خياطة بدلة أحدهم، أو الحزام الجلدي البالي لساعة رولكس من الجيل الثالث. لقد حاول إقناع نفسه أن هذا كان مجرد ذكاء وليس مظهرًا من مظاهر التكبر، لكنه كان يعلم أيضًا أن ذلك لم يكن صحيحًا تمامًا. لقد اعتاد امتلاك أموال لم يكسبها بعرق جبينه، ويشعر بالخيلاء حيال ذلك.

كان حفل جمع التبرعات مقامًا في منزل أحد أصدقاء مدرسة ريمي الأثرياء على نحو يثير الغيظ. كانت التبرعات تذهب لصالح الأطفال بطريقة ما. ربما كانوا مرضى، أو ربما سيحصلون على علاج معين عن طريق ممارسة نوع ما من الفنون، أو ربما تكون التبرعات مخصصة لعلاج حيوانات مثل المهور الصغيرة. لا يهم. كانت هناك قواعد لأزياء الحفل أيضًا، وتتمثل في إعادة إحياء تقاليد هوليوود القديمة، التي تعني في الأساس ارتداء شيء فاخر أو مثير للسخرية أو كليهما. لم يكن ذلك مهمًا أيضًا.

كان الشيء المهم بالنسبة لهؤلاء الشباب هو دفع والديهم إلى التبرع بمبلغ خمسين ألف دولار فأكثر. عشرة آلاف ستذهب إلى جيوبهم، ويبقى أربعون ألفًا للأعمال الخيرية. في وقت لاحق، سيأخذ هو وأصدقائه مكاسبهم غير المشروعة ويذهبون إلى نادٍ ليلي حيث سيحصلون على زجاجات شراب كاملة، ويتجرعون ما يكفي لنسيان كل ما مر بهم في هذه الليلة على الأقل.

في أجواء كهذه يرقص ريمي ويصيح ووجهه يتطلع إلى السماء حيث القمر، ثم يعود وهو يترنح وذراعه تحيط بخصر أديلين إلى قصر جده. كل خيار اتخذته عبر حياته كان يبدو في ساعات الفجر تلك وكأنه يستحق كل هذا العناء إذ يكون وعيه غائبًا ويشعر بالدوار.

رن هاتفه، ما أعاده إلى الحاضر. إنها جدته مرة أخرى، وكانت تقترح أن يلتقوا لتناول الغداء في اليوم التالي. يا لها من فكرة مروعة! إنه لم يكن يخطط فقط للسُّكر بشكل غير اعتيادي، بل إنه لم يكن يرغب أيضًا في التحدث عن الموضوع الوحيد المشترك بينهما، والدته، التي لم تكن تبلي بلاءً حسنًا في عملية إعادة التأهيل الجديدة.

كونه مع جدته يجعله يشعر بدفقة من الحنين الممزوج بالاستياء، وكان هذا هو السبب الآخر لعدم رغبتة في رؤيتها، لم يعد يحب أن يشعر بشيء.

كان يعيش معها عندما كان صغيرًا، هو وأمه. كان لديه سرير خاص به، وكانوا يتناولون العشاء معًا كل ليلة. لكن الأم انتهت بها الحال إلى مغادرة المنزل وأخذته معها ثم حدث ما حدث.

شعر ريمي بالإرهاق من فكرة تناول الفطور المتأخر مع جدته، لكنه شعر بالذنب أيضًا بشأن تقديم عذر وعدم الذهاب.

ربما كان يشعر بشيء آخر غير الذنب، لكنه لم يرغب في الإسهاب في الحديث عنه.

أنت تشعر بالخزي، همس له ريد القابع دائمًا هناك في مؤخرة رأسه، مثل صرصور الليل الشرير الذي يتنكر في هيئة شيء يسمونه الضمير. ليس عليك أن تشعر بالخزي، يمكنني أن أشعر به وحدي وبما يكفي كلينا.

نظر ريمي إلى ظلّه الذي استلقى على الأرض، بحجم أكبر مما كان عليه تحت الضوء. ربما يمكن لريد تناول وجبة فطور متأخر، ويمكنه الاستلقاء في السرير. قد يكون قادرًا على الحفاظ على شكل وهيئة ريمي لفترة كافية. بين جرائم القتل والطاقة التي كان ريمي

يغذيه بها، أصبح ريد أكثر قوة بشكل يندر بالخطر. في كل مرة يلعب فيها دور الظل المستقل، بدا أنه قادر على فعل أكثر بكثير مما كان قادرًا عليه فيما مضى.

«ماذا جرى؟». سألت أديلين التي كانت ترتدي فستان ماك كوين الكلاسيكي المغطى بالخرز اللامع والذي يعطي انطباعًا بوجود فتحات طولية به. كانت تحمل كوبين من الشراب وتمسك بأحدهما كما لو كان من أجله.

قال وهو يضع هاتفه في جيبه: «لا شيء».

ابتسمت وسألته: «هل تشعر بالملل. سمعت أن هناك حمام سباحة في القبو. تعال. فلنذهب للغطس».

نخر ريمي. لطالما أحب عدم اكتشاف أديلين بمعايير الصواب والخطأ. كانت تُذكِّره بوالده في بعض الأحيان، ولكن في حين اتجه ميل والده لاستكشاف العالم، كان ميلها هي نحو المرح.

كان جمع التبرعات يُقام في منزل في حي أبر ويست سايد من منهاتن، وهو من نوع المنازل الذي يساوي خمسين مليون دولار على الأقل. أُسس المطبخ بالنحاس والرخام مع وجود موقد إيطالي فاخر، فيما كانت الجدران مغطاة بورق بتصميمات مشرقة وحديثة، ومعلقة بطريقة مبدعة وتحمل أفكارًا مسلية. حتى السجاجيد كانت تحمل الطابع نفسه، كان النمط المرسوم على إحداها على شكل متاهة وعلى أخرى كانت هناك طبقة من لون فيروزي مرَّبة على تصميم تقليدي. جعلت صور المكان رأس ريمي يدور وهما يشقان طريقهما إلى الدرج. كان هذا المنزل مختلفًا تمامًا عن منزل جده القائم والعتيق الطراز بخشبه الداكن وستائره الثقيلة.

ثم رأى صورته منعكسة في إطار زجاجي. بدلة سوداء، ووشاح أبيض حول رقبته، وعينان طامعتان.

قال ريمي وهو يلصق ابتسامته اللطيفة المعتادة على وجهه: «لنذهب». لم يكن لديه حاليًا ما يأسى لأجله. كان يقضي ليلة رائعة على أية حال.

هبطت بهما السلالم إلى ردهة منخفضة المستوى يسودها اللونان القرمزي والوردي والوسائد الطرية. كان الهواء بالأسفل معطرًا بالكلور، وكانت النوافذ متوهجة بضوء أزرق شبه مائي. كما كانت هناك ثريا متدلّية وتنتثر صور ظلال زيّنت السقف بأشكال الماعز والذئاب.

قالت أديلين وهي تضحك وتستدير: «فك سحّاب فستاني».

جرع ريمي ما تبقى من شرابه. صار المكان من حوله غائم الملامح، وقد بدأ يستشعر طنينًا محببًا إلى نفسه.

نزلت امرأة ترتدي سروالًا أسود وقميصًا أبيض على الدرج. ثم قالت وهي مرتاعة فيما يبدو: «معدرة، غير مسموح لكما بالوجود هنا».

«مَن أنتِ؟». سأل أديلين، وبدت متغطّسة على نحو مؤثر.

«أنا جزء من طاقم العمل. لقد طُلب منا إبعاد الناس عن الأماكن الخاصة بالمنزل». كانت نبرتها اعتذارية لكنها حازمة.

قال لها ريمي: «هذا منزل جيفرسون صديقي. إنه لن يمانع وجودنا هنا».

«حسنًا، والداه يمانعان». ثم أشارت إلى الكأس التي في يده وتابعت: «إنك ثمل، وهذا قد يعرض الأغراض الموجودة هنا للخطر، الأمر متعلق بالتأمين».

قالت أديلين لريمي: «يمكن أن تطلب من ريد أن يدفعها إلى تغيير رأيها».

«إنها تبالغ في ردة فعلها».

خطت المرأة خطوة إلى الوراء في اتجاه السلام. من المحتمل أن الطريقة التي نطق بها ريمي عبارته جعلتها متوترة.

أصرت أديلين وابتسامة صغيرة قاسية على فمها: «دع ريد كي يلهو». ربما كان إصرارها هذا ناتجًا عن أنها كانت محرجة، وسحاب فستانها مفتوح حتى نصف ظهرها. وربما كان هذا هو الجانب الآخر لشخصيتها السيكوباتية بمعنى ما، وهي عندما تصل إلى هذه الحالة فإنها لا تتراجع. ثم عادت لتؤكد: «بربك. سيكون الأمر ممتعًا».

قال لها ريمي: «استخدمي ظلك أنتِ، أو الأفضل من ذلك فلنرجع إلى الطابق العلوي».

كان ظلها هو الظل المتحرر الثاني الذي يُربط بجسد أديلين. الأول مات وفشلت عملية تغذيته، فجيء لها بظل ثانٍ، لكنها نادرًا ما استخدمته لفعل شيء. كان ريمي يعتقد أن ذلك الأمر سبب لها انزعاجًا دائمًا، لكنها لم تكن تحب الاعتراف بذلك. رمقته أديلين بنظرة ذات دلالة ثم أكدت: «لن نذهب إلى أي مكان».

ماذا عليّ أن أفعل؟ سمع ريمي السؤال في ذهنه، وشعر بانزعاج ظله ولم يكن متأكدًا مما إذا كان هو نفسه منزعجًا مما يجري.

فكر ريمي كأنما يقول لريد: «تلاعب بها. اجعلها تصعد إلى الطابق العلوي أو تقول شيئًا ما. خوِّفها. لا تؤذيها».

ألا تريدني أن أجعلها تُغرق نفسها؟ كان ريمي على يقين من أن ريد يمزح.

لقد مرّ بمرحلة كان مضطّرًا فيها إلى الحفاظ على وعيه منقسمًا بينه وبين ظله، ولكن ليس بعد الآن. ريد هو من ينفذ المطلوب. في الوضع الأمثل، فإنه يُنفذ ما يقال له ولكن في أحيان أخرى يفعل شيئًا آخر تمامًا. من المحتمل أن يمنعه ريمي إذا حاول. من المحتمل.

ارتجفت المرأة ولهت بصوت مسموع، بينما ينتقل ظل ريمي ليتداخل مع ظلها.

صفت أدلين بيديها في جذل.

انفتح فم المرأة، صارحًا بالكلمات التالية: «أنا لا أتقاضى راتبًا كافيًا لتحمل هذا الهراء. تفضلًا. استخدمًا حمام السباحة أيها الحقيران.»

ضحك ريمي. كان منزعجًا بعض الشيء من المقدار الذي صار يريد يعرفه عن طبائع البشر إلى حد الإتيان بكلام ذي صبغة واقعية تمامًا، لكنه لا يزال مضحكًا.

لكن أدلين تنهدت في عدم رضا، وقالت: «لا، اجعلها تقول شيئًا محررًا بحق.»

تحرك جسد المرأة في حركات مضطربة، وعيناها تنطقان بالذعر. ثم قال الظل على لسان المرأة: «توقفي عن إعطائي الأوامر، يا أدلين. أنا لا أحب ذلك.»

تحولت أدلين لتنظر إلى ريمي، وهي مندهشة ومستاءة: «هل...»

فقال ريمي: «أوه، بربك لا تستائي، إنه يمزح فحسب.»

ثم لهثت المرأة بعمق، وتوجهت يدها إلى فمها بينما يغادر ريد جسدها. نظرت إليهما للحظات، ثم بدأت الدموع تنهمر من عينيها، وهرولت لتصعد السلم.

تحولت أدلين إلى ريمي، وعيناها مشتعلتان من فرط الحنق. كانت غاضبة. لم يعتقد ريمي أنها ستكون غاضبة جدًا إذا قال ما قاله، لكنها كانت تفكر في ريد كلعبة ولم يكن من المفترض أن ترد الألعاب على أصحابها، ليس بشكل معلن.

قبل أن تتمكن من إلقاء محاضرة على ريمي حول التحكم في ظله، هبط ماديسون وتوفير وبروكس على الدرج. كان توفير قد ذهب إلى مدرسة ريمي الإعدادية نفسها، ويعرف هو وأدلين آخرين من الدوائر نفسها.

قال بروكس لريمي: «يا عزيزي». «سمعت أن هناك حمام سباحة في هذا المنزل الفاخر. كان يجب أن أعلم أنكما ستصلان إلى هنا أولاً».

سحبت مادي زجاجة تيكيلالا عتيقة من المشرب ذي المرأة. قالت: «أوه، ربما كان يجب عليّ أن أحضر معي كئوسًا».

فعرض ريمي بأريحية مَنْ يستمتع بصحبتهم: «يمكنني صب جرعة مباشرة في فمك».

نزلوا جميعًا إلى حمام السباحة وشربوا وضحكوا. بدا أن أديلين قد نسيت ما حدث قبل قليل وعاد كل شيء طبيعيًا مرة أخرى. ثم ارتدوا ملابسهم مرة أخرى وخرجوا إلى ما يُسمّى بالصندوق حيث كان البهلوانات يطبّرون في الهواء بظل واحد. في نقاط مختلفة، كانوا يُعلّقون فوق الجمهور، ما جعلهم يبدو كأنهم معلقون في الفراغ ولا يمسون بأي شيء على الإطلاق.

أراد توفير أن يعدل من ظله، وأظهرت أديلين قدرتها على السحر من خلال تلبية طلبه. عندما انتهت من العمل معه، كان في حالة لا تُمكنه إلا من أن يجلس في زاوية من مقصورتهم الخاصة ويتمتم لنفسه بكلام غامض وينتفض. كان ريمي يأمل في أنها ستمنح صديقه الوقت السعيد الذي يرغب فيه. أحيانًا كانت أديلين تُدخل، بقدراتها السحرية، بعض الأشخاص في نوبات من الرعب تستمر أسبوعًا، لقد فعلت ذلك من قبل وفي هذه المرة أيضًا كان من الواضح أن مزاجها السيئ قد عاودها.

سألها بروكس ومادي، منبهرين، الكثير من الأسئلة بطريقة بطريفة أوضحت أنهما مهتمان بالحصول على ما هو أكثر من الإجابات.

حاول ريمي تجنّب غضب أديلين من خلال التلهي بالتحدث إلى الفتيات في المقصورة التالية، واللواتي طلبن منه أن يلعب معهن إحدى ألعاب الشراب. في مثل هذه اللعبة من

المفترض أن يحدق الجميع إلى شخص آخر، وإذا أغلقت عينيك، عليك أن تصرخ:
«ميدوسا» قبل الآخرين.

كان ريمي قد جرع ما لا يقل عن ثلاثة أكواب أخرى من التيكي لا عندما وضعت أدليلين
يدها على كتفه.

بدت كأنها ثملة، ثم طلبت منه: «قل لريد أن يُقبِّلني».

كان ريمي ثملًا هو الآخر، لكنه كان يعلم أن هذه فكرة سيئة. «تعالى يا أدليلين، اجلسي
والعبي معنا».

اتجه ظل أدليلين نحو إحدى الفتيات، وضربها في رأسها بقوة بما يكفي لاصطدامها بالكأس
التي كانت على وشك أن تأخذ منها رشفة.

وقف ريمي مرتاعًا بينما استخدم أصدقاء الفتاة المناديل لوقف النزيف.

لم يرغب ريمي في التركيز على أسنان الفتاة التي صارت مصطبغة باللون الوردى، ولا
الطريقة التي سقطت بها الكأس الزجاجية على الطاولة.

«تعالى، سنعود إلى المنزل. لقد تأخر الوقت».

«ألا تريد أن يقبلني ريد». صرخت أدليلين وهو يسحبها عبر الملهى. لكن ريمي لم يرد.

بعدما خرجا إلى الشارع هددته: «قل له أن يفعل ما أقول وإلا سأخبر أبي بأنه يتحول إلى
ظل مستقل في معظم الأوقات».

زمجر ريمي وعثفها: «توقفي عن إطلاق التهديدات فإنها تنهكني. وأنتِ أتعبتني الليلة».

أصرت قائلة: «فلتأمره».

«حسنًا لقد أمرته». كذب عليها رغم أن ريد كان يسمع كل شيء فعليًا.

قالت: «أعتقد أنك الشخص الذي جعله يعاملني بطريقة عدائية».

لم يكلف ريمي نفسه عناء إنكار ذلك. كلاهما كان منهكًا وثمانًا، ومن المحتمل أن يتورطا في جدال غبي. لقد كانا معًا معظم الوقت في الأشهر القليلة الماضية، ويعيشان متقاربين على نحو مفرط. لم يكن هذا سلوكًا طبيعيًا بمعنى ما بين شاب وخالته. لقد تشاركا الكثير من الأسرار المروعة ما كان يجعلهما ينتقدان بعضهما طوال الوقت.

كانت أديلين لا تزال عابسة بينما كانا يترنحان وهما يدخلان منزل أبيها. لم يهتم ريمي بعبوسها إذ كان يخطط للذهاب إلى الفراش والنوم حتى موعد الإفطار المتأخر المرتقب.

لكنه استفاق بسرعة عندما رأى جده سولت ينتظرهما. كان يجلس على الأريكة، تحت اللبنة الواحدة المضاءة ما أعطى وجهه مظهرًا مخيفًا.

«هل سمعتما من قبل عن كليوفيس يورك؟». سألهما، وكأنهم يواصلون محادثة كانوا يجرونها.

«لا؟». أجاب ريمي بتردد. كان هذا ثمن مال سولت الذي يمنحهما إياه، أن يعيشا وفق شروطه وتوقيتاته.

قال سولت: «ظل متحرر قديم جدًا. كان مرتبًا أو مقيّدًا بجسد إنسان منذ خمس سنوات. أعتقد أنني اكتشفت طريقة للتحدث معه من دون علم الشخص الذي يرتبط به. سنجرب».

قطبت أديلين. «من أي نوع؟».

«الكيتامين القديم الفعال». ثم التقط قارورة من السائل من فوق طاولة القهوة وهزها، «سأحقن إدموند وسنرى ما إذا كان ذلك سيسمح لريد بالتلاعب به».

احتج ريمي قائلاً: «أنا ثمل. إن خلط المشروبات الكحولية والمخدرات هو السبب الرئيسي لموت معظم نجوم موسيقى الروك».

نخر سولت قائلاً: «لا تتباه. والآن اجلس على الأريكة وشمّر عن كمالك».

قال ريمي «سنفعلها، ولكن غداً».

فأصر سولت: «بل الآن. أنا لا أمزح».

نظر ريمي إلى أديلين متوسلاً لكنها لم تلتفت إلى نظرتة. كانت تنظر من النافذة، ووجهها محايد كما لو كانت أفكارها في مكان آخر. لقد توقفت عن جدال والدها منذ سنوات إذ كان ثمن عصيانه باهظاً جداً.

همس ريد لريمي: «يمكنني أن أسيطر عليك من دون أي حقنة. إذا سمحت لي».

لكن جده لم يرغب في معرفة ما يمكن أن يفعله ريد، بل أراد أن يعرف ما يمكن أن يفعله الكيتامين.

ثم دعني أقتله.

لا مزيد من جرائم القتل، فكر ريمي تلقائياً. كل ما كان عليه فعله هو تجاوز هذه التجربة المزعجة ثم نسيانها، مع تغذية ريد بالمزيد من مشاعر الخوف والغضب. وحتى إذا شعر ريمي أحياناً بأنه قد فرط في الكثير من طاقته ومشاعره وأفكاره الذاتية لصالح ريد بحيث لم يعد متبقياً منه الكثير، فإنه لم يكن مستعداً للتفكير في أي من البدائل.

ومن ثم فقد تهاوى ريمي على الأريكة، ونزع سترته، وبدأ في فك أزرار قميصه.

أخذ جد ريمي إبرة من عبوة بلاستيكية ثم ألصقها بالجزء العلوي من القارورة وامتص داخلها السائل الشفاف. كان ريمي يواجه صعوبة في معرفة الفرق بين أفكاره وأفكار ريد.

كانت أفكارهما جميعًا تتدافع في حالة من الذعر في تلك اللحظة.

إذا توقف ريمي عن التنفس، فلن يصدق أحد أنه لم يتناول الكيتامين في الملهى. كانت تلك هي العبقرية الحقيقية لجدّه؛ أن يخطط لوقوع الأحداث بحيث لا يكون، ومهما حدث، مسئولًا أبدًا عن النتائج.

ثم شعر ريمي بوخز حاد في جلد ذراعه، فنظر إلى أديلين. كانت تراقبه، وكان تعبير وجهها متعاطفًا. وبعد ذلك شعر بأنه يسقط من عليّ.

لقد ذاق طعم الدم في فمه وكأنه عض لسانه.

وكان آخر شيء يتذكره هو صوته الذي لم يعد وقع نبراته مألوفًا في أذنيه. «لا ريمي بعد اليوم. فقط ريد».

27. هذا الشيء الكريه الذي أحبه

عندما انتقلت تشارلي من شقة والدتها، اكتشفت أنها ستتحرر أخيرًا من مشاعر الخوف والذنب التي لازمتها خلال فترة المراهقة. لكن رؤية والدتها دائمًا ما كانت تستدعي هذه المشاعر مجددًا، والتي تطفئ على الأجواء بينهما إلى حد قد يشعرها بالاختناق.

لطالما كرهت هذا الشعور، كما كرهت الإقامة الطويلة في النزل حيث تعيش والدتها لأن دخلها وتاريخها الائتماني كان سيئًا وتاريخها الوظيفي كان غير مكتمل. كرهت تشارلي كذلك الفرصة - التي لا بأس بها عمومًا - التي كانت ستناولها عبر العيش في مكان كهذا في يوم من الأيام ولما تبقى من عمرها.

الكثير من الناس يكذبون على أمهاتهم؛ ولم يكن هناك شيء مميز بشأن كذب تشارلي على أمها. كانت المشكلة أن أمها لن تسامحها أبدًا إذا اكتشفت ذلك. جعلت تشارلي أمها تعتقد أن الكون يهتم بها، وأن الأرواح الطيبة تصل لحمايتها في وقت حاجتها. وإذا كشف لها أحدهم زيف كل هذه الأفكار فإنها ستكرهه، حتى لو كان هو الشخص نفسه الذي منحها لها في المقام الأول، خصوصًا عندما جعلت تلك الأكاذيب أمها عرضة لتلقي مزيد من الأكاذيب من كذابين آخرين.

عندما دخلت بسيارتها الكورولا إلى موقف السيارات في نُزل ريزيدينس سوتس وركنتها في الجانب حيث غرفة والدتها، شعرت بضيق في صدرها. في مثل هذا الوقت من أواخر شهر نوفمبر، يتوقف زوار الغابات عن القدوم عبر الوادي، ولا يقود أحد سيارته قادمًا من ولاية كونيتيكت لقطع التفاح؛ لذلك كانت الفنادق في الغالب فارغة. كان هناك الكثير من الأماكن لوقوف السيارات ولا توجد أعذار للتأخير.

عندما سحبت تشارلي مفتاح تشغيل السيارة من مكانه، لاحظت وجود شيء معدني صغير عالق بمفاتيحها. لقد استغرقت بعض الوقت لتتذكر أنها التقطتها من قاع خزانة ملابس

فينس، معتقدةً أنه يشبه بطارية ساعة. على ما يبدو، كان ذا طبيعة مغناطيسية.

بعبوس أقت تشارلي بالمفاتيح في حقيبتها، والمغناطيس لا يزال مرتبًا بها.

حينما طرقت بوزي الباب فتح بوب، زوج أمهما الحالي، وبمجرد أن ألقى نظرة واحدة على وجه تشارلي المتورم، صرخ: «جيس!».

جاءت والدتهما بسرعة إلى الباب. كانت الأم في المدرسة الثانوية في حقبة الثمانينيات، ولا تزال تستخدم مكواة الشعر التي تنتمي إلى هذه الحقبة الزمنية. كان شعرها الطويل والجاف وفاحم السواد يتهدل فوق كتفيها مموجًا بسبب الضغط الساخن للمكواة، كما كانت أصابعها مغطاة بخواتم فضية وعيناها مزججتين بعناية. «أوه لا، ماذا حدث؟ ولماذا تصطحبان القطة معكما؟».

حكّت تشارلي نسخة مختصرة من القصة، وأغفلت موضوع السرقة. كانت الأم متعاطفة، لكن تشارلي لم يرغب عنها أنها كسبت هذا التعاطف بقول المزيد من الأكاذيب مرة أخرى.

قالت الأم: «يجب عليكم الاتصال بالشرطة. اطلبوا من رجال الشرطة مرافقتكما إلى المنزل والقبض على آدم. لقد اعتدى عليك!».

لم تكن تشارلي تخطط للقيام بذلك، لكنها لا تستبعد أن تقول لدورين أن تفعل ذلك. آدم لن يرغب في أن يثير أي ضجة بشأنه وبشأن تعاملاته غير القانونية. ربما سيجعله هذا التصرف يتراجع.

بمجرد دخولهما، جلست تشارلي على الأريكة بتوجيه من والدتها، بينما جلست بوزي على مقعد عالٍ بلا ظهر بجانب طاولة المطبخ الصغير حيث يمكنها توصيل كل من هاتفها وجهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بها بالكهرباء. كان المكان في الأساس عبارة عن ثلاث غرف، غرفة نوم لها باب، وحمام كان عليك المرور عبر غرفة النوم للوصول إليه، ومطبخ صغير،

وطاولة صغيرة مع كرسيين، وأريكة أمام التلفزيون الذي يتضمن القنوات المدفوعة والتي كانت رسومها تُدفع أسبوعيًا من دون أي تكاليف إضافية.

أحضرت الأم وبوب إلى هذا المكان معهما بعض الأثاث من مساكن سابقة عاشا بها. مصباحان تتذكرهما تشارلي منذ طفولتها، وسجادة لم ترها من قبل ولكن من الواضح أنها ليست من أثاث الفنادق، وبعض أرفف الكتب، وأكوام من صناديق بوب من الورق المقوى التي تحوي بطاقات لعبة Magic: The Gathering السحرية، والتي كان لديه الكثير منها.

لطالما زعم بوب أن مجموعته من البطاقات كانت ثمينة لدرجة أنه عندما يصبح جاهزًا فإنه سيبيع المجموعة بأكملها ويشتري منزلًا، لكنه لن يستطيع فعل ذلك حتى ينهي معركته القانونية مع صاحب عمله القديم. كانت أعمال شركة ميشن تركنغ للنقل هي السبب الواضح لما يعانيه بوب من مشكلات في الظهر، وقد أمرت المحكمة الشركة بدفع الأموال الخاصة بتأمينه الطبي. إنهما يريدان أن يستقرا حتى يتحررا من عبء دفع الإيجارات وما يلازمها من مصاريف، لكن بوب لم يكن يطالب أو يقبل بتعويض أقل من مليون دولار. إنه يعد والدتهما باستمرار بأنه بمجرد حصوله على هذا المبلغ، فإنهما سيتمتعان برغد العيش.

كانت هذه هي رؤيته الراسخة لكيفية التقاعد المريح والمُستحق.

قالت الأم: «نحن بحاجة إلى وضع شيء ما على عينيك. أوه، يا عزيزتي، إنها لا تبدو بحال جيدة الآن، لكنها ستبدو بمظهر أسوأ غدًا».

قال بوب: «سأحضر لها بعض الثلج، لا بد أنك تلقيت عدة ضربات مؤلمة، أليس كذلك؟».

ضحكت تشارلي وردت: «يمكنك أن تراهن على ذلك».

«أمل أن تكوني ركلته في موضع يؤلمه بحق». أحضر لها بوب علبة بازلاء مجمدة، وضغطها على عينيها. كان لدى بوب رأس أصلع وكرش بارز ويرتدي قميصًا يكشف بوضوح عن حبه لفرقة رامونز الموسيقية.

بعد أن وصلت جميع أجهزتها، قفزت بوزي عن مقعدها لإحضار بعض الماء للقطعة في وعاء بلاستيكي.

قالت والدتهما: «ستقضيان الليلة هنا، أنا أصر».

مع تبقي عدة أيام فقط على حفلة سولت، لم يكن لدى تشارلي وقت لعلاج عينيها المتورمة أو أن تظل عالقة في منزل والدتها. ومع ذلك، كان الألم في وجهها منهكًا. إلى جانب ذلك، كان هناك شيء ما قد أتت إلى هنا لتجده.

فسألته تشارلي: «هل تريدني مني إخراج المرتبة القابلة للنفخ من سيارتك؟».

هزت والدتها رأسها: «لا، ابقني. يمكن لأختك أن تذهب. أو بوب».

فنهضت تشارلي وهي مسرورة لوجود عذر سهل لما ستقوم به من بحث. «بل سأذهب أنا».

غطت كوكبة من المغناطيسات باب الثلاجة. كان عدد قليل منها من الشركات المحلية، وزُين بعضها الآخر بعبارات مثل: «كل ما أحتاج إليه هو القهوة والشراب المسكر». أمسكت تشارلي بمفتاح السيارة من حيث علّق وعادت إلى الخارج حيث الأجواء الباردة.

جمعت والدة تشارلي - التي ناهزت الستين تقريبًا - على مدى حياتها أشياء أكثر مما يمكن لشقة صغيرة في نُزل رخيص أن تستوعبه، خصوصًا مع وجود بطاقات بوب التي تتطلب توافر «بيئة يمكن التحكم في أجوائها» وكانت مهمة جدًا بالنسبة له، ما تطلب أن يبقيا قريبًا منه. وهكذا، كان الجزء الخلفي من عربة الأم مليئًا بملابسها، وبعض الزخارف وأدوات الزينة، وتقارير الضرائب، وعلى ما يبدو مرتبة هوائية. كانت الصناديق متلاصقة بإحكام.

وُضعت بطاقة «**ذكرى الميلاد**» على أحدها، وعلى آخر «**صور العائلة**». عثرت تشارلي على مرتبة بلاستيكية ذات رائحة كريهة أسفل حوض قديم تحمل بطاقة «**المستندات المهمة**». كان هذا ما جاءت من أجله.

بعد أن هربت من منزل سولت، استدعى الرجل الذي وجدها سيارة إسعاف. إنها لا تتذكر الكثير بعد ذلك، لكن المتوقع أنهم أجروا لها فحصًا للسموم في المستشفى. لا بد أن نتائج هذا الفحص موجودة مع بقية أوراقها الطبية.

سحبت تشارلي غطاء الصندوق. وهناك، أسفل شهادات الميلاد وأوراق طلاق والدتها، وجدت ملقًا عليه اسمها. كان بالداخل نسخة من تقرير الشرطة، وتصريح الخروج من المستشفى، والفاتورة المرسلة إلى التأمين. بسرعة استعرضت التفاصيل. خدوش على الذراعين والوجه. جفاف خفيف. ثم جاءت التفصيـلة الأهم: آثار الكيتامين في الجسم.

أغلقت المجلد، وترددت كلمات ليام في رأسها: أحد الأطباء الذين يعملون هنا معروف بأنه كريم في منح الوصفات الطبية. لقد رأيتُ أديلين، خالة ريمي، تشتري منه بعض الكيتامين.

يبدو أن سرقة ظل متحرر لم تبطئ من إيقاع تجارب سولت، كما أنه قد ورّط معه بقية أفراد الأسرة.

صاحت والدتها من أعلى «هل وجدتها؟».

حشرت تشارلي المجلد أسفل قميصها: «نعم، يا أمي». ردت على أمها، وسحبت المرتبة إلى الداخل.

كانت والدتها قد أعدت لها شاي الأبقحوان، والذي قالت إنه مفيد للألم. فيما ألقى بوب لها بعض حبوب الإيبوبروفين، التي كان لها تأثير أفضل.

عادت تشارلي إلى الأريكة وكيس البازلاء المجمدة. بعد لحظات قليلة، عندما كانت متأكدة تمامًا من عدم وجود أي شخص ينظر باتجاهها، رفعت المجلد من أسفل قميصها إلى جانب الأريكة، حيث ستغطيه الوسادة. أخذت القطة تذرع الشقة الجديدة جيئةً وذهابًا وهي تموء، بينما أخذت الأم بعض اللحم المفروم وبدأت في صنع شيء ما للعشاء. شغل بوب التلفزيون حيث البرنامج الذي يجلب فيه الأشخاص أشياء قديمة ويخبرهم الخبراء بما إذا كان الغرض يستحق أن يُدفع فيه المال أم لا.

على الشاشة أحضر سائق شاحنة ساعة وقواق تخص جدته وتبيّن أنها قطعة أثرية حقيقية من العصر الإدواري. عندما أعلنت الساعة حلول منتصف الليل، ظهر رجل يركض من ظله. ثم قال المثمن المسن وهو يمسح لحيته بعناية: «كانت هذه فترة روحانية عظيمة حيث كان سحرة الظلال يؤدون عروض الظل المتقنة على جدران قاعات الاحتفالات. كان السحر أمام الناس مباشرةً، ومع ذلك فقد بحث القليل منهم من كتب بما يكفي لاكتشافه».

قالت الأم لبوزي: «لا تدعي مكتب الاستقبال الخاص بالنزل يعرف أن لديك قطة هنا. هناك مائة وخمسون دولارًا رسوم إحصار حيوان أليف إلى الشقق».

اشتكت بوزي بنبرة منزعجة مثل فتاة مراهقة: «لن أخبر أحدًا. ولا أعرف أين من المفترض أن أتحدث مع عملائي. الضجيج عالٍ هنا».

قالت الأم في اقتراح بدا غير مفيد على الإطلاق: «جربي حوض الاستحمام».

بعد ساعة، أكلوا الجالاش وهم يجلسون على كراسي قابلة للطي حول طاولة مقهى لا يسعها حمل كل أطباقهم دفعة واحدة، ثم تناولوا كئوسًا مما أحضرته بوزي معها من مشروبات. كانوا يتبعون تقليد عائلة هول الراسخ بالتظاهر بأن كل شيء على ما يرام، وبأن تشارلي سعيدة. في حين لم يكن أي شيء على ما يرام ولم يكن لديها أية فكرة عما يجب أن تفعله حيال ذلك.

ثم قالت الأم: «بوزي أخبرتني بأن فينسنت رحل. أنا آسفة لكِ للغاية».

أومأت تشارلي برأسها من دون كلام. كلما تحدثت أقل عن هذا الأمر كان ذلك أفضل. هذا بدوره شيء آخر لم يكن على ما يرام بالتأكيد. «نعم، في الواقع أنتِ تعرفين حظي». لم تقل حظنا؛ لأن بوب كان يروق لها بوصفه زوج أم. بالطبع، كان من الطبيعي أن تستلطف أي شخص يحضر لها الإيبوبروفين لتخفيف ألمها. وإذا أحضر لها هذا الشخص نفسه قهوتها المفضلة أيضًا، فربما تتزوجه.

انتظرت والدتها وكأنها تأمل أن تقول المزيد. وعندما لم تفعل تشارلي، أبدت والدتها إحباطها. شعرت تشارلي بالذنب مرة أخرى، وإن كان السبب جديدًا هذه المرة. بعد العشاء، التفتت الأم إلى بوب وقالت: «أريد أن أريهما المكان الذي نجلس فيه بالخارج». تعجبت تشارلي: «بالخارج، الجو بارد».

«تحت النجوم. اجلبوا البطانيات وسأجلب الكراسي القابلة للطي».

بعد بضع دقائق، كانوا جميعًا بالأسفل في موقف السيارات، ينظرون إلى أضواء سبرينجفيلد من بعيد والنجوم في الأعلى.

قالت الأم: «ليس منظرًا سيئًا، أليس كذلك؟ وكأنك تتطلعين إلى السماء من شرفة البيت الأمامية».

وقف بوب بجانب السيارة ونظر لأعلى بانزعاج: «هطول المطر أزال السحب».

قالت بوزي: «أنا لن أبقى هنا، إنني أتجمد. لديّ محادثة مع بعض الأصدقاء. نحن بصدد مراجعة بعض الخطط».

تمنت تشارلي أن يكون معنى كلامها أن تناول شراب آياهواسكا لن يكون من ضمن هذه الخطط.

ذكرتها تشارلي: «كوني حذرة».

فحدجتها بوزي بنظرة حادة ودخلت.

بعد فترة، غادر بوب أيضًا متعللاً بإعداد بعض الشاي لنفسه بينما ظلت تشارلي ملفوفة في بطانيته. لم تكن تريد العودة إلى تلك الشقة الخائقة، وكانت قلقة من أن بوزي كانت متلهفة لتكون ساحرة ظلال لدرجة أنها ستسمح لأي شخص بخداعها، وأن هناك الكثير من الوعود المعسولة التي يمكن أن تمثّل فخاخًا تُوقع بها.

قالت الأم: «أنا سعيدة لأنك أتيت إلينا».

أجابت تشارلي تلقائيًا وقد انتبهت إلى خطر إجراء هذه المحادثة الودية في أجواء كهذه: «أنا أيضًا».

«لقد شعرت بالكثير من الأسف بشأن القرارات التي اتخذتها في الماضي بصفتي أمًا لك. عندما كنت أصغر سنًا، لم أكن أهتم دائمًا بفعل الأشياء الصحيحة. أتمنى لو أن مثل هذا الشعور بحتمية اللجوء إليّ وقتما تقعين في ورطة قد انتابك وترسّخ لديك منذ سنوات عديدة».

كان لدى تشارلي شعور بأن هذا الكلام يتعلق بعلاقتها السابقة براند، وأن بوزي قالت لها شيئًا ما خلال محادثات قراءة بطاقات التاروت اليومية بينهما.

«متى بالتحديد كنت في ورطة؟».

«أعلم أنك لا تحبين الحديث عن ذلك...»

«من الواضح أن هناك شيئاً تعتقدان أنك تعرفينه؛ لذا تفضلي وقوليه». كان على تشارلي أن تتوقف عن الكلام. بدلاً من أن تتحدث بما ليس في قلبها وتكذب مجدداً، كان الأولى بها أن تمتنع عن الثرثرة تماماً. ينبغي عليها أن تحاول تجنّب هذا الحديث، وليس الانغماس فيه.

قالت الأم: «رأيتك تأخذين ملفك الطبي القديم من السيارة قبل قليل، ولن أنسى أبداً ما شعرت به عندما تلقيت تلك المكالمة من الشرطة. وبعد ذلك، عندما وجدوا جثة راند، مع تلك الفتاة الميتة في صندوق السيارة. كان من الممكن أن تكوني أنتِ تلك الفتاة».

كان هذا صحيحاً، ولكن ليس لأي سبب من الأسباب التي كانت والدتها تتخيلها. «لم أكن أنا، رغم ذلك. أنا بخير».

«حقاً؟ أعلم أنك كنتِ معه في تلك الليلة، وانتهى بك المطاف في المستشفى. إذا لم تواجهي ما حدث قط، فلن تُشفي منه أبداً. ستبقى غاضبة منه إلى الأبد».

تشارلي هول، التي تحمل داخلها فرناً تتأجج نيرانه طوال الوقت.

بالطبع كانت غاضبة.

أرادت أن تصدقها والدتها عندما كان ترافيس يضربها وتقول لها فلا تصدقها، وأن تحبها أكثر من ألونسو الذي لم يكن حتى شخصاً حقيقياً.

أرادت من والدتها أن تحميها من راند، الذي كان شريراً بدرجة كافية، ولا يزال ما فعله معها أسوأ مما كان يمكن له أن يفعل.

أرادت أن تصدقها والدتها الآن، رغم أن تشارلي كذبت عليها كثيراً من قبل.

قالت تشارلي: «أنا بخير بالفعل وبوضوح كقطرات المطر التي تتساقط أمام أعيننا».

«أردتُ أن تتمتعِي أنتِ وأختكِ بحرية التعبير عن النفس، وارتكاب الأخطاء، واكتشاف ذاتيكما. لم أكن أريد أن أعيقكما». كانت أمي تلعب بأحد خواتمها الفضية الضخمة، وتديره حول سبابتها. لم أحظْ بهذه الامتيازات بوصفي طفلة. وأنتِ كنتِ تمتلكين موهبة، اعتقدتُ أن راند سيوضح لك كيفية استخدامها».

عاود الشعور بالذنب تشارلي هذه المرة بحدة، ومن ثم كان عليها تغيير الموضوع. لم تعد تحمل الشعور بهذه الطريقة بعد الآن، وهي ممزقة بين الرغبة في الصراخ والرغبة في الاعتراف. «ربما عندما توقفتُ عن استخدامها، انتقلت الموهبة إلى بوزي».

نظرت لها والدتها وقد بدا أن صبرها نفذ.

تهتت تشارلي. «تريديني أن أتحدث معك بصراحة؟ حسنًا، هذا ما أريد معرفته. هل قابلتِ ابنة ليونيل سولت من قبل؟». كانتا في العمر نفسه تقريبًا، وكانت المنطقة أصغر حجمًا في ذلك الوقت. إذا كانت والدتها تعرف أم فينس، فربما تعرف ما حدث لها.

«كيارا؟». نظرت والدتها لأعلى وهي ترمش بعينيها كما لو كانت تحاول إعادة تركيز أفكارها. «لم نكن نتعامل مع الدوائر الاجتماعية نفسها».

أصرت تشارلي: «لكنك تعرفين اسمها؛ لذا لا بد أنك تعرفين شيئًا عنها».

هزت الأم كتفيها. «كانت تشتري أعشابًا مخدرة من صديق لي. لطالما سردت قصصًا مزعجة عن والدها، لكن كثيرًا من الناس يريدون فقط تصديق أن الأغنياء مرفهون ولا تصدر عنهم أي تصرفات قاسية أو وضيعة، وبدا أنها من النوع الذي كان يقول كل ما يلفت الانتباه إليها. لقد تورطت في علاقة مع أحد أصحاب السوابق في بوسطن، وحملت منه على الأرجح. في النهاية وضعها والدها في مركز إعادة تأهيل، وهذا آخر ما سمعته عنها. ولم تتحدث إلى أي من معارفها القدامى بعد ذلك. لماذا؟».

قالت تشارلي: «سمعت أنها ماتت، هذا كل شيء».

قالت والدتها: «يا له من خبر محزن!».

تمطت تشارلي، ودوّرت كتفها. «أعتقد أنني سأذهب إلى الداخل لإعداد المرتبة الهوائية».

قالت لها والدتها وهي تقف: «فكّري فيما قلته لك».

عندما غادرت تشارلي، وانتهت ذكرى عندما كانت صغيرة جدًا وكان والداها لا يزالان معًا. كانت جالسة في المقعد الخلفي للسيارة، وزجاج النافذة مسحوب لأسفل. داعبت الرياح شعرها، بينما كانت موسيقى تنبعث من الراديو وقدمتا تشارلي الصغيرتان تتأرجحان تماشيًا مع الموسيقى، وكان الأب والأم يضحكان معًا. في تلك اللحظة جعل ضوء الشمس الذهبي العالم ساطعًا بشكل مذهل في عينيها، وبدا كما لو أن الليل لن يأتي أبدًا.

بينما تناوبت هي وبوزي على نفخ مرتبتهما، تحرك بوب والأم بأريحية واضحة في جميع أنحاء الشقة الصغيرة. بدوا قانعين. كان شعورًا غريبًا، لكنه لطيف. كأنه لم تكن هناك لعنة دائمة، لكن فقط ميراث عائلي غير راسخ للعلاقات السيئة لنساء هول مع الرجال، وكأن كلاً منهما كانت تدور في حلقة لم يكن محتتمًا على واحدة منهما أن تعلق بها إلى الأبد.

استلقت تشارلي وبوزي بجانب بعضهما بعضًا، محاولتين موازنة المرتبة. طافت بعقل تشارلي ذكريات طفولتها التي شملت مشاركة السرير مع بوزي، وهمسهما المتبادل عندما كانت لديهما الأسرار نفسها.

وعندما كانتا تحظيان بالهدايا نفسها.

فكرت تشارلي في اللحظة التي انقسم فيها وعيها، عندما استوعبت كيف تكون في مكانين في وقت واحد. حتى الآن عندما تغمض عينيها، فإنها تشعر بظلالها. وإذا ركزت بقوة كافية، يمكنها أن ترى نفسها من منظوره.

وبمجرد أن فعلت ذلك، سرت موجة من الذعر في جسدها.

لم يكن لدى تشارلي قَط سمكة ذهبية أو سلحفاة؛ لأنها كانت تخشى أن تنسى إطعام أي شيء لا يمكن أن يصرخ طلبًا لإطعامه. عندما حَمَلت ذات مرة تطبيقًا لمساعدتها على تذكُّر شرب الماء بكثرة، كانت به صورة لنبات من المفترض أن تنقر عليها عندما تتناول كوبًا بوصفه رمزًا لإرواء النبات وقتما تروي نفسها. لقد قتلت تشارلي هذا النبات الافتراضي مرارًا وتكرارًا بنسيانها شرب الماء، وفي بعض الأحيان كانت تشرب الماء، ولكنها تنسى النقر على صورة النبات، وفي بعض الأحيان تنسى شرب الماء والنقر معًا. كيف ستتذكر إذن تغذية الظل بالدم كل يوم؟

كيف كانت ستمنعه من أن يمتص كل طاقتها عن طريق الخطأ حتى تذبل؟ كيف كانت ستمنعه من أن يصبح وحشها الشخصي؟

وهي مستلقية على الفراش، أحاطت بها أنفاس النوم الناعمة إذ استسلم الآخرون للنوم. لكن عقل تشارلي لم يتوقف عن الركض، ولا يسعه التوقف عن القلق، ولن يتوقف عن تجميع وإعادة تجميع المعلومات التي كانت لديها.

بمجرد أن أدرك سولت أن حفيده يتمتع بقدرات سحرية، صار راغبًا في السيطرة عليه. أتاح وضع كيارا ابنته وأم فينس العديد من فرص الاستغلال. استطاع سولت بسهولة أن يحصل على حضانة فينس في المحكمة. كان لديه المال لتلبية رغبات كيارا غير السوية؛ ومن ثم فإنها لم تكن حتى لتعارضه.

وبالنسبة لفينس، كان يكفي الوعد بإرسال والدته إلى مركز إعادة التأهيل، حتى تتحسن، ومن ثم اعتبار تيسير زيارتها على فينس مكافأة على حسن سلوك الأخير، مع إبقاء وعد لمّ الشمل معلقًا إلى الأبد فوق رأسه. كما شكّل الخوف من أن يعاقب على زلاته من قِبَل جده حافزًا أكبر له.

لو أن شابة مثل تشارلي واتها القدرة على تخيُّل تطبيق خطة خبيثة كهذه، وإن لم تتطابق كل تفاصيلها مع ما حدث، فلا شك لديها في أن عجوزًا مكرًا مثل سولت قد ابتكر نسخة

أسوأ بكثير منها.

وهكذا صار فينس يفعل ما يقوله له سولت، وأصبح ريد، مهما كانت حاله من قبل، انعكاسًا لتلك الأشياء التي يفعلونها معًا. لكن السيطرة على شخص بالغ أصعب بكثير من السيطرة على طفل، خصوصًا من لديه باع طويل في ممارسة التلاعب والقسوة.

لذلك خطط فينس للمغادرة والانضمام إلى والدته، لكن شيئًا ما حدث بشكل خطأ. ربما أدرك سولت أنه لم يعد بحاجة إلى فينس إذا صار لديه ريد، ومن ثم فقد قطع ظل حفيده.

لكنه حتى إذا كان قد خطط لخياطته أو إعادة ربطه به، فإن هذا لم يحدث. لقد أصبح ريد ظلًا مستقلًا، من النوع المتكلم؛ لذلك أصبح لزامًا على سولت أن يعقد صفقة. من الممكن أن يكون هو الشخص الذي يُطبَّق الطقوس المذكورة في كتاب الخراب، وفينس هو الشخص الذي يسرق الكتاب لمنع ريد من أن يتجول بحرية ويفعل ما يشاء حول العالم.

لم يكن سولت ليமானع صنَّع أي وحش، ما دام ذلك يخدم مصالحه. وفي غضون ذلك، سيواصل ريد القتل من أجله وفعل ما يُطلب منه. وبالتعاون معًا، يُقبل سولت في مجلس الكابال.

ولكن إذا كان سولت قد وعد ريد بمكافأته بحلول وقت إعلانه عضوًا في مجلس الكابال، حينئذٍ يمكنها تخيُّل سبب مدى حاجته إلى الكتاب. تكمن مشكلة الوحوش في أنك بحاجة إلى إبقائها مقيدة، أو ستقلب عليك.

لقد أراد الهيروفانت الكتاب بقدر ما أراد سولت. هل جعله الظل المرتبط به ملتزمًا بوعده معين وبعض الترتيبات للاطلاع على الطقوس نفسها وتطبيقها؟ أم أنه كان يعمل لحساب مجلس الكابال، في محاولة لمنع ريد من أن يصبح شكلاً جديدًا وأكثر فظاعة من ظل متحرر طليق وقاتل؟

والأهم من ذلك، ما الذي ستفعله تشارلي؟ يتوقع منها سولت أن تجلب له كتاب الخراب بحلول نهاية الأسبوع، وها هي عطلة نهاية الأسبوع تقترب بسرعة.

كانت كل ذرة في جسد تشارلي تؤلمها؛ رأسها، عيناها، أضلاعها.

استقرت نظرتها على الثلجة التي تتزين بعشرات المغناطيسات. وعندما نظرت إليها، خطرت لها فكرة عن الشيء الفضي المغناطيسي الصغير المتدلي من مفاتيحها. الشيء الذي وجدته بين متعلقات فينس.

ربما تعلق الأمر كله بهذا، مغناطيس. مغناطيس لحمل كتاب مغطى بالمعدن.

نهضت بهدوء قدر استطاعتها، مرتدية قميصًا استعارته من بوب، وأدخلت قدميها في حذاءها ثم ارتدت واحدًا من معاطف والدتها. ثم انزلت عبر الباب بهدوء مثلما كانت تنسل إلى الكثير من المنازل الأخرى.

في ساحة انتظار السيارات، أعطت زاوية ضوء الشارع ظلًا طويلة لكل شيء من حولها. كان صوت السيارات على الطريق السريع بعيدًا، وبالكاد يمكن رؤية خيوط أشعة مزرعة البرق.

فتحت تشارلي غطاء محرك سيارتها الكورولا ونظرت أمامها إلى الأحجية المتمثلة في المحرك وشمعات الإشعال وأشياء أخرى لم تكن تفهمها حقًا. الأغنياء لا يغيرون أبدًا زيت سياراتهم بأنفسهم، أو تبديل إطاراتها، وبالقطع لا ينظفون مقاعدها مهما حدث. على النقيض من ذلك، فقد أمضى فينس الكثير من الوقت في العمل على سيارتها.

لكن كتاب الخراب لم يكن مدسوسًا في أحشاء الكورولا، ورغم أنها زحفت تحتها فإن الشيء الوحيد الذي اكتشفته هو وجود تسرب في الزيت.

في الصباح، أحست تشارلي بسخونة في رقبته، فدخلت الحمام ورشّت الماء البارد على وجهها، ومشطت شعرها. لم تكن توقعات والدتها المتشائمة بشأن حالة وجهها دقيقة. كان التورم حول عينها قد خفّ. ومع ذلك، فقد تحول مكانه إلى دائرة أرجوانية داكنة، مع الكثير من كدمات صفراء وخضراء عند الحواف.

أعلنت تشارلي أنها ستذهب إلى الصيدلية في أثناء تناول الإفطار، وشرب الحليب الحلو في وعاء الحبوب الخاص بها.

فردت والدتها: «لا يمكنك الذهاب إلى العمل بهذا الشكل».

قالت لها تشارلي: «أعرف. لهذا السبب أحتاج إلى الذهاب إلى الصيدلية أولاً».

فنحرت بوزي بشكل غير مهذب.

بعد بضع دقائق، خرجت تشارلي.

وفقًا لدروس يوتيوب التعليمية التي شاهدها بينما كانت مرتبة الهواء تنكمش ببطء تحتها، كان مكياج الهالوين أفضل فرصة لها لإصلاح وجهها. لحسن الحظ، بقيت بعض مستلزماته في قسم التخفيضات. اشترت تشارلي علبة ألوان رخيصة تتكون من الأبيض والأخضر الليموني والأزرق الملكي والأصفر الفاتح والأحمر الكرز. كانت قلقة من أنها ستبدو كمهرجة.

وأضافت إلى ذلك بعض الأشياء العادية، مادة لإخفاء عيوب الوجه، وكحل عين سائل، وأحمر شفاه قانٍ بشكل مشتمٍ للانتباه، ومزيل عرق جديد، وثلاثة أطقم من الملابس الداخلية، والقميص الأسود الوحيد الملائم لمقاسها. لسوء الحظ، كان القميص مزيّنًا بصورة حيوان رنة أحمر الأنف تحتها عبارة من قبيل **اللعنة على كل شيء** بأحرف بارزة. ومع ذلك، فقد كانت هذه فرصة جيدة لكسر الفاتورة البالغة مائة دولار التي سيحاسب عليها سولت بمعنى ما.

بالعودة إلى الشقة الصغيرة، ألقت تشارلي بالأغراض على سرير والدتها وبدأت تنهياً لعمل ما تريد.

بعد الكثير من البحث عن عجالات الألوان على جوجل ومشاهدة بعض الفيديوهات مرة أخرى، خلطت اللون الأصفر الفاتح مع القليل من اللون الأحمر ووضعت على الأجزاء المتورمة ثم انتظرت حتى يجف.

من المثير للدهشة، أنه بحلول الوقت الذي وضعت فيه طبقات الكونسيير بلمسات دقيقة، كان الشيء الوحيد الذي أظهر أنها تعرضت للضرب هو أثر التورم، وحتى هذا كان أقل وضوحاً بجوار الشفة الحمراء وقليلاً من اللون الذهبي المنتور على جفنيها.

قالت والدتها وهي مقطبة: «تبدین بحال جيدة، لكنني ما زلت أعتقد أنه يجب عليك أن تتصلي بربة عملك لتخبريها بأنك مريضة ثم تتحدثي إلى رجال الشرطة بشأن ما حدث لك».

كذبت تشارلي كالعادة وقالت: «سوف أفكر في الأمر».

فسألته بوزي: «هل أنت مستعدة للذهاب، وهل يمكنني استخدام بعض من ذلك؟».

اندفعت تشارلي إلى الحمام لتصلح شعرها وتقلب قميص حيوان الرنة ذي المظهر المزعج من الداخل للخارج. عندما عادت، كانت بوزي تضع بعضاً من كحل العين، وبعضاً من ظل الجفون اللامع.

ثم اقتسمتا أطقم الملابس الداخلية.

في تلك الليلة، شعرت تشارلي ببعض الغرابة بعد عودتها إلى مقر عملها في حانة رابتشر. نُظفت الفوضى، وأزيل الزجاج المكسور، وكانت هناك زجاجات شراب جديدة موضوعة

على الرفوف. على الرغم من أن المشرب لم يكن ممتلئًا جيدًا كما كان - أنواع زجاجات الشراب غير التقليدية التي تحبها أوديت سيستغرق تعويضها وقتًا - لسبب عملي بحت.

عادةً ما يكون إيقاع العمل في أيام الأربعاء بطيئًا، ولكن لأن الحانة أغلقت أبوابها معظم أيام الأسبوع بسبب ما جرى كانت هناك تشكيلة متنوعة من المؤدين ممن يُقدّمون عروضهم الفنية المختلفة على المنصة. عندما دخلت تشارلي، كانت إحدى الفنانات تؤدي أعمالاً من قبيل تعليق الإكسسوارات بالجسم وشق اللسان لمن يريد.

في الوقت الذي كانت تشارلي تصب فيه أول مشروب لأول زبون، كانت هناك بهلوانة تضع أقرابًا في أنفها وخديها تؤدي مجموعة من الحيل كان نصفها متعلقًا بخفة اليد والنصف الآخر كان هزليًا.

بعد ساعة، صارت متعرقّة ومتقرحة القدمين. كان عليها أن تبذل جهدًا واعيًّا حتى لا تلمس وجهها وتمسح مكياجها الدقيق. ومع ذلك، فقد لاحظ الزبائن التورم.

رمقها بالتازار بنظرة غريبة عندما رآته خارجًا من صالون الظل الخاص به.

ثم قالت لها أوديت وهي تجلس إلى المشرب أمامها: «اصنعي لي ذلك الشيء الكريه الذي أحبه». كانت ترتدي سترة حمراء عتيقة مطبوعًا عليها أسلاك شائكة سوداء.

استدارت تشارلي لتصنع لها كأسًا من مزيج الأفسنتين والإسبريتزر.

ثم سألتها أوديت: «كيف حالك الآن؟».

«أنا بخير». هزت تشارلي كأس أوديت الخاص بيدها ثم دفعته إليها مع قشرة ليمون للتزيين. ثم تابعت: «أنا مسرورة بالعودة».

قالت لها أوديت: «جميل منك أن تقولي ذلك، على أية حال».

ثم قالت تشارلي، مع إبقاء صوتها منخفضًا: «قابلت صديقًا لك. هل صحيح أن أحد زبائنك ملياردير حقيقي؟».

حست أوديت رشفة من مشروبها وتجهمت قليلاً من أثر لدغة الكحول. «ليونيل؟ عميل؟ لا بالطبع. إنه يفضل أن يكون من يمسك بالسوط لا من يُضرب به.».

تظاهرت تشارلي بالدهشة.

«هل زرت منزله من قبل؟».

«بالتأكيد. إنه منزل عتيق وقاتم حيث الكثير من السجاد الفخم، والكثير من البخور، والأعمال الفنية المروعة. لكن زجاجات الشراب لديه من الدرجة الأولى وهو يعرف الكثير من الناس المثيرين للاهتمام.» ثم تمهلت وتابعت: «لقد اتصل بي في الصباح التالي لاقتحام ذلك الرجل للحانة، وسألني الكثير من الأسئلة حول فينسن. برأيك ماذا يريد منه؟».

نظرت تشارلي إلى أوديت بثبات قدر استطاعتها وقالت: «لا توجد لدي فكرة. ربما لديه وظيفة غريبة يريد من فينسن القيام بها.».

فعمَّبت أوديت: «آه، نعم. يجب أن يكون شيئًا من هذا القبيل.».

تساءلت تشارلي: «هل تتذكرين ذلك الشيء الذي قلته عن أن الماضي هو الشيء الوحيد المهم؟ ماذا كنتِ تقصدين؟».

«هل قلت ذلك؟» بدت أوديت مندهشة. «حسنًا، إذا قلت ذلك، فأعتقد أنني قصدت معناه الحرفي.».

«أليس ما نحن عليه اليوم هو المهم؟» لم تكن تشارلي تعرف سبب إلحاحها على استقصاء هذه النقطة؛ لأنها لم تكن سعيدة بالإنسانة التي كانت عليها. كانت أوديت تتحدث عن فينس عندما قالت ذلك، وليس تشارلي.

ضحكت أوديت وقالت مؤكدةً: «بالتأكيد يا عزيزتي».

«أليس هذا هو الهدف من إعادة اكتشافنا لذواتنا؟».

أخذت أوديت رشفة ثانية من مشروبها وأغلقت عينيها قائلةً بسرور: «آه، نعم، هذا جيد». ثم رمقت تشارلي بنظرة جعلتها تتذكر أن أوديت عاشت حياة أطول منها وربما أكثر صعوبة أيضًا. «مَن نحن وماذا فعلنا وما حدث لنا؟ لا يمكننا أن نتجاهل هذه الأشياء ونصبح شخصًا جديدًا مائة بالمائة».

رفعت تشارلي حاجبيها. «يمكننا المحاولة».

«خذي الهوس وأنماطه مثلاً، ولتحاولي أن تتبيني مقصدي قدر استطاعتك. لا رجل يُعَجَبُ بقدمي امرأة أو أحذيتها أو حتى يخاطر بفعل تصرفات غريبة من دون سبب. أعرف صبيًا كان يجلس تحت طاولة المطبخ ويرسم بينما تتحدث والدته وصديقاتها. كان ينظر إلى أحذيتهن، ويعرف أنه إذا لمس أحدها فسيُكتشف ثم سيتعين عليه المغادرة. يمكنك تخمين ما يحبه أو افتراض أن لديه هوسًا غريبًا بشيء ما مثل الأحذية. ولكنه إذا لم يعترف بذلك لنفسه، فماذا بعد ذلك». قالت أوديت وهي ترفع مشروبها وتبتعد: «يتطلب الأمر شجاعة ليصبح المرء مغامرًا. وهل هناك مغامرة أفضل من اكتشاف ذواتنا وميولنا الحقيقية؟».

في أثناء عمل تشارلي، تركت جسدها المعتاد أداء تفاصيل المهنة يتولى زمام الأمور، وتركت نفسها تنغمس في إيقاع العمل. تملأ هذه الكأس، أو تهز هذه الزجاجات، أو تسحب بطاقة ائتمان في آلة الدفع الإلكترونية أو تضع باقي الحساب في جيبها، أو تتفنن في إمساك زجاجات الشراب والصب منها بطرق مختلفة وغير تقليدية.

بينما كانت تمسح الجزء العلوي من المشرب وتجمع المناديل المبللة وأدوات التقليل الخشبية، تحولت أفكارها إلى أيامها الأخيرة مع فينس. في اليوم السابق لمغادرته، خرج بحجة تنظيف المزاريب. لا بد أنه كان يعلم أنها كانت مسألة وقت فقط قبل أن يربط

سولت النقاط المتناثرة ببعضها ويكتشف أمره. ربما انتهز تلك الفرصة لنقل كتاب الخراب إلى شاحنته. لقد قلبت الغرفة رأسًا على عقب بعد ساعات فقط من ذلك، وربما كانت قريبة من العثور عليه في تلك اللحظات.

كان إخفاء الكتاب في شاحنته إستراتيجية قصيرة المدى في أحسن الأحوال. بما أن فينس لم تكن لديه بطاقة هوية شرعية، لم يكن بإمكانه تسجيل مركبة تخصه. ومن ثم فإذا أُوقِف فسُحجَز الشاحنة.

وإذا وجد ليونيل حفيده في أي وقت، فسيكون هذا مقصدًا واضحًا للبحث فيه.

الآن بعد أن فكرت في الأمر، فإنها أدركت أن سيارتها كانت مخبأ سيئًا بالقدر نفسه. شخص ما مثل هيرميس ربما مشطها في تلك الليلة التي جاء فيها إلى الحانة. كما كان سولت يقف بجانبها قبل أربعة أيام فقط.

لكن هذا ترك كل مكان آخر كمخبأ محتمل لإخفاء كتاب الظلمة.

قال ليام إنه عندما يخفي فينس شيئًا ما، فإنه يختار أحد الأماكن التي لا يراها الأغنياء أو لا يتشككون بها أبدًا. ربما خبأه في إحدى مناطق أو أركان منزل سولت حيث لا يذهب أبدًا: غرفة الغسيل، المخزن، خلف التلفاز. سيكون هذا اختيارًا ذكيًا؛ لأن سولت يمشي عبر منزله طوال الوقت ولا يلاحظ أشياء كهذه أبدًا. لكنه اختيار محفوف بالمخاطر أيضًا. سيكون من الصعب إعادة الحصول على الكتاب، وليس هناك ما يضمن أن شخصًا آخر لن يزعجك ويفسد خططك. حتى لو وضعه في المدخنة من الداخل، فقد يعثر عليه الأشخاص الذين يُصلِحون المداخن أو السقوف. حتى على السطح...

توقفت تشارلي، لأنها كانت تصب مزيجًا فاض منها خارج الكأس.

من هذا الذي ينظف المزاريب في اليوم التالي لقتله شخصًا ما وقبل يوم من هجره لحبيبته؟ شخص محترم ولطيف على نحو يبعث على السخرية والاستغراب معًا. شخص

كان ينوي الشروع في أداء مهمة وأراد إنجازها قبل رحيله.

أو شخص كان ينقل شيئًا ما إلى مخبأ جديد، مكان لم يكن من المحتمل أن يعثر عليه أحد، ولم يكن من نوع الأماكن التي يتذكرها شخص مثل سولت. كان منزلهم المستأجر يحتوي على مدخنة متصلة بالفرن وسخان مياه بدلاً من مدفأة.

وكان عليها غطاء شبكي معدني. غطاء قد ينزعه مغناطيس.

بالطبع، كان هناك الكثير من الأشياء المصنوعة من المعدن في المنزل. لكن خارج المنزل كان الخيار المنطقي أكثر إذا أراد فينس حماية الأشخاص في الداخل من أي خطر داهم. وإذا أراد أن يكون قادرًا على استعادته من دون الحاجة إلى مواجهة تشارلي.

يمكنها أن تبحث، على أية حال.

سيعطيهما هذا فرصة للتحقق ومعرفة ما إذا كان آدم قد فتش مكانها. إذا لم يبدأ أنه كان هناك، ستتصل تشارلي ببوزي ويمكنهما نقل أغراضهما والعودة في الصباح. يمكنها أن تضع مضرب بيسبول بالقرب من الباب لغرض الحماية من أي اعتداء، ومعرفة ما إذا كان المالك سيمانع إذا ثبتت تشارلي زوجًا من الأقفال على باب المدخل.

إذا عثرت تشارلي على كتاب الخراب، فستغدو لديها مشكلة مختلفة. لم يبتزها أحد من قبل لأداء مهمة معينة. كان الوعد دومًا هو أن تؤدي هذه المهمة، وسيكون هناك دائمًا مهمة أخرى. سياسة الجزرة والعصا، ذهابًا وإيابًا، حتى نسيت أن لديها الخيار في المقام الأول. ثم ماذا؟ هذه المرة لم تكن هناك مكافأة في النهاية، فقط سكين في الظهر.

قد لا تتفق تشارلي مع أوديت في أن الماضي هو الشيء الوحيد المهم، لكن هذا الرأي علّمها شيئًا ما.

علاوة على ذلك، فإنها لن تسمح لنفسها أبدًا بأن ترضخ لشخص مثل ليونيل سولت.

كان عليها أن تخذعه. لم تكن متأكدة من كيفية القيام بذلك، لكن كان عليها أن تهزمه في لعبته المخادعة. لقد أدركت أنها يجب أن تتعامل مع ذلك أو أن تموت وهي تحاول أن تجلب لنفسها السكينة، مثل ترك تيار مائي عارم يسحبك بعيداً معه.

وبينما كانت تُلَوِّح لأوديت وتتمنى لها ليلة سعيدة وتركب سيارتها، كان لدى تشارلي مزيج من الشعور بالمرارة والبهجة الذي يشعر به المرء قبل مغادرته لمدينته. توديع كل شيء؛ لأنك غير متأكد من أنك ستراه مرة أخرى.

أوقفت تشارلي سيارتها على مبعدة مربع سكني من منزلها وترجلت. عندما اقتربت من المنزل، رأت أضواء تتحرك على شاشة بالداخل. كان التلفزيون قيد التشغيل.

أبطأت خطواتها. هل نسيت بوزي إيقاف تشغيله قبل المغادرة؟ هل كان آدم متعجرفاً لدرجة أنه اقتحم المنزل ثم اعتبره منزله واسترخى بالداخل؟

أخذت تشارلي السلم بهدوء من حيث كان يتكئ على جانب المنزل وأسندته إلى المزاريب. وبينما كانت تتسلق الدرجات، صارت قادرة على رؤية الداخل بسهولة أكبر.

كان هناك شخص ما في المنزل. في ضوء التلفزيون المتقلب، كانت قادرة على رؤية شخص متكوم في جانب واحد من الأريكة، كما لو أنه قد نام في أثناء ترقُّبه عودة شخص آخر إلى المنزل.

28. التخلي عن كل الآمال.

على السطح، زحفت تشارلي فوق ألواح السقف. لم يكن السقف شديد الانحدار، وكان القمر ساطعًا بما يكفي لكي ترى طريقها إلى المدخنة القصيرة المموهة بغطاء شبكي معدني. ثم قامت منتصبّة وتطلعت إلى الحي من حولها للحظات حتى تأكدت من أنه لم يكن هناك أحد في الشارع يشاهدها، ثم فتشت بحثًا عن المسامير اللولبية في الغطاء. لدهشتها، رُفع الغطاء بسهولة ومن دون مقاومة كما لو أنه مصنوع من مادة خفيفة وواهية بقدر ما مثل القصدير أو الألومنيوم. ثم نظرت إلى أسفل المدخنة، ورأت أن حوافها الداخلية مبطنّة بشرائط معدنية أثقل.

وهناك، كان صندوق من الصلب بقفل مثبت على جانب واحد.

خفق قلبها بشدة، لطالما كانت السرقة لعبة بالنسبة لتشارلي، حيث كان ذكاؤها يتنافس مع ذكاء الشخص الذي أخفى عنها الشيء المرغوب فيه. كان حل اللغز هو الهدف، مع الإثارة الناتجة عن ذلك. ولكنها عندما مدت يديها إلى الصندوق، شعرت بعدم الارتياح. لم تستطع التخلص من الشعور بأن الظلام نفسه كان يراقبها، في انتظار أن يهاجمها ويضربها.

سحبت تشارلي الصندوق إلى الخارج، ما أدى إلى سقوط اثنين من المغناطيسات المثبتة حوله إلى أسفل المدخنة. لقد أصدر صوت رنين كانت تأمل ألا يكون مسموعًا في الداخل.

ثم سكتت للحظة وهي تنصت.

لم يأتها صوت من الداخل. هل كان آدم هو الشخص الذي ينتظرها؟ بالتأكيد، لقد كان غاضبًا بما يكفي لاقتحام منزلها والعبث به، باحثًا عن كتاب نايت سينج، لكنها لم تعتقد أنه يملك الصبر للانتظار أكثر من أربع وعشرين ساعة حتى تعود.

ثم إن فينس قد نام في هذه الوضعية أمام التلفزيون لمرات عديدة.

ربما صار مستعدًا الآن ليقول لها الحقيقة. أو ربما جاءها بحفنة جديدة من الأكاذيب. لم يكن فينس يعرف ما قاله لها سولت، أو ما الذي قالته أو بحثت عنه بنفسها. من المؤكد أنه لن يعرف أنها سرقت كنزه الغالي بالفعل. سيكون من المرضي لها أن تشرح له كيف أنه كان مخطئًا بشأن علاقتها بآدم.

جعلها التفكير في خوض شجار آخر معه تشعر بالدوار قليلاً، كما جعلها تريد وضع بعض من أحمر الشفاه!

بحذر، زحفت تشارلي عائدة إلى السلم وانزلت لأسفل وهي تضم الصندوق إلى صدرها، وجفلت عند سماع صوت صرير الخشب.

بهدوء، نزلت إلى الأرض ومشت عبر ساحة جارها، وهي تتحرى الابتعاد عن الضوء. في سيارتها، دست تشارلي الصندوق المعدني أسفل المقعد الأمامي.

ما كان عليها فعله في تلك اللحظة هو المغادرة. الرجوع إلى شقة والدتها الصغيرة ومحاولة فتح القفل الموضوع على الصندوق. لكن الجمع بين الأمل في وجود فينس بالداخل مع كراهيتها لآدم أغراها.

تسللت عائدة إلى المنزل. كان من الغريب هذه المرة أن تحرص على التسلل كلصّة وهي تسعى إلى دخول منزلها. لكن أول شيء جربته هو أول شيء حاولت فتحه دائماً، الباب الأمامي. أدارت المقبض ووجدت أنه غير مقفل.

ربما تركته بوزي مفتوحاً عندما أسرع بالمغادرة آخر مرة. كما أن آدم ربما اقتحم المكان بطريقة أخرى ثم استخدم الباب الأمامي إذا كان قد غادر ثم عاد. لكن أبسط تفسير هو أن فينس قد استخدم مفتاحه للدخول ولم يغلقه وراءه؛ لأنه توقع عودة تشارلي في وقت لاحق من تلك الليلة، بعد أن تنهي عملها.

مدت يدها لتكتم صوت الجرس على الباب الداخلي وهي تفتحه. ثم انزلت عبر المطبخ، وتوقفت لالتقاط مقلاة ثقيلة متبقِّ بها قطع صغيرة من المكرونة المحترقة، فقط في حالة اضطرت لاستخدامها.

وبعد بضع خطوات أخرى، توقفت عند مدخل غرفة المعيشة. كانت الرائحة هي التي أصابتها أولاً، رائحة اللحم المتحلل هي التي جعلتها تكاد تتقيأ. كان هناك شيء داكن يلمخ الجدران، كما كان الجسد الذي على الأريكة ساكناً جداً.

شل الخوف أطرافها.

فينس.

اتجهت يدها المرتجفة إلى مفتاح الإنارة فأصبح كل شيء واضحاً على نحو مروع.

كانت الكتابة بالدم، السميكة والمتخثرة، تغطي الجدران. وفي بعض الأماكن علقت خصلات من الشعر. كانت بعض الكلمات مكتوبة بأعلى الجدران، حيث لا تستطيع اليد البشرية الوصول إليها. على الأريكة، كان جسد آدم مفتوحاً وأضلعه مكشوفة. حدقت تشارلي بهلع في صدره المكشوف والفوضى التي بداخله، ثم في ظلّه الممزق الممدد تحت قدميه.

أعدت تشارلي نظرتها لتحقق إلى الجدران. مراراً وتكراراً، كانت أحرف الكلمة نفسها مرسومة بالأصابع: ريد. ريد. ريد. ريد.

كانت تشارلي لا تزال واقفة في ذلك المدخل عندما وصلت الشرطة. لم تكن متأكدة من أنها اتصلت بهم. كما لم تكن تتذكر كم من الوقت ظلت واقفة هناك.

قال أحدهم وبيده مسدس: «أنتِ، أسقطي ما في يدكِ أرضاً. وارفعي يديكِ لأعلى».

اكتشفت تشارلي أنها لا تزال تمسك بالمقلاة من المطبخ، فأسقطتها. ثم سمعت صوت قرقعة عندما ارتطمت بالأرض، لكنه بدا كما لو كان يأتيها من بعيد جداً. بالخارج، أضافت

الأضواء الزرقاء والحمراء لسيارات الشرطة طبقة أخرى إلى سريلية هذه اللحظة. ثم رفعت يديها.

لم يكن الأمر أن تشارلي لم ترَ جثة من قبل. لقد رأت جثتين في الأسبوع الماضي وحده. لكن هذه الجثة تخص شخصًا تعرفه. إنه شخص قُتل في غرفة معيشتها. دمه يبلى أريكتها المستعملة، والتي كانت هي وأختها تعتزمان التخلص منها، والسجادة أيضًا. ربما عليها فقط أن تحرق المكان بالكامل وتتيح لمالك العقار الحصول على أموال التأمين.

اتجه شرطي آخر - امرأة - إلى تشارلي وربتت كتفها. ضجيج أجهزة الراديو في الخلفية والمحادثات الغامضة جعلت من الصعب عليها التركيز.

«هذا هو منزلك، أليس كذلك؟». سألتها الشرطية ومن الواضح أنها طرحت السؤال مرتين. «هل أنت من استدعى الشرطة؟».

قالت تشارلي: «نعم، أعتقد ذلك. نعم».

«هل قتلته؟». سألتها شرطي آخر. ضحكت تشارلي، وهو ما لم يكن سلوكًا مقبولًا في ظرف كهذا وقالت: «هل تعتقد أنه يمكنني فعل كل هذا؟».

فتبادلوا النظرات.

سألت الشرطية مجددًا: «هل قتلته؟».

«لا، لقد حصلت على إجازة من العمل. كنت أنا وأختي في منزل والدتنا طوال يوم أمس».

قالت تشارلي ذلك وأبقت يديها مرفوعتين ومفتوحتين.

جاء مصور من الطب الشرعي، على الأقل اعتقدت تشارلي أنه من الطب الشرعي. ثم تساءلت في نفسها عما إذا كان سيتعين على شخص ما تسلق الجدران وجمع تلك الشعرات

غير المرئية. كما تساءلت عما إذا كانت الشرطة ستوصي شخصًا من شركة فينس بتنظيف كل هذه الفوضى بمجرد اختفاء الجثة.

«هل تعرفين المقتول؟».

أومأت برأسها. «آدم لوكين».

«هل يعيش هنا؟ قال جارك إن هناك رجلًا يتقاسم السكنى في هذا المنزل مع شابتين».

فكرت تشارلي فيما يمكن أن تقوله. بغض النظر عن الاسم الذي تعطيه لهم، كانت بصماته في جميع أنحاء المنزل. في اللحظة التي سيفحصون فيها هذه البصمات، سيكتشفون أن إدموند كارفر لم يمُت وقد يعتقدون أنه القاتل. «إنه حبيبي السابق، فينسنت، لكنه رحل».

«ما اسم عائلته؟».

قالت لهم «داميانو» متسائلة عما إذا كان الشخص صاحب هذا الاسم موجودًا بالفعل.

ثم سأل أحدهم: «ما هذه الرسالة، هل تعرفين معناها؟».

ريد.

لون الدم. الاسم الذي أعطاه الصبي لظله.

لا تسمّه أبدًا. ترددت صدى كلمات ريفين في رأسها. لكن الأطفال يسمُّون كل شيء. يطلقون أسماء على دمي الدببة والأسماك الذهبية في برك البط وقِطَع العلكة على الرصيف. بالطبع أعطى فينس اسمًا لظله.

ربما جاء بحثًا عنه، مثل الظلال في الحكاية الخيالية. ربما أخطأ في تحديد هوية آدم وظن أنه فينس ثم غضب عندما أدرك أنه ترصد الشخص الخطأ. أو ربما قتل آدم لصالح فينس

الذي كان يحمل له ضغينة، أو جاء بحثًا عنها، ورأى فرصة سانحة للحصول على بعض الدم الجديد.

وبعد ذلك ترك توقيعه خلفه.

قالت لهم تشارلي: «لا أعرف».

سار أحدهم خلفها وهو يضع إحدى يديها على ظهرها. شعرت بمعدن الأصفاد البارد. «أعتقد أنه من الأفضل لك أن تأتي معنا. سنذهب إلى المركز ويمكنك الإدلاء ببياناتك هناك».

سألت تشارلي: «هل أنا رهن الاعتقال؟».

«سأعطيك توصيلة». كان رجلًا قصير القامة ذا كتفين عريضتين وشعر مجعد داكن. كانت شارته لامعة. أخبرها بأن اسمه هو الضابط لوبو وقادها إلى السيارة ثم دفع رأسها لأسفل حيث وضعها في المقعد الخلفي. كان الجيران قد خرجوا من منازلهم وهم بأردية النوم لمشاهدة هذه الدراما. أرادت تشارلي أن تُلَوِّح لهم، لكنها كانت مقيدة.

كان المبنى الحجري الكبير الذي يضم مركز الشرطة وقسم الإطفاء على بعد عدة بنايات فقط. لم يمض وقت طويل قبل أن تُقتاد إلى داخل المركز ووضعها في غرفة خلفية مع طاولة كبيرة. طلبوا منها الحصول على بصمات أصابعها «لغرض حصر المشتبه بهم» وتركتهم يضغطون على كل إصبع فيما يشبه وسادة ثم على ورقة. طلبوا رخصة قيادتها وسلمتها لهم. أرادوا منها أن تفتح هاتفها المحمول، وفعلت ذلك أيضًا. ثم تركوها وحيدة في الغرفة معظم الوقت، ودخلوا مرة أو مرتين للاطمئنان عليها.

بعد حوالي خمس وأربعين دقيقة، دخل المحقق خواريز، وبدا كأنه قد استيقظ للتو من النوم، ولم يكن سعيدًا بذلك. «أنتِ مجددًا؟». هكذا قال عندما رآها.

لم تتقل أي شيء. ماذا كان يمكن أن يقال؟

ثم سألتها: «هل لهذه الحادثة علاقة بما حدث في حانة رابتر؟».

هزت تشارلي كتفها. «إذا لم يكن لها علاقة، فأعتقد أنني صاحبة أتعس حظ في العالم».

فسأل وهو ينظر في مفكرته: «ماذا كان هذا الرجل آدم يفعل في منزلك؟ أنت تعرفينه، أليس كذلك؟».

إذا كنت تريد أن تنجح كذبتك في اجتياز اختبار التحقق من صدقها، سيساعدك أن تقدم أسوأ تفسير ممكن. «كان يخون صديقتي معي. بعد أن قطع علاقته بها أخبرتها. قبل يوم أمس، جاء ورائي في موقف سيارات بالمستشفى وضربني بشدة».

سأل وهو يتفحص وجهها: «هل قدمت بلاغًا للشرطة؟».

«أعتقد أنني كان يجب أن أفعل ذلك». لم تكن تشك في أنه صدّقها بشأن التعرض للهجوم. كان المكياج الذي صنعته جيدًا، لكنها كانت تضعه منذ ساعات وكانت متأكدة من ظهور كدماتها مجددًا، ولا شيء يمكن أن يخفي التورم.

بعد ذلك، أحضر لها أحدهم فنجانًا من القهوة، وهذا كان الشيء اللطيف الوحيد الذي قدموه لها. كانت الأسئلة تتكرر وتتفرع. كان معظمها عن فينس، لكنها سُئلت عن دورين أيضًا، وعدد ساعات تشارلي في العمل، ومتى تعود إلى المنزل، وما الذي لمستته حال عودتها. ثم سألت تشارلي مرارًا وتكرارًا عما إذا كانت قيد الاعتقال.

أخيرًا، قالوا إنها يمكن أن تذهب. وقالوا لها أن تبتعد عن المنزل؛ لأنه مسرح جريمة نشط. وطلبوا منها بحزم البقاء بجانب هاتفها، وأنهم سيتصلون بها مرة أخرى.

قال الضابط لوبو لأحد رجال الشرطة الآخرين بصوت منخفض: «هناك الكثير من الأشياء الغريبة في العالم، لكن الكثير منها يحدث هنا».

كانت تشارلي في طريقها للخروج عندما مرت بدورين، التي كانت ترتدي بيجامة ومعطفًا وحذاءً برقبة. كان وجهها ملطخًا بالدموع. عندما رأت تشارلي، فزعت.

ثم قالت لها بكراهية: «أنتِ». كان صوتها متحشرجًا لدرجة أنها بدت كأنها تصدر أصواتًا أكثر من الكلمات. «أنتِ فعلتِ هذا».

أرادت تشارلي الرد عليها، لكن ذلك لم يكن عادلاً. لقد أحبت دورين آدم، وحتى لو كان شخصًا كريهًا، فقد مات. «اسمعي، أنا آسفة لأنه...»

قبل أن تتمكن من إنهاء جملتها، اندفعت دورين وخمشت بأظافرها خد تشارلي.

أمسك شرطي بدورين وأعادها إلى الوراء، رغم أنها ركلت بقدميها معتقدةً أنها يمكن أن تنفلت منه. ثم قال لها: «اهدئي، بربك يا سيدتي».

قالت تشارلي متألّمة وهي تضع يدها على وجهها: «آه، اللعنة!».

صرخت دورين: «كل هذا بسببك. كان من المفترض أن تساعدني. كان من المفترض أن تعيدني إلى المنزل».

كان من الصعب أن تكون تشارلي متعاطفة للغاية مع شخص كان يبحث عنها في انتظار أن يؤذيها، لكنها كانت تتفهم وجهة نظر دورين. ربما يكون آدم قد خدع بالتأازار ودورين على حد سواء، لكن تشارلي هي من خدعته بالتأكد.

صرخت دورين: «أنتِ الشيطان نفسه، إنك تفسدين كل ما تلمسينه. هل تذكرين المعروف الذي كان من المفترض أن يفعله أخي لك؟ حسناً، لقد تم التراجع عنه. لقد عدتِ إلى المربع صفر».

هزت تشارلي كتفيها لا مبالية باتجاه أبواب الخروج: «لا يمكنك أن تهددني بما حدث بالفعل. لقد طلبتِ منه ذلك في اللحظة التي أعطيتكِ فيها الخاتم».

تمكنت دورين، التي قيد حركتها اثنان من رجال الشرطة، من البصق باتجاه تشارلي.

وهي منهكة، سارت تشارلي عائدة من مركز الشرطة إلى سيارتها مع بزوغ الفجر في الأفق. كانت الكورولا حيث أوقفتها، والصندوق المعدني مدسوس تحت المقعد. انزلقت بداخلها ونظرت إلى وجهها في المرآة، ودرست العلامات الحمراء الجديدة التي علت خديها وكانت تؤلمها بشدة.

فجأة، ذاقت طعم الملح الذي تسلل إلى مؤخرة فمها وآلمتها عينها، لكنها حبست دموعها التي انبجست فجأة.

قالت لنفسها في المرآة: «استجمعي شتات نفسك يا تشارلي هول».

كان هذا صباح يوم الخميس، ما يعني أن أمامها يومين آخرين قبل الحفل الذي سيقومه سولت؛ يومين إضافيين لاكتشاف ما أراده ظل فينس، وأين كان فينس، ومن كان يكذب؛ يومين إضافيين لمعرفة ما ستفعله بالكتاب الموجود في الصندوق.

لكن ما كانت تحتاج إليه في ذلك الوقت هو النوم. لم يكن بإمكانها الدخول إلى منزلها، لأنه صار مسرح جريمة محاطًا بشريط. ولم تكن متأكدة من قدرتها على تحمل العودة إلى شقة والدتها. إن التفكير في النوم على مرتبة هوائية في أثناء تنقلها في الشقة الخائقة، وتجنّب الأسئلة، وإلقاء المزيد من الأكاذيب، جعلها تشعر بالرهبة والذعر.

ناهيك من تهديد الظل المتحرر الذي يبحث عن كتاب قيّم قد يكون بحوزتها، وربما كان يبحث عنها شخصيًا. لهذا السبب، فإنها لا تستطيع الذهاب إلى بارب أيضًا. ولا لأي من أصدقائها.

أنتِ الشيطان نفسه، إنك تفسدين كل ما تلمسينه.

الشيطان، كما قالت سوزي لامبتون. مع أسوأ حظ ممكن.

لكن ربما يتغير حظها؛ لأن تشارلي تذكرت شيئًا ما. لقد ذهبت سوزي لامبتون إلى معتكف يوجا، تاركة وراءها شقة فارغة متاحة لتشارلي كي تقتحمها.

كانت شقة سوزي على مسافة قريبة من وسط مدينة نورثهامبتون. بعدما أوقفت تشارلي سيارتها، أدركت على الفور أن الدخول سيكون صعبًا. كان المبنى حديثًا وبه نوافذ كبيرة، ولا توجد أشجار ضخمة لإخفائها عن أعين جيران سوزي في أثناء فتح الباب. في المرة الأخيرة التي كانت فيها هناك، أعجبت بالمكان لكنها لم تتفحصه جيدًا.

أوقفت تشارلي سيارتها على بعد ثلاثة شوارع ثم دسّت الصندوق في حقيبتها، وجلبت بعض المؤن من صندوق السيارة، وسارت. كانت الساعة بعد السادسة صباحًا بقليل وكانت متأكدة من أن الأشخاص داخل هذه الوحدات السكنية كانوا يستيقظون للتو، ويستعدون لإرسال أطفالهم إلى المدرسة ثم الذهاب إلى العمل.

بعدما سارت خلف المبنى لاحظت تشارلي أن لديهم أفنية في الخلف. كان ذلك ملمحًا واعدًا لأن الناس أكثر ميلًا لمنح شخص معلق في الفناء الخلفي للمنازل ميزة الشك في أنه على الأرجح يؤدي عملاً ما شرعيًا، والأبواب الزجاجية المنزقة سهلة الفتح بشكل لا يُصدّق.

يضع الناس أقفالاً مُحكمة على مداخلهم الأمامية، مع لوحات مفاتيح وأبواب فولاذية، لكنهم يهملون المداخل الخلفية. وضعت تشارلي مفك براغي أسفل الجزء السفلي من الباب الزجاجي المنزلق في الفناء الخلفي، ثم دفعت بقوة للأعلى في الوقت نفسه الذي أدارت فيه المقبض. بعد عشر ثوانٍ كانت في الداخل، والأبواب لم تكن بالمناعة المتوقعة.

وبينما كانت تتجول في المطبخ الأبيض الحديث المزود بخزانات رخامية سميقة وسيراميك أصلي، تردد صدى خطوات تشارلي. لقد مرت بلحظة شعرت فيها وكأنها في غير مكانها تمامًا، كما لو أنها لم تكن مجرد دخيلة بل مسافرة من عالم آخر.

ثم صعدت الدرج للطابق العلوي. كانت غرفة نوم سوزي مغطاة بورق حائط بنمط رسومي مبهج من الأوراق الاستوائية. كان باب خزانة الملابس مفتوحًا، وكانت الملابس مبعثرة على الأرض، كما لو أن سوزي قد أعدت حقيبة سفرها على عجل.

تهافت تشارلي على السرير. سقطت نائمة فوق الغطاء، مع تدفُّق ضوء الشمس في الصباح الباكر عبر النافذة وهي لا تزال في كامل ملابسها.

لاحقًا، استيقظت على أضواء الغروب الحمراء والذهبية. كان رأسها مخدرًا وفمها جافًا. للحظة مشوشة، لم تكن تعلم أين هي. ثم تذكرت كل شيء بسرعة، وبتذكره شملتها موجة من الذعر.

قالت لنفسها إن ما هي فيه مهمة. مهمة، رغم أنها لم تكن متأكدة من أن لديها عميلًا محددًا. عند الانخراط في مهمة بعينها، لا يمكنها أن تسمح لنفسها بالاضطراب.

أجبرت نفسها على التعامل مع الأمور العملية. وصلت هاتفها بالشاحن الخاص بها وأرسلت رسالة نصية إلى أختها وأمها تقول فيها إنها بخير وأعطتهما موجزًا لما حدث لآدم، ثم دخلت الحمام.

أحد الأشياء التي أحببتها تشارلي دائمًا في موضوع اقتحام المنازل هو التظاهر. ها هي تحاول انتحال حياة سوزي، الأمر أشبه بارتداء القميص الجديد والقلنسوة التي وجدتهما تشارلي في الخزانة. كان لدى سوزي غسول جسم تفوح منه رائحة عشب نجيل الهند وشامبو تفوح منه رائحة القنب. في خزانة الأدوية، استقبلتها مجموعة متنوعة من زجاجات المسكنات نصف المُستخدمة. وعلى الطاولة المجاورة للسرير كتاب عن الأسرار الثمانية كي يتواصل المرء بفاعلية.

كانت جميع الأضواء ساطعة لدرجة أنه لم تكن هناك تقريبًا أي ظلال.

في أثناء تنظيف سروالها الجينز في الغسالة، أعدت تشارلي وعاءً من القهوة. في ثلاثة سوزي، وجدت علبة دايت كولا ووعاءً من زبدة الفول السوداني. أخذت تشارلي ملعقة من زبدة الفول السوداني بينما كانت تُفرغ محتويات علبة الصودا في حوض غسيل الوجه. ثم التقطت بعض مقصات المطبخ، وأخرجت صندوق فينس المعدني، وبدأت العمل على القفل.

أولاً، كان عليها أن تقطع العلبة التي أفرغتها حتى تصبح مستطياً كبيراً من الألومنيوم. ثم قطعت رقاقتين كل واحدة ذات حافة مدببة طويلة؛ نظراً لأن فينس استخدم قفلاً مزدوجاً فقد أدركت أنها ستحتاج إلى أن تضرب جانبي القفل من الداخل لفتحه.

ضغطت تشارلي بحذر على أولى الرقاقت المعدنية ثم عدلتها قليلاً بأصابعها، ثم أخرجتها مرة أخرى. بعد ذلك، وضعت الحافة أو الإسفين الطويل بالخارج، ودفعته لأسفل في الفجوة بين القفل وجسم القفل. مع ما يكفي من التواءات طفيفة ذهاباً وإياباً، جعلتها تشارلي تنزلق بعمق كافٍ لدرجة تسمح لها بتدويرها. لم يصدر عما تفعل ضوضاء مسموعة، لكن كان هناك شعور بالمقاومة. عندما لم تستطع لِي الرقاقة بقدر أكبر من ذلك، وجدت كماشة أسفل الحوض واستخدمتها لإتمام باقي العمل، ثم عملت على الجانب الآخر. عند الانتهاء من كليهما، والتواء الرقاقتين بقدر كافٍ، جذبت تشارلي بقوة.

فُتِحَ القفل.

فحبست تشارلي أنفاسها وفتحت الصندوق.

لم تجد كتاب الخراب بالداخل أو غيره. فقط قطعة رقيقة من الورق، حوافها ممزقة بسبب اقتلاعها من قلب دفتر ملاحظات.

ضربت تشارلي بكفها المفتوحة المنضدة الرخامية. اللعنة، اللعنة، اللعنة!

ماذا ستفعل الآن؟

على الفور افترضت تشارلي أن الصندوق كان مجرد شرك؛ أداة تضليل. لقد تركه فينس لإبطاء إيقاع أي شخص يبحث عن كتاب الظلال المتحررة، ما يعني أنه أينما كان، فإن الكتاب يظل معه.

عند فتح الورقة، فوجئت أن الكلام موجه إليها.

إلى المشعوذة..

إذا عثرتِ على هذا، فقد سارت الأمور على نحو خطأ.

المفتاح هو التخلي عن كل الآمال.

فينس

سكبت تشارلي القهوة في كوب وأخذت الرسالة إلى الأريكة. كان نبض قلبها يتسارع. أعاد مرأى خط يد فينس، والرسائل المكتوبة على عجل، إليها شوقًا شديدًا للتحدث معه، وللصراخ في وجهه، ولجعله يعتقد أنه بقدر ما أراد لسره أن يُكشَف، فإنها حريصة على ذلك بالقدر نفسه.

المفتاح هو التخلي عن كل الآمال. ربما يجب عليها فعل ذلك. ربما كانت حمقاء. لكن نظراتها عادت لتتأمل الكلام.

المفتاح هو التخلي عن كل الآمال. لا تتخلي عن كل أمل ممكن، هذه هي الطريقة التي تكتب بها هذه العبارة عادةً. كانت الكلمات تبدو كأنها لغز، لكنها لم تفهمه.

أخذت ترشف قهوتها بينما تحقق إلى الحائط.

لم يكن لديها فكرة عن مكان وجوده. تجول عقلها في المسارات التي يمكن التنبؤ بها وصولاً إلى الطرق المسدودة نفسها. لقد جربت بالفعل هاتفه المحمول، وذهبت إلى العنوان

الموجود في رخصته وتحدثت إلى ليام. لقد اتصلت برئيسه واكتشفت أنه لم يحضر للعمل وطُرد غالبًا.

كونه حفيد ملياردير، ما الذي كان يريد من العمل في غرف الفنادق المليئة بالدماء وتنظيف الأسقف على أية حال؟ لكنه ربما اعتاد فعل هذا، ترتيب الفوضى الناتجة عن عبث ظله.

بل ربما أحب فعل ذلك في كل تلك الغرف الفندقية الفارغة، بالطريقة نفسها التي كانت تحب بها اقتحام المنازل.

ولكن بعد ذلك وانتها فكرة مختلفة تمامًا.

هناك قصة رواها فينس عن زوجة رئيسه التي كانت غاضبة جدًا؛ لأن زوجها أحضرها إلى فندق فخم في عطلة نهاية الأسبوع، ولم يكشف عن أن سبب امتلاكه المفتاح هو أن الغرفة كانت مسرحًا لجريمة قتل ونُظفت حديثًا. ربما أنظف من أي غرفة أخرى في الفندق، هكذا أخبر رئيسه الجميع في العمل. لا شيء مقنع يدفعها حقيقة للشكوى. لم توافق الزوجة على عرضه، وأجبرته على النوم لمدة أسبوع على أريكة غرفة المعيشة.

لو كانت هناك أي غرفة شاغرة في هذا الفندق، لذهب فينس إلى هناك. لم يكن بحاجة إلى أي هوية. لم يكن ليحتاج حتى إلى اقتحامها.

أخرجت تشارلي هاتفها وبحثت قليلًا حتى عثرت على رقم كريج، أحد زملاء فينس في العمل. الشاب الذي تولى وظيفة تنظيف الجثث حتى يتمكن يومًا ما من عمل مؤثرات خاصة فائقة الواقعية للأفلام.

كانت آخر رسالة تلقتها منه منذ أربعة أشهر: لقد فرغت بطارية هاتف فينس المحمول ويريدني أن أخبرك بأنه سيعود إلى المنزل بعد ساعة.

كانت رسالة عادية للغاية.

فكرت تشارلي في اللحظة الرهيبة عندما كانت متأكدة من أن الجثة التي على الأريكة تخص فينس، وأن دم فينس هو الذي على الجدران. كان عليها أن تعثر عليه قبل أن يعثر عليه ريد.

اتصلت بالرقم فرد كريج.

قالت تشارلي: «أنا حبيبة فينس. أعلم أن رئيسه في العمل غاضب منه، ولهذا السبب أتصل بك.»

«هل هو بخير؟» سألتها كريج، وبدا ودودًا كالمعتاد. «وييني وأنا كنا نقول إنه ليس من عادته الاختفاء هكذا من دون سابق إنذار». لقد وجدت دائمًا أنه من الغريب بعض الشيء مدى تفاؤل كريج ووييني، مع الأخذ في الاعتبار طبيعة عملهما.

أما رئيسهما، فلم يكن مفرطًا في التفاؤل مثلهما.

قالت تشارلي: «إنه مريض جدًّا»، معتقدة أن هذا السبب سيغطي مجموعة كبيرة من الاحتمالات. «عندما يشعر بالتحسن سوف يتصل بك، لكنه أرادني أن أسألك عن مكان نظفه مؤخرًا. لعلها الغرفة التي لن يُتاح أن تستقبل أي نزلاء لمدة أسبوع أو أسبوعين؟ إنه يعتقد أنه ترك ساعته هناك.»

«في شيكوبي؟» بدا قلقًا بعض الشيء، لكن ليس متشككًا.

وافقته: «نعم، لكنه نسي تمامًا رقم الغرفة ولا يريد أن يسأل موظفي الاستقبال.»

«أعطني ثانية». تلاشى التوتر من صوته. إنها لم تسأل عن اسم الفندق، بعد كل شيء، أو حتى العنوان. كان يعتقد أنها تعرف المكان. «إنها 14 بي.»

قالت له: «شكرًا. سوف يتصل بك فينس عندما يشعر بتحسن».

فرد كريج: «قولي له أن يصبر حتى يتعافى». وأنهى المكالمة.

كتبت تشارلي كلمتي «شيكوبي» و«قتل» في محرك البحث بهاتفها ورتبت النتائج بحسب الأحدث. يبدو أنه كان هناك حادث طعن في نُزل إيست ستار قبل ثمانية أيام.

ثم تناولت ملعقة مليئة بزبدة الفول السوداني مكافأةً لذكائها وذهبت لإخراج سروالها الجينز من المجفف.

كان نُزل إيست ستار يقع على ناصية شارعين، مبنى من طابق واحد مع مداخل خارجية للغرف، على عكس المكان الذي تعيش فيه والدتها. ولكن إذا كان نُزل والدتها مخصصًا للإقامات الطويلة، فإن هذا النُزل عكس ذلك. إن الغرف تُستأجر بالساعة، وهي علامة مبشرة على وجود غرف شاغرة، وخدمة واي فاي، وتلفزيون ملون، وبعض من الخصوصية.

اندفعت تشارلي إلى داخل ساحة انتظار السيارات، فأصدرت كورولا صوتًا غريبًا كما اعتادت أن تفعل، شيئًا أشبه بالسعال المتقطع. ثم توقف المحرك.

قالت تشارلي للسيارة فيما كانت تأمل أن تكون نبرة صارمة: «لااااا. هذا لا يمكن أن يحدث. ليس الآن. هيا، هيا، هياااااااا».

لكن كل ما فعلته السيارة هو الانجراف لمسافة قصيرة إلى الأمام ثم التوقف، نصفها بالداخل ونصفها الآخر خارج ساحة ركن السيارات.

ضربت تشارلي عجلة القيادة بكلتا يديها في حنق، لكن ذلك لم يُغيّر شيئًا. ولم يؤدّ وضع مفتاح التشغيل ومحاولة إدارة الموتور إلى أي شيء.

أخيرًا نزلت، وعلقت حقيبتها على كتفها، ودفعت السيارة من الخلف حتى لا يبقى جزء منها بالخارج. كانت السيارة واقفة بزاوية غريبة وتشغل أكثر من المساحة المخصصة لوقوف

سيارة واحدة، ولكن لم يكن هناك الكثير مما يمكنها فعله.

على الأقل نقلتها سيارتها إلى الثُّزُل قبل أن تتعطل.

لم تكن هناك شاحنة بيضاء في الأفق مثل تلك التي تخص فينس، وهذه لم تكن علامة مبشرة. ولكن ربما يكون فينس قد خرج، أو حتى سرق لنفسه سيارة جديدة. كان بإمكانها سماع صوت تلفاز في الغرفة 12 بي وأنين ما يأتي من الغرفة 15 بي. بشكل تلقائي تحولت نظرتها باحترافية إلى أقفال الغرف.

كانت الأقفال رقمية، لكنها ليست من النوع باهظ الثمن وليست آمنة تمامًا. ما لم يُحَكَم شخص ما غلق القفل الخارجي، كان من الممكن أن تفتح به بركة قوية مع التصويب الدقيق.

كانت الستائر مسدلة في الغرفة 14 بي. ترددت وهي تدير المقبض وتفكر في أنها اقتحمت شقة أخرى قبل ساعات قليلة فحسب. ثم استعادت منظر جسد آدم وكلمة ريد مكتوبة على الجدران وتقطر دمًا.

فكرة أن فينس قد يكون بالفعل على الجانب الآخر من الباب جعلتها تتمهل أيضًا، بقدر ما كانت تأمل في ذلك.

كان عليها التهيؤ لمجابهة احتمال أن ريمي كارفر لم يكن يشبه فينس كثيرًا. ربما كان فينس يتلاعب بها. ربما كان يمثل دور حبيبها الهادئ المتفهم. ربما يكون حتى على علاقة بأديلين، والتي كانت صاحبة شخصية فوضوية ومضطربة بشدة، لكن هذا انعكاس لحال أسرتها على أية حال.

لو لم يوجد فينس الذي أحبها في الواقع فعلاً، فلعلها تتخيل أنه مات وأنها ودعت. مثلما يذهب المرء إلى جنازة ليلقي نظرة على جثمان وُضِع في نعش مفتوح: في بعض الأحيان هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنك بها قبول رحيل شخص ما، ففقد شخص تحبه حقًا.

لقد جربت خدعة البطاقة المعتادة لفتح القفل لكنه قاوم. في سيارتها، كان هناك سلك مثني وموصول بجهاز يُوضَع تحت الباب لفتحه. لم يكن استخدام هذا السلك حلًا رائعًا، حيث يكون عليك الجلوس لأسفل ودفع سلك في المسافة بين الباب والأرض. بمجرد الدخول، ينحني السلك لأعلى وإذا وجّهته بزاوية صحيحة، فإن الحلقة الموجودة في طرفه تمسك بالرافعة فتسحبها، ويدور المقبض.

بعدما أَلقت نظرة خاطفة على موقف السيارات صارت مستعدة للعودة لجلب السلك، وفي هذه الآونة خرجت امرأة من إحدى الغرف وهي تحمل دلو ثلج.

بينما كانت تنتظر أن تحصل المرأة على الثلج، ثم تعبت بآلة البيع، تساءلت تشارلي عما إذا كانت هناك طريقة أبسط للدخول إلى الغرفة.

ظلها. سترسله عن عمد ليفعل شيئًا لأول مرة. لقد دفعته للتحرك عبر المساحة المفتوحة بين الباب والإطار. لقد انقسمت رؤيتها، وبدأ صداد ينشأ بين عينيها.

حاولت التركيز على يد ظلها كي تصبح صلبة بما يكفي لإدارة رافعة الباب، لكنها شعرت وكأنها لا تمسك بأي شيء. كان جزء منها على دراية بعودة المرأة نحو غرفتها، حيث بدأ رذاذ خفيف في التساقط من السماء. بينما كان الباقي منها يتحسس طريقه في الظلام.

حاولت دفع الطاقة إلى ظلها. لم تكن متأكدة مما إذا كانت تفعل ذلك بشكل صحيح، إلى أن أصبحت يده صلبة لفترة وجيزة، وأدارت الرافعة.

تدفَّق ظلها عائداً إليها في عجلة، وكان الإحساس حادًا وغريبًا لدرجة أن تشارلي كان عليها أن تتكئ على الحائط، وهي ترتجف. كان الأمر كما لو أن عشرات من حشرات العث نزلت في كل مكان على جلدها ثم امثُصت إلى داخله بطريقة ما.

والمثير والمنهك أكثر مما حدث، الاحتمالات التي فُتحت أمامها فجأة، والامتداد الشاسع للأشياء التي يمكن أن تفعلها، والأماكن التي يمكن أن تشق طريقها إليها، وتنتشر عبرها.

أخذت تشارلي نفسًا عميقًا لثبَّت نفسها، ثم دفعت الباب ليُفْتَح.

أضاءت الأنوار ثم اضطرت إلى كتم صرخة كادت تتفلت من بين شفّتيها. لقد رأت بقعة دم ضخمة تغطي السجادة ذات النقوش الرمادية. استغرقت تشارلي بضع لحظات واقفة وهي تقاوم الدوار والذعر، لتستوعب أنها مجرد لطخة قديمة. كانت هناك بقع أخرى خافتة اللون على الحواف، حيث طمس فرك وتنظيف السجادة الكثير من آثار الدم الأخرى.

هذا هو السبب في عدم إمكانية تأجير الغرفة حتى الآن. كانت بحاجة إلى سجادة جديدة.

أغلقت تشارلي الباب ببطء خلفها، وتأكدت من أنه لم يُصَفَق.

اصطفت الصور على طول الجدار، فوق خزانة رخيصة المظهر لأدوات المطبخ. كان هناك سرير في منتصف الأرض به مرتبة مكشوفة الغطاء ومغطاة بالملابس. أُلصقت الستائر على النافذة من الداخل بأكياس قمامة، ووُضعت منشفة ملفوفة بالقرب من الباب، ربما كانت تُستخدم لمنع أي ضوء من التسرب في أثناء وجود فينس بالداخل.

كانت هناك أكياس ملابس ممزقة ومبعثرة على الكرسي بالقرب من الحمام، صندوق أحذية، وعلاقة خشبية ثقيلة، إلى جوار أحد تلك الأكياس المزودة بسحاب لرفع الجثث فيها.

عندما دخلت الغرفة، أدركت أن المصباح الموجود على منضدة السرير قد حُطِم. دُفِع السرير نفسه بشكل مائل قليلًا، كما لو أن شيئًا ثقيلًا قد دفعه. وعلى الجانب الآخر، وجدت كرسيًا مقلوبًا على جانبه.

لقد دار صراع ما هنا. هل كان غياب الشاحنة في ساحة الانتظار دليلًا على أن فينس قد هرب من مهاجميه؟ أم أن سولت أخذه مع الشاحنة؟

اتجهت تشارلي نفسها إلى الحائط حيث ألصقت صور للهيروفانت هناك، وهو يقف على زاوية شارع، يلتقي بماليك عضو مجلس الكابال. ولقطة له وهو مغطى بما يشبه درعًا غامضة، كما لو كان فارسًا من نوع ما.

وتحتها، نسخة مطبوعة من مقال نُشر قبل عامين: أسقطت جميع التهم عن مشتبه به في قضية سرقة الظل، والضحايا غاضبون. كانت صورته صغيرة وغائمة الملامح بسبب عدم طباعتها من الإنترنت، لكنها تعرفت إليه على الفور. كان اسم الهيروفانت هو ستيفن فورمان.

لكنها لا تزال لا تفهم العلاقة بينه وبين ريد، إلا إذا كان الظل المتحرر الذي كان مرتبطًا فيما مضى بـستيفن هو ريد. لكنه كان يريد منها أن توصل رسالة إلى ريد؛ لذلك لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا. لقد أزعجتها فكرة أنها لا تستطيع الجزم بما هو صائب في هذه الحالة. إذا كانت قد عرفت فينس، كان عليها أن تعرف ظله أيضًا.

على المنضدة، وجدت دفترًا، ونثرًا من الأوراق المتبقية من الصفحات التي اقتلعت.

في الحمام، وجدت مشطًا وكريمًا للشعر.

وفي سلة المهملات بجانب المراض، وجدت صندوقًا أطرافه ملصوقة ببعضها وبه بعض الطين بداخله، وكوبًا من الستايروفوم ملطخًا بطلاء أسود، وزجاجة من طلاء الأظافر الشفاف، ووعاءين بلاستيكيين فارغين بهما راتنج مكون من جزأين.

من الواضح أن فينس كان يصنع شيئًا ما، لكن ماذا؟

عادت تشارلي إلى السرير ومعها دفتر الملاحظات. ثم فتشت في حقيبتها، وخرجت بقلم رصاص وطبقت الحيلة القديمة المتمثلة في تمرير مادة الجرافيت المصنوع منها القلم برفق أسفل الصفحة حتى يُكشَف عن علامات الكتابة السابقة.

تشار...

لا أعرف كيف أقول لك وداعًا.

جلست تشارلي هناك لفترة طويلة وهي تحدد إلى كلمات الرسالة.

في حين أنها لم تفهم مغزاها، فإن فينس كان ينفذ خطة خاصة به. وبالنظر إلى ما كتبه، لا يبدو أنه متفائل بشأن الكيفية التي ستتكشف بها الأمور. كانت بحاجة إلى التفكير.

كان لدى بول إيكو صفحة من الكتاب. لقد حصل عليها من شخص ما.

وقد اطلع نايت على الكتاب، على الرغم من أنه لم يجد الطقوس التي جعلت من كتاب الخراب مشهورًا. الطقوس التي كان يريد يأمل في تطبيقها.

ربما فات نايت هذا الجزء. في نهاية المطاف، لم يكن التقليل السريع في دار المزادات كافيًا للتأكد من عدم وجود شيء مهم في الداخل. لقد رأت تشارلي الكثير من الأسرار التي لم تكن لتُكتشف بسهولة من النظرة الأولى. كلمات صغيرة مكتوبة في هامش أو متن عمل فني. بصمة مطبوعة لا تُكشَف إلا بالحرارة. الرموز التي كان من المستحيل فك شفرتها من دون مفتاح للحل مخفي جيدًا. أي من الألغاز التي يبتكرها سحرة الظلال لبعضهم بعضًا.

لكن نايت قال إن لديه الوسائل لإسقاط شخص ما، وكان لديها كل الأسباب للاعتقاد بأن هذا الشخص هو سولت. لذلك كان لا بد من وجود شيء ما.

أحضرت كتاب أو مفكرة نايت سينج، وفكت غلافه الجلدي وفتحت الصفحات، وبحثت عن اسم سولت. عن أي شيء له علاقة بالظلال المستقلة، أو الخلود، أو نسيم الحياة.

لا شيء. كما زعمت ريفين، التي قرأته، أنها لم تجد أي شيء أيضًا.

تصفحت تشارلي الكتاب مرة أخرى، بعناية أكبر. استشعرت سُمْك كل صفحة لترى ما إذا كان قد أُلصق أيُّ منها بأخرى. فحست كعبه لمعرفة ما إذا كان قد أُدخِل أي شيء فيه. ثم فحست أطراف الأوراق، ومررت أصابعها فوقها للتحقق من عدم وجود أي ميل أو عدم استواء. على الغلاف الخلفي الداخلي، وجدت علامات صمغ خفيفة على طول إحدى الحواف، كما لو أن الورقة قد أُزيلت واستُبدِلت. بعد أن نزعت السكين المتصلة بمفاتيحها، حاولت الكشط من جهة الحافة. انزلقت السكين عند نقطة التماس بين الغلاف والورقة السابقة عليه ووسَّعت الحافة، ثم رفعت طبقة الجلد. وهناك، تحته، كانت توجد أوراق مكتوبة بخط يد غير مألوف:

يبدو أن هناك طرقًا مختلفة لقطع الظل الخامل وفصله عن الشخص الحي. ريمي قادر على جعل ريد يلتقط ظل السكين ويستخدمه. (ومن المثير للاهتمام، أن السكين تفقد ظلها بشكل دائم، وفي صباح اليوم التالي، لاحظت بقعًا من الصدا على الشفرة، ما يستدعي مزيدًا من الاستقصاء). ريمي، بصفته ساحر ظلال وخبيرًا في السحر، يمكنه استخدام أصابعه، وفي أثناء قيامه بحركة قص استخدم تلك «المقصات» لقطع الرباط بين الشخص والظل. كان من الممكن أيضًا بالنسبة لي أن أقطع الظل باستخدام سكين العقيق اليماني.

يمكن أيضًا استخدام كل هذه الوسائل لإزالة الظل من الجثة، لكن هذا الظل له اختلاف واضح في الملمس والوزن. هذا الأمر يتطلب أيضًا مزيدًا من الاستقصاء.

من المفترض أن يكون سولت هو مَنْ كتب هذا الكلام. لم يكن هذا اعترافًا واضحًا، لكنه مع ذلك كاشف ومخزٍ. الصفحة التالية كانت أسوأ.

لقد قطعنا معصمها عدة مرات، معتقدًا أن ذلك ربما يمثل صدمة كافية لتنبية ظلها، لكنها ماتت مثل البقية، على الرغم من التعديلات التي أُجريت لها.

نعم، كان هذا مروعًا. لم تكن تشارلي متأكدة مما إذا كان أيُّ من هذا الكلام سيكون مقبولًا في المحكمة، لكنه سيقود المحققين للبحث عن أدلة، وهو أمر شبه مؤكد.

وسيلحق الأذى بسمعة سولت في محكمة الرأي العام، ناهيك عما سيضطر مجلس الكابال إلى فعله حيال ذلك؛ لأنه كان يستهدف أشخاصًا آخرين من سحرة الظلال.

الصفحة الثالثة كانت عن ريد.

ريمي يجري تجارب من تلقاء نفسه؛ تجارب كان يخفيها عني. لقد كان يحرر ظله. ليست لدي أية فكرة عن كيفية تحكّمه بهذا الأمر، وإعادة ظله إليه، لكنه يفعل ذلك.

هل يطعمه المزيد من الدم؟ وإذا كان الأمر كذلك، فبأي مقدار؟ منذ متى كان يفعل هذا؟ الآن سأولي الأمر انتباهًا دقيقًا.

شيء آخر يجب أن أعرفه، هل يتحكم ريمي في الظل؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك، فهل هذا يعني أن ريد مدرك لذاته؟ أنا أفكر إذن أنا موجود؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما الذي سرقه من ريمي ليغدو بهذه الحال؟

ثم صفحة أخيرة.

لقد ارتكبت خطأ، وأرجو أن أتمكن من تصحيحه.

إذا لم أتمكن من امتلاك ريد، فسوف أضطر إلى قتله.

إذا علم سولت أن نايت سينج لديه تلك الأوراق، فمن المؤكد أنه كان يريد موت نايت بأي وسيلة. كان من المفترض أن يكون سولت هو العميل الذي يدفع لآدم، العميل الذي أخفى أمره عن بالتازار.

الآن صار لديها النفوذ اللازم للتفاوض معه وما يمكنها أن تستخدمه للمناورة، هذا إذا كان بإمكانها معرفة ما يجب أن تفعل به - إذا كان بإمكانها حل اللغز في الوقت المناسب.

يتعلق الخداع والتحايل، بعد كل شيء، بكشف الحقيقة. تزييفها لاحقًا، بالتأكيد، لكن كشفها أولاً. كان هذا أقرب شيء فيما تفعله تشارلي لعمل بوزي؛ الإيمان بشيء أكبر منها. تمامًا مثلما يمكن لبوزي وضع بطاقات التاروت في صفوف صغيرة مرتبة، يمكن لتشارلي التخطيط لمناوراتها. لكن في النهاية كان عليها أن تلجأ إلى الارتجال وتثق في غرائزها.

تتذكر تشارلي الاستلقاء على بساط منزل سولت، مع وجود غرفة مخفية وخزانة على بُعد خطوات فقط. حيث يُحتَفَظ بجميع ممتلكاته الأكثر قيمة، بما في ذلك تلك التي لم يكن من المفترض بالآخرين العثور عليها مطلقًا. إن تشارلي بحاجة ماسة إلى دخول هذه الغرفة.

فقط تحسبًا لعودة فينس، مزقت تشارلي قطعة من الورق من ظهر دفتر ملاحظاته واستخدمت قلمها لكتابة رسالة له.

لقد وجدت الرسالة التي لم ترسلها إليّ. إتصل بي إذا وجدت هذه الرسالة بدورك. ولا تفعل أي شيء غبي.

محبتتي، تشار.

تركت تشارلي الرسالة على المرتبة. ثم أغلقت الأنوار وبعدها باب غرفة الفندق بحذر، وأبقت رأسها لأسفل وهي تعبر ساحة انتظار السيارات.

29. الماضي

جلس فينس في المشرب، وكل جزء منه متيقظ لزحام الناس من حوله، وللروائح العطنة للعرق وبقايا المشروبات السائلة المتناثرة على أجزاء من الأرضية. رُفع صوت الموسيقى بما يكفي ليثني الكثيرين عن محاولة خوض أي محادثات، ولكن على يمينه كان هناك رجل يحاول، وهو يصرخ تقريبًا، أن يخبر شخصًا آخر حول لعبة فيديو حيث يبني المرء منزلًا تحت الماء.

كان الرجل يصرخ، هذا هو بيت القصيد. من أجل أن تبقى على قيد الحياة، عليك أن تبني قاعدتك. يجب أن تكون مستعدًا عند إطلاق التحديث ومجيء أسماك القرش.

لقد مر شهر ونصف شهر منذ أن غادر منزل سولت، وكل يوم يمر وهو بعيد عن هذا المكان كان يكرهه أكثر ويفتقده في الوقت نفسه. لقد كان يشعر بالحنين إلى البيت الذي لم يكن بيته الحقيقي في يوم من الأيام، وللشخص الذي كان يهتم به أكثر من غيره، والذي صار بعيدًا الآن.

كان الجزء الأصعب في هذه التجربة هو توافر الكثير من الوقت للتفكير، واضطراره لأن يتخذ قراراته بنفسه، وأن يتصارع مع ذنب كونه على قيد الحياة، في حين أنه لا ينبغي أن يكون على قيد الحياة من أي منظور. كان فينس معتادًا قياس حياته في لحظات بعينها من دون أن يترك نفسه ينظر إلى الأمام كثيرًا، ومن دون أن يجرؤ أبدًا على النظر ورائه.

نحن هنا، على متن قارب.

نحن هنا، ومعنا سكين.

نحن هنا، في غرفة نوم المدير المالي في منتصف الليل.

والآن كان على فينس أن يضع خطة فعالة إذا كان يرغب في أن يبقى على قيد الحياة. كان لديه شيء ما يمكنه استخدامه لإسقاط وهزيمة الرجل العجوز، لكنه كان غير قادر على استخدامه بمفرده. من الأفضل أن يحيل الأمر إلى نايت سينج، بشبكة اتصالاته الواسعة مضافاً إليها كراهيته لسولت. كان العنصر المرغوب في الحقيبة المتدلية من كتف فينس، ولم يكن يريد شيئاً أكثر من التخلص منه.

ربما يمكن أن يتمتع فينس بمستقبل لا ينظر فيه باستمرار من فوق كتفه في حذر وترقب. جلبت هذه الفكرة معها إليه دفقة من الشعور العام بالذنب.

كانت المشكلة أن فينس لم يكن معتاداً جزء التخطيط، إذ كان كل شيء في عمله السابق قائماً على التنفيذ أو بدقة الإعداد.

سأله الساقى: «كأس أخرى؟».

لم يكن فينس يتحدث لأحد ممن حوله بقدر ما كان يهمس لكأس الجعة التي كان يحملها، ولم تكن لديه أية فكرة عما يمكن أن يطلبه في مكان مثل هذا. كانت أدليلين لتطلب مزيجاً من الشمبانيا والفودكا «لإفاقتها». بينما كان سولت سيطلب مشروب شعير.

كان لدى ريمي دائماً كل ما كان يحصل عليه الآخرون، لكن لم يعد على فينس التصرف مثل ريمي بعد الآن.

تتميز جعة اليقطين بأنها رخيصة الثمن. لسوء الحظ، في رأي فينس، كانت هذه هي ميزتها الوحيدة. «أعتقد أنني سأجرب شيئاً آخر».

بينما كان الساقى يتفقد ما لديه وفينس يختار مشروباً بشكل عشوائي، لاحظ اثنين من سحرة الظلال يدخلان إلى المكان. بطرف عينيه رأهما يفترقان ونظرات أعينهما تمسح المكان في محاولة لتحديد شخص ما له المواصفات التي قدّمها فينس لمن استعان بخدماتهما. لقد افترض أنهما كانا يحاولان أن يكونا حذرين، ما أتاح لظليهما أن يبدوا

خاملين، لكن فينس رصدتهما على الفور. كانت هناك طاقة ماثوثة فيهما، وما يشبه حركة دائرية مثل دوامة قاتمة الملامح عند حوافهما، مثل الدخان المتدفق من الجمر الساخن المخفي تحت أسماك الشار الموضوعة فوق شواية.

وعد نايت سينج بلقائه بمفرده، لكنه كذب، ما يعني أن فينس قد وقع في فخ على الأرجح.

لقد اختار هذا المكان لأنه كان مزدحمًا، وصار سعيدًا باختياره على هذا النحو بعدما تكشفت له التفاصيل الأخيرة. لا يمكن أن يكون هناك العديد من الأشخاص الآخرين في المكان - إن وُجدوا - من دون ظلال. ولكن ما دام جزء من الزحام بقي عند المشرب، فإن ما كان ينقصه لن يكون واضحًا.

كان فينس راضيًا أيضًا عن تديره لأنه وصف نفسه لنايت على أنه «سيرتدي وشاحًا أحمر»، وهو الوشاح الذي لا يزال مستقرًا في حقيبته، في انتظار أن يرتديه.

ثم التفت إلى المرأة التي تجلس بجانبه. إذا انخرط في محادثة، فسيعطي ساحري الظلال سببًا آخر لتجاهله. كانت في سنه تقريبًا، وقد تورّد خداهما بسبب حرارة المكان. أشارت الفتاة إلى الساق، الذي بدا كأنه يتجاهلها عن عمد. تدلى شعرها الأسود على ظهرها وشكّل وشم من الخنافس السوداء طوقًا أسفل حلقها مباشرةً.

عبر صالة المزدحمة، تموضع أحد سحرة الظلال بالقرب من المدخل، فيما وقف الآخر أمام مقصورة فارغة. لا بد أن نايت في طريقه إلى المكان.

رفع فينس يده ولفت بطريقة ما انتباه الساق.

ثم قال: «أعتقد أنها تريد مشروبًا».

حدجته المرأة بنظرة وجد صعوبة في تفسيرها،

ثم قالت بدورها: «أرخص مشروب جن لديك مع ثلاث شرائح ليمون».

التفت الساقى إلى فينس، وأدرك أن كوب الجعة الذي منحه إياه قد اختفى. لم يتذكر فينس أنه شربه. لم يتذكر حتى ما إذا كان قد أحب مذاقه.

«بوربون. بلا ثلج». قال فينس ذلك مقتبسًا العبارة وطريقة نطقها من فيلم أو شيء من هذا القبيل.

قالت له الفتاة: «لا أطلب مشروبات رديئة في العادة». وهي تعصر أول شريحة من الليمون الحامض المجفف والبني قليلاً والموضوعة على جانب كأسها.

فرد عليها: «إذن هذه الليلة مميزة».

جعلها هذا الرد تبتسم له ابتسامة سريعة. وفجأة، انتاب فينس شعور رهيب يقارب اليقين بأنه يعرفها. لم يستطع أن يتذكر أين، أو تحت أي ظرف، لكنهما التقيا من قبل.

ازداد الزحام في المكان، وأسند فينس يده إلى المشرب ليسند نفسه. «هل أنت من هذه النواحي؟». لم يكن سؤالاً ذكياً، لكن ربما تساعده إجابتها في تحديد مَنْ تكون.

دفعت المرأة شعرها الأسود إلى الوراء وتناولت جرعة كبيرة من مشروبها، محاولةً تجنّب أن يُسقطها عن مقعدها العالي الرجل الجالس على الجانب الآخر من كرسيها. «نعم، أنا من هنا. لكنني أراهن أنك لست كذلك».

أوماً برأسه، مكيفاً قصته حسب ما قالت: «وصلت المدينة منذ بضعة أشهر فقط».

رفعت حاجبيها وقالت: «هل جئت للدراسة؟».

غير موضع بحيث صار يقف بينها وبين الآخرين، وقد خبطه مرفق في ظهره من جرّاء هذا. هز رأسه نفيًا وأجاب: «أتطلع إلى إحداث تغيير في حياتي».

لدهشته فإنها ضحكت وقالت: «لدينا الكثير من نباتات الهليون لدرجة أنهم يسمونه عشب هادلي. بل إن هناك مهرجانًا يُقام له. وثلاثة أنواع مختلفة من الآيس كريم من الهليون. هذا هو نوع الإثارة الذي أنت مقبل عليه».

فرد مازحًا: «يبدو أنني قادر على التعامل مع إثارة بهذا المستوى». الشيء المضحك فعلاً أنه ربما ينطبق عليه بالفعل توصيف الغريب عن المكان على الرغم من كثرة ما رأى من مدن وبلدات أخرى.

«أعتقد أن هناك مدرسة للرماية، ومكانًا حيث يمكنك تعلُّم المبارزة بالسيف». كانت هناك بحة طفيفة في صوتها جعلته يتساءل ما إذا كان الاحمرار في خديها ناتجًا عن كثرة تناول الخمور أم بسبب حرارة المكان.

«وفي حال أردت أن أذبح تينيًا!».

كانت أظفارها غير متناسقة عند الحواف، وطلاء الأظفار متكسر بسبب كثرة قضمها لها، فردت متعجبة: «فعلاً؟».

أظهرت له نظرة سريعة تطلَّع من خلالها إلى المدخل، أن نايث سينج قد وصل ثم جلس في مقصورة في نهاية الحانة. كان حراس نايث قد تمركزوا في مواقع إستراتيجية حتى يتمكنوا - بمجرد أن يروا فينس - من محاصرته وعزله عن المخارج. لقد أحصى خمسة منهم.

بالتأكيد كان هذا فخًا. نظر فينس إلى الباب المجاور الذي كان أفراد الحشد المكتظ يدفعونه باتجاهه من كثرة التزاحم.

ردد عبارته مع تعديل لها: «هل أريد ذبح التنانين؟ في الحقيقة لا أريد أن أذبح أي شيء».

سار الساقى باتجاهها وأسقط إيصالاً أمامها، وبدأ أنه مستعد لسؤال فينس عما إذا كان يريد جولة أخرى من الشراب.

رفعت الإيصال ونظرت إلى الرجل. «ما هذا؟».

هز كتفيه قائلاً بتحفظ: «فاتورتك».

قالت بنبرة عدائية: «ربما أريد شراباً آخر».

«إذن، ادفعي مقابل آخر شراب تناولته». رد عليها بابتسامة صغيرة متغطرسة، وهو يدرك أنه يسيطر على المشرب.

فمالت نحوه، وصوتها مرتفع بما يكفي حتى يسمعا من ينتظرون مشروباتهم: «منذ جلست هنا وأنا أشاهدك تصب للزبائن مشروباتهم وتُنقص منها، وتغالط الناس في الحساب، وتستخدم المزيج الحامض بدلاً من عصير الليمون الأخضر، وتمسح ما يوجد على سطح المشرب من بقايا وتضعه مباشرةً في صندوق الثلج». ثم مدت يدها إلى حقيبتها وأخرجت حفنة من العملات المعدنية. «سوف تحترق في الجحيم».

فقال مدافعاً عن نفسه: «أنتِ ثملة».

«إذا كنت كذلك، فقد حدث هذا على الرغم منك»، حسبت ما عليها ومنحته له في صورة أرباع دولارات وعشرات سنتات، كما تركت له أكبر عدد من البنسات التي يمكن أن تجدها في قاع محفظتها.

ثم التفتت إلى فينس، ولم تنطفئ النظرة النارية في عينيها بعد وقالت: «أنت تعتقد أنني لئيمة، أليس كذلك؟».

كان يعتقد أنها كانت كل شيء كان ريمي يخشى أن يكونه. ثم قال مبتسماً: «أعتقد أنك تأخذين حقك بيدك».

تأملته للحظة طويلة ثم قالت: «تعال معي للخارج. الجو حار جدًا هنا».

تردد فينس. إذا غادر معها، فمن غير المرجح أن يكتشفه نايت ورجاله. حيث سيمشي بجانبها، ومن ثم سيصعب رصد ظلّه المفقود.

لكن جزءًا منه تساءل عما إذا كان نايت قد جاء هناك متوقعًا أن يُنصب له فخ. إذا كان ساحر الظلال يتخذ احتياطاته فحسب بدلًا من القيام بخطوة ضد فينس، فإن الوضع لا يزال قابلاً للإنقاذ.

لكن ما أراده بحق هو الخروج مع هذه المرأة.

فأخرج محفظته وألقى بضع أوراق نقدية.

ثم أمسكت بيده وقادته نحو الباب.

راقب فينس مشيتها الواثقة. لقد مشت عبر الحانة كما لو أنها تتوقع من الجميع أن يبتعدوا عن طريقها، والمثير للدهشة أنهم فعلوا ذلك. قال لها معرّفًا نفسه: «أنا فينس».

لكن نظرتها كانت على نايت سينج، وقد بدا في تعابير وجهها أنها تعرفه. ثم ارتدت نظرتها إلى فينس وقالت مشيرة إلى نفسها: «تشارلي، تشارلي هول».

أحصى فينس خمسة من سحرة الظلال، لكن هذا لا يعني أن نايت لم يوظف أشخاصًا آخرين ليسوا من سحرة الظلال.

أناس مثل تشارلي.

قد تقوده حول الجزء الخلفي من الحانة وتغرس السكين في جانبه. إذا كان محظوظًا، فيحتجزه حراس نايت سينج ويعيدونه مرة أخرى إلى سولت في مقابل شيء ما. وإذا لم يكن محظوظًا، فسيكون لديها أوامر لقتله.

ارتطم هواء الزقاق البارد بوجهه وشعر بدفقة من اللامبالاة تجاه المخاطر. كانت تروق له. راق له أنها لئيمة ومرحة وراغبة في إحداث الجلبة وقتما كان ذلك مطلوبًا.

كان يروق له أنها ليست مثله أو مثل أي شخص من حياته القديمة.

كانت تروق له بدرجة كافية ليتبعها إلى أعماق نقطة في الزقاق، على الرغم من شكوكه. عندما استندت بظهرها إلى واجهة المبنى المبنية من الطوب ورمقته بنظرة جريئة شعر كأنها تدعوه، فضغط ظهرها إلى الحائط وقبّلها.

كانت شفاتها متشقتين. كان يتنسم عطرها، الذي اختلط به شيء من رائحة الدخان ومذاق الورد. وبدا طعم فمها مثل شراب الجن.

يمكن لنايت سينج أن يعتقد أو يقول ما يشاء بشأن لقاء اليوم الذي لن يتم. يمكن لفينس إجراء التبادل في وقت آخر.

ركز فينس نظره عليها وتتبع رسم الخنافس عبر عظمة ترقوتها: «هل تريدان أن تذهبي إلى مكان ما؟». همس في أذنها، رغم أنه لم يكن متأكدًا أين يوجد مثل هذا المكان. لقد أمضى الليلة الماضية في شاحنة. كل ما كان يعرفه أنه يريدتها.

لم يكن متأكدًا مما إذا كان قد راق لها بالفعل. ربما أرادت فقط أن تنسى أي حزن دفعها لتأتي إلى الحانة لتشرب حتى تثمل. يمكنه أن يجعلها تنسى.

لقد ركز على اندفاع أنفاسها الحارة على ملمس الطوب الخشن على راحة كفه.

لم يجرؤ في تلك اللحظة بالتحديد على التفكير في الماضي، ولن يدع نفسه يفكر في المستقبل. كل ما سمح لنفسه بأن تفكر فيه هو هذه المرأة، هنا والآن.

30. أيها الداخلون إلى هنا

في ليلة السبت، ركنت تشارلي سيارة والدتها إلى جوار الرصيف بعيدًا بما يكفي عن منزل سولت لدرجة أنها لم تكن تعتقد أن أي شخص سيلاحظ وصولهما. ثم ضغطت جبهتها على عجلة القيادة، وأخذت نفسًا عميقًا.

بعدها التفتت إلى أختها في مقعد الراكب. «ليس عليك القيام بذلك».

فقطبت بوزي وقالت: «وليس عليك أنتِ أيضًا. على الأقل سأحصل على شيء من وراء ذلك. لا أعرف ما الذي قد تحصلين أنتِ عليه».

أخبرتها تشارلي: «ضربة استباقية».

لقد عرفت أن سولت قادر تمامًا على إنفاذ أسوأ وعوده. إذا لم تفعل الأمر بالشكل الصحيح، فقد لا تتاح لها فرصة أخرى.

نزلت تشارلي من السيارة، ثم قالت مازحةً وهي تتكىء على الباب: «أراك لاحقًا أيتها المتوحشة».

ابتسمت بوزي وردت: «بعد قليل، أيتها المفترسة».

شقت تشارلي طريقها على جانب الطريق، وحقيبة ظهرها معلقة على كتف واحدة. كلما اقتربت من منزل سولت الأثبه بقلعة من حكايات الجنيات، تذكرت بشكل أكثر وضوحًا آخر مرة كانت فيها هنا، والذعر الذي شعرت به وهي تركض في تلك الغابة، والغرور الذي كان لدى راند عندما دخلا. وبالطبع قرقرت معدتها.

وها هي، بعد سنوات، على وشك أن تشق طريقها إلى داخل حفل. ترتدي قميصًا أبيض مجعدًا، وسروالًا أسود رخيصًا، وسترة، ما يعطيها مظهر النادلّة. كانت تحب أن تعتقد أن راند سيكون فخورًا بها في هذه اللحظات.

لقد أمضت يوم الجمعة كله في الاستعداد. بعد أن تخلت عن مجموعتها من الشعر المستعار، ذهبت إلى المركز التجاري وطلبت من خريجة حديثة في مدرسة تجميل منحها قصة شعر قصيرة. لقد تسبب ذلك في إصابتها بحكة في الجزء الخلفي من رقبتها، لكنها بالتأكيد بدت مختلفة. مع ذلك، فقد أجرت جولة جديدة من مكياج الهالوين على وجهها لتغطية كدماتها، ووضعت جميع المستلزمات التي اعتقدت أنها ستحتاج إليها في حقيبة ظهرها. كان التورم في وجهها قد خفّ قليلًا، وكانت متأكدة تمامًا من أن ضلعها قد صار على ما يرام.

كانت تؤدي عملاً رائعًا.

حاولت تشارلي الانغماس في الشخصية، موظفة مستاءة وذات أجر منخفض تأخرت في الحضور إلى حفل ندمت بالفعل على موافقتها على العمل فيه. لم يكن الأمر بهذه الصعوبة.

بينما تدخل عبر البوابات المفتوحة - التي لاحظت أنها كانت متصلة بسياج يعلوه ما يبدو أنه سلك كهربائي - كانت قد أقنعت نفسها تقريبًا أن رؤية القصر لن تزعجها كما تظن. ثم عندما ظهر القصر في مرمى رؤيتها كادت تتقيأ ما في معدتها.

لاح القصر على مبعدة منها وقد بدا مشيدًا من الأحجار الرمادية، وتبدت نباتات لبلاب بوسطن باللونين الأحمر الزاهي والذهبي في أجواء أواخر الخريف. بدت تماثيل الجرجول، المصنوعة من البرونز والمخططة بالأخضر معلقة فوق السطح، وكأنها تراقب تشارلي وهي تقترب. كلما نظرت أكثر أصبحت ذكرياتها أكثر حدة؛ لذا حولت نظرها إلى العشب وواصلت السير.

اركض. عليك أن تركض. الناس من القصر يلاحقونني.

لقد عملت تشارلي في عدد كافٍ من الوظائف جعلها تثق بحدسها، ذلك الهوائي الافتراضي الموجود بداخلها والذي يدلها على وجود شيء ما خطأ. كان هناك شيء ما قد فاتها، كما لو كانت تنظر إلى مشهد ما بوضوح وعن قرب، ولكنها إذا تمكنت فقط من التراجع خطوة واحدة إلى الوراء، فسترى مشهدًا آخر تمامًا. كان هذا هو الشعور الذي حماها من أن يُقبَضَ عليها من قبل. في بعض الأحيان يشعر المرء أن الأجواء تتغير وأن على المرء التخلي عن أساليب التحايل والخداع.

ولكن بغض النظر عن مدى إحساسها بوجود شيء ما على غير ما يرام، لا بد من أن ترى ما ستتكشف عنه أحداث هذه الليلة.

راقب أحد الخدم المسؤولين عن ركن سيارات الضيوف تشارلي من كذب وهي تقترب من المنزل. أعطته إيماءة شخص يكدح في العمل طوال أيام الأسبوع من دون إجازة تقريبًا. بدا ذلك جيدًا بما يكفي لإقناعه بأنها موظفة، وبأن يفقد الاهتمام بها.

في الخلف وجدت تشارلي المطبخ. لقد أجرت العديد من المكالمات حتى توصلت إلى شخص تعرفه وسيشارك في الحفل. اتضح أن خوسيه كان واحدًا ممن سيقدمون الطعام في الحفل.

لقد ترك الباب مفتوحًا لها.

في الداخل، كان الجمبري البارد يُوضَع على أطباق فضية مغطاة بأوراق الخس ونوع من الصلصة الكريمية. أنزلت كرات الـريزوتو في مقلاة محمولة على طاولة رخامية كبيرة بما يكفي لوضع جثة عليها.

ثم حوّلت أفكارها بعيدًا عما ترى أمامها.

كان من السهل ألا ينتبه أحد لشخص مثلها في حفل مثل هذا، في وجود العديد من النُدُل والسقاة والخدم القادمين من الخارج. سيُستكمل تقديم الطعام مع إضافة مقبلات خاصة مثل الكافيار، أو السوشي. كانت تشارلي تأمل أن تذوب بينهم تمامًا.

كانت تخطو للتو إلى القاعة عندما نادتها إحداهن: «لقد تأخرتِ». قالت ذلك امرأة متوترة المظهر تحمل على صدرها بطاقة تعريف وشعرًا أشقر مجعدًا. ربما تكون منسقة الحفل.

استدارت تشارلي وعلى وجهها ما كانت تتمنى أن تكون نظرة بلا تعبير معين. «أسفة. كنت أبحث عن حمام لاستخدامه قبل أن أبدأ».

«ليس هناك وقت. ضعي أشياءك جانبًا وخذي هذه المُقبّلات». دفعت تشارلي حقيبة ظهرها أسفل طاولة حيث يمكن أن تمسكها بسهولة لاحقًا وأخذت الصينية المعدنية.

عبر القاعة، رأت خوسيه، وهو يلف الورد. فغمز لها.

بعد انتقالها من هواء الخريف البارد بالخارج إلى غرف مليئة بالناس صارت تشارلي تشعر بالدفء، وأخذت تنتقل عبر أرجاء قصر ليونيل سولت. كان حملها للجبن الأزرق والجوز المحلّى غطاءً جيدًا لها للتجول في القصر ومحاولة رصد وجود فينس.

كزّت تشارلي على أسنانها بسبب المزيج غير المريح من الألفة والرغبة الذي شعرت به وهي تمشي بين القاعات والغرف. احتفظت بابتسامة صغيرة ثابتة على وجهها وحرصت على ألا تلتقي عيناها بعيني أحد. لقد حماها بالتأزرار من الاتصال المباشر بالعملاء، ولكن سرقة الأشياء في بعض الأحيان كانت تعني خداع الناس؛ لذلك فإنها كانت تأمل فقط ألا يتعرف إليها أحد.

في أثناء مرورها بقاعة تشبه المعرض الفني بالقرب من المدخل، لاحظت عرضًا للكتب الأثرية تحت الزجاج. إلى جانب ذلك، كانت هناك لوحة محفورة تقول: «مكتبة ليونيل سولت ستكون مفتوحة لجميع سحرة الظلال، وستوفر مساحة حيث يمكن مشاركة

المعارف السرية والغامضة». كانت رؤوس الحيوانات المحنطة التي تتذكرها شارلي تنظر إلى الأسفل من حيث كانت تتدلى، وأعينها الزجاجية اللامعة، وقرونها المصقولة والحادة تعكس الضوء.

عادةً ما تُحجَب مجموعات كتب ووثائق مثل مجموعات سولت عن الأعين؛ لذلك يجب أن تكون فكرة إلقاء نظرة عليها من قِبَل جموع الظلاميين، خصوصًا الأصغر سنًا منهم، مغرية جدًا.

بصفتها لصة للأسرار السحرية، لم تكن رغبات تشارلي مختلفة عن الآخرين. بمجرد أن يعثر سحرة الظلال على كتاب قديم، فإنهم ينسخون التجارب أو التقنيات التي يعتقدون أنها قد تكون مفيدة إلى مفكراتهم وملاحظاتهم الخاصة، ومن ثم فإن السبب الوحيد الذي يجعلهم يعرضون النسخة الأصلية من عمل ما مهم على الملأ هو ضمان بقاء ما علموه حكرًا عليهم. فشلت تشارلي ذات مرة في سرقة مجلد من رجل ما، لأنها عندما وصلت إليه اكتشفت أنه أحرق كل كتاب حصل عليه بمجرد نسخ الأجزاء التي كان مهتمًا بها. كانت لا تزال تغضب أحيانًا حينما تستدعي هذه الذكرى، وتفكر فيها.

إذا أراد سولت أن يؤسس مكتبة، فإن ذلك سيجعله يحظى بشعبية كبيرة. حيث إنه سيُظهر استعدادًا نادرًا لمشاركة أسرارهِ القيمة، وهذا سخاء غير معهود بالأسرار السحرية.

أو أن أسرارهِ كانت أكبر بكثير وأكثر فظاعة لدرجة أن امتلاك مجموعة كهذه لا يعني الكثير بالنسبة له. في كلتا الحالتين، يجب ألا يواجه أي مشكلة في إقناع سحرة الظلال المحليين بأن صعودهِ إلى مجلس الكابال قد تأخر كثيرًا. سوف ينمو نفوذهِ، وكذلك الرعب الذي سيأتي في أعقابهِ.

تحولت نظرة تشارلي إلى ظلها، ثم بعيدًا عنه.

في نهاية القاعة عُلِّقت لوحة زيتية لامرأة ذات شعر داكن، مستلقية على أريكة، ترتدي تاجًا مرصعًا بالألماس. كان فستانها يُظهر جسدها العاري من الخصر إلى الأسفل. وكان هناك حصان ضخم معلق فوقها بواسطة أحزمة. قطبت تشارلي حينما رأت ذلك، ثم نظرت حولها. لم تكن هذه هي القطعة الفنية الوحيدة المزعجة. على مقربة منها كانت لوحة لملك روماني تلتهمه خيوله. تحت الشمعدان، رصدت رسمًا لحيوان أيل يتحلل جسده.

كما لو كان منزل سولت بحاجة إلى أن يكون مخيفًا أكثر مما هو عليه بالفعل.

سارت تشارلي على درج ضخم ورائع منحوت على شكل أسود، ثم تحت قوس إلى قاعة الجلوس. هناك، كان اثنان من السقااة يصبان المشروبات من خلف مشرب خشبي فاخر يزدان أعلاه ومقدمته بمادة البيوتر، ومجموعة صغيرة من الضيوف ينتظرون مشروباتهم. وقف رجال العصابات جنبًا إلى جنب مع الأكاديميين، وتحدث مؤدو العروض الفنية مع أصحاب النزعات الباطنية. كان سحر الظلال علمًا جديدًا، وكان ممارسوه متلهفين على معرفة كل جديد مثل الظلال التي ترفرف خلفهم على شكل الرؤوس، أو تلتف حول أجسادهم مثل الثعابين. بينما وُجد آخرون في زاوية منحرفة قليلًا خلف أصحابهم، إما أن يكونوا مقيدين بحبال فضية، وإما متحركين لاستراق النظر من النوافذ، أو لإحضار مشروب.

حتى إن أحد الظلال انحرف حتى وصل إلى الصينية التي تحملها تشارلي، وانتزع من فوقها إحدى الثمار قبل أن تتمكن من التوقف. فزعت تشارلي فتوقفت في مكانها، وابتلعت سُبَّة كادت تنفلت من بين شفيتها لأنها كادت تُسقط الطعام.

ثم سمعت ضحكًا صاخبًا من جميع أنحاء الغرفة.

مجرد مقلب سخيف. ذكَّرها هذا أنه مهما كانت متوترة، ومهما كانت شكوكها فظيعة، بالنسبة لمعظم الظلاميين الحاضرين، فإن هذه مجرد حفلة.

بجهد كبير، ابتلعت غضبها وتطلعت إلى أرجاء القاعة الكبيرة بسقفها الشاهق المكون من طابقين وجدار النوافذ.

ثم رصدت سولت في بدلة توكسيدو واقفًا بجانب إحدى أرائكه الأربع الضخمة، ومخاطبًا عددًا قليلًا من سحرة الظلال كبار السن. كما وقفت أدلين بجانب الموقد المصنوع من الحجر الجيري، مرتديةً ثوبًا أسود أنيقًا اجتمعت فيه صورة السنة النيران باللونين الأخضر والأزرق. كانت هناك لوحة ضخمة لغابة معلقة فوق رف الموقد. فقط عندما تنظر من كتب، يمكنك أن تلاحظ أنها مليئة بالظلال التي لها أفواه على شكل شقوق حمراء عميقة وأن أجزاء أجسادها الرمادية تخللت نباتات السرخس التي تكسو أرضية الغابة.

كان هناك عضوان آخران من مجلس الكابال أيضًا. وقف بيلامي في زاوية، وبدا ماليك أنيقًا ووثاقًا على نحو لافت. لقد ضفرت جدائل شعره في لفات مسطحة على الجانبين وملفوفة بخيط ذهبي لامع، بينما بقي ظلّه معلقًا على جسده مثل وشاح.

عزف ثلاثة موسيقيين يرتدون أقنعة الحيوانات الموسيقى الكلاسيكية. بومة تعزف على كمان، وتلعب على آلة تشيلو، ودب على فيولا أو كمان متوسط. عبر النوافذ، أضاءت الحديقة الخارجية بمصابيح منخفضة تُظهر تماثيل رخامية لأشكال مغطاة. ما الذي يجب أن يكون عليه شعور النشأة في مكان مثل هذا؟ محاط بهذا القدر من الثروة؟ التي يغذيها بالقوة الفساد الذي لا يوصف؟

أنهت تشارلي جولتها وأكلت ما تبقى من المقبلات، لذا كان لديها عذر للعودة إلى المطبخ. وضعت الصينية الفضية على الطاولة الرخامية لئتمسح وتُعاد تعبئتها، واغتنت الفرصة لأخذ حقيبتها. ثم توجهت مباشرةً إلى المكتبة.

كانت ذكريات تشارلي عن المنزل ضبابية وغير واضحة، وهي كابوسية في مجملها. صوت قريب بما يكفي لشعورها بأنفاس على رقبتها، وغرف كهفية مرتبطة بعضها ببعض في متاهة محيرة.

المكتبة ذات الباب السري المؤدي إلى حجرة من الكنوز بينها خزانة، مع السجادة التي تقيأت عليها وحيثما كان يمكن أن تموت.

عندما استرقت نظرة إلى الداخل وجدت رجلين على الكراسي الجلدية يتحدثان بحدة، وأحدهما يشير وفي يده كأس من الشراب الفاخر. بينما استقرت كأس فارغة ومنديل بجانب الآخر. بدا أنهما مسترخيان في جلستهما.

كان على تشارلي دفعهما إلى التحرك بسرعة.

ومن ثم فقد قالت وهي تقف أمام الشخص الذي اعتقدت أنه يبدو أكثر اعتزازًا بنفسه ومكانته: «معدرةً سيدي. أنا آسفة، لكن هناك امرأة تسأل عنك في الغرفة الأخرى. طويلة وذات شعر أحمر. جميلة جدًا. لقد وصفتك لي وأخبرتني بأنني إذا رأيتك، يجب أن أبلغك بحرصها على لقائك».

بدا متعجبًا، ثم قام وقال لصديقه: «سأغيب عنك للحظات». لكن صديقه نهض أيضًا.

قال الرجل بشيء من الارتياح: «سأعيد ملء مشروبي». وفكرت تشارلي فجأة أنها ربما أنقذته عن غير قصد من التورط في محادثة لا يرغب فيها وكانت لتمتد طوال المساء.

التقطت تشارلي المنديل المجعد وبدأت في تنظيف الفتات الخيالية حتى أصبحت بمفردها. ثم توجهت إلى مفتاح الإنارة الموجود على الحائط، وأطفأته حتى تبدو الغرفة المظلمة خارج نطاق دخول الضيوف الآخرين.

ثم مدت يدها إلى حقيبة ظهرها وارتدت قفازات ونظارات ذات أضواء صغيرة مثبتة على كلا الجانبين. بمجرد أن تشغلها، فإنها ستجعل وجهها مطموسًا ومشوشًا أمام الكاميرات، بالإضافة إلى توفير طريقة للعمل في الظلام.

أخيرًا، ذهبت إلى حائط الكتب الذي طغى عليه اللونان الأحمر والذهبي. إنها تبحث عن شيء ما موسى بأسنة اللهب، شيء ما بعنوان بدأ بكلمة «أنا» لكنها لم تستطع العثور على الرفافة. لم تجد أي كتب بكعوب حمراء أو أغلفة ذهبية. ثم رصدته، في رف أدنى مما كانت تنظر إليه وقليلًا إلى جهة اليسار، كتاب الجحيم. رفعته فدار رف الكتب الذي يحمله إلى الداخل كاشفًا عن المكتبة الأصغر، واللوحة التي خلفها الخزانة.

دخلت تشارلي إلى الغرفة السرية حيث الجدران مغطاة بأرفف مليئة بالكتب القديمة. تصاعدت نوبة من الغثيان حتى حلقها فجأة. لقد استعادت ذكرى استلقائها على سجادة المكتبة بعدما تقيأت وكأن وقتًا طويلًا لم يمر بين ما حدث في الماضي وبين الآن، وكأنها لا تزال طفلة مذعورة. تذكرت ملمس صوف ميرينو الخشن على خدها، والرطوبة من قيئها، والصوت القادم من الظلام.

لا تنظري خلفك.

لا تزال رائحة البنجر تجعلها تدوخ.

تحركت تشارلي ومشت على رخام العقيق اليماني للغرفة الأصغر. كانت الأرفف تصطف على الجدران هناك أيضًا، وتملأها بالكتب القديمة والأكثر قيمة. المذكرات والدفاتر والمجلات العلمية، مائة منها على الأقل، وكلها تستحق السرقة. تجاوزت كتب الاكتشافات الصوفية لتوفيلدا، واعترافات نايجل لوسي وماجوس، ويوميات خوان بيدرو ماريا أوجارتي. كانت هناك كتب أخرى باللغات البرتغالية والصينية والعربية واللاتينية واليونانية، بالإضافة إلى نصف جدار كامل لكتب بالفرنسية. شعرت برغبة جامحة في اختيار عدد قليل منها عشوائيًا ودسها في حقيبتها.

بعدما دفعت باب رف الكتب لينغلق، بحثت عن أي أجهزة أو أفخاخ إضافية قد تشير إلى مفاجأة غير متوقعة.

لكنها لم تجد أي شيء يبدو مقلقًا، واستدارت نحو مؤخرة الغرفة المخفية.

كان هناك مجسم لعنزة ميتة تبرز أحشاؤها إلى الخارج وتختلط بحبات رمان مشقوقة، معلق فوق كرسي جلدي وثير، وهو قطعة الأثاث الوحيدة في الغرفة.

بحذر شديد، تحسست حافة المجسم البشع، فوجدت مفصلات، من دون قفل على الجانب الآخر.

فتحته لتكشف عن خزانة الحائط التي تتذكرها.

إنها من صنع شتوكنجر، الذي اشتهر بتقديم نماذج صلبة ومفصلة للخزائن حسب الطلب مع مزايا صانعي الخزائن الفاخرة المخصصة، مثل بويين أند زورويج أو أرجيستي. ستكون هناك صناديق صغيرة لحفظ الساعات، وأدراج خشبية مبطنة بالقماش، لكن لا شيء من الأشكال الفيكتورية الجديدة المضحكة والمرصعة بالجواهر مثل التي يصممها بوكا دو لوبو. يصنع شتوكنجر خزائن خطيرة للأشخاص الجادين.

استقر قرص دائري في المقدمة، بجانب مقبض لامع محفور عليه الأحرف الأولى من اسم ليونيل سولت، وبجانبه لوحة مفاتيح.

معظم الخزائن الحديثة رقمية، ولا تقدم لمن يفتحها أي لمحات ذات طابع رومانسي مثلما كان يحدث في عمليات السطو على الخزائن القديمة. لا وجود لإمكانية الاستماع إلى صوت تغيّر دوران القرص حينما تتوصل إلى الرقم السري للخزانة، ولا التوصل إلى الفتحات متناهية الصغر حيث تدخل المفتاح المطلوب، ولا نقرة كليك-كليك الناعمة والمرضية لكبرياء السارق حينما ينتهي من حل الشفرة المعقدة للخزانة. إذا كان بإمكان تشارلي تجاهل وجود لوحة المفاتيح تمامًا بوصفها دليل الحداثة الوحيد في هذا المكان، فإنها ستنجح في فعل ذلك. لم تكن الخزائن الرقمية تفتقر إلى الطابع الرومانسية للخزائن

القديمة الذي تحدثنا عنه فحسب، بل كان من المستحيل تقريبًا فتحها من دون الرمز أو الشفرة.

أخذت نفسًا عميقًا، وأعدت ضبط القفل عن طريق تدويره في اتجاه عقارب الساعة، ثم بدأت في التحرك عكس اتجاه عقارب الساعة. سمعت التكة الأولى في الحركة الخامسة. ثم أعدت الضبط والدوران مرارًا وتكرارًا حتى أصبح لديها خمسة أرقام: 2-4-5-63-7. كانت متأكدة منها. كانت متأكدة تمامًا.

لكن ما لم يكن هناك سبيل لمعرفة هو الترتيب. وخمسة أرقام قد تعني مائة وعشرين توليفة ممكنة.

كل ما استطاعت فعله بعد ذلك هو المحاولة والتجريب، بينما يتصبب العرق على جبهتها وفي جوف حلقها. كانت تدرك أن الحفل مستمر، والوقت ينقضي سريعًا، وهناك إمكانية أن يجدها شخص ما.

وأخيرًا انهارت الدفاعات وسمعت تشارلي صوت فتح القفل. فأطلقت نفسًا طويلاً متقطعًا وأدارت الرافعة.

دارت الرافعة فقط نصف دورة.

ثم أضاءت لوحة المفاتيح الرقمية، وومضت بضوء أخضر وساطع.

حدقت تشارلي في إنكار. لم تكن هذه الخزنة رقمية أو تقليدية. بل كانت مزيجًا منهما. ارتفع معدل ضربات قلبها وطغى عليها الذعر. لم يكن لديها طريقة لمعرفة ما إذا كان هناك مؤقَّت عند إدخال الرمز، وعدد محاولات معين للفتح. تتيح الخزائن من هذا النوع ثلاث محاولات، عادةً، قبل أن تنغلق الخزانة وينطلق جهاز الإنذار.

أخرجت تشارلي مصباحًا صغيرًا يعمل بالأشعة فوق البنفسجية من أسفل حقيبة ظهرها، وأطفأت أضواء نظارتها، ودفعته إلى أعلى على رأسها ثم سلطت الضوء على لوحة المفاتيح.

قلة قليلة من الناس يمسخون مفاتيحهم بعد الاستخدام. كشف الضوء عن دهون متخلفة عن أطراف أصابع، ما سيقلص من خيارات توليفة الأرقام المطلوبة.

7-6-5-4-3-2

أرقام الجانب الآخر نفسه. بعدما شعرت بقدر من الارتياح، انتقلت تشارلي إلى كتابة الترتيب الذي كان يعمل على القرص الدائري. ثم أوقفت نفسها بعد لحظة، وهي تحوم بإصبعها فوق لوحة المفاتيح. كانت هناك علامات على الرقمين اثنين وستة أكثر من الأرقام الأخرى، ما يشير إلى تكرارها. إذا كان هذا صحيحًا، فهذا رمز مكون من سبعة أرقام، على الأقل.

إذا كان فتح الخزانة الميكانيكية يتعلق بفهم الآلة، فإن فتح الخزانة الرقمية يتعلق بفهم الشخص الذي أعد شفرتها. هل سيختار رقمًا عشوائيًا ثم يربط التوليفة بمكان يمكنه تذكره؟ أم أنه سيختار شيئًا أقل عشوائية وبالتالي أكثر قابلية للتذكر؟ كان ليونيل سولت من النوع الذي يحتاج إلى أن يكون أبرع من أي شخص آخر. ولا أدل على ذلك من سلالمة درجه المنحوتة، ولوحاته المروعة، واستعداده للقتل من أجل التسلية.

بالتأكيد لن يختار تاريخ ذكرى ميلاده؛ لأنه سيكون تذكيرًا له بعمره ووفاته. وليس اسمه بالأرقام؛ لأنه يعرف جيدًا أن هذا خيار واضح للغاية. ربما كلمة، إذن؟ ظل متحرر؟ ظل؟ سحر الظلال؟

توقفت.

المفتاح هو التخلي عن كل الآمال.

التخلي عن كل الآمال. تستخدم هذه العبارة جميع الأحرف المُحوّلة عدديًا وكذلك رقما ستة واثنين لأربع مرات لكلّ منهما. وسيحب سولت فكرة إعطاء مفتاح للحل في شكل الكتاب الذي فتح الباب السري، وذلك بالإشارة إلى الاقتباس الأكثر شهرة من جحيم دانتي أليجييري وهو الاقتباس الذي ميّزته حتى تشارلي، التي لم تقرأ كتاب الجحيم: «أيها الداخلون إلى هنا، انبذوا كل أمل». راهنت تشارلي نفسها أن سولت يتباهى بذكائه حيال هذا الاختيار بالتحديد.

تجاهلت تشارلي دقائق قلبها المتسارعة، ويديها المتعرقيتين، وأفكارها المذعورة. استعادت العبارة مرة أخرى وكتبتها بالأرقام بإصبعها على أرضية العقيق اليماني في تجربة: 22263662554673.

ثم وبعبناية، ضغطت أرقام اللوحة التي كانت لا تزال تومض. كان هناك صفير حاد، كما لو كان الإنذار على وشك أن ينطلق. ثم سمعت فتح آلية القفل الثانية. فأدارت الرافعة مرة أخرى.

جاءها ضوء ناعم من الداخل، يُظهر الأدرج المبطنة باللباد والعديد من أرفف العناصر. فتحت تشارلي واحدًا استقر بداخله كيس صغير من الألماس. في مكان آخر، وجدت مسدسًا عتيقًا مطليًا بالذهب. وفي القاع، الشيء الذي كانت تبحث عنه ملفوفًا بقطعة قماش.

بسرعة، دفعت العنصر إلى عمق الجزء السفلي من حقيبة ظهرها، وهي تتمنى أن تكون محقة فيما تفعل.

ثم، في خصوصية غرفة سولت المخفية، غيّرت ملابسها وارتدت ملابس ملائمة بقدر ما بوصفها واحدة من ضيفات الحفل. لم يكن حجم سوزي لامبتون، الشخص الوحيد التي تمكّنت من الوصول إلى خزانة ملابسها في الوقت الحالي، مقارنًا لحجمها بأي قدر. لكن كان

لا يزال لديها مفتاحها لدخول حانة رابتش، ولم يكن هناك وقت أفضل من هذا لاستعارة بدلة الساتان الحمراء التي تُخلِّي عنها في الخلف. مع مط القماش قليلاً، ستناسبها كما لو كانت قد فُصِّلت لها. أضف إلى ذلك بعض أحمر الشفاه الفاقع، وستبدو تشارلي وكأنها وصلت للتو إلى الحفل.

قبل أن تكون مستعدة للخروج، ضغطت على حلقة مفصلية من ثلاثة أصابع مرصعة بالعقيق ودست خنجر العقيق اليماني الذي حصلت عليه من موراي - والمحاط بغمد مرتجل عبارة عن شريط لاصق - في صدريتها. سيكون الخنجر موجوداً إذا احتاجت إليه. لقد انتظرت تشارلي أن تستشعر الدفقة المألوفة والممتعة للأدريينالين في عروقتها، لكنها لم تأتِ.

عادت تشارلي إلى الخزانة، عازمة على إغلاقها، عندما لاحظت وجود زر أسود في الزاوية العلوية بالقرب من المؤخرة. هل يمكن أن يكون هناك شيء خلف الخزانة؟ حجرة لم تفتحها بعد؟

بربك، يا تشارلي هول. لست مضطرة لوضع إصبعك في كل مقبس.

لكن تلك الغريزة الحذرة تخص شخصاً آخر غيرها لم يختَر طريق التهور والاندفاع بالفعل طوال حياته. ضغطت على الزر.

فسمعت صوت نقرة من الرف على يسارها. ثم فُتِح رف كُتِب آخر، ليكشف عن قاعة. ممر لا بد أنه يمتد خلف جدران المنزل.

أخرجت تشارلي هاتفها لتعرف الساعة. كانت قد وصلت إلى المنزل في السادسة والنصف. أخبرها خوسيه بأنه من المفترض أن يستمر الحفل رسمياً حتى الساعة العاشرة، وأنه سيكون هناك نخب في الساعة الثامنة والنصف. كانت الساعة السابعة وخمسة وأربعين دقيقة. كان الوقت يركض.

ومع ذلك، خطت تشارلي في قلب الظلام.

لقد عادت إلى استعمال أضواء نظارتها التي بيّنت أن ما حولها يشبه في تصميمه شيئاً يمزج بين هندسة قبو النبيذ وسمات الضريح. وكان هناك المزيد من رخام الحجر اليماني على الأرض. كانت أمامها زنانتان، مقابلهما باب. حُفر أخدود في الأرض ممتد أمام القضبان، وخط أزرق من اللهب يحدد حافظته. كان للهواء رائحة مكتومة للعفن والبخور.

بلل العرق كفيها وجبينها. كان هذا هو النوع السيئ من الأدرينالين. النوع الذي يجعلها ترتعش بدلاً من أن تحذر، النوع الذي يجعل معدتها تفرقر ويديها ترتعشان.

شعرت وكأنه مكان مسكون.

ومع ذلك، استمرت في المشي. أحدث كعب حذائها الرياضي صوتاً من احتكاكه بالأرضية. كانت الزنانتان عميقتين بما يكفي بحيث لم تستطع أضواء تشارلي الصغيرة اختراق ظلامهما.

على طول الجدار كانت هناك مجموعة متنوعة من القيود. حبل كسته خرزات العقيق اليماني، وزوج من الأغلال ببطانة حريرية زرقاء من الداخل، وقماش مخيط بإحكام بقطع من العقيق اليماني مستطيلة الشكل. وفوقها، يوجد رف من صناديق تحتوي على أحجار من العقيق اليماني أيضاً.

كان الباب على الجانب الآخر موارباً قليلاً، فبرز وميض ألوان تتوهج من الداخل. دفعته تشارلي بقدمها ببطء ووجدت نفسها تحديق إلى مجموعة من الشاشات. كاميرات مراقبة للمنزل.

متعهدو الطعام في المطبخ، رواد الحفلات يتنقلون عبر الغرف، الهيروفانت وهو يتحدث مع الفيسيرين، ويبدو رابط الجأش تمامًا. حدقت إليه من كذب، على أمل أن يشي مظهره

بشيء. الشيء الوحيد الملحوظ أنه صار أنحف وأكثر شحوبًا بشكل غير صحي من أي وقت مضى.

في غرفة أخرى، كان رجلان يتبادلان حديثًا وديًا، لكن تشارلي لم تستطع تبيين ملامحهما جيدًا.

في الخارج حيث الحديقة، كان هناك ثلاثة رجال يتشاجرون. كان أحدهم يمسك الآخر من قميصه، وكانت ظلالهم تلوح في الأفق خلفهم مثل ريش الطواويس المتصارعة.

كان سولت يمشي عبر القاعات وكأس شرابه في يده، وبدا كأن كل شيء كان يسير حسبما خطط له. ثم ألقى نظرة خاطفة لأعلى، للحظة توقف قلب تشارلي عن الخفقان، فقد حدق سولت مباشرةً إلى الكاميرا. كانت الساعة في الزاوية اليمنى العليا هي 7:52.

خرج صوت فينس من جوف الظلام: «تشارلي؟».

فاستدارت في هلع.

كان في الزنزانة، يقف خلف القضبان مباشرةً بكتفيه العريضتين وشعره الذي يشبه الذهب العتيق. وابتسامة صغيرة تسكن زاوية فمه العليا. ابتسامة تألفها كما تألف قلبها.

سألها: «ماذا حدث لعينك؟».

قالت: «انتظر». كانت مرتاحة جدًا لرؤيته لدرجة أن صوتها تهدج. «يمكنني إخراجك من هناك».

قبل أن تتمكن تشارلي من فتح القفل، كان عليها تعطيل كل ما كان من المفترض أن يفعله خط الغاز الممتد على طول خط التماس أسفل القضبان. خمنت أنه كان موضوعًا فوق نوع من أسلاك كشف الحركة التي من شأنها أن تُحدث انفجارًا من اللهب عند فتح باب الزنزانة

بواسطة أي شخص غير مَن لديه شفرة إعدادات الأمن. كان لا بد من وجود طريقة لإيقاف تشغيله.

ترددت تشارلي. أزعجتها مدى غرائية المشهد وما يمكن أن يتمخض عنه إن لم يسر كل شيء على ما يرام.

تتبع عيناه الشاحبتان المجوفتان تحركاتها. أرادت أن تصدق أن فينس هو مَن كان داخل الزنزانة، خلف قضبان من العقيق اليماني، وبينهما مزاراب من النار. لكن هذه القيود لم تكن مخصصة لإنسان.

«أنت لست فينس، أليس كذلك؟». سألت بهدوء، ثم سارت باتجاه القضبان.

كان الصمت الآتي من ناحية الزنزانة هو الجواب.

ثم التقت عينا تشارلي بتحديقة الظل المتحرر: «أنت ظله، أنت ريد».

31. الأحمق، والساحر، والهيروفانت

فقط عندما اصطدم ظهرها بالحائط، أدركت تشارلي إلى أي مدى ابتعدت عن الزنزانة. ثم قالت بصوت مختنق: «لقد عثرت على كتاب الخراب. وأديت الطقوس».

فسألها الظل: «تقولين ذلك لأنني أبدو كإنسان؟ إدموند هو من جعلني هكذا».

«لم يكن ليفعل ذلك». خرج صوتها عاليًا جدًا. لم تكن تعرف كيف تفهم الكائن الذي أمامها. لقد كان مجرد انعكاس أو صورة في المرآة تحولت إلى كائن ينبض بالحياة. شيء شبيهه بفينس ومزيج من أجزائه المهملة. «هل هو هنا؟ هل فينس بخير؟».

هز الظل كتفيه. حتى تعبيره هذا كان فينس يصنعه وهو منزعج قليلاً. كانت البدلة التي يرتديها بلون عينيه. «لقد تقابلنا من قبل، هل تذكرين؟».

لا تنظري خلفك.

لم تتحدث تشارلي للحظات طالت. لم يكن الأمر كما لو أن الفكرة لم تخطر ببالها، لكنها واجهت صعوبة في تصديق ذلك. «في المكتبة».

قال الظل بصوت ناعم: «أعتقد أنك أردت أن يكون ريمي هو الذي أنقذك وليس ريد».

لم تكن تشارلي لترد على هذه النقطة. نعم، كانت لديها رغبة رومانسية ساذجة من هذا النوع. حب مقدّر لها، من النوع الذي يبدأ في الطفولة. «حتى في ذلك الوقت، كنت بالفعل مجرد ظل متحرر؟».

أوماً الظل برأسه إيجاباً، ما سمح لها بتحويل الموضوع.

«وقتل الناس من أجل سولت». حافظت على نبرة قاسية بصوتها.

فأجاب: «نعم».

كان عليها أن تُذكَرَ كليهما بأنها لم تكن حمقاء لتثق به لمجرد أن لديهما ماضيًا غريبًا مشتركًا. «أخبرني بالطريقة التي قتلت بها آدم، هل كانت تلك طريقة مبتكرة؟ تكسير ضلوعه كما لو كنت تشق بطن ديك رومي، وتدهن الجدران بدمه؟ أم أن هذا ما فعلته معهم جميعًا؟».

اقترب الظل من القضبان وردد بنبرة متسائلة: «آدم؟».

«عليك أن تتذكر الرجل الذي قتلته على أريكتي. بطريقة فظيعة للغاية».

حدق إليها الظل فيما بدا أنه فزع حقيقي. «لم أكن لأفعل ذلك بك أبدًا.. أبدًا».

كرهت تشارلي كم كان يبدو شبيهًا بفينس، وكم جعلها ذلك ترغب في الوثوق به في الوقت نفسه. «حسنًا، أخبرني عن كل الأشخاص الآخرين الذين لم تقتلهم».

فقال بابتسامة صغيرة حزينة: «أنت ذكية وأنا لست معتادًا شرح الأشياء. لم أتحدث كثيرًا من قبل. لا أعتقد أنني أجيد ذلك».

فحثته تشارلي: «جرّب».

«لم يكن عليك العودة إلى هنا». بدا الظل حزينًا ومتعبًا. لم يكن لديها طريقة لمعرفة ما إذا كان هذا شيئًا يدعيه، أو ما إذا كان الجسد الإنساني يُضعفه. «يجب أن تذهبي ولا تعودي أبدًا، كما أخبرتك في تلك الليلة».

«إذن، ماذا؟ هل من المفترض أن أتجول مع أختي وأمي في أرجاء المدينة؟ هل أدع سولت يفوز؟ ويفعل ما يريد بفينس؟».

قال بحرارة أكثر مما توقعته: «نعم، يمكنه الاعتناء بنفسه».

فردت تشارلي: «ينبغي ألا يضطر إلى ذلك».

قال الظل: «لقد هجركِ».

«وأنت أيضًا، أليس كذلك؟». سألته تشارلي وتابعت: «لا بد أن ما فعله أثار حنقك. أن تحته على أن يشككك ثم يفصلك عنه ويخلّفك وراءه من دون أن يعبأ بأمرك».

نظر إليها ريد بعيني فينس، من دون أن يبدو فيهما أن الكلام يروق له. «لقد صنّعت من غضبه. ماذا تعتقدين؟».

قالت تشارلي رافضةً أن يُشتت انتباهها: «لا أعرف. أنا لا أعرف أي شيء عنك».

أشاح الظل بوجهه عنها ثم استطرد: «كنت دائمًا الجزء منه الذي يهتم بالأمر التي لا يكون قادرًا على إدارتها والتحكم بها. لقد أعطيت كل ما جعله منزعجًا، الرغبة في التسبب في الألم، الخوف مما جعلنا سولت نفعله، والقدرة على تخمين شعور الآخرين عندما تحدث الأشياء السيئة. لقد خلقت لأكون قويًّا؛ لذا لم يكن عليه أن يكون كذلك. لذا نعم، كنت غاضبًا عندما رحل. لكنني أحببت ريمي، بغض النظر عما فعله وبغض النظر عما جعلني أفعله».

سرت رعشة في كتفي تشارلي.

فتابع ريد: «لقد أراد أن يحجب عن رؤيته ما كان يحدث عندما كنت أنفذ مهام جده؛ لذلك طلبت منه محاولة فك ارتباطي به. لم تكن نفهم الكثير عن موضع الظلال المتحررة حينذاك؛ كل ما كنا نعرفه أن الأمر ممكن. في كل مرة كنت أعود إليه، كنت أغدو أقوى من ذي قبل. أكثر صلابة ولفرة أطول. لقد قال لي ذات يوم: «لقد أخفينا الأمر عن سولت. أدليلين كانت تعلم، لكنها حفظت سرنا».

فأضافت تشارلي: «لأنها وفينس كانا مقربين من بعضهما».

تدلت رموشه على خديه وهو ينظر إلى الأسفل. «كنا نحن الثلاثة ذات يوم متقاربين. ربما. لم يكن لدينا إلا أنفسنا ورفقتنا».

استعادت تشارلي في تلك اللحظة أحد الأشياء التي سمعتها تلك الليلة. صوت الولد وهو يقول إنه لا يحبك.

ثم صوت الفتاة وهي تقول هذا ليس صحيحًا. ثمة ألعاب نلعبها لم يلعبها معك قط.

كان هناك شيء سيئ، كامن تحت السطح، لكن تشارلي كانت متخوفة منه إلى حد أنها لم تسأل.

ثم استرقت نظرة إلى الغرفة حيث الشاشات. على الشاشات، رأت تشارلي أن الخطب كانت تتوالى بالخارج. كانت تخاطر بأن تتأخر.

سألت تشارلي: «أين فينس؟».

حدق الظل إلى وجهها مرة أخرى بعيني فينس الشاحبتين وأمكنها أن تشعر بأن الشعر على مؤخرة رقبتها بدأ ينتصب في ترقب.

قال ريد: «أنا أعرف هذا المنزل. يمكنني مساعدتك على الخروج من دون أن يعرف أحد أنك كنت هنا على الإطلاق».

قالت تشارلي: «ليس من دون فينس. تقول إنك تهتم بأمره. ساعدني إذن على إنقاذه. ساعدني في العثور عليه».

قال لها الظل: «سأفعل أي شيء من أجلك يا تشار؛ لكن لا تطلبي مني هذا».

هناك شخص واحد فقط دعاها تشار من قبل. «لا. أنت لست هو. توقف عن التصرف مثله».

فحذرهما: «تشار».

«أين هو؟». ألحت في السؤال، وقلبها ينتفض.

فأجابها: «أنت تعرفين بالفعل».

لم تكن ترغب في تجميع قِطَع الأحجية معًا. كان فينس قد كسر عنق هيرميس وتخلّص من جسده. كما كان يُنظّف مسارح الجرائم المليئة بالدماء لكسب لقمة العيش. لا شيء من ذلك يبدو فيه فينس شبيهاً بشخصية ريمي أو حياته السابقة. لكن هذا السلوك بدا شبيهاً أكثر بريد.

احتجّت تشارلي قائلةً: «لقد زَيّف فينس موته، أو زَيّفه سولت لأجله. لقد كان هاربًا. وقبل يومين فحسب كان في غرفة فندق...»

لم ينطق الظل.

من الصعب تزييف موت إنسان. هناك سجلات أسنان، وهناك دلائل على إجراء عمليات جراحية أو وجود كسور في الماضي. يمكن للطب الشرعي أن يخبرنا الكثير من فحص العظام: الجنس، والنسب، والعمر، والطول.

من الممكن أن يدفع سولت لشخص ما، أو عدة أشخاص، لتغطية كل ذلك. ومع ذلك، كانت هناك إجابة أخرى: أن الجثة المحترقة التي عُثِر عليها في السيارة كانت تخص إدموند كارفر بالفعل، والشخص الذي كانت تعرفه لم يكن هو إدموند على الإطلاق.

لم يكن الظل كيانًا خبيثًا يتخذ شكل فينس. لقد كان فينس نفسه. إنه فينس. وقد شكّل فينس دائمًا الأجزاء المفقودة من إدموند كارفر، شخصيته المقلوبة رأسًا على عقب، المرأة العاكسة لذاته الأخرى.

لقد كان الظل محققًا، جزء منها كان على علم بوجود خلل ما. لم تكن تريد أن تعترف بذلك لنفسها. جفلت تشارلي هول، وقد اكتشفت أخيرًا اللغز الذي لم ترغب قط في حله.

قال فينس: «عندما كان ريمي يحتضر بعد أن طعنه جده، وبينما كانت أدلين تصرخ، أمسك بي ريمي وجذبني إليه كي أحصل على كل دمه، كل قوته. وعندما انفصلت عنه أصبح ملكي. لقد نفخ أنفاس حياته الأخيرة في فمي.

«للحظة، لم أستوعب كيف يمكن أن أكون عاريًا، كيف أشعر بالأرضية الباردة من تحتي. ثم ركضت. بعد ساعات، استيقظت وأنا مستلقٍ على ممر وتحتي أسفلت وزجاج مكسور، من دون أدنى فكرة عن كيفية وصولي إلى هناك. ثم كان عليّ أن أتعلم كيف أكون إنسانًا طوال الوقت. حاولت أن أكون كذلك، لأجلك».

تذكرت تشارلي كلماته خلال شجارهما الأخير، شجارهما الحقيقي الوحيد: أتمنى لو كان بمقدوري القول إنني آسف، وإنني أردت أن أكون صادقًا طوال الوقت، لكنني لست كذلك. لم أرغب قط في أن أكون صادقًا. أردت فقط أن يكون ما قلته لك هو الحقيقة.

إذا كان هذا هو ما وراء قناعه، فقد فهمت الآن سبب عدم رغبته في إزالته.

قالت تشارلي: «ودعوت نفسك فينسنت».

فقال الظل، وهو يرفع ذقنه: «الشيء الوحيد الذي لم يُعطني إياه ريمي والذي منحته لنفسني على أية حال».

عبر القاعة، تحركت التروس في الحائط، ما أحدث ضوضاء ناعمة ولكن مميزة. دخل شخص ما إلى الغرفة السرية خارج المكتبة. في غضون لحظات، سيدخل إلى الممر حيث كانت تقف تشارلي.

قالت في اضطراب: «فينس»، والتقت عيونهما، ثم قال لها: «اختبئي».

وصلت تشارلي إلى الجانب المظلم من غرفة الأمن، وهي تزحف تحت الأريكة الجلدية في الوقت نفسه الذي سمعت فيه خطوات في القاعة. كم مرة جلس فيها سولت على هذه الأريكة، يشاهد شيئًا فظيغًا يحدث عبر الشاشات؟ ربما مات راند في إحدى هذه الزنازين. كان من الممكن أن تموت تشارلي نفسها هناك.

لا يزال هذا ممكنًا، إذا لم تكن حذرة.

«ريد»، كان هذا صوت امرأة، صوتًا خافتًا وقليلًا. أدركت تشارلي أنها أديلين. «إنه لم يخبرني أنك كنت هنا حتى اللحظة. هل آذاك؟».

لم تتلقَ منه إلا الصمت.

ثم قالت بتنهيدة كبيرة: «أنا أعرف. كان لا بد لي أن أغادر عندما غادرت أنت، لا بد أنك غاضب مني بشدة».

كان صوت فينس هادئًا في ظاهره، ولكن أسفل نبرته المستكينة كان بمقدورها سماع أصداء لمشاعر أخرى مختلفة تمامًا: «بعد وفاة والدته، لم يكن ليرتاح حتى يعرف العالم كله ما فعله والدك. كان يجب أن تُحذِّره من أنه في خطر داهم».

«لم أكن أعرف. كيف كنت سأعرف أنها ستتناول جرعة زائدة؟ اعتقدت أنها كانت تتحسن. كنا كلنا نعتقد ذلك».

قال فينس: «كنت تعرفين لم لن تتحسن أبدًا. كان والدك بحاجة إلى أن تكون مريضة طوال الوقت، ثم احتاج إلى موتها».

بدا فينس كما لو كان يتحدث عن عائلة لم تكن تخصه أيضًا. والدته. والدك. الشخص الوحيد الذي اعتبر أنه يمثل عائلته هو ريمي.

احتجت أديلين قائلة: «أقسم إنني لم أكن أعرف شيئًا عن ذلك».

كانت القاعة مظلمة، وظنت تشارلي أنه قد يكون من الممكن أن تنسل إلى الخارج بينما أديلين مشتتة. بهدوء، سحبت نفسها من تحت الأريكة. ولكن مع اقترابها من الباب، بدأت خطة تشارلي بأكملها تبدو مضطربة وبلا هدف واضح.

ربما يجب عليها أن تُفقد أديلين الوعي وتحاول إخراج فينس من سجنه. ولكن إذا لم يكن لدى أديلين المفتاح - ولم يكن أديلين ولا فينس يتصرفان كما لو كان هناك احتمال لإطلاق سراحه - فعندئذ سيكونون جميعًا في حالة لا يُحسدون عليها.

انزلت تشارلي بحذر خلف جسد أديلين، متحركةً ببطء في الظلام.

«لا يزال بإمكانك أن تساعدني». كان صوت فينس رقيقًا. لم ينظر في اتجاه تشارلي، ولكن كانت هناك نظرة فارغة في عينيه أظهرها مدى إنهاكه.

وضعت أديلين يدها على أحد قضبان العقيق اليماني في زنارته وهي تتساءل: «كيف؟».

كانت تشارلي قد ابتعدت عنهما في ذلك الوقت لدرجة أنها لم تسمع طلب فينس. ربما كان من الظلم الاعتقاد بأنه لا يستطيع الوثوق في أديلين؛ لأنه قادر في الوقت نفسه على الإطاحة بها فيما تقترب هي منه ولا تخشاه.

إذا نجحت خطة تشارلي، فلن يهم كل هذا. ستعود ومعها مطرقة وبطانية مقاومة للهب وتخرجه.

ستفعل ذلك حتى لو كانت خائفة منه.

فتحت تشارلي الباب وانسلت عبره. ثم عبرت خزانة الكتب المخفية الثانية، وصولاً إلى المكتبة. كانت بحاجة إلى الخروج ومقابلة بوزي لكنها كانت مشتتة، وقد استعادت كيف قادها فينس-الظل عبر المنزل في تلك الليلة المشؤومة.

لا تنظري خلفك.

ماذا كانت ستري لو كانت نظرت في ذلك الوقت؟ ربما شكلاً ملطخاً، مثل شبح. ربما كان نصف ولد ونصف ظل.

لا تنظري إليّ.

تسللت إلى الغرفة المطلة على الحديقة. ملأت النباتات الكبيرة ذات الأوراق الشمعية المثيرة للرهبة والتشاؤم الفراغات بين قِطَع أثاث من الحديد الزهر الأبيض. عبر النوافذ، كان بإمكانها رؤية الحدائق. أخرجت تشارلي هاتفها وأرسلت رسالة نصية بينما أشار الوقت على شاشتها إلى الساعة 8:16. لقد تبقت أربع عشرة دقيقة لتفعل ما تريد أن تفعله، ولا فرصة للخطأ.

لكن لديها إجابة واحدة على الأقل لم تكن لديها من قبل. إذا لم يكن يريد هو الظل المتحرر الذي استخدمه سولت لأداء عمله القذر، فقد عرفت مَنْ كان يفعل ذلك.

بعدما فتحت باباً زجاجياً متعدد الألواح في منتصف الطريق، تسللت إلى الخارج حيث هواء الليل البارد.

قابلتها بوزي على جانب المنزل، وأنفاسها تتلاحق في توتر.

«لقد فعلتها». واتسعت عيناها من الذعر.

فسألته تشارلي: «هل أنت متأكدة؟».

أجابت بوزي: «أنت مَنْ يجب أن تكوني متأكدة». رغم أنها كانت متوترة بشكل واضح، ولم يكن الأمر يتعلق فقط بالقبض عليها. ثم أضافت: «لا يزال بإمكاننا الابتعاد».

الابتعاد. ألم يكن هذا ما حاولت فعله لسنوات طوال؟ الابتعاد عن حادثة وفاة راند، وتظاهرها بأنها لم تخلف ندوباً في نفسها. التظاهر بأنها لم تعد تتذكرها، وأنها لا تلوم نفسها لبقائها على قيد الحياة.

التوقف عن ممارسة اللصوية وإخبار نفسها بأن سبب ذلك هو الرصاصة التي أصابتها في جانبها، وأنها فقدت أعصابها، بدلاً من الاعتراف بأنها خافت من نفسها من فرط السهولة والوحشية التي انتقمت بها من خيانة مارك لها. لم تكن قَط خائفة من التعرض للأذى أو الموت. لطالما كان لها قدراتها الخاصة، وقدرتها على حل الألغاز، وإنجاز العمل بأي ثمن. كانت خائفة مما يمكن أن تفعله إذا حاولت.

منذ الوقت الذي تظاهرت فيه باستحضر شخصية ألفونسو المُتخيَّلة وبعدها تخلصت بالفعل من ترافيس، صارت تخاف من نفسها، مما يستكن في أعماقها.

كان على شخص ما أن يبقيها قيد السيطرة وفي حالة اتزان، وهكذا أصبحت تشارلي هي هذا الشخص. ومع ذلك فإنها كانت تحرص - عبر تهوُّرها واندفاعها - على أن تتعثر في كل مرة كانت الأمور فيها تسير على ما يرام، واختيار الأشخاص الخطأ الذين تحبهم، والطرده من الوظائف، والإخفاق تلو الإخفاق.

كانت تشارلي تحاول جاهدةً أن تنأى بنفسها عن ذاتها الحقيقية، وكانت تفشل على الدوام. استلقت تشارلي على العشب.

جلس بوزي في مقابلها، وأقدامهما تتلامس. استلت تشارلي خنجر العقيق اليماني من غمده.

ثم سألت أختها الصغرى: «أمتعدة؟».

فأومأت بوزي بالإيجاب.

لم تكن تشارلي متأكدة مما عليها توقُّعه، لكن الجرح الأول لم يُشعرها بأي شيء مختلف. كانت التحديات الحقيقية هي ضوء القمر الذي يبين ويخفي كل حين وكذلك قلة الخبرة، وقد شعرت بالارتياح عندما انتهى دورها وتولت بوزي زمام الأمور.

داخل المنزل، شاهدت سولت وهو يتحرك إلى مقدمة القاعة الكبيرة. كان يحمل في يده كأس شراب رفيعة وطويلة. يجب أن يكون هذا هو الجزء الذي سيشكرهم جميعًا خلاله على الحضور، ومجلس الكابال بالتحديد لقبوله عضوًا فيه.

وقفت تشارلي على قدميها، وهي غير متأكدة تمامًا من شعورها. لم تكن أخف وزنًا. لم تتحول لشخص آخر؛ لكنها تغيرت.

ربما عليها أن تؤمن أكثر بالقدر. ربما كان لدى الناس حقًا أقدار يمكنهم فك رموزها من خلال البطاقات. ربما تحتاج تشارلي إلى التوقف عن قتال أقدارها.

بعدما أقلت نظرة أخيرة على بوزي، فتحت أحد الأبواب الزجاجية للقاعة الكبيرة. هبت عاصفة من الرياح الباردة عبر القاعة خلفها، وملأت الستائر البيضاء الطويلة بالهواء فجعلتها تبدو مثل الأشرطة. توقفت الأحاديث كالشموع التي انطفأت فجأة بينما استدار سحرة الظلال نحوها.

لم تكن تتوقع أن يكون دخولها مثيرًا للغاية على هذا النحو.

وقفت تشارلي بالقرب من الباب المفتوح، وتأكدت أن كل الضوء يتجه نحوها.

قالت تشارلي: «مرحبًا». فدوى صوتها في القاعة ذات السقف العالي وظل ثابتًا، على الرغم من كل العيون التي تركزت عليها. ثم أردفت: «أسفة تأخرت عليك».

«تشارلي هول». قال ليونيل سولت، غاضبًا من المقاطعة وعدم اعتنائها بالطريقة التي فعلت بها ذلك، «لم أكن أتوقع أنك ستنجحين».

أدى التوتر بها إلى أن تقف منتصبه وكتفاها مسحوبتان إلى الوراء. كانت متأكدة من أنه كان يعتمد على عدم حضورها. في نهاية المطاف، فقد أعطاهم تهديدًا مرعبًا ثم كلفها بمهمة كان مضمونًا أنها ستفشل فيها. المكان الأخير الذي كان يجب أن توجد فيه هو مكان حفله.

الشيء الذكي الذي كان يجب عليها فعله هو مغادرة المدينة لبضعة أسابيع، حتى تهدأ الأمور. بل ربما حتى لا تعود.

لكن بالطبع، مهما كان نوع ذكاء تشارلي، فإنه لم يكن قَط من هذا النوع. «أخبرتني ماذا سيحدث إذا لم أفعل».

تصاعدت بعض الهمهمات بعد هذه العبارات. النميمة هي شريان الحياة لأي حفل.

اتجه أحد الموسيقيين - الشخص الذي يرتدي قناع البومة - للخروج من القاعة وألته في متناول يده. همس نادل لخوسيه، ثم أشار النادل فأخذ خوسيه طبقًا من الكاناويه من صينية فضية وأكله.

عبر القاعة، تحرك الهيروفانت من المكان الذي كان يقف فيه وبدأ يتحرك نحوها. كانت عيناه غائرتين أكثر من أي وقت مضى، بينما كانت شفثاه ذواتي لون أزرق باهت.

قالت زعيمة طائفة المغيّرين والتي يدعونها الفيسيرين (وهو لقب له جذور لاتينية وأنجلو رومانية مشتركة، ويعني الملك أو الحاكم أو نائب أي منهما ذكرًا أكان أم أنثى): «كنت لأعتقد أن هذه فقرة فنية للترفيه عنا، لكن ليونيل يبدو مرتبًا تمامًا». كانت الفيسيرين ترتدي بدلة توكسيدو، ويظهر ظلها على شكل قطة صيد كبيرة تخدش الأرض بجانبها. «ربما فاتك أن تُبدي الإشارة المطلوبة لبدء العرض يا ليونيل؟».

تنح سولت وقال: «لقد استأجرتها لسرقة كتاب فقدته، كتاب الخراب، إنه جوهرة في مجموعتي، وكنت آمل أن أعرضه الليلة. لذا، يا آنسة هول، هل لديك كتابي؟».

قالت: «لدي».

ابتسم برضا شخص على وشك أن يفوز في لعبة شطرنج: «حسنًا، أعطيني إياه».

في نهاية المطاف، لقد رتب سولت موقفًا كانت فيه جميع خياراتها سيئة، فالكتاب الوحيد الذي امتلكته هو الكتاب الذي كان يخص نايت سينج، ومن ثمّ يمكنها أن تخدمه وتعطيه إياه. من المحتمل أنه سيقدّر امتلاكه لكتاب كهذا؛ لأن الغلاف كان محشواً بصفحات مليئة بالأعمال الشنيعة التي اقترفها. ولكن بغض النظر عما إذا كانت ستعطيه شيئاً ذا قيمة أم لا، فإنه سيتهمها بخداعه وبمحاولة الادعاء بأن هذا الكتاب هو نفسه كتابه المفقود.

أخذت تشارلي نفساً عميقاً، وتركت سولت يستمتع حقاً باللحظة. ثم مدت يدها إلى حقيبتها وأخرجت ما أحضرته من الخزانة في المكتبة، تلك التي كانت مغلقة بإحكام طوال الوقت. كتاب الليل الشهير. كتاب الخراب الأصلي. انعكس الضوء المتدفق عبر بلورات الثريا على الغطاء المعدني المصقول للكتاب، راسماً أقواس قزح على طول الجدار.

تحولت الابتسامة على وجه سولت بسرعة كبيرة إلى ما يشبه رد فعل لشخص تلقى صفقة مدوية لتوه، ثم سألها متلعثماً: «أين عثرتِ على...؟»

أجابت تشارلي بنبرة واثقة وهازئة: «لقد سرقتة. هذا عملي. لقد طلبت مني الحصول عليه، فجئتُك به.»

مدّ الهيروفانت يده إلى الكتاب بأصابعه الشاحبة المرتعشة وقال بنبرة تنضح بمشاعر اللهفة والطمع ونيل المبتغى أخيراً: «هذا الكتاب ملكي. هذه الأسرار تخصني.»

32. المشعوذة

بعدها اقترب منها كثيرًا، كانت تشارلي قادرة على أن تشم رائحة العرق الحامض لجسد الهيروفانت. فأحكمت قبضتها على الكتاب وحوّلت نظرتها إلى سولت: «هل أعطيه له؟».

صرخ سولت: «لا». ثم رأى أمارات التهديد في وجه الهيروفانت فعَدَّل لهجته. «أحضريه إليّ، حتى أتمكن من التحقق من أن هذا هو المجلد الأصلي».

قَطَّبَت تشارلي: «إذن، أنت لا تريدني أن أعطيه له؟».

قال سولت: «لا تجعليني أكرر كلامي. أحضري الكتاب إليّ».

خفق قلبها بشدة. كان هناك الكثير من الفرص لتسيير الأمور بشكل خطأ هنا، وفرصة واحدة فقط لفعلها بطريقة صحيحة. كان الحضور يشاهدون. كما كانت الفيسيرين بالقرب منها، ولكن من دون سبب واضح غير التسلي بما يحدث.

قالت تشارلي: «يمكنني أن أعدك بأن هذه النسخة من كتاب الخراب أصلية؛ لأنني حصلت عليه من خزانتك الخاصة، إلى جانب شهادة من دار سوزبي للمزادات وإيصال من المزاد نفسه. الكتاب لم يغادر منزلك قط. أنت فقط تدع الجميع يعتقدون أنه مسروق».

صاح الهيروفانت بحدة: «هل هذا صحيح؟».

بدأ سولت بالسير نحو تشارلي، ما سمح له بخفض صوته وجعل من الصعب على بقية الجمهور الاستماع إليه. «لنناقش هذا الأمر على انفراد».

كانت تشارلي في حيرة من أمرها بشأن تكليف سولت لها بمهمة مستحيلة، مع موعد نهائي لا يمكن الوفاء به، إلا إذا كان يريد لها منذ البدء أن تفشل. كان التفكير في هذا الأمر هو ما

جعلها تتذكر رأي نايت سينج في كتاب الخراب.

إذا كانت هناك طقوس في الكتاب للسماح للظل المتحرر بأخذ شكل بشري، فلن يكون هناك أي شيء منطقي في كلامه.

ولكن إذا لم تكن هناك طقوس، وإذا كان الكتاب عديم الفائدة كما ادّعى نايت، فإن سولت كان حرًا في استخدام الإشاعة لإقناع أي ظل متحرر ومستقل بمساعدته، لكن ذلك كان يعتمد أيضًا على إبقاء الكتاب بعيدًا عن أيدي أي ظل متحرر إلى الأبد كي لا يكتشف الحقيقة، مع الإبقاء على احتمالية الحصول عليه ممكنة كي يبقى الظل المعني منشغلًا بالأمر. ومن هنا نشأت الحاجة إلى وجود لص للمجلد الأصلي (إدموند كارفر)، ومنتهم محتمل جديد (بول إيكو)، ووسيلة تشتيت (تشارلي هول).

إذا لم تظهر تشارلي في ذلك الحفل، لكان من الممكن أن يقنع سولت الهيروفانت بأنها تملك الكتاب وتخفيه عنه. وينتهي الأمر بأجزاء جثة تشارلي ودماؤها وهي تلتخ السقف، تمامًا مثل الآخرين. أو كان من الممكن أن تحضر للحفل لتقول إنها لم تعثر على كتاب الخراب. ربما كان ذلك ليساعدها قليلًا، لكن سولت سيتهما بإخفاء الكتاب عنه وسينتهي بها المطاف مقتولة أيضًا.

ما كان سولت بحاجة إليه هو شخص يمكن للهيروفانت أن يلقي اللوم عليه، أي شخص آخر غيره، ما يعني أنه كان يعرف مكان وجود الكتاب، وكانت أبسط إجابة لكيفية معرفته أنه لا يزال يمتلكه.

لقد مرت بلحظة سيئة عندما رأت ريد في الزنزانة، إنها لم تتفاجأ به فحسب، بل صارت متأكدة فجأة من أنها كانت مخطئة بشأن كل شيء. لكنها أدركت بعد ذلك أنه كان سبب تصديق الهيروفانت لسولت في المقام الأول. إذا لم تكن هناك طقوس فكيف يمكن أن يوجد ريد من الأصل؟

«على انفراد! أنت مسئول عن الكثير من جرائم القتل. نايت سينج مثلاً. أفضل ألا أكون الضحية التالية».

سرت موجة من الغمغمة بين الحشد. اتهام مثل الذي كانت تشارلي توجّهه إلى سولت يتطلب ردًا أكثر جدية من مجلس الكابال.

«تعالى». جذبها سولت من ذراعها.

«ماذا قالت تلك الشابة؟». سأل ماليك ثم تقدّم إلى الأمام، والعديد من الآخرين معه. لم تظن تشارلي أن إحاطتهم بسولت كانت متعمدة في تلك اللحظة، لكن هذا يُعبّر عن الحال التي آل إليها الحضور في القاعة.

شيئان صارت تشارلي تعرفهما منذ الوقت الذي أجبرها فيه سولت على ركوب سيارته تحت تهديد السلاح، أولهما أنه يريد السيطرة أكثر من أي شيء، ربما أكثر من السلطة. وثانيهما أنه يتوقع الطاعة المطلقة ممن يعدّهم دونه مكانةً ومنزلةً.

ثم أرسل ظله نحوها. كانت قريبة من سولت جدًّا لدرجة أن الحضور ربما لم يكونوا يلاحظوا ظله على الفور، لكنها شعرت بأنه لمس كتفها وخذها، كما لو أن قطعة من الشاش احتكت بجلدها.

لم يكن لديها سوى الوقت لزفرة واحدة قبل أن يتدفق مخترقًا جلدها. شعرت باختراقه جسدها كالدودة محاولًا إجبارها على الكلام، محاولًا جعل لسانها ينطق بكلمات تجعلها تنكر كل شيء.

منذ فترة طويلة، عندما جاءت تشارلي إلى منزل سولت مع راند، كانت قد تمرست على تقليب عينيها في رأسها للإشارة إلى أنها ممسوسة. كما كانت على استعداد للتحدث بصوت آخر. منذ أن اختلقت شخصية ألونسو، وجدت أنه من السهل جدًّا عليها أن تكون شخصًا آخر غير تشارلي هول. وجدت راحة في الاستسلام لمثل هذه الرغبة القديمة.

«أنا مخمورة». صرخت بصوت أعمق من صوتها الطبيعي. «وكاذبة! مخمورة وكاذبة! أيضًا، لدي شعور استياء وحنق غير معلن من ليونيل سولت الرائع والوسيم وغير القاتل تمامًا! الذي بالتأكيد لا يحاول التلاعب بي وجعلي دمية له!».

كان سولت يحدق إليها، وفمه مفتوح من الدهول. صار الجميع ينظرون إلى ظله الآن، والطريقة التي انحنى بها تحت الضوء للوصول إليها.

ثم قالت بصوتها الطبيعي: «اخرج من رأسي يا سيد سولت».

ضحك من حولها، ما أتاح لتشارلي الابتعاد عن الباب المؤدي إلى الحديقة، حيث أخفى القرب من الظلام ما تغيّر فيها، وما ينقصها.

لا يمكن السيطرة على من ليست لهم ظلال. هناك باب مغلق بداخلهم.

لم يكن هناك أي سبيل لتشارلي للقدوم إلى هنا ومواجهة سولت إذا كان من الممكن أن يحيلها إلى دمية له. كان من الصعب جدًا أن تتخلى عن ظلها، لكنها خاطته بقدمي بوزي ووثقت بأختها لتعتني به. لم يكن مقدرًا لتشارلي أن تكون ساحرة ظلال لكنها على وشك أن تصبح كذلك.

قالت الفيسيرين: «ليونيل، كان هذا تصرفًا عابثًا».

«أردت أن أجبرها على الاعتراف بالحقيقة». قالها سولت، وحمرة شديدة تعلو خديه. ومع ذلك، استطاع أن يبدو هادئًا، كما لو أن ما وقع مجرد خلاف صغير ومحرج. «ما كان يجب أن أفعل ذلك، لكنها خدعت نفسها».

سأل ماليك ليونيل: «هل تعرف شيئًا عن وفاة أحد أعضاء الكابال؟ لأنه سيكون شيئًا معيبًا ومخزيًا أن تحتفظ بسر كهذا لنفسك، بغض النظر عن حقيقة ضلوعك في الأمر».

قال سولت: «لم أعتقد أنني سأضطر إلى الكشف عن هذا الأمر، وبالتأكيد ليس هنا». ثم أضاف وهو ينظر حوله منزعجًا: «لكن كما ترى، كنت أعمل مع الهيروفانت للقبض على قاتل نايت سينج، وقد نجحنا في ذلك».

فسألت تشارلي في سخرية: «أوه، هل قبض على نفسه إذن؟ لأنه هو الذي قتل نايت بناءً على أوامرك».

زمجر الهيروفانت وقال مدممًا: «اهدئي».

استدار سولت وقال وهو ينخر: «لقد خدم الهيروفانت الكابال بأمانة. مَنْ أنتِ لتشككي في ولائه أيتها اللصة؟!».

«ستيفن، عم يتحدثان؟». سأل بيلامي، وهو يحدق إلى الهيروفانت. ستيفن هو اسم الإنسان الذي كانت تشارلي على يقين من أنه لم يعد يتحكم في الجسد - الذي صار الهيروفانت يحتله - بعد الآن. لم تكن الطريقة التي يتحدث بها فقط هي الدالة، بل إنه كان يبدو بمظهر ضعيف ومريض لشخص كانت طاقته مستهلكة.

قال الهيروفانت: «إنها كاذبة».

نظر سولت إلى تشارلي وهز رأسه بحزن: «يا عزيزتي، نعم، لقد خدعك ولدنا، أليس كذلك؟ خدع المخادعة. أنت لست أول شخص يحدث له هذا». ثم استدار باتجاه الآخرين، وهو واثق من أنه سيفلت من هذا الفخ: «والآن، ربما يمكننا القيام بهذا الجزء على انفراد؟ لدي شيء لأريكم إياه. شيء من الأفضل أن يبقى بيننا نحن الأربعة».

تشاركت الفيسيرين وماليك نظرة سريعة، ثم أوما ماليك برأسه إلى بيلامي.

قالت الفيسيرين وهي ترمق تشارلي بنظرة ذات دلالة: «نعم، أعتقد ذلك. أعتقد أنك ذكرت أن اسمك...»

فردت تشارلي: «تشارلي، تشارلي هول».

«آنسة هول، أعدك أننا سنسمع اتهاماتك ونُصدر الحكم المناسب».

أوما ماليك برأسه مؤيدًا، فيما حدجها بيلامي باهتمام: «يمكننا أن نكون عادلين».

كانت تشارلي واثقة من قدرتهم على فعل ذلك، لكنها لم تكن متأكدة من أنهم سيفعلونه.

قال سولت: «فلننتقل إلى المكتبة، وسأخبركم بكل شيء». ثم أشار لشاب يرتدي بدلة وربطة عنق: «أحضره لي، مقيّدًا».

شاهدتهم سحرة الظلال الآخرون وهم يغادرون، وقليل منهم أوقف أحد أعضاء الكابال الآخرين لطرح سؤال عليه، أو الإدلاء ببعض التعليقات، فيما ضحك بعضهم الآخر. سار الهيروفانت خلفهم، وهو ينتقل ببصره مرارًا وتكرارًا من وإلى الكتاب الذي بين يدي تشارلي.

قال لها سولت بصوت منخفض ونبرة مزدرية: «أنتِ، أنتِ مجرد شوكة صغيرة عالقة بين أسناني».

حاولت تجاهله، وحاولت تجاهل الرعشة التي سرت في جسدها. كان يضغط فقط عليها، على أمل أن تنهار.

كان من غير المريح لها العودة إلى المكتبة، واتجهت نظراتها تلقائيًا إلى البقعة الصغيرة التي لا يزال أثرها باقياً على السجادة. لكن للحظة فقط؛ لأن فينس كان موجودًا هناك بالفعل، واقفًا وظهره إلى أحد أرفف الكتب، وذراعه مقيدتان في قيود العقيق اليماني نفسها التي كانت مُعلّقة على الحائط في الردهة المخفية.

استوعبت شعور اليأس البادي في عينيه الرماديتين وكتفيه العريضتين والعضلات تحتها. كما تأملت شعره الذهبي الداكن وخط فمه الغاضب. مجرد النظر إليه جعل معدتها تؤلمها.

ثم قال لها راجيًا: «تشار، كان يجب أن تهربي عندما سنحت لك الفرصة».

أدارت وجهها بعيدًا، وهي غير متأكدة مما إذا كانت قادرة على فعل ما هو ضروري معه بينما يشاهدها.

سأل ماليك: «ومن هذا أيضًا؟».

فقال بيلامي، وهو ينظر إلى فينس كما لو كان يحاول إقناع نفسه بشيء: «هذا هو إدموند، حفيده. كنت أعتقد أنه مات».

فقال سولت: «أوه، سأفسر ذلك بعد قليل».

ثم دخلت أديلين الغرفة مرتدية فستانها الأسود الطويل وجلست على ذراع كرسي. «هل يمكنني إحضار مشروب لأي منكم؟».

فهزت تشارلي رأسها.

استقرت الفيسيرين على كرسي مقابل أديلين ثم قالت: «حسنًا يا ليونيل. الآن، اشرح موقفك».

بدا مسترخيًا وسعيدًا. بل اعتقدت تشارلي أنه قد يكون حتى مستمتعًا بما يحدث: «لقد تعاونت مع الهيروفانت؛ لأن لدينا مصلحة مشتركة. قاتل نايت سينج هو أيضًا قاتل حفيدي. إنه يقف أمامكم، متخذًا شكله لكنه ليس هو. أنتم تنظرون إلى ظله».

فصاح ماليك: «هذا مستحيل».

«هل تقول إن هذا الرجل المائل أمامنا ظل متحرر؟». سأل بيلامي، وهو يسير باتجاه فينس.

نظر فينس إلى عينيه لكنه لم يتحرك للابتعاد. مد بيلامي يده، وفور لمس ذراع فينس تراجع للخلف كمن تفاجأ. ثم استدار نحو الفيسيرين التي لم تثقل شيئًا.

«كان حفيدي دائمًا يتبع أسلوبًا غير تقليدي إلى حد ما في التعامل مع سحر الظلال. لقد عامل ظله بوصفه كائنًا منفصلاً تمامًا، وسمح له باتخاذ القرارات لكليهما. في النهاية، أصبح الظل مستقلًا بما يكفي لخداع حفيدي.»

«لخداعه؟». رد بيلامي الكلمة وهو مفتون أكثر من كونه دهشًا. كان المقتنعون مهتمين بشكل حصري تقريبًا بالألغاز وغوامض الأمور، ما أدى إلى وجود الكثير من الأكاديميين وحتى المزيد من العلماء المجانين في أوساطهم. لطالما اعتقدت تشارلي أنهم يمثلون خليطًا من التخصصات الأخرى، ويمكنها أن تدرك سبب إثارة شخص مثل فينس لهم بشكل خاص.

«لقد خُدِع لإجراء طقوس من الكتاب، وواحد من هذه الطقوس التي أثبتت أنها مميتة...» قاطعته تشارلي: «هذا ليس صحيحًا. أنت من قتل ريمي.»

«هل أخبرك الظل بذلك؟». سألتها سولت وجعل صوته لطيفًا. ثم تابع: «لقد استخدم الظل حياة ريمي، وأنشأ هذه القشرة الخارجية - أي هيئته - التي يختبئ فيها. ثم هرب مع الكتاب وبدأ في قتل أي شخص يعرفه. تاجر كتب نادرة. ثم نايت، الذي كان بإمكانه الوصول إلى كتاب الخراب عندما كان في أحد مزادات سونديز، وأخيرًا اللصة التي عهدت إليها بسرقة مرة أخرى.»

بدا كل شيء منطقيًا عندما قال ذلك، مع وجود فينس الذي لم ينكر شيئًا مما قيل. كان بمقدور تشارلي أن تشعر بأن سيطرتها على الموقف تتزعزع.

استطرد سولت: «الظلال تكذب يا عزيزتي. إذا كان لديك ظل متحرر متصل بجسدك عبر الحياكة أو غيرها، فسوف يهمس في أذنك طوال الوقت، وكل ساحر ظلال يعرف أنه لا

ينبغي أن يصدق كل ما يقوله ظله. هذا هو السبب في أن الارتباط بظل شخص آخر يمثل عبئًا ثقيلًا على أي أحد».

نظرت تشارلي إلى الهيروفانت. بقدر ما كان سولت يستمتع بما يجري، كان شعور الهيروفانت هو العكس من ذلك تمامًا.

«كلاكما يدعي أنها حل لغز جريمة القتل». قال ماليك ذلك لسولت، ثم التفت إلى تشارلي، «بينما تعتقدين أنت، لسبب ما، أن القاتل هو ليونيل وستيفن معه؟».

فأومأت برأسها، وهي تنظر إلى فينس الذي لم يتكلم بعد. «نايت ليس أول ساحر ظلال يقتله ليونيل سولت».

ابتسم سولت ووقف، ثم ذرع الغرفة بخطى سريعة معتقدًا بوضوح أنه فاز بالفعل. «اسمحوا لي بطلب دليل على سرديتي للأحداث. أديلين، يا عزيزتي، ماذا أطلق إدموند على ظله؟».

كانت تشارلي ترتدي ثوبًا باللون نفسه؛ ريد ويعني الأحمر.

ابتسمت أديلين وقالت: «ريد».

ثم سألت تشارلي: «وماذا كان على الجدران حيث قُتِل آدم لوكين، ذلك اللص الذي استأجرته؟».

قالت لهم على مضض: «كلمة ريد مكتوبة بالدم. ولكن كان من المفترض بهذا أن يمثل تهديدًا لفينسنت؛ لأن الهيروفانت كان يعتقد أن لديه الكتاب».

ردد بيلامي في تساؤل: «فينسنت؟».

فقال فينس-الظل: «إنها تعينني».

فزعت أديلين، وبدا الآخرون متفاجئين أيضًا، كما لو أنهم قد نسوا أنه يستطيع التحدث.

فقال سولت: «أليس من المرجح أن الظل المتحرر كان يتمنى أن يعرف الجميع من قتل آدم، ولهذا السبب غطى الجدران باسمه؟ لم يُظهر الهيروفانت مرة أخرى، وأنا هنا أذكرك، أي ميل نحو إراقة الدماء».

قالت تشارلي: «لا، لم يُظهر».

كانت نظرة سولت مثبتة عليها ولا تتحول عنها: «والآن، ما مدى قرب المكان حيث قُتل بول إيكو من المكان الذي كان يعيش فيه ريد؟».

«بضع بنايات، لكنني لا أرى علاقة ذلك ب...»

«وما مدى قرب المكان حيث قُتل آدم لو كين من المكان الذي كان يعيش فيه ريد؟».

تنهدت تشارلي، وأجابت وهي محبطة: «كان يعيش في المنزل الذي وقعت فيه جريمة القتل لكنه غادر قبلها بأيام. لم يكن هناك».

«ومن كان يعيش معه في ذلك المنزل قبل مغادرته؟».

اعترفت تشارلي: «أنا».

«أليس من المحتمل أن تكوني قد حصلتِ على الكتاب من ريد؛ لأنك كنت تعيشين معه، وليس لأنك اخترقت نظامي الأمني الحصين».

فعرضت تشارلي بأريحية: «يمكنني أن أظهر للجميع كيف فعلت ذلك».

فقال سولت: «نعم، لكن هذا يقودنا إلى شيء آخر. هل تعتقدين أن هناك سببًا لدخوله في حياتك، شيء يخصك ربما كان يريد؟».

عقدت تشارلي ذراعيها فوق صدرها، ثم حدقت إلى وجه سولت وقالت هازئة: «لا أعرف.
ربما جزء معين من جسدي».

خفت دعابتها بعض التوتر السائد في الغرفة. فنخرت الفيسيرين فيما ابتسم بيلامي. لكن
سولت لم يستجب لدعابتها وتابع بصرامة: «ألا تظنين أن السبب في ذلك هو أنك لصة
معروفة؟ المشعوذة، التي توقفت عن تولي التكاليفات التي تأتيها من آخرين للسرقة، وهذا
من قبيل المصادفة بالطبع، في الوقت نفسه الذي قابلت فيه ريد».

أخذت تشارلي نفسًا طويلًا ومتقطعًا. فأن يعرفوا أنها كانت لصة في العموم شأن، ثم أن
يعرفوا أن أيًا منهم ربما تعرّض لسرقاتها في الماضي شأن مختلف تمامًا. على الرغم من أنها
أدت عملاً أو وظيفتين لصالح الفيسيرين، فإن الآخرين لم يعلموا عنها إلا كونها تميمة لسوء
الحظ.

إنك تخسرينهم يا تشارلي هول. لن يصدقوك أبدًا الآن. كان يجب أن تفكري في أن
الملياردير يمكن أن يكون محتالًا بارعًا.

ثم سألتها سولت: «أخبرينا، هل أخبرك ذات يوم بأنه ظل حي؟ أم أنه أعطاك اسمًا مزيفًا
وتاريخًا مزيفًا ووجهه المزيف؟».

رغمًا عنها فكرت تشارلي في نموذج الظل الذي يمثل دور المحب. ثم بفم فينس وهو يقبلها
بشغف. ثم بصورته وهو يطهو لها البيض.

أجابت تشارلي: «أعرف جيدًا من فينس، وأعلم جيدًا من تكون أنت. لقد سممتني عندما
كنت في الخامسة عشرة من عمري، وطاردني رجالك عبر الغابة. لا تتحدث معي عن
الوجوه الزائفة يا هذا».

رفع بيلامي حاجبيه في دهشة عارمة. فيما تطلعت أديلين إلى فينس كما لو كانت تستوثق
منه. لم يكن الأمر أن تشارلي تعتقد أن أيًا من أعضاء مجلس الكابال سيهتهم كثيرًا بشيء

حدث منذ أكثر من عقد، لشخص لم يكن ظلامياً أو من سحرة الضلال، حتى لو صدقوها.

لكنها أرادت أن يتذكر سولت ما فعله بها.

«إذن لديك ضغينة ضدي». قالها بأريحية وهو ما كان رد فعل خادعاً ولكنه ذكي. إنه يطبق قاعدة: اعترف بشيء سيئ حتى يعتقد الآخرون أنك صادق عندما تنكر شيئاً آخر مماثلاً له في السوء أو أسوأ.

كانت محاولته إلقاء اللوم على فينس مقنعة بشكل مزعج. نسج سولت خيوطاً متعددة كافية لجعل كلامه منطقيًا، خصوصاً أن الدليل على صدقه يمكن أن يُفسَّر لصالحه أو ضده. كما أنه كان ثريًا، وهي صفة تساعد صاحبها دومًا، بينما كان فينس وحشًا مرعبًا، حتى من دون جرائم القتل التي ارتكبها كما هو مفترض.

إن معرفتها بأنها قد لا تكون قادرة على قلب هذا الوضع لصالحها قد زاد من توتر أعصابها.

«حسنًا». سأل ماليك فينس: «هل قتلت هؤلاء الناس؟ نحن نعلم أنه يمكنك التحدث».

نظر إليه فينس بلا تعبير. اعتقدت تشارلي أن تقييمه للموقف قد يكون أكثر سوداوية من تقييمها لكنه قال: «كنت ظل ريمي. لم أكن لأؤذيه أبدًا. وأنا لم ألمس نايت سينج».

ثم سألت الفيسيرين: «هل لديك أي شيء آخر تضيفه يا ستيفن؟ لقد كنت تتصرف بشكل غريب مؤخرًا».

قال ستيفن وهو ينظر إليهم: «لم أتم جيدًا منذ مدة، وانتابتنني الكثير من الكوابيس».

لمس بيلامي كتفه في تعاطف ثم جفل.

ثم تابع ستيفن: «إنني أتفهم عقابي. كل ما أريده هو الانتهاء من قضاء عقوبتي».

«هل قتلت أي ساحر ظلال؟».

هز رأسه نفيًا: «لا، أنا أصطاد الظلال المتحررة والمستقلة. ولهذا السبب كنت أبحث عن ريد، فقط ريد». في منتصف الجملة الثانية، اعتقدت تشارلي أنها تستطيع الجزم بأن شيئًا آخر هو الذي يتحدث وليس الشخص نفسه الذي أمامها. كان التباين دقيقًا ومن السهل أن تغفل عنه إذا لم تكن تترصده.

سألت الفيسيرين: «ما الذي جعلك مهتمًا جدًا بكتاب الخراب؟».

هز الهيروفانت كتفيه في تسليم وقال: «وعدني ليونيل أنني سأتمكن من قراءته، وقد أستخدم ذلك للمساعدة في عملي».

منذ متى وهذا الظل المتحرر مرتبط بسلسلة من الحمقى والمغفلين والفضلة؟ ومنذ متى دُفع دفعًا لاصطياد من ينتمون إلى نوعه نفسه؟ كانت تشارلي ستشعر بالتعاطف معه إذا اعتقدت أنه مهتم بشيء آخر غير قتلها.

تنحج سولت وقال: «ريد مخادع، كيان تشكّل من الحسد والفساد ومشاعر الكراهية التي سعى حفيدي إلى التخلص منها، كما أنه خدع هذه الفتاة المسكينة. فلئن هذه المحادثة السخيفة ونعد إلى الحفل. سأبقي هذا الظل المتحرر مقيدًا، ويمكنك تقرير ما ستفعلونه معه غدًا أو بعد غد».

«انتظرا!». عاجلته تشارلي. «يمكنني إثبات أنني حصلت على الكتاب من خزانته. يمكنني أن أريك مكانه، ويمكنني فتحه».

فاعترض ماليك قائلاً: «لست متأكدًا من أن ذلك...»

قاطعته تشارلي: «لقد عرضت عليكم ذلك قبل قليل، ولقد كاد يعترف بذلك. الآن، أنا الوحيدة التي لديها أي دليل. لديّ كتاب الخراب».

قال سولت: «وهذا يمكن أن يثبت وجهة نظرك وكذلك وجهة نظري. ولا تنسي بدورك، لديّ ريد».

قالت تشارلي: «اسمحوا لي بأن أريكم، رجاءً».

نظرت الفيسيرين إلى سولت وسألت: «هل هذا ممكن؟».

فقال بابتسامة صغيرة: «بالتأكيد لا، نظامي الأمني لا يمكن اختراقه. لديها هذا الكتاب لأن الظل المتحرر سرقه».

رفع بيلامي حاجبيه وعقّب: «لم لا؟ نشاهد عرضًا صغيرًا لمدى براعتها ثم يمكننا العودة إلى الحفل».

كانت يدا تشارلي تتعرقان عندما أومأت برأسها إليهم جميعًا. وضعت كتاب الخراب على طاولة بالقرب من المكان الذي وقف فيه الهيروفانت، وتجاهلت الطريقة التي تحرك بها تلقائيًا نحوه.

قال سولت: «جيد جدًا، افعلي ما تشائين أيتها اللصة».

سارت تشارلي إلى حيث يوجد كتاب الجحيم لدانتي وسحبته. ففتّح أحد أرفف الكتب.

قالت الفيسيرين: «مثير للاهتمام».

فرد سولت: «نعم، أنا أفضل هذه الغرفة الصغيرة».

ثم ذهبت تشارلي إلى اللوحة ودفعتها حتى كُشف عن الخزانة، ثم شرعت في العمل. كانت تعرف الرموز بالفعل، لكنها احتاجت إلى تقديم لمحة استعراضية في المرحلة الأولى؛ لذلك أظهرت أنها تتحسس طريقها كما فعلت في المرة الأولى، ما أضفى على عرضها صبغة

درامية واستغرق بعض الوقت. استطاعت أن ترى أنهم قد تأثروا عندما انفتحت الخزانة نصف فتحة.

حينئذ سأل ماليك: «ما الذي سنجده بالداخل؟».

قالت تشارلي: «الذهب، الأحجار الكريمة، الكنوز المعتادة».

ابتسم سولت فحسب. لكنه تراجع خطوات قليلة بعيدًا عن الآخرين، ومد إحدى يديه إلى الجيب الداخلي لمعطفه.

عندما وصلت إلى الجزء الرقمي، أدخلت تشارلي الرمز بعناية. نظرت إلى الوراء إلى أعضاء مجلس الكابال ثم إلى فينس وأخذت نفسًا عميقًا، ثم أدارت الرافعة.

انطلقت صفارة الإنذار وملأت الغرفة بصوت مثل سارينة الشرطة. ثم ضغط سولت رمزًا آخر فتوقف الصوت.

اتهمته تشارلي: «لقد فعلت ذلك».

هز رأسه، وأضاءت عيناه بارتياح من فاز: «لا تكوني سخيفة. لقد فشلت، هذا كل شيء».

قالت تشارلي: «حسنًا، افتح الخزانة». كانت دقائق قلبها تتسارع وجسدها يتعرق «أثبت أنك أنت الفائز».

قال سولت، مستمتعًا بلحظة انتصاره: «حسنًا، سوف أطيعك لمرة أخيرة». ثم ضرب ما رأى أنها مجموعة الأرقام نفسها التي استخدمتها تشارلي، ثم أدار الرافعة وفتح باب الخزانة.

إنه هاتفه. لقد أخرجه خلسة في أثناء عملها ونشّط المنبه عندما انتهت. بينما كانت تشارلي تستعرض براعتها، وجد سولت طريقًا لإيقافها.

قال ماليك لسولت: «نحن آسفون للشك في أمرك، لكنك تتفهم أنه كان علينا...»

قالت الفيسيرين وهي تتخطاه: «انتظر، أنا أعرف هذا الكتاب».

ومن الخزانة، أخرجت دفتر ملاحظات نايت سينج، حيث الأوراق التي تُفصل جرائم سولت بخط يده والتي وُضعت على عجل في إطار الغلاف الجلدي، ما جعل حوافها بارزة. بالضبط حيث تركتها تشارلي عندما أخذت كتاب الخراب.

سارع سولت إلى القول: «أنا...». لكن الكلمات تبخرت من فوق لسانه.

لقد عرفت تشارلي طريقة محاصرة سولت منذ اليوم الذي قضته معه. لقد تفكرت في ذلك حينها، وهي مقيدة الأيدي، من دون أن تدرك مدى الأهمية التي ستكون لهذه الفكرة لاحقًا. دعيه يهيمن. دعيه يفز. سيكون على يقين من أنه هو المسيطر إلى حد أنه لن يخمن أبدًا أنه جُرَّ إلى الفخ ووقع فيه.

كان يعتقد بصدق أنها منحته كل ذلك الوقت بينما كانت تتظاهر بمحاولة فتح القفل الأول من دون سبب منطقي.

كان يعتقد بصدق أنها تستطيع اختراق الخزانة، ولكنها لن تكون قادرة على تخمين أن لديه تطبيقًا آمنًا على هاتفه.

وأخيرًا قال سولت محاولاً تبرير موقفه، ومدركًا أن عليه إلقاء تهمة وجود كتاب نايت سينج في خزائنه على شخص آخر فوراً: «لا بد أن الأنسة هول وضعت هنا بيدها».

كان ليونيل سولت مخططًا بارعًا. كانت تشارلي على يقين من أنه خطط لاحتماالية مواجهته بأي عدد من جرائمه. سيكون قادرًا على شرح الكثير من الأشياء الحقيقية في جوهرها، لكن لا أحد يستطيع التخطيط لمواجهة الأدلة المدسوسة في مكانها عن عمد.

ذُكرته تشارلي: «أعتقد أنك قلت إنه لا أحد يستطيع الوصول إلى خزانك؟ أليس هذا ما كنت تحاول إثباته؟ هل أخفيت أنت كتاب الخراب هناك ثم سرقتَه وأنا أضع شيئًا آخر في خزانك؟ أم أنني كذبت بشأن كتاب الخراب، وأنت تكذب الآن؟».

حوّل ليونيل سولت نظرتَه نحو الهيروفانت. كان الاعتراف بالافتراض الأول أقل إهانة له، لكن هذا يعني الاعتراف بأنه كان يضلّ ظلًا متحررًا قديمًا وقويًا جدًا.

فتحت الفيسيرين الأوراق المحشوة في الجزء العلوي من كتاب نايت، وفردتها. لم تكن تشارلي متأكدة من أن سولت يعرف ماهيتها، لكنها استطاعت أن تستنتج من الطريقة التي تغيرت بها تعبيرات وجه الفيسيرين أنها أدركت من كتبها.

قَطَّب ماليك وقال: «أعتقد أن الوقت قد حان لكي يتحدث أعضاء مجلس الكابال معك ومع ستيفن بشكل منفرد، يا ليونيل».

مد سولت يده إلى جيبه وأخرج مسدسه الأسود غير اللامع، ووجهه مباشرةً إلى تشارلي. «لقد ارتكبت خطأ فادحًا باختراق حصني أيتها المشعوذة».

تجمدت تشارلي في مكانها. فيما زمجر ظل الفيسيرين الذي على شكل قطة، مع بروز ثلاثة ظلال - تخص ماليك - كشفت أفواهها عن أسنان حادة، واستل بيلامي سيفًا من الظل.

قال ماليك: «ليونيل، ليست هناك حاجة إلى هذا».

خلف سولت، رفع فينس معصميه فتباعدت الأصفاة وسقطت على الأرض. ثم تقدم بسرعة غير بشرية، وغرس رأس فتّاحة الرسائل في حلق سولت.

أصدرت أدليلين صوتًا حادًا كان بمثابة صرخة تقريبًا.

فيما بدت أصوات الحفل بعيدة جدًا في هذه اللحظة.

تحدّث فينس مباشرةً في أذن سولت: «لقد قلت إنني مخلوق من الكراهية، وأنا أكرهك. ما فعلته الآن لأجل ريمي، الذي دمه دمي، وجسده جسدي وبُغضه بُغضي. ولأجل تشار، التي ستنجو الليلة. صوّب هذا المسدس في مكان آخر، وإلا سوف أؤذيك وسأستمر في إيذائك حتى لا يكون هناك شيء تستشعره سوى الألم».

قال سولت بصوت مختنق وهو يرتجف: «لا يمكنك...»

قاطعته فينس بابتسامة حزينة: «أنا آسف يا تشار. ما كان الأمر ليحدث إلا على هذا النحو. كنت أعلم أنه سيسمح لي بالاقتراب منه، وسيمنحني ذلك الفرصة المطلوبة».

عندما وجدوا فينس ينتظر في المكتبة، وحده، كان على تشارلي أن تدرك أن شيئًا ما خطأ أو غير متوقع. كان عليها تبيّن ما يعنيه اختفاء الرجل ذي اللباس الرسمي. كان يجب أن تدرك ما كان فينس يصنعه في غرفة الفندق، بلاط من العقيق اليماني الزائف، وتلك الأصفاد التي جعلته يبدو مكبلًا بينما كان قادرًا تمامًا على تحرير يديه منها.

كان فينس يعلم أن سولت، بوجود تشارلي أو من دونها، سوف يتباهى بعرضه أمام أعضاء مجلس الكابال. وبعد ذلك كان يخطط لإزاحة الأصفاد وقتل سولت قبل أن يتمكن أي شخص من إيقافه.

وبعد ذلك؟

ضغط فينس على سن فتاحة الرسائل بقوة، فسقطت قطرة من الدم من حلق سولت مثل دمعة.

أصدر سولت صوتًا يُعبّر عن اختناق، وتهدلت ذراعه، على الرغم من أنه لم يُسقط مسدسه. ومع ذلك، فإنه لم يكن موجّهًا نحو وجهها مباشرةً فتنفست تشارلي الصعداء.

قالت الفيسيرين: «أسقط المسدس على السجادة يا ليونيل. عندئذ سيبعد الظل المتحرر سكينه عنك، أليس كذلك؟».

فسأل فينس باستخفاف: «هل سأفعل حقًا؟ لم آتِ إلى هنا وأنا أعتزم المغادرة لاحقًا».

كان وجه ليونيل سولت شاحبًا بينما عيناه فزعتان. كانت غرابة هذه اللحظة قد بلغت مداها بالنسبة له. أطلق مالهار على الظلال لقب «أشباح الأحياء». لكن فينس كان ظل رجل ميت.

فينس، الذي كان تقريبًا حفيد سولت. شبح الانتقام لهذا الحفيد.

قالت تشارلي لفينس: «ستغادر معي. الخطط تتغير. يعرف مجلس الكابال الآن ما فعله سولت، وبالتأكيد لن يتجاهلوا مقتل أحدهم».

رفع فينس طرف السكين عن شريان سولت العنقي.

«لم أفعل شيئًا...». توقفت كلمات سولت بشكل مفاجئ عندما خطا الهيروفانت بينه وبين تشارلي. صار ظهره لسولت وعيناه تقدحان شررًا.

كان الظل القديم ينظر إليها عبر عيني ستيفن. وكان غاضبًا. لقد حمل كتاب الخراب بين ذراعيه.

ثم سأل تشارلي: «أخبريني عن هذا الكتاب. أخبريني عن أكاذيبه».

تنحنت تشارلي: «ربما بإمكان فينس الإجابة عن هذا السؤال بشكل أفضل مني».

لكن الظل أصر: «بل أنت».

أومأت برأسها: «حسناً. عندما مات ريمي، دفع كل طاقته وأنفاسه الأخيرة من الحياة في ظله. هذه هي الطريقة التي أصبح بها ريد قادرًا على التحول إلى إنسان». ثم نظرت مباشرةً إلى الهيروفانت، ولم تسمح لنفسها بأن تجفل. «الطقوس، تلك التي كان من المفترض أن تجعل ريد إنسانًا؟ إنها غير موجودة. إنها ليست في كتاب الخراب. ليست في أي مكان. هذا هو الشيء الذي لم أستطع استجلاءه في البداية. لماذا يكلفني السيد سولت بأن أعتز على كتاب يضعه بأمان في خزانته؟».

ثم التقطت نفسًا عميقًا وتركته يخرج ببطء، ودفعت نفسها للتوقف لوهلة من أجل إحداث التأثير الدرامي المرغوب فيه. «لأنه وعدك بشيء لا يستطيع تقديمه أبدًا».

انعقدت أصابع الهيروفانت على الغلاف المعدني للكتاب، وضغط بقوة كانت كافية لثني حافظه.

ثم استطرقت تشارلي: «لقد أقنعك بالتنازل عن ذاتك وكيانك من أجله، وأنت تعلم أن الشاب الذي كنت تملكه لا يخدم أغراضك كما تريد. لم يكن هناك الكثير من الطاقة لأخذها منه. كان قتل نايت سينج بلا جدوى. كان قتل بول إيكو كذلك بلا جدوى. وأخيرًا كان قتل آدم لوكين من أجل لا شيء».

ضحك سولت، على الرغم من أنها بدت ضحكة مفتعلة: «هل هذا هو السر الخطير؟ بالطبع أعرف كيف أصبح ريد على ما هو عليه الآن. كل هذا مسطور في كتاب الظلال المتحررة».

كان من الصعب المجادلة بشكل مقنع ضد رجل عجوز وسكين مغروسة في حلقه. لذا قررت تشارلي تجاهله. «صار كيان ريد صلبًا جدًا بالفعل؛ لأن ريمي وضع الكثير من طاقته فيه، ثم كان يحرره لفترات قصيرة من الوقت، على مدى سنوات. ثم بدأ ريد يتخذ شكل ريمي، ويتمسك بهذه الهيئة. أليس هذا صحيحًا يا أديلين؟».

شهقت أديلين كما لو أن تشارلي سألتها عن شيء فظيع.

سألت الفيسيرين مستنكرة: «هل قتلت حفيدك؟ ونايت؟».

«لقد كذبت عليّ». خرجت الكلمات كالرصاص من فم ستيفن، لكن الصوت لم يكن مثل صوته. «أيها المخادع، سوف أنزع اللحم عن عظامك. سوف...»

قرقع صوت المسدس في الهواء.

ثم سقط الهيروفانت على البساط، والدم يتسرب من الجرح، وأصابه تشبث بالكتاب وفمه مفتوح.

وخلف الجسد، ارتفع ظل الهيروفانت وغدا أكبر وأكبر.

ثم قال بصوت مخيف: «كياني البشري».

حام الظل فوق الجسد الذي كان يرتديه. ثم أطلق ستيفن عواءً مكتومًا وهو يذوى، وجلده ينكمش، وجسده يتجدد ثم يتقلص. صار الدم حول ثقب الرصاصة جافًا وأشبه ببلورات صغيرة متجمدة.

كان الظل يعلو فوقهم، متألئًا بالطاقة الجديدة.

فقال الفيسيرين: «يا إلهي!».

تملص سولت من قبضة فينس، ورفع يده لتلمس الجرح السفلي في حلقه.

نظر الظل المتحرر إليهم في الأسفل، ونما حتى إن أضواء المكتبة صارت خافتة، ثم هدد: «إذا لم يُعطيني أحد منكم جسدًا، فسوف آخذه عنوة».

قال ماليك: «علينا احتواؤه».

قال سولت: «لديّ أسلحة، وأجهزة في هذا الممر».

لكن لم يكن هناك وقت.

انقض الهيروفانت، فقفز ظل الفيسيرين الذي على شكل قط لمواجهته وهو يُشهر مخالبه، لكن الظل المتحرر أزاحه جانبًا بسهولة. تقدّم بيلامي إلى الأمام حاملاً سيف الظل الخاص به، فقبض الهيروفانت عليه وتحول النصل إلى دخان.

أمسكت تشارلي بذراع فينس، فنظر إليها بالطريقة نفسها التي رمقها بها في تلك الليلة الباردة خارج المنزل عندما كان يعتقد أنها ستلمسه مجددًا.

ثم صاحت: «هيا، يجب أن نذهب. الآن.»

فهز رأسه.

«لم أعد أخدم بشرًا». هدد الهيروفانت بصوت مثل عذيف الريح في السماء، وصدى الصوت المدوي في غرفة فارغة. صوت ليس بشريًا في أقل تقدير. «لقد تشكل جسدي من جسد بشري، لكنني أعظم منكم الآن. سوف آخذ كل ما أريد، وسوف تخدمونني.»

اندفع بيلامي عبر الغرفة باتجاه القاعة الكبيرة، مطلقًا تحذيرًا وقد استل خنجرًا من الظل من معطفه. بينما دار ظل ماليك الثلاثي حول جسده استعدادًا للهجوم.

«لا مزيد من الاختباء». قال فينس ذلك وأمسك بيد تشارلي.

بدأت ملامح جسده تبهت وتتشوش عند الحواف. كانت عيناه أول ما تلاشى، صارت جوفاء ففارغة فمحض دخان. ثم تطاير شعره، مثل الشرر المتطاير من النار. زحف الظلام على جسده كأنه يهدد بالتهامه.

صرخت تشارلي: «فينس!».

دَوَّى صوت الهيروفانت عبر الغرفة، مثل عواء الريح عبر الأشجار. «كل مَنْ ربطني منكم، كل مَنْ كَبَلَّني بإرادتكم الضعيفة وطموحاتكم المتواضعة، يعرفني. أنا كليوفيس، وسوف أُرسم...»

اندفع فينس تجاهه. فتصادما معًا، عبر الغرفة. كانا مجرد ظلين على الجدران، ولكن حيثما ضرب أيًا منهما كانت الجدران تتحطم والجص المطلية به يتهاوى والطلاء ينخلع من مكانه ويتشقق ويتهدل، واللوحات تنخلع إطارتها وتتكسر.

تحولت أيدي الهيروفانت إلى مخالب طويلة، طرف كل منها رفيع ومدبب. وفتح فمه فبدأ واسعًا ومليئًا بالأسنان الحادة. حلَّق الهيروفانت باتجاه غرفة الأسرار وفينس في إثره. تحركت تشارلي لتتبعهما عندما شعرت بمعدن بارد على مؤخرة رأسها. مسدس.

قال سولت: «استديري».

ففعلت. في كل هذه الفوضى، لم يتذكر أحد مسدس الجلوك. لم يكن هناك الكثير مما يمكنها فعله إذا أطلق النار عليها، لكنه كان يشعر بالرضا لوجودها تحت رحمته لفترة طويلة جدًا.

ضربت تشارلي ذراعه جانبًا، فانطلقت الرصاصة وأصابت أحد أرفف الكتب وخلعت قطعة من الزخارف الخشبية.

ثم أدار المسدس باتجاه رأسها كما لو كان سيضربها به، فأمسكت بمعصمه وعضته بأقصى ما تستطيع من قوة.

فأطلق سولت عويلاً متألماً ثم أسقط المسدس. ركلته تشارلي بقدمها، ما أدى إلى انزلاقه على الأرض.

ثم صاح بها: «أنت لا شيء. مجرد لخرة. لخرة على جدار الكون. ولن تتسبب لخرة
وضيعة مثلك في انهيارى».

لكمها في رأسها بيده الأخرى، فترنحت إلى الوراى وهي تشعر بالدوار ثم ضربها مرة أخرى.
كان رجلاً عجوزاً، لكنه كان قوياً ومعتاداً إيذاء الناس.

ومجدداً قال لها: «كان يجب أن أقتلك عندما سحت لي الفرصة».

فردت تشارلي هازنة: «أوه، بالتأكيد؛ لأنك لن تقتلني الآن».

ثم أمسك بقضيب حديدي بجوار المدفأة ووجهه تجاهها. تراجعت تشارلي وأمسكت بأداة
أخرى قبضت عليها عشوائياً من فوق الحامل المعدني. كانت هذه المرة مجرد مجرفة
معدنية مخيبة للآمال، لكنها جلبتها على أية حال لتتصدى لهجوم آخر.

قرقع صوت اصطدام المعدنين معاً وشعرت به يسري بطول ذراعها.

كانت تجربة تشارلي الوحيدة في هذا النوع من القتال هي اللعب مع بوزي بجوار شقتها
القديمة، وهما يطوحان بالعصي في اتجاه بعضهما بعضاً. لسوء الحظ، كان هذا هو مستوى
الاستعداد الهزلي الذي شاركت على إثره في قتال من هذا النوع.

كان عليها أن تضربه بشدة كي يسقط أرضاً ولا ينهض مجدداً.

كانت تعرف أن عليها فعل هذا، ومع ذلك شعر جزء منها بالرعب من الفكرة. لطالما كرهت
سولت، وستكون سعيدة لو مات. لكن أن تتسبب هي في موته في الواقع كان شيئاً آخر.

حاول سولت أن يطعنها بالقضيب الحديدي ذي السن الحادة في ساقها، لكنها راوغته. كان
رجلاً عجوزاً. بالتأكيد، سوف يتعب بسرعة، أليس كذلك؟

لكن البريق الوحشي البادي في عينيه جعلها تفكر بطريقة أخرى. لقد أراد بشدة أن يراها ممددةً أمامه على البساط. أراد أن يكسر جمجمتها، وسيسعد بأن يراها تنزف.

مجددًا وجَّه قضيبه الحديدي باتجاه رأسها بينما أمسك شيء ما بيديها. ألقت بنفسها على الجانب، فمس القضيب وركها من دون أن يطعنها فعلاً.

ثم سقطت على البساط.

إنه ظلّه اللعين، هذا هو ما أمسك بها. لم تكن تقائله وحده فقط، بل ظلّه أيضًا.

على الأرض، تدرجت تشارلي وحاولت أن تصل إلى المسدس. ثم رفعتة في وجهه وإصبعها على الزناد.

توقف سولت، وظل ظلّه يتأرجح نحوها مثل ثعبان الكوبرا، يتحرك ذهابًا وإيابًا على الحائط فوقها.

نهضت تشارلي، وأبقت المسدس مصوبًا باتجاهه «ابق حيث أنت». فسخر منها قائلاً: «لن تطلقى النار عليّ».

بيدها الحرة، أخرجت تشارلي سكين العقيق اليماني من حمالة صدرها. ثم أزال الغمد المكون من مجرد شريط لاصق بقضمه ونزعه.

بدا سولت مستهزئًا بما تفعل: «ما الذي تخططين لفعله بهذا؟».

«إن ظلّك ليس ظلّك بالضبط، أليس كذلك؟ إنه يخص أحد سحرة الظلال السابقين. إنها فكرة جيدة بالفعل. لن ترغب في شيء أقل تميزًا من امتلاك ظل يخص شخصًا آخر غيرك».

سألها في ترقب: «وماذا في ذلك؟».

جلست في وضع القرفصاء، والمسدس لا يزال مُصَوَّبًا ناحيته: «لذا، أراهن أنه يكرهك». وبضربة واحدة طويلة من الخنجر، تحرر ظله.

تراجع سولت للوراء على حين غرة لدرجة أنه تعثّر. على الأرض، شكّل الظل المنفصل للتو ما يشبه بركة، مثل بقعة زيت، ومن المركز بدأ شيء ما في الارتفاع.

قالت تشارلي: «أعتقد أنك كنت محقًا بشأن عدم قدرتي على إطلاق النار عليك». ثم غادرت المكتبة.

وصلت تشارلي إلى القاعة الكبرى في الوقت المناسب لرؤية صراع فينس وهيروفانت، كان الظلان منتشرين على الحائط في ضخامة العمالقة. كان أحدهم قد فتح أبواب الحديقة، فتطايرت نسمات الهواء البارد عبر الغرفة، ما أدى إلى تراقص الستائر.

«لقد عشت مائتي عام حتى الآن». عوى الهيروفانت بصوت لم يكن مألوفًا قط: «وسأعيش آلاف الأعوام مستقبلاً».

تعالت الصرخات في كل مكان حول تشارلي. كان الناس يندفعون خروجًا من القاعة، أو يصطدمون بها، أو يسحبون أسلحة من العقيق اليماني. طار أحد سحرة الظلال على أجنحة من الظل، ممسكًا بشفرة سوداء لامعة. فمزق الهيروفانت الظل من ظهره، وأسقطه على طاولة القهوة.

طارت موجة من سهام العقيق اليماني باتجاه الظلين المتحررين، وغاصت فيهما. صرخ فينس من الألم والمفاجأة، قبل أن تسقط السهام من كليهما، وتتناثر على الأرض. ركض أحد الرماة لاستعادتها، بينما أطلق الآخرون المزيد من السهام.

لم آتِ إلى هنا وفي نيتي المغادرة لاحقًا.

قدّرت تشارلي أن فينس لن ينجو من هذه المعركة. لقد رأّت كيف غاصت تلك الأسنان والمخالب والسهام في جسده. والطريقة التي تباطأت بها حركاته وبدا كشخص ثمل مضطرب.

مدّ الهيروفانت يديه، ومزقت أظفار أصابعه خيوطًا طويلة في الحائط على جانبي الغرفة.

«توقف عن قتالي يا ريد. معًا، يمكننا أن نصبح أقوى من أي ظل متحرر منذ المذبحة الشهيرة. سنغدو مثل الظلال العظيمة القديمة، ونسيطر على العالم أجمع.»

لقد استخدمت الفيسيرين خناجر سوداء طويلة لتوجيه سحرة الظلال إلى الحديقة.

بينما وقف ماليك في المعرض في الطابق الثاني، وفي يديه قطعة قماش متألئة. كان معه اثنان من سحرة الظلال الآخرين.

وقفت أديلين في مدخل القاعة، بالقرب من مكان وقوف تشارلي. كانت أصابعها ملطخة بالدماء.

أدركت تشارلي أن فينس كان يقاتل من أجل هدف ما، توجيه الهيروفانت للخلف. قد يتعرض لضربة قوية وقاتلة، وقد يقطع الهيروفانت صدر فينس بتلك المخالب، لكن فينس استمر في مدافعة الهيروفانت كي يتراجع إلى الوراء أكثر.

بعد فوات الأوان، أدركت ما كان على وشك القيام به.

بأيدي مرتعشة خلعت تشارلي خاتمها الثلاثي من العقيق اليماني، والذي بدا على هيئة مفاصل نحاسية فاخرة. ثم ارتدته مرة أخرى، بحيث صار العقيق يواجه راحة يدها. ثم ركضت نحو المدفأة.

هذا هو المكان الذي كان فينس يوجه الهيروفانت إليه. فينس، الذي حافظ على موقعه، حتى عندما كان ذلك يعني امتصاص الضربات بدلًا من تفاديها. شعرت تشارلي بلفحة من

الهواء المفعم بشحنات كهربائية بينما كان العديد من الظلال تتحرك فوقها.

ألقى فينس بنفسه على الهيروفانت، فرأت أظفار الظل المتحرر الضخم تنغرس في فينس. ثم دحرج فينس نفسه والهيروفانت نحو النار، حيث اعتزم أن يقضي على الهيروفانت حتى لو كان ذلك يعني أن يُطعم النيران جسده.

لم يكن لدى تشارلي الوقت الكافي للالتفاف تجاههما، وأن تمديد يدها وتجذب هيئته البشرية -التي تلاشت ملامحها تقريبًا - ناحيتها. لكنها صمدت في موقعها وهي تمسك بخاتم العقيق -الذي يُبقي ظل فينس صلبًا - بقوة في يديها، ما جعله يسقط فوقها بينما أطلق الهيروفانت صراخًا غاضبًا. ثم تصاعدت ألسنة اللهب عاليًا لدرجة أنها أشعلت النار في الإطار السفلي لواحدة من لوحات سولت.

ثم ألقى ماليك ومساعدوه شبكة من الخرز الأسود بعد لحظات، وأمسكوا بفينس وتشارلي داخلها.

33. لصة الظلام.

لم يكن أحد ليترك تشارلي تتحدث إلى فينس.

أحضرتها الفيسيرين إلى قاعة الطعام ثم احتجزها شخصان من جماعة المُدرَّعين هناك. قدّم لها شخص ما مشروبًا من خزانة المشروبات الكحولية الفاخرة الخاصة بسولت. ربما كان هذا أغلى مشروب يمكن لها أن تتناوله على الإطلاق، لكنها لم تقربه.

كانوا سيعيدونها إلى المكتبة، لولا أنهم وجدوا جثة سولت هناك، وفتاحة الرسائل مدفونة في صدره. وهكذا جلست تشارلي، غاضبةً والأدريين لا يزال يتدفق في عروقها. حدقت إلى الخشب المصقول للخزانة الجانبية العتيقة، وفي الزخارف الفضية الباذخة التي تستقر في الأعلى، واللوحة الزيتية البشعة لوعاء من الرؤوس المقطوعة. ثم تحولت عيناها إلى الستائر الحريريّة الثقيلة التي تنتهي بشرّابات معقودة إلى الجانب بأشرطة للزينة، وصولاً إلى بساط حريري منسوج يدويًا والذي يجب أن يكون عمره مائة عام على الأقل والذي لوّثه أحدهم بنثر بعض الرماد عليه.

العالم سيصبح أفضل من دون وجود ليونيل سولت فيه.

نظرت إلى بدلتها الحمراء، التي لُطّخت بالسخام. ربما كانت هي التي نثرت الرماد على البساط.

ثم قالت لها الفيسيرين وهي تصب لنفسها كأسًا: «لقد كنتِ على حق بشأن سولت. وبشأن كل شيء، على ما أعتقد. أنا متأكدة من أنكِ أردت من شخص ما أن يقول لكِ ذلك، لذا اسمحي لي بأن أبدأ من هذه النقطة.»

قالت تشارلي وهي تبادر بالوقوف: «رائع، إذن دعيني أتحدث إلى فينس». تحرك أحد الظلاميين نحوها، وتعبير صارم يكسو وجهه، فعادت لتجلس وهي تنهد.

ارتسمت ابتسامة حزينة على شفتي الفيسيرين وأوضحت: «يجب أن نتدبر خياراتنا عندما يتعلق الأمر بظلك المتحرر. لم نرَ قط من قبل ظلًا يمكنه أن ينتقل إلى الإنسان».

فذكرت تشارلي الفيسيرين: «كاد فينس يدمر نفسه لإنقاذكم».

أصدرت الفيسيرين زفرة عميقة ثم قالت: «نحن نعلم، حقًا. لكن يجب أن تتقبلي أنه سيتعين علينا التحدث معه والتوصل إلى قرار بشأن كيفية المضي قدمًا. إنه خطير للغاية بحيث لا يمكن تجاهل وجوده، ومَن يعرف عدد الأشخاص الذين هم على شاكلته في الخارج؟ اذهبي إلى منزلك، يا تشارلي هول».

أصرت تشارلي: «لن أغانر إلا إذا سمحتم لي بالتحدث معه».

في النهاية، دخل بيلامي وماليك إلى الغرفة، وبدا أنهما منهكان. كان هناك شق جانبي في معطف بيلامي ظنت تشارلي أنه بفعل مخالاب الظل.

اقترحت تشارلي: «يمكنني أن أريك موضع غرفة سولت السرية»، ثم رفعت حاجبًا وأكملت: «بل يمكنني في الواقع فتح خزانته».

قال ماليك: «على الرغم من أن عرضك محل تقدير، فإن بمقدورنا التعامل مع الوضع من هذه المرحلة. أعدك. لن نؤذي ريد. نحن مدينون لكما».

رفعت تشارلي حاجبيها، وهي ما زالت لا تشعر بالثقة حيالهم. «رائع. تعدني. هذا الوعد ليس قيمًا كما تظن».

عبس ماليك في وجهها.

فيما قال بيلامي: «فينس قيم للغاية بالنسبة لي، ما يمنعني من أن أسمح لأي شخص بأن يلمس شعرة في رأسه». وهو ما كانت تشارلي تصدقه بالفعل. «يمكنك أن تأتي لرؤيته في منزلي في غضون ثلاثة أيام. ما رأيك؟».

راحت تنقل نظرتها بينه وبين الآخرين، متوقعةً أن تشهد بعض الخلاف حول مكان احتجازه، لكن لم يكن هناك أيُّ من هذا. إما أنهم حسموا الأمر من قبل، وإما أن أحدًا لا يريده.

أخيرًا قالت تشارلي، وبعد أن لم تعد لديها أية خيارات أخرى: «حسنًا، بعد ثلاثة أيام». في طريقها للخروج من قصر سولت، وضعت في جيبها محبرة عتيقة، وأخفت شمعدانًا من الفضة الصلبة في كمها.

كانت بوزي تنتظرها في سيارة والدتهما، وهي غافية في مقعد السائق. عندما دخلت تشارلي إلى السيارة، قفزت بوزي في حالة تأهب. ثم تئاءبت عندما رأت أنها أختها.

«أين فينس؟». سألت بوزي وهي تحديق في السماء السوداء المليئة بالنجوم كما لو أنها تستطيع معرفة الوقت من خلالها. «كم مضى عليك من الوقت بالداخل؟».

هزت تشارلي رأسها قائلة: «فقط انطلقني. سأشرح لك لاحقًا. لدينا محطة واحدة لنتوقف عندها قبل أن نعود إلى المنزل. هل تتذكرين تينا؟».

بعد الزيارة التي قامت بها عادتًا إلى منزلها المستأجر، على الرغم من أنه كان لا يزال محاطًا بأشرطة صفراء كمسرح جريمة. زحفت تشارلي عبر النافذة إلى غرفة نومها، ثم استحمت ونامت على مرتبتها. نامت أختها بجانبها، وكان ظل تشارلي يلتف حولهما.

عندما استيقظت تشارلي، ورائحة مواد التبييض في أنفها، أدركت أن الملاءات لا تزال تفوح منها رائحة فينس.

رفعت يديها في الهواء وتأملتتهما. أصابع طويلة. طلاء أظفار أسود، متكسر بالفعل. يدان بارعتان قادرتان على إزالة الأقفال وفتح الخزائن.

ثم استعادت تفكيرها في حركة الظل في أثناء المعركة وإمساكها بما تبقى من جسد فينس. إذا لم تكن قد خمنت ما كان سيفعله، ولو لم تكن قد وصلت إلى هناك في الوقت المناسب، لكان اندفاعه قد هوى بها إلى النار.

لم يكن هناك حتى جسد له بالمعنى المعروف.

جعلتها الفكرة تشعر كأنها ذات كيان مجوف عندما كانت تتحرك أثناء الاستحمام. شعر جزء منها بأنه محاصر في ذلك العالم المقلوب رأسًا على عقب، حيث ذهب فينس بالفعل. ثم سقطت نظرتها على الجدران، محدقة إلى أي شيء حيث يجب أن يوجد ظلها.

لم يغلق الغياب بابًا في ذهنها فحسب، لقد أغلق بابًا أمام مستقبل محتمل. لن تكون ساحرة ظلال أبدًا. لم تكن متأكدة من رغبتها في ذلك، لكنها لا تزال تتدبر الأمر.

هل كانت الفيسيرين والبقية ليستمعوا إليها أكثر لو كان لها ظل متحرر؟ هل كانوا سيسمحون لها برؤية فينس؟

لقد كانت متأكدة جدًا من رغبتة في العودة إلى المنزل معها، ولكن بعد التفكير في الأمر قدّرت أن الأفضل أنه لم يحضر. عندما التقى بها، لم يكن معتادًا أن يكون وحيدًا في العالم وكانت لديه خيارات محدودة. ربما لم يكن يرى مستقبلًا لنفسه بعد موت سولت، لكنه الآن وصل إلى بداية هذا المستقبل، وربما للمرة الأولى، يمكنه تشكيله كما يشاء.

إذا سمح له مجلس الكابال، بالطبع.

تساءلت عن رأيه في نسخة تشارلي هول التي لا تأبه باختراق أي حواجز مهما كانت العواقب، والتي لم يقابلها من قبل. ربما كان كلاهما يكبح جماح نفسه، بينما كانا قادرين

على الارتقاء إلى مستوى التحدي طوال الوقت، وبينما كانا يشعران بسعادة غامرة من خوض هذا التحدي.

بعد أن استحمت وارتدت ملابسها الخاصة، انتظرت بوزي.

«أمي أرسلت لي حوالي سبع عشرة رسالة حول إعادة السيارة إليها». قالت أختها ذلك وهي تخرج من غرفة نومها بملابس جديدة. نظرت تشارلي خلف بوزي إلى ظلها.

تبعته أختها نظراتها، وتجعد جبينها من القلق وهي تقول: «هل مظهره غريب؟».

سألته تشارلي: «لا أعرف. هل هو غريب بالنسبة لك؟».

حركت بوزي شفيتها من دون أن تتكلم وامتد الظل حولها، ملتقًا على كتفها، ومتطلعًا إلى العالم من حوله كما لو كان يفضل الوجود به. لم تستطع تشارلي منع نفسها من الارتعاش الذي كان جزءًا من إدراكها لما جرى ولما قد يجري.

«إنه أفضل شيء حدث لي على الإطلاق. لن تصدقي كم الأشياء التي سأعلم نفسي فعلها». كانت عينا بوزي متلائتين بطريقة لم تعهدها منذ وقت طويل، ولم تكن تشارلي تريد لهذا التلاؤ أن يخفت لأي سبب.

ثم توجهت تشارلي إلى النافذة وفتحتها. «حسنًا، إذا كانت أمي وبوب متلهفين لاستعادة السيارة، فمن الأفضل أن نخرج من هنا؛ لأنني أريد أن أتوقف على طريق العودة لتناول القهوة أولاً».

قالت بوزي بحرارة وابتهاج بعدم اعتراض أختها على ما يخص تغيير حالة ظلها: «أشكرك يا ربي».

توقفتا عند متجر مخبوزات ومقهى صغير، حيث حصلت تشارلي على ثلاثة أكواب إسبريسو ورقية صغيرة وصفتها أمامها، بينما تناولت بوزي كعكة لزجة وهي تنظر إلى

هاتفها.

أخذت تشارلي أول أكواب الإسبريسو وجرعته.

فيما قالت بوزي: «إممم...». ووجهت شاشة الهاتف نحو أختها.

في وقت مبكر من صباح اليوم، تلقت الجريدة الرسمية صفحات من مفكرة يُزعم أن صاحبها هو ليونيل سولت وقد دَوَّن ما فيها بخط يده، والتي تشير إلى تورطه في عدة قضايا لا تزال قيد التحقيق، بما في ذلك تحقيقات قضية مقتل روز الأباندي. عُثِر على جثة الأباندي في سيارة محترقة مع جثة حفيد سولت، إدموند كارفر، منذ أكثر من عام. ربما كان الاثنان ضحيتين لسولت. من المحتمل إعادة فتح قضايا أخرى بناءً على المعلومات الواردة في المفكرة، بما في ذلك ما يخص كلاً من راندال جريجوراس وأنكينا إسواران وهيكتور بلانكو. لا تتضمن المفكرة سرديات مفصلة عن وفاتهم فحسب، بل تتضمن كذلك رسوماً للتجارب الطبية التي أُجريت على ظلالهم.

تمكّن خبراء فحص الكتابة اليدوية من التأكيد بثقة - تصل نسبتها إلى ثمانية وتسعين في المائة - على أن خط الكتابة في المفكرة كان متنسقاً مع عينات من خط سولت والتي حصلت عليها الجريدة الرسمية. لقد تواصلنا مع ممثلي سولت للتعليق، لكننا لم نتلق ردّاً حتى هذه اللحظة.

قالت بوزي باندهاش: «هل فعلتِ هذا مع ليونيل سولت؟ كيف؟».

عندما فتحت تشارلي الخزانة، كانت تتوقع فقط العثور على كتاب الخراب، ولكن كان هناك شيء آخر. مفكرة أو دفتر ملاحظات اقتطع بضع صفحات منه.

لا يمكن لجريدة صغيرة مثل هامبشاير جازيت أن تحصل على سبق صحفي من هذا القبيل كل يوم، ومن ثم فإن اهتمامها بالموضوع واستقصاءها له أمر مضمون.

أخذت تشارلي جرعتها الثانية من الإسبريسو، ثم الثالثة. «لم أفعل ذلك به. هو الذي فعل ذلك بنفسه».

في ذلك الأحد، حضرت تشارلي لوردية عملها في حانة رابتشر. ومع ذلك، كان ذهنها شاردًا، وظلت تطالب الزبائن بتكرار تحديد ما سيثربونه. لقد أسقطت كأسين من النبيذ أرضًا ووضعت كأسًا طويلة من الأفسنتين على النار، بدلًا من أن تضع مكعب السكر فقط. لقد انكسر هذا الزجاج أيضًا، وبطريقة أكثر دراماتيكية بالطبع.

خلال ورديتها، سحبتها أوديت جانبًا. اعتقدت تشارلي أن الأمر سيكون لتوبيخها أو سؤالها عن البدلة الحمراء المفقودة، ولكن بدلًا من ذلك قدمتها إلى الساقى الجديد، الشخص الذي يتولى نوبات الساقى السابق. تفاجأت تشارلي برؤية دون.

قال لها: «مرحبًا، لقد تولى مدير جديد مسؤولية حانة توب هات ومن ناحيتي رأيت أن تغييرى لمكان عملي قد يكون مفيدًا».

فردت تشارلي: «حسنًا، هذا المكان سيمنحك ما تريد»، وشرعت في إطلاعه على ترتيب الأشياء، وكيفية استخدام السجل، وعدد حبيبات الثلج الجاف التي تُوضع لتطفو على سطح المشروب.

قالت له: «إذا ما ابتلعها أيُّ من الزبائن، سترفع علينا دعوى قضائية».

اقترح دون: «ربما ينبغي ألا نضعها في قائمة المشروبات؟».

فعقبت تشارلي: «سيستغرق الأمر منك قليلًا من الوقت كي تتماهى مع أجواء هذا المكان».

قرب وقت الإغلاق، جاء بالتازار إلى المشرب وقال لها: «صُبي لنا آخر مشروب. أيًا يكن نوعه».

فابتسمت: «أوه، هل سأشاركك الشراب؟».

«لو كنت مكانك، لفعلت».

لم تستطع أن تجادله في ذلك. فأخرجت زجاجة لافرويج جديدة، وفتحتها، وصبت كأسين صغيرتين.

ثم قال: «إنن فقد انتهى أمر سولت».

أومأت تشارلي برأسها قائلة: «أعتقد أنك سمعت شيئاً عن ذلك».

سألها: «هل هذا يعني أنك عدت للعمل؟».

هزت كتفيها وهي تجيب: «بعد المشهد الذي صنعته بنفسني وتورطت فيه، ربما ينبغي أن أتوارى عن الأنظار لبعض الوقت».

«أوه، لا. سمعة المشعوذة ارتقت إلى أعلى مستوياتها على الإطلاق». قال بالتازار وهو يتناول رشفة من شرابه ثم جفل قائلاً: «أوه، طعم هذا الشراب مثل شخص يسكب البنزين على إطار، ويضرم النار فيه، ثم يطفى النار بالتراب».

شقت أوديت طريقها وجلست بجانب بالتازار، وقالت: «إنن فلنجرع بعض الكوكتيلات معاً، ما رأيك؟ حسناً، لا تستبعدني».

قال بالتازار وهو يمرر شرابه إليها: «يمكنك أن تأخذي كأسني، تفضلي».

تناولت أوديت كأسه من دون تذمر. بينما صبت تشارلي لبالتازار كأس أماريتو بدلاً منها، فتناولها بامتنان.

سأل بالتازار أوديت: «هل شاهدت الأخبار؟».

ردت أوديت بنبرة احتقار: «عن ليونيل؟ الشيء المضحك أنني كنت أعرف دائمًا أنه سادي وربما نرجسي قليلًا. لكنه كان شخصًا مثيرًا للاهتمام، ويدرك طبيعة شخصيته جيدًا. يمكنك معرفة شخص ما، من دون أن تتخيل إلى أي مدى يمكن أن يفعل بنفسه وبالآخرين. كنت أعتقد أنني أفهم حدود شخص كهذا، والآن عليّ أن أسأل نفسي هل كان تصوري هذا قائمًا على رغبتني في عدم الشعور بالقلق من إدراك أنه ليس لديه أي حدود أو خطوط حمراء».

تناولت تشارلي رشفة من مشروبها وتساءلت عن حدودها الخاصة.

«والآن يقولون إنه قد يكون مسئولًا عن وفاة ابن فيونا الجميل».

قال بالتأزرار: «إدموند كارفر». كان ينطق كل جزء من الاسم وهو يتأمل تشارلي مليًا.

فردت تشارلي: «كنت أظن أن اسم والدته هو كيارا».

أومأت أوديت برأسها. «أنا أشير إلى زوجة سولت الأولى. هذه هي الطريقة التي التقيته بها، من خلال فيونا. يا لها من عجوز مسكينة! في البداية فقدت ابنتها، ثم ابنها، والآن هذا. كل ذلك في غضون عامين».

سألها بالتأزرار متعجبًا: «كيف تعرفين كل هؤلاء الناس؟».

«نعم، أعرف الكثيرين، لكن هل أعرف أيًا منهم جيدًا؟». نظرت أوديت إلى المرأة، كما لو كانت تتفحص وجهها.

جلس بالتأزرار منتصبًا وقال: «حسنًا، اسمح لي بأن نتحول عن هذه المحادثة المزعجة إلى حديث آخر. هل يعرف أيُّ منكما موراي، صاحب محل مجوهرات موراي الرائعة؟».

قالت تشارلي: «بالتأكيد». وهي تفكر في المحبرة الفضية والشمعدانات التي عليها أن تبيعها، ثم تساءلت: «لماذا؟».

قال بالتازار رافعًا حاجبيه: «لقد أغلق متجر الرهونات. يبدو أنه جنى ثروة ضخمة وسيتقاعد بالعودة إلى بوكا، على ما يبدو».

نخرت أوديت وعقبت: «أنت تجعل الأمر يبدو كما لو أنه عثر على قدر من الذهب في فناء منزله الخلفي».

وافقها بالتازار: «تقول الشائعات إنه ربح كل شيء برهان واحد محظوظ على أحد الخيول في مضمار السباق».

قالت تشارلي مسائرةً لهما: «تخيل حظ الإنسان».

كان الانتظار لمدة ثلاثة أيام لرؤية فينس بمثابة فترة مروعة. ظل عقل تشارلي يتقافز ذهابًا وإيابًا بين جميع السيناريوهات المحتملة. ماذا لو كذب أعضاء الكابال وأذوه في نهاية المطاف؟ ماذا لو أرادوا اختباره؟ ماذا لو قرروا أن وجوده يشكل مخاطرة كبرى؟ ماذا لو لم يسمحوا لها برؤيته؟ تخبط عقلها في مسارات عدة، وأخذ يتحرك تحركات متخيلة ثم تحركات مضادة لها، وكأنها في لعبة شطرنج وتلعب ضد نفسها من دون أي غرض سوى الانغماس في قلقها. مثل ثعبان يأكل ذيله ثم يختنق به.

بحلول ذلك الوقت على الأقل، كانت قد عادت هي وبوزي إلى منزلهما. ويني التي كانت زميلة فينس في عمله السابق هي المتخصصة التي وُظفت للتخلص من بقع الدم. لقد راسلت تشارلي لتخبرها بأنها أدت عملاً شاملاً وإضافياً بسبب صداقتها مع فينس. كما أعطت تشارلي أيضًا مجموعة كاملة من المعلومات - لم ترغب قط في معرفتها - عن أغرب الأماكن التي عثرت فيها على أجزاء من جثة آدم.

من جانبها، أمضت بوزي الأيام القليلة الماضية مع مالهار. لقد زعمت أنه كان يُجري بعض الاختبارات فقط بعد أن وافقت على الانضمام إلى دراسته، لكن تشارلي اعتقدت أن بوزي لم تأتِ على ذكر وجود الكثير من المغريات الأخرى لها.

لكن هذا يعني أن تشارلي قد حشدت داخلها الكثير من الطاقة العصبية ولم يكن هناك مَنْ تفرغ فيه هذه الطاقة عندما حان الوقت. لقد ارتدت سروال جينز أسود وحذاء وسترة من دون أي ثقوب فيها. كان السروال مطاطياً بدرجة كافية بحيث إنها إذا احتاجت إلى أداء بعض الحركات السريعة، فسيسهل عليها فعل ذلك. وكانت الأحذية ثقيلة بما يكفي لتؤذي إذا احتاجت إلى أن تركز شخصاً في رأسه.

كانت سيارة تشارلي الكورولا في ورشة التصليح، لكنها تمكنت من تحديد مكان شاحنة فينس على بعد مبنيين من نُزل إيستر ستار، ووجدت المفاتيح خلف حاجب الشمس على جانب السائق. ثم وضعت في حُجيرة القفازات بالسيارة تذكرتين من التذاكر التي تدفع في مقابل ركن السيارات، وأخذتها إلى المنزل.

هذه الشاحنة هي ما قاده تشارلي لتذهب إلى معقل بيلامي.

وفياً لطبيعته الغامضة، استولى بيلامي على برج مراقبة في هوليوك. كان يمكن الوصول إليه فقط عن طريق درب يبدو أنه مهجور من الخارج. الباب الأمامي قد علاه بعض العفن من أسفله، وكانت مفصلاته سميكة من الصدأ. طرقت تشارلي عليه بقوة.

بعد لحظات قليلة، انفتح الباب بصريز مزعج ليكشف عن فتاة ذات رأس حليق ومكياج أسود كثيف حول عينيها، بينما تدلى رمش مغناطيسي أسفلهما قليلاً، وظهر ثقب على خدها أحمر اللون على نحو لافت. ظل ظلها يحوم حولها مثل ثعبان مستعد للهجوم. ربما كان تابعاً لها بمعنى ما.

قالت تشارلي: «أنا هنا لأرى فينس؟».

سألت الفتاة: «مَنْ؟».

إذا اعتقد بيلامي والآخرين أنهم يمكن أن يخدعوا تشارلي، فإنها ستجعل كل واحد منهم يندم بشدة. «الظل المتحرر».

قالت الفتاة بنبرة من فهمت أخيرًا: «أوه. تعالي، إنهم ينتظرونك».

كان للمكان من الداخل مظهر قلعة أو قبر. قادت الفتاة عبر غرف من الجدران الإسمنتية العارية، والتي تحمل أحيانًا كتابات أو رسوم جرافيتي على الجدران، ثم صعدت السلالم إلى غرفة بها ستائر معلقة من القماش الثقيل المطرز. كانت هناك شموع حمراء رفيعة مستدقة في شمعدان على شكل جمجمة فضية، كما كانت الأرضية الإسمنتية الباردة مكدسة بالوسائد.

كان بيلامي مسترخيًا على مقعد بين باج مخملي بلون أحمر.

نظرت تشارلي حولها بحذر ثم سألت: «أين هو؟».

قال بيلامي: «نحتجزه في غرفة أعلى البرج، مثل أميرة تنتظر الإنقاذ، ولم يلحقه أي أذى».

فقلت له تشارلي: «إنه سيغادر اليوم، معي».

تناول بيلامي رشفة من كوب سمكه رقيق، رقيق بما يكفي ليكون شفافًا، لعله من البورسلين أو الخزف العظمي. «أذهبي وتحدي مع الظل. إنه في أعلى السلالم. في أعلى نقطة ممكنة. سنتحدث مرة أخرى بعد ذلك».

لم يعجب تشارلي ما قيل، ولكن شغفها لرؤية فينس غلبها، فلم ترد. استدارت لتتجه نحو الدرج فأوقفها صوت امرأة.

«يا آنسة هول». نادتها أدلين سولت التي جلست على أريكة ممزقة قليلًا في غرفة مليئة بصناديق معدنية مقلدة للكتب.

كانت ترتدي سروال جينز غامق اللون وقميصًا بلون الزمرد معقودًا من أعلى في شكل قوس تحت حلقها. على فخذيها استوى كمبيوتر محمول بغطاء لونه وردي لامع. كان لديها

ذلك المظهر الغريب المصقول الذي يتمتع به الأثرياء، وشعرها بدا أكثر نعومة وبشرتها أكثر توهجًا.

لم يكن مظهرها متناسبًا مع المكان الذي تجلس فيه على الإطلاق.

مالت تشارلي عبر فتحة الباب ولم تدخل الغرفة.

«جئت لتري ريد، هل هذا صحيح؟ أوه، جيد، أنا متأكدة من أنه سيحب ذلك. كان يطلب حضورك!». كانت ابتسامة أدلين مفتعلة تمامًا.

قالت تشارلي: «بل فينس».

كان من المثير للاهتمام رؤية ما إذا كانت أدلين ستتجادل بشأن اسم الظل. من الواضح أن ذلك أزعجها، ليس أن تشارلي دعته باسم آخر غير اسمه، بل إن تشارلي تتصرف كما لو أن الاسم الذي أطلقتته عليه - والذي كان يحمله في أثناء علاقته بها - كان اسمه الحقيقي. حسنًا، كان هذا هو الاسم الذي دعا به نفسه على أية حال.

«لقد تحدثت إلى مجلس الكابال. سيعود معي إلى المنزل. سأكون الوصية عليه، وسيكون قادرًا على المواصلة من حيث انتهت حياة إدموند». وعلى نحو غريب، بدا أن هناك وميض خوف في عينيها.

فسألته تشارلي: «كيف بالضبط سيفعل ذلك؟».

ابتسمت أدلين مرة أخرى، وهذه المرة كانت ابتسامتها متييسة: «لقد بدأت بالفعل عملية إبطال شهادة الوفاة.. أنت تفهمين أن هذا هو الحل الأفضل، أليس كذلك؟ سيكون ريد ثريًا جدًا. ولن يكون مرتبطًا بي إلا لبضع سنوات».

كانت الفكرة القائلة بأن أدلين يمكن اعتبارها وصية على فينس، في حين تُستبعد وتُعاقب هي، مثيرة للغضب، كما أن نبرة التملك في صوت أدلين زادت الأمر سوءًا وجعلته أكثر

غرابة. «ربما ليس هذا ما يريده».

أرجعت أديلين خصلات من شعرها إلى الوراء وسألت: «هل تعتقدين أنه يفضل أن يتسكع مع لصة؟».

قالت تشارلي: «أعتقد أنه يفضل فعل أي شيء تقريبًا بدلاً من العيش في منزل والدك».

رفعت أديلين حاجبًا مزججًا بعناية واستطردت: «ألم تسمعي الأخبار؟ مات أبي في تلك الليلة بعد أن ترك وحده معك. لقد طُعن ثلاثًا وثلاثين مرة بفتاحة خطابات».

قالت تشارلي بخبت: «يا له من حادث مأساوي!». لقد سمعت به بالفعل.

سألت سولت أديلين بنعومة: «ماذا فعلت به هناك؟».

فقالت تشارلي: «أخذت مسدسه منه وقطعت ظله عنه. مهما حدث بعد ذلك فأنا لا أعرفه».

بنبرة ساخرة قالت أديلين: «جواب مريح للأعصاب».

«أوافقك الرأي». ألقت تشارلي نظرة إلى الكمبيوتر المحمول الخاص بأديلين، والحقيبة الجلدية ذات اللون الأخضر من شانيل التي كانت تحمله فيها، والأزرار الألماسية في أذنيها. «أنت وريثته الوحيدة، أليس كذلك؟».

ذهبت يد أديلين إلى شعرها، وأمسكت بعصبية بصفيرة منه بين أصابعها. ثم قالت بجفاء: «لا تحاولي توريطي في جريمته. فلتتصاري مع ذنبك وحدك».

قالت تشارلي: «في القاعة الكبيرة كنت مشتتة جدًا عندما دخلت. لكن الشيء الغريب أنني لاحظت برغم كل شيء أن يديك كانتا ملطختين بالدماء».

مضت تشارلي نحو القاعة، ثم نظرت إلى الخلف من فوق كتفها وقالت: «بالمناسبة، لا ضير فيما فعلت».

حاولت تشارلي أن ترتقي الدرجات الإسمنتية بهدوء، لكنها عندما وصلت إلى الدور الثاني وجدت نفسها تمشي بشكل أسرع وأسرع حتى صارت تجري عمليًا. في الجزء العلوي من البرج، وجدت بابًا محاطًا بالعقيق اليماني ومغلقًا بشريط. رفعت تشارلي الشريط متفاجئة من خفة وزنه.

وقف فينس في حجرة صغيرة بلا نوافذ وظهره لها. لقد بدا كما كان في كل الأوقات تقريبًا؛ الكتفان العريضتان نفسيهما، الطول نفسه، كل شيء نفسه؛ لكنه عندما استدار، كانت عيناه أشبه بتجويفين فارغين، مملوءين فقط بالدخان. جعلها مظهره تفكر في جسده كصدفة بها مخلوق يحوم داخلها.

فكرت تشارلي في بطاقات التاروت التي سحبتها من مجموعة بوزي؛ بطاقة تحول الروحاني إلى المادي، بطاقة الساحر.

عندما أغمض عينيه، لاحظت أن شعره صار داكنًا وأقرب إلى اللون البرونزي، كما لو أن لون الذهب قد تلاشى عندما تغيرت طبيعته. كان يرتدي قميصًا أسود بأزرار، وكان سرواله من مادة بدت باهظة الثمن وإن لم تعرفها. إنها ملابس ريمي.

شعرت تشارلي كمن انقلبت حالها رأسًا على عقب، مثل الرجل في تلك القصة التي رواها فينس في حفلة بارب، ذاك الذي برز داخله إلى خارجه وانقلب خارجه إلى داخله مثل الجورب. بدت في حالة قصوى من الهشاشة بحيث إن أدنى لمسة قد تؤلمها.

سألها فينس: «لم أعد كما كنت، أليس كذلك؟».

أدركت تشارلي أنها توقفت، ولم تسر في الغرفة فيما يجاوز خطوتها الأولى. لا عجب أنه لم يكن يبدو سعيدًا. كان عليه أن يفترض أنها خائفة.

كانت تشارلي خائفة بالفعل، ولكن قليلاً. ثم دفعت نفسها لتسير نحوه. مثل أحرق، يقترب ماشياً من حافة جرف، قالت: «أحب ما صرت إليه. إنه غريب».

هذا الرفع الصغير المفاجئ لزاوية شفته، كما لو أنه نسي أن بمقدوره أن يبتسم، كان مألوفاً بدرجة كافية جعلتها تسترخي بالفعل.

كلما طال نظرها، قل اهتمامها بغرابة عينيه. «لماذا فعلت ذلك؟».

«تقصدين الكذب عليك؟ أم إخفاء ما كنت عليه؟».

تهدت تشارلي، ثم جلست على ذراع إحدى الأرائك المزركشة ذات الأقمشة الثقيلة: «لا، لماذا صارعت الهيروفانت؟ كدت تموت. لأجل لا شيء. لا أحد من هؤلاء الملاحين يهتم بأمرك».

اتسعت ابتسامته. «هذا ليس سؤالاً تقليدياً سألني إياه أي شخص منذ وصولي إلى هنا، رغم أنهم سألونني كثيراً».

«حسنًا، لا أعتقد أنهم يركزون على سلامتك أو راحتك».

«لا تقولي ذلك». ثم أشار لها فينس كي تجلس على أحد الكراسي، وللمرة الأولى تطلعت تشارلي لبقية محتويات الغرفة.

كان هناك كرسيان ومرتبة على الأرض وملاءات وبساط صغير، ولا توجد كتب، أو أغراض ثقيلة، ولا أشياء حادة، بل لمبة واحدة ساطعة فوقهما. كان لدى فينس قيد حول ساقه مرصع بالعقيق اليماني ومربوط بصفيحة معدنية مثبتة في الأرض. ربما كان العقيق هو الذي يُبقي كيانه صلبًا. لم تكن تشارلي متأكدة من ذلك. كانت تتمنى حقًا لو قرأت الكثير من الكتب التي سرقتها.

جلست، فارتفعت سحابة صغيرة من الغبار عن الأرض عندما فعلت.

قال فينس: «اسمعي، أنا متوتر نوعًا ما. فهل يمكنك أن تخففي عني هذه الحالة؟ أعلم أن لديك بعض المشاعر تجاه كوني ظلًا».

قالت تشارلي: «كنت أحاول ألا أفكر في هذا الأمر كثيرًا».

نظر إليها كمن لا يصدق: «كيف؟».

«اعتقدت أنه يمكنني التفكير في الأمر عندما نخرج من هنا. وربما... يمكننا حتى خوض شجار كبير حول هذا الموضوع عبر الصراخ ورمي الأغراض في كل جانب. ويمكنني أن أخبرك كم كنت غبيًا لأنك اعتقدت أنني كنت على علاقة بآدم».

«بعد أن وصفت لي مقتله، اكتشفت ذلك بنفسي. لقد بدوت منزعجة جدًا بشأن ما حدث للأريكة». ضحك فينس قبل أن يتمكن من إيقاف نفسه ووضع يده فوق فمه ثم استطرد: «أنا آسف جدًا. الموقف الذي أتحدث عنه ليس مضحكًا بالمرّة».

فاعترفت له: «إنه مضحك بعض الشيء».

تطلّع إليها بعينين تنفتان دخانًا: «إذن ما الذي علينا أن نتشاجر بشأنه أيضًا؟».

تجنبت نظرتة وقالت: «متى اكتشفت أنني الفتاة التي وجّهتها للخروج من منزل سولت؟».

اعترف: «في الحانة، في تلك الليلة الأولى».

«وماذا؟ هل أردت أن تعبت مع شخص أنقذت حياته؟». من هذه النقطة بدأ حديثهما يتخذ شكل النقاش الذي قد يتحول إلى شجار.

«ربما. لا، أنا لا أعرف». إما أنه لم ينتبه لفرصة إثارة شجار معها أو أنه أفسدها عن عمد. «أنا معجب بك يا تشار. لطالما أحببتك وكان يجب أن أقول شيئًا عن ذلك، لكنني لست شخصًا صالحًا. لست متأكدًا حتى من أنني إنسان أصلًا من بني البشر».

«أوه». بعدما تفاجأت من نبرته وكلامه أمسكت تشارلي يده وشبكت أصابعها بأصابعه. كانت أصابعه صلبة بشكل مدهش. «أنت إنسان. أنت إنساني المفضل».

أنحنى ليرفع يديهما المتشابكتين إلى شفثيه.

وهنا بدأت تشارلي تفرع.

لأنهما خاضا نسخة مختصرة من شجارهما المعتاد - حسناً، لقد كانت محادثة أكثر من كونها شجاراً- الذي كانت تتوقع خوضه عندما يعودان إلى المنزل. والسبب الوحيد لخوض فينس هذه المحادثة-الشجار الآن بينما هو معتقل في برج بيلامي ساحر الظلال هو أنه لن يعود إلى المنزل مع تشارلي.

كان يخطط للمغادرة مع أدلين، كما قالت لها في الطابق السفلي. سيحيا تحت عباءة إدموند فينسنت كارفر، كما لو أن كل ما وقع لم يحدث على الإطلاق. سيستعيد حياته القديمة وربما يكون أول ظل متحرر يقيم حفلاً خيرياً ذات يوم.

سألته تشارلي: «إذن ماذا سيحدث الآن؟ لنا؟». كان عليها أن تسمعه يتفوه بالإجابة.

كان هناك شيء ما في مظهر فكه جعلها تفكر كيف أنها وصفته ذات مرة لأدلين على أنه مثل بحيرة ساكنة على السطح، لكنها تحوي مدينة غارقة بأكملها في أعماقها. «لقد قتلت الهيروفانت. مجلس الكابال يحتاج إلى هيروفانت جديد».

«لا، اللعنة! لا». هبت تشارلي واقفة. ثم أخذت تسير في الغرفة، في محاولة للسيطرة على أفكارها. «لا يمكنك السماح لهم بفعل ذلك بك. ليس بعد كل ما فعلته لهم».

«إنها ليست وظيفة أسوأ من تنظيف بقايا الجثث في غرف الفنادق». بدا صوته هادئاً، لكن أصابعه كانت ملتوية إلى الداخل، كما لو كان على وشك تكويرها في شكل قبضة.

قالت تشارلي وهي عابسة: «اعتقدت أن أدلين ستكون وصيةً عليك أو شيئاً من هذا القبيل؟».

فأوماً برأسه. «هذه طريقة واحدة للنظر إلى الأمر. لكنني سأظل أصطاد الظلال المستقلة».

عبست واحتجت: «لا يمكنك الموافقة على هذا. كم من الوقت سيمر قبل أن تكره ما حدث لك، ثم تكره الشخص الذي ترتبط به؟».

أشاح ببصره بعيداً عن تشارلي، وقال بنبرة حزينة: «أنا أكرهها بالفعل».

أوه.

الآن فهمت تلميحات أدلين المتعجرفة. وأدركت تماماً كيف سيرتبط بها فينس. سيُربطان معاً ككائن بشري وظله. سترتديه كما الملابس.

قال لها فينس: «لهذا السبب أنا وأنت بحاجة إلى الابتعاد عن بعضنا لفترة من الوقت. لن أتوقف أبداً عن الشعور تجاهك بما أشعر به الآن، يا تشار، لكنني لن أكون الشخص نفسه. سيحاول شخص ما السيطرة عليّ والتحكم بأفكاري ومشاعري وتصرفاتي».

تذكرته وهو يتحدث في نومه. أدلين. أدلين، لا تفعلي ذلك.

الفكرة ذاتها جعلت جلد تشارلي يقشعر. «يمكنني إخراجك من القيد. يمكننا أن نحاول ونهرب معاً».

هز رأسه بأسى. «إذا فعلنا ذلك، فلن يلاحقوني وحدي».

قالت له تشارلي: «أنا لا أهتم».

وضع يده على خدها. «لقد أخبروني بأنني بحاجة إلى إثبات أنني جدير بالثقة، وبمجرد أن أفعل ذلك لن يحتاجوا إلى تقييدي. سأتحرك من هذا القيد. سأجد طريقة لنكون معًا».

أوه، إنهم سيعملون على إيجاد طريقة لتنفيذ هذا المخطط.

«وهل سيفعلون ذلك اليوم؟». بالطبع. وهذا هو سبب وجود أدليلين بالأسفل. سيعملون على خياطته بجلدها وربطه بجسدها بمجرد مغادرة تشارلي.

مجددًا ابتعد عنها فينس حتى لا ترى ملامح وجهه، لكنه بدا مُسلِّمًا بما سيحدث. كان وجود تشارلي يجعل الأمر أكثر صعوبة عليه. «اليوم، نعم. لقد وافقت بالفعل».

كان بإمكانها أن تستنتج أنه يكره أنها كانت تجعل تقبل الأمر أكثر صعوبة عليه. ثم قالت: «قل لي شيئًا واحدًا فحسب. إذا كنت تستطيع، هل كنت ستختارني؟».

فقال بسرعة: «قبل أي شيء آخر».

قالت أخيرًا: «حسنًا. أعتقد أن هذا قرار سييء، لكنني اتخذت الكثير من أمثاله».

كان هذا ما تعلمه من كونه ظل ريمي: إذا كانت هناك مشكلة، من المفترض به أن يواجهها. كان من المفترض أن يسمح للآخرين بالقبض عليه حتى يتمكن من قتل ظل متحرر قديم، وكان من المفترض أن يتخلى عن حريته للتأكد من أن مجلس الكابال لن يشعر بالتهديد. إذا كانت هناك مهمة رهيبه، كان من المفترض أن يؤديها. إذا كانت هناك عاطفة مؤلمة، كان من المفترض أن يشعر بها.

عكست رموشه الذهبية الضوء وهي تنسدل على خده، مخفية دخان عينيه. «في بعض الأحيان لا توجد قرارات جيدة».

أليست هذه هي الحقيقة؟ «إذا لم أتمكن من التحدث معك عن غير هذا الموضوع، فكيف يمكنني أن أشتت انتباهك أو أخفف من توترك؟ أراهن أن لدينا بضع دقائق قبل أن يطردوني».

ارتفع حاجباه، من الواضح أنه كان مندهشًا. ربما كان يعتقد أنها لن تستسيغ رؤية عينيه المليئتين بالدخان، أو تتقبل حقيقة أنه ظل متحرر. أو ربما كان يعتقد أنه لا يوجد أحد مجنون بما يكفي ليرغب في التنقل في غرفة باردة خراسانية مع شخص كاحله مقيد بالأرض.

حسنًا، مرحبًا بك في الفوضى المطلقة التي تمثلها شخصية مثل تشارلي هول. مدت تشارلي يدها وسحبت فمه إلى فمها.

للحظة، ظل ساكنًا تمامًا، وتساءلت تشارلي عما إذا كان سيطردها بعيدًا. زاد الشعور بالحرج من حرارة خديها.

ثم قبّلها كما لو أنه لا يعتقد أنه قد يفعل ذلك مرة أخرى، وكانت يدها تحتضان مؤخرة رأسها وأصابعه في شعرها. للحظة، لم يكن هناك سوى إحساس بالشفاه والأسنان واللسانين، وبالجلد، ورائحته التي لم تكن مخلوطة بروائح المبيضات أو الصابون، مثل شحنة كهربائية في الهواء.

وعندما ضغط ظهرها بالحائط كما فعل خارج الحانة في تلك الليلة الأولى، ابتسمت له.

«تشارلي هول». همس فينس وفمه في شعرها. «لن يكون هناك أي شخص مثلك أبدًا».

فهمست له بدورها: «وهو رأي يمكننا جميعًا أن نشعر بالامتنان له ولصاحبه، للأبد».

كان الجزء الصعب بالنسبة لتشارلي هو الخروج من الغرفة. لكنها خرجت، وتريثت قليلًا في انتظار أن يعاود مناداتها ليخبرها بأنه ارتكب خطأ فادحًا، وأنهما يجب أن يهربا معًا. لكنه لم

يفعل رغم أنها تمنى ذلك من كل قلبها.

بعدها نزلت سلالمة أربعة طوابق، عادت إلى حيث وجدت مرة أخرى بيلامي الذي كان لا يزال مسترخياً فوق كرسيه المريح. لم يكن وحده. لقد حضرت الفيسيرين وماليك. لم يُفاجأ أيٌّ منهما برؤيتها، لكنهما أيضاً لم يبدوا سعيدين حيال ذلك.

قالت تشارلي: «مرحباً». ومرت بالقرب من ماليك لتجلس على وسادة.

قال لها: «لقد قدمت لنا خدمة ومجلس الكابال مدين لك بشيء. نحن نحب تسوية ديوننا. إذا تدخل الآخرون من خارج مجتمع السحرة، فإن خلافاتنا ستصيبهم بالتوتر والخوف والقلق فحسب».

قالت الفيسيرين: «إننا نكافئ أصدقاءنا، ونعاقب أعداءنا. لقد أثبتت أنك صديقتنا، يا تشارلي هول».

عدالة القراصنة؛ سياسة العصا والجزرة.

قال ماليك: «نريد مساعدتك. اطلبي منا شيئاً ما».

قالت تشارلي: «أنت تعرف ما أريد. دعه يذهب أو على الأقل فليكن غير مقيد. ألم تتعلم من آخر هيروفانت؟».

قال ماليك: «ما تعلمناه هو عدم الثقة في الظلال المتحررة. تخيلي كم كان سيكون الأمر أسوأ لو كان الهيروفانت غير مرتبط بجسد بشري طوال الوقت».

قالت تشارلي: «لم يكن هذا خياراً سيئاً بالنسبة لستيفن على الأقل».

قال بيلامي: «كان ستيفن يسرق الظلال. الظلال المتحررة؛ ظلال الأشخاص الضعفاء ثم يبيعها للتجار. ليس لدي الكثير من التعاطف معه».

أوما ماليك برأسه موافقًا وأكمل: «والمشكلة لم تكن ستيفن. إننا نعتقد أن ليونيل حقنه بشيء سمح للهيروفانت بالاستيلاء على جسده. بمرور الوقت، إما أنه تعلّم كيفية فعل ذلك من تلقاء نفسه، وإما استمروا في حقنه».

«اطلبي منا شيئًا لا علاقة له بالظل المتحرر. سثفاجئين بما يمكننا تحقيقه».

افترضت تشارلي أن الكابال يمكن أن تمنحها الكثير من الأشياء. إعادة تسجيل أختها في الكلية خلال فصل الربيع. منحة دراسية. سداد الديون الطبية لتشارلي. الحصول على سيارة جديدة وفاخرة. اللعنة، إنهم قد يعطونها شبح سولت إذا طلبت.

لكن بوزي لم ترغب قط في الالتحاق بالجامعة، كما لم ترغب تشارلي في الحصول على رشوة. «أريدكم أن تطلقوا سراح فينس».

فأصدر ماليك تنهيدة محبطة.

لم تستطع كبح جماح نفسها. كانت هذه هي طبيعتها. تشارلي هول التي ترفض التعلم من أخطائها، وتحرص على أن تضرب رأسها بالحائط نفسه مرارًا وتكرارًا، وتواجه المتاعب نفسها طوال الوقت، بغض النظر عن مدى الألم الذي يمكن أن تشعر به. «ما الذي قدمته لكم أدلين سولت للسماح لها بأن تصبح وصية عليه؟».

بدا بيلامي مندهشًا: «أعتقد أنك تسيئين فهم الموقف».

فقالت تشارلي: «ستسمحون لها بأن تأخذه معها إلى المنزل، أليس كذلك؟».

ابتسمت الفيسيرين ابتسامة صغيرة قاسية. وقالت: «نعم سنسمح، لكن هذا ليس شيئًا اختارته. هل تعرفين ماذا يتوقع منها أن تفعل؟».

قالت تشارلي: «مطاردة واصطياد الظلال المتحررة».

«وهل تعرفين لماذا تُعد هذه عقوبة، أو وسيلة للتعويض عن جرائم الماضي؟».

خمنت تشارلي: «لأنها عملية خطيرة؟».

قال ماليك بنبرة مخيفة: «جدًا».

ما الذي قاله بالتازار لتشارلي، إنها تستطيع سرقة الأنفاس من الجسد، والكراهية من القلب، والقمر من السماء؟ حسنًا، في هذه الحالة، ربما لم تكن بحاجة إلى سرقة أي شيء. ربما سيعطونها كل ما تريد.

كل ما سيكلفه الأمر هو إفشاء بعض أسرارها.

ألصقت تشارلي ابتسامة على وجهها، ثم ألقت نظرة خاطفة على حلقة الوشم القديمة التي تحمل شعار «الخوف أقل» عبر جلد ذراعها الداخلي. ثم قالت وهي تكزُّ على أسنانها: «حسنًا. في هذه الحالة، أود أن أعترف».

رددت الفيسيرين في حيرة: «أتعترفين؟».

«هل تتذكرون عندما كتب برايان أرايا أسرارهِ بالليزر على حبات الأرز واحتفظ بها في وعاء زجاجي تحت وسادته؟ لقد انتزعتها بسهولة كما لو كنتُ جنية الأسنان. أو تذكرون عندما حصلت إيشي جودوين على ذاك الكتاب المليء بالرسوم التوضيحية التفصيلية ولم يتمكن أحد من أن يفهم ما تعني؟ كانت الأسرار مضمَّنة بطريقة غير مباشرة في العمل الفني؛ لذلك فإني قصصت تلك الصفحات مباشرةً. لست متأكدة من أنها عرفت حتى إن هذه الصفحات مفقودة. لقد سرقت مذكرات أوين كادوالدر التي تعود إلى القرن الثامن عشر واكتشفت كومة كاملة من الملاحظات مخيطة في الغلاف الداخلي لكتاب آخر - نسيت عنوانه الآن، ولكنه كان يحتوي على هذه القطع المعدنية الرائعة على جانبه - وأخذتها من دون أن يعلم أي شخص. أوه، كما حصلت على مجموعة جادن كوفي الكاملة من مجلات سحر الظلال في السبعينيات من القرن الماضي. هل تريدون مني الاستمرار في

سرد جرائمى؟ لقد كنت أفعل هذا منذ سنوات». شعرت تشارلي بالدوار، وكأنها كانت تنزلق بسرعة هائلة من فوق تلة، ولا توجد طريقة للتوقف الآن. لقد حظيت بنشوة الاعتراف بما فعلته على الأقل.

«هل قطعت صفحات من كتاب إيشي؟». بدت الفيسيرين غاضبة.

«أنا إنسانة مفسدة». ثم مدت تشارلي يدها إلى جيب سروالها الجينز، وأخذت شيئاً ما، وألقت به لمالك، الذي التقطه فزعاً. عندما نظر إلى ما كان في يديه، ارتفع حاجباه في دهشة. «لقد نشلت محفظتك وأنا أمر بجوارك قبل قليل، آسفة».

قالت لها الفيسيرين: «إنك تتخذين لنفسك أعداء خطيرين للغاية».

سألها مالك بصرامة: «لم كل هذا، إلام تهدفين؟».

قالت تشارلي: «عاقبوني. أنا أسوأ من أدلين بكثير».

«هل تريدين ربط الظل بك؟». سألها بيلامي.

فكرة وجود شخص ما داخل رأسها، شخص لا تستطيع إخفاء أسوأ أفكارها عنه، شخص تحبه، جعلتها تشعر ببعض الغثيان. لكنها قالت: «نعم، اعتبروها مكافأة أو عقوبة، فقط أعطوه لي، سأكون الهيروفانت».

عندما دخل فينس الغرفة، وقلائد من العقيق اليماني ملفوفة على حلقه، وواحدة متصلة بذراعه مثل المقود، اتسعت عيناه عند رؤيتها. فالتفت إلى بيلامي وسأل: «ولكن أين أدلين؟».

قال مالك: «أرسلناها إلى منزلها».

«إذن من سيكون...»

قاطعته تشارلي: «أنا. إذا كان بإمكانك اتخاذ قرار غبي، فبمقدوري أن أتخذ قرارًا مماثلاً».

هز رأسه مستنكرًا وقال: «من المفترض أن يكون هذا عقابًا».

قالت مازحة: «أوه، أنا أعلم. ستغدو عاليًا في رأسي، مع كل أسراري. حتى أنا لا أعرف كل أسراري. سيكون الأمر مروعًا».

بدا أنه يفكر بجدية في خنقها وقال بحنق: «تشار».

قالت الفيسيرين: «لقد تطوعت، واعترفت بعدد غير قليل من الجرائم فقط لإقناعنا».

كانت النظرة التي أعطاها إياها لاذعة. «هل فعلتِ حقًا؟».

ثم قالت الفيسيرين: «سأحتاج إلى أن تكون قدماءِ عاريتين».

مدت تشارلي يديها لأسفل لخلع حذاءها الذي كانت تربطه مفكوكة بالفعل.

بدا أن فينس يتساءل متأخرًا عما إذا كان بإمكانه التحرر من سلاسل العقيق اليماني والهرب. رآته يسحب الحلقة اللامعة فوق معصمه والتي صمدت أمام محاولاته لأن تعبير وجهه صار قاتمًا. ثم همس لها: «أنتِ لا تعرفين ما سأكون عليه بعد ذلك. لا أحد يعرف».

همست تشارلي: «ستظل كما أنت بالنسبة لي».

قال بيلامي شيئًا لماليك وبدا كلاهما مستمتعًا. لم تعتقد تشارلي أن الكلام متعلق بها لكنه زاد من توتر أعصابها. ذكّرت نفسها بأنها مرت بهذا من قبل، وقطعت ظلها بينما كانت تخطيه على قدمي أختها. كان على بوزي أن تنهي الخياطة، ولم تكن أيٌّ منهما خياطة رائعة. ومع ذلك، بدا الظل متصلًا ببوزي في النهاية وبوزي نفسها بدت بخير حال.

ذكّرت تشارلي نفسها بأنها كانت تسرق فينس تحت أنظارهم.

أمرت الفيسيرين تشارلي بالوقوف أمامها، وهو ما فعلته.

همست تشارلي لفينس: «أرادت ويني أن أنقل لك تحياتها. رئيسك غاضب منك، ولكنك ربما لا ترغب في استعادة وظيفتك القديمة على أية حال. أوه، صدّق أو لا تُصدّق، بوزي يمكنها أن تعتذر كبقية الناس.»

نظر إليها فينس وتنهّد بيأس. ولكنها عندما مدت يدها إلى يده، سمح لها بأخذها.

ضغطت عليها مرة واحدة قبل أن يغدو فينس مجرد ظل.

صُفّق الباب الأمامي لبرج المراقبة بشدة خلف تشارلي بينما كانت تعبر العشب، وأوراق الشجر المكسوة بطبقة من الصقيع تتكسر تحت حذائها.

قالت تشارلي بصوت خافت: «فينس؟ أترى؟ لقد أخبرتك بأننا سنغادر معًا، والآن ها نحن بالخارج.»

لم يرد، ولكنها عندما ألقت نظرة خاطفة كان شكل الظل الذي تبعها هو شكله. وضعت يديها في جيبي معطفها، واستمعت إلى صفير الريح عبر الأشجار.

ثم قالت: «أعلم أنك مجنون.»

في الشاحنة، سحبت تشارلي السكين المتصلة بمفاتيحها. ضغطت سنّها على بطن إصبعها حتى انبجست قطرة دم. «قالت الفيسيرين إنني من المفترض أن أفعل هذا على الفور؛ لذا ها نحن ذا.»

يبدو أن هذا لفت انتباهه. دار الظل حولها في سحابة مظلمة، ثم شعرت بشيء على جلدها قد يكون لسائناً، باستثناء أنه لم يكن رطباً. جعلها هذا الإحساس ترتجف.

«فينس؟». قالت تشارلي مرة أخرى، وبدأت في الشعور بالتوتر. «توقف عن العبث معي. قل شيئًا».

سمعت في ذهنها همسة جعلتها تجلس مستقيمة. «أنتِ لست ريمي».

قالت بصوت مضطرب: «أنا حبيبتك، وهذه المزحة ليست مضحكة ولو بقدر ضئيل».

حدقت تشارلي إلى الظل الذي تمدد عبر مقعد الراكب، كما بدا في الضوء المتسرب عبر الأشجار. راقبته بينما كان ظله يتشكل من دون سيطرتها. شكل قاتم ملامحه ظلامية وله العينان المتقدتان نفساهما بلا تعبير مميز فيهما.

في تلك اللحظة تحول مذاق انتصارها إلى مرارة في فمها.

كان صوته خافتًا ونبرته مشاغبة: «إذا كان هذا صحيحًا، لكنت عرفتكِ. لكني لم أفعل».

استعادت تشارلي تلك الأحداث التي حكاها لها فينس عن الهروب من سولت، والاستيقاظ أسفل ذلك النفق من دون أن يتذكر كيف وصل إلى هناك. لقد فهمت من ذلك أنه لم يتذكر الوقت بين موت ريمي ثم انبعائه هو. لكنه ربما خسر من ذاكرته أكثر من ذلك، ولمدى قد يطول وقد يمتد إلى حيث لا تعلم.

أو ربما يكون هذا الوضع مختلفًا. ربما لا يتذكر أبدًا الجلوس معها تحت النجوم. لا يتذكر أبدًا إحضار الثلج إلى حفلة بارب. لا يتذكر أبدًا تناول الخبز المحمص بالزبدة واحتساء القهوة فوق السرير. شعرت بحرقة الدموع في عينيها فرمشت كي لا تذرفها، وذاقت مرارة الملح في مؤخرة حلقها.

في الخارج، كانت أستار الليل قد بدأت تنسدل، كما تساقطت بضع رقايات من الثلج.

فأحكمت تشارلي قبضتها على عجلة القيادة.

راقبها الظل، والدخان يتصاعد ملتويًا من تجاويف عينيه.

لطالما كان هناك شيء لا يسير على ما يرام في حياة تشارلي هول. إنها تعاني منذ يوم ولادتها، ولم تتخذ قَط قرارًا سيئًا لم تكن على استعداد للإصرار عليه، وتحمل عواقبه أيًا كانت.

بعد صمت قالت تشارلي لفينس-الظل: «أنا لصة بارعة بما يكفي لسرقة ظل من برج، ومن ثم يمكنني أن أسرق قلبك مجددًا».

لم يقل فينس-الظل شيئًا بالمقابل. وبعد لحظات تلاشى من جانبها، تاركًا إيها وحيدة!

شكر وتقدير

كل رواياتي جعلتني أشعر بامتنان كبير لكثير من الناس، لكن هذه الرواية تأتي قبل الأخريات جميعًا في هذا الصدد.

أولًا، شكرًا لكل مَنْ كان معي في معتكف كتابي في اليونان وتحمل بداياتي غير الموقّعة. من الرائع أن يشفق الآخرون عليك وفي الوقت نفسه يُقدِّرون ما تفعل.

أنا مدينة بدين كبير لستيف بيرمان لمساعدتي في تصميم النظام السحري، لمرات عديدة، بما في ذلك الرسم ذات مرة على ورقة سُجبت من لفة، لينتهي الأمر بأن غطت اللفة كلها أرضية مطبخي بالكامل على نحو غامض.

أنا أُقدِّر جهد ماري روتكوسكي لمساعدتي في توضيح ما كنت أحاول استيعابه واستخلاصه.

شكرًا لكم يا: كريس كوتر، وإميلي لاور، وإريك تشرشل، على حديثكم معي عن كل الطرق التي يتفاعل بها الناس ويتواصلون، وإساءة استخدام بعض هذه الطرق خلال مراحل تفشي الجائحة.

شكرًا لك: روشاني تشوكشي، لدفعك لي لتسطير مشاعر الحب على الصفحات.

شكرًا لك: باولو باسيجالوبي، لجعلي أعيد التفكير في البداية (مرة أخرى).

شكرًا لسارة ريس برينان، وروبن واسرمان، ولي باردوجو، لقراءة مسودة شديدة الفوضى وعقد ورشة عمل عبر تطبيق زوم، وبالطبع جعلني أشعر كأنني قد أصلح هذا الشيء الذي صنعتته.

شكرًا لك يا جوشوا لويس؛ لأنك جعلتني أهتم بذلك الرجل الميت.

وألف امتنان وشكر لكاساندرنا كليد، وكيلي لينك، لعدم قتلي عندما غيّرت كل شيء ثم غيّرت مرة أخرى، ثم غيّرت مرة أخرى. لقد قرأتها الكثير من المسودات. لقد استمعتما إلى الكثير من التساؤلات. حقًا إن صبركما لا نهاية له.

كل الثناء لمحرتي الرائعة، ميريام وينبرج، التي جعلتني أهدئ من إيقاعي وأعزز من بنية العمل وقوامه الرئيسي. إنني أقدر جهودها بشدة، وأقدر حماس وخبرة كل فرد في تور بوكس، خصوصًا ديفي بيلاي، ولوسيل ريتينو، ورييناتا سويني، وإيلين لورانس، وسارة ريدي، ولورين هوجن، ومولي ماكجي، وميشيل فويتيك. شكرًا لسام برادبييري رويزن أوشيا وجميع أعضاء دار نشر ديل راي يو كيه. قبل عشرين عامًا، كنت أستهدف تأليف كتاب للكبار، وبفضلكم جميعًا يبدو أنني أنجزت هدفي أخيرًا.

شكرًا لوكيلتي الأدبية، جوانا فولبي، التي صدقت أنه يمكنني تأليف هذه الرواية، ووضع خطة لإنجازها، ثم حرصها على تمسكي بهذه الخطة. أنا ممتنة لها ولجميع العاملين في نيو ليف، ولا سيما التنظيم المرّوع لجوردان هيل الأردن، وكذلك الإستراتيجيات المرّوعة لبويا شهبازيان.

شكرًا لزوجي ثيو وطفلنا الحبيب سيباستيان، من دونكما كنت سأفقد صوابي منذ فترة طويلة.

أخيرًا، شكرًا لـ«وادي» غرب ماساتشوستس / ماساتشوستس الغربية، حيث عشت ما يقرب من عقدين، وما زلت أكتشف فيه الجديد. أعتذر عن كل الأماكن التي اختلقتها بالكامل، وعن العبث ببعض ملامح الجغرافيا الطبيعية. يُرجى اعتبار أن ما أقدمه هنا بمثابة ماساتشوستس الغربية البديلة، المليئة بمزارع البرق، والحانات التي تُقدّم شراب الأفسنتين من الصنابير، وسحر الظلال.

الغلاف الخلفي



حتى ظلك قد يتعرض للسرقه!

لم تجد تشارلي هول قط قفلاً لم تتمكن من فتحه، أو كتاباً لم تتمكن من سرقته، أو قراراً سيئاً لم تتخذه.

لقد أمضت نصف حياتها في العمل لدى سحرة الظلال، الذين يتلاعبون بالظلال للتسلل إلى الغرف المغلقة، أو خنق الناس في أسرّتهم، أو ما هو أسوأ من ذلك. يحرص سحرة الظلال كل الحرص على الحفاظ على أسرارهم؛ الأمر الذي يخلق اقتصاداً سرياً يقوم على الكتب والنصوص السحرية الخطرة. ومن أجل سرقة زملائهم السحرة، فإنهم في حاجة إلى تشارلي هول.

والآن تحاول تشارلي أن تنأى بنفسها عن أخطاء الماضي، لكن عملها ساقية في إحدى الحانات سيئة السمعة يبقها قريبة جداً من العالم السفلي لكبار السحرة وتجار الظلال، فضلاً عن أن أختها بوزي تتوق إلى ممارسة السحر، وأن فينس صديق تشارلي الذي لا ظل له، وربما لا روح له، كان يخفي أشياء كثيرة عنها. وعندما تعود شخصية فطيرة من ماضيها إلى أرض الحاضر، تتزلق تشارلي إلى دوامة جديدة من القتل والأكاذيب.

في إصرار للبقاء على قيد الحياة، تواجه تشارلي مجموعة من الظلال المستقلة والمليارديرات الفاسدين وسحرة الظلال وأحب الأشخاص إليها في العالم؛ وكلهم يحاولون سرقة سر من شأنه أن يمنحهم قوة هائلة رهيبة.

"رواية مشوّقة ومثيرة وملبنة بالأحداث المفاجئة. أنا بالفعل أتوق لرؤية الخدعة المقبلة لتشارلي هول."

أليكس إي. هارو، مؤلف الكتب الأكثر مبيعاً في العالم



لشراء النسخة
الإلكترونية

قائمة جريير
JARIR READER



...not just a Bookstore



ISBN 628-1072-13-774-8

6 281072 137748
282208528



1. [الغلاف](#)
2. [الغلاف الأمامي](#)
3. [حقوق الطبع والنشر](#)
4. [إهداء](#)
5. [قول مأثور](#)
6. [مفتتح](#)
7. [2: بطاقة ملك الكئوس، بالمقلوب](#)
8. [3: الماضي](#)
9. [4: المزيد من القهوة](#)
10. [5: بالمقلوب، ظهرًا لبطن](#)
11. [6: اختبار المارشيلو](#)
12. [7: الماضي](#)
13. [8: كتاب الخراب](#)
14. [9: الماضي](#)
15. [10: أكثر الأعمال حماقة وخطورة](#)
16. [11: نجم أكثر إشراقًا](#)
17. [12: الماضي](#)
18. [13: الأرواح المحلّقة](#)
19. [14: سرب من الذباب الأسود](#)
20. [15: الماضي](#)
21. [16: العق جراحك](#)
22. [17: الرجاء عدم الإزعاج](#)
23. [18: الماضي](#)
24. [19: الحلوى التي تكسر الأسنان](#)

25. [20. سُم مزيج](#)
26. [21. الماضي](#)
27. [22. العالم والظل](#)
28. [23. مخالب الدب](#)
29. [24. أغان حزينة متكررة](#)
30. [25. قط وطفدع وغراب سود](#)
31. [26. الماضي](#)
32. [27. هذا الشيء الكريه الذي أحبه](#)
33. [28. التخلي عن كل الآمال](#)
34. [29. الماضي](#)
35. [30. أيها الداخلون إلى هنا](#)
36. [31. الأحقق، والساحر، والهيروفانت](#)
37. [32. المشعوذة](#)
38. [33. لصة الظلام](#)
39. [شكر وتقدير](#)
40. [إغلاف الخلفي](#)